

١٧١

المجلد الحادي عشر

في تفسير القرآن الكريم

المجلد الحادي عشر

تأليف

الأستاذ الحكيم شيخ ططاوي جوهري

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا
متع الله المسلمين بجزائه آمين

المجلد الحادي عشر

طبع بمطبعة

مطبعة السباني الحسني وأولاده بمصر

وتمت الطبعة محفوظة

وباشطبعة محمد أمين عمران

محرم سنة ١٣٤٨ هـ

١٧١

الحمد لله

في تفسير القرآن الكريم

السجل على عجائب بروج الكائنات وغرائب آياتها

تأليف

الأستاذ الحكيم شيخ ططاوي جوهري
المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا
ستع الله المسلمين بجلالة آمين

المجلد الرابع عشر

طبع بطبعة

مصطفى البابی الحلبی وأولاده بمصر

والحق الطبع محفوظ

وباشطبعة محمد امين عمران

محرم سنة ١٣٤٨ هـ

وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ سورة القصص وهي مكية ﴾

(إلا من قوله - وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين - الى قوله - إنك لاتهدى من أحبت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين - فذنية ، وآية - وما كنت ترجوا أن يلقى اليك الكتاب إلا راحة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين - فبالجلفة أثناء الهجرة وآياتها ٨٨ نزلت بعد النمل)

ولأقدم قبل تفسير السورة مقدمات ثلاثا قد كنت كتبتها في كتابي ﴿ النظام والاسلام ﴾ وفي كتابي ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ وقد كانت تدرج في جريدة المؤيد وغيرها قبل وضعها في الكتاب ، تلك المقدمات ذات علاقة بالقصص القرآنية المذكورة في هذه السورة وغيرها

(المقدمة الأولى • نموذج في فهم كيفية قصص القرآن)
(التربية والآداب في قصص القرآن)

طال الأمر على أمتنا فأهملت ما في غفون كتابها من أساس التربية والحكمة وكيف تنفتح الرجال الأكفاء في مهام الأعمال ، ياليت شعري ما الذي أصابها حتى غضت النظر عن القصص التي قصها وأهملت أمرها وظن أهلها انها أمور تاريخية لانفيد إلا المؤرخين ، القصص في كل أمة عليها مدار ارتقاءها سواء أكانت وضعية أم حقيقية على أسنة الحيوان أو الانسان أو الجاد ، على هذا تبحث الأمم قديمها وحديثها وناهيك بكتاب كائلة ودمنة وما والاه من القصص الناسجة على منواله في الاسلام ككتاب فاكهة الخلفاء ومقامات الحريري وان حاد بعضها عن سواء الصراط والجادة وطنى نخلط الجذ بالهزل ككتاب (ألف ليلة وليلة) الذي استخلص زبدته الغربيون ، كل يعلم ما صنعت الروايات في عقول الغربيين من التأثير وأخذهم منها بالأحسن من الكلام والأجمل من الأفعال وكيف يسمعون ويعقلون ، جاء القرآن بقصص الأنبياء وهي لاجرم أعلى منالا وأشرف

مزية كيف لا وقد جعت حسن الأسلوب واختيار المقامات المناسبة لما سيقت اليه والقنوة الحسنة بالكمال
 الخالصين من الأنبياء ومن والاهم وتحققها في أنفسها لوقوع مواردها وأن حب التشبه طبيعة صريحة في الإنسان
 لا سيما لمن يقتدى بهم ، فهذه خمس مزايا اختصت بها هذه القصص ونقصت في سواها ككتاب كايلا ودمنة
 منتقى كتب الهند وترجمة الفرس والاسلام جاء على ألسنة الحيوانات وقد نقصه تحقق موارده والروايات المنتشرة
 في الغرب أكثرها إيهاما لوقوع مواردها اختلط فيها صادق الحكم بكاذب الوقائع اصطفاها القوم لأنفسهم لما
 تضمنته من النصائح في بواطنها مع زخرف ظاهرها وقصصها المكاذب . أليس من العيب الفاضح أن تقرأ
 قصص القرآن فلانكاد تفهم إلا حكايات ذهبت مع الزمان ومرت كأمس الدابر ومالنا ولها إذن ؟ تالله ان هذا هو
 البوار ، وما نحن إلا كالحكي في هذه الأيام عن فلاح بويري فقير بني منزله الحقير من جأ مسنون مرصع بقطع
 من الماس الجليل المقدّر بمئات الالوف من الجنيات جهلها الرجل وعرفها سائح أوروبي فكان ذلك من أهم
 الاكتشاف في تلك الأقطار . كم من فتى يسمع هذه القصص فيقول في نفسه تارة وعلى الملا أخرى ياليت شعري
 كيف توافق التاريخ وهل الاكتشافات التاريخية والمباحث العصرية والعلوم المكتشفة في الاهرام والبرابي والهيروغليف
 تؤيده ويظل يبحث عن ذلك حتى يقف باهتا منهشاً وقد يعثر على قول فلان الفرنسي والانجليزى مما يؤيد
 هذه المباحث فيطير بها فرحاً ويطلق أن هذا مستند للدين وفاته أنه ان وافقه كتاب فقد يخالفه كتب إذ لا
 ثبات للمؤرخين فيما يصفون عن دهر الدهار . لعلم العلم لم يكن هذا إلا للجهل بالمقصود من قصصها وانها عبرة
 لمن اعتبر وتذكرة لمن تفكر وتبصرة لمن ازدجر ، أما الرجوع الى التاريخ ومقارنته بما قصه المؤرخون في
 كتبهم وماسطره الأقدمون على مبانيهم وما يقوله القاصون في خرافاتهم فذلك سبيل حائد عن الجادة يضل فيه
 الماهرون ، يرشدك لذلك ما تسمعه من نبا قتيبة الكهف وكيف يقول - سيقولون ثلاثة رابعهم كابهم ويقولون
 خمسة سادسهم كابهم رجاء بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كابهم قل ربى أعلم بعثتهم ما يعلمهم إلا قليل -
 فانظر كيف أسند العلم لله ولم يعول على قول المؤرخين المختلفين ثم لم يبين الحقيقة لئلا يكون ذريعة للطعن
 في التنزيل فان قال خمسة قالوا ستة وان قال أربعة قالوا سبعة فكتب المؤرخين كثيرة الاختلاف في القصص
 وما المقصود منها وليكون عبرة . وبالأجمال فليس المقصد من هذه القصص إلا منافعها والعبر المبصرة للسامعين
 - لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب - ولنا ممن يتبجح بالقول بلايان فلا نعتمد إلا على البرهان ،
 تأمل يا صاح هذا القصص تجده لا يذكر إلا ما يناسب الارشاد والنصح ويعرض عن كثير من الوقائع إذ لا لزوم
 لها ولا معول عليها فلا ترى قصة إلا وفيها توحيد وعلم ومكارم أخلاق وحجج عقلية وتبصرة وتذكرة ومحاورات
 جلية تلذ العقلاء ، ولا تقتصر من تلك القصص على ما حكاه عن النبي يوسف الصديق عليه السلام وكيف جاوز
 فيها كل مالا علاقة له بالأخلاق من مدنية المصريين وأحوالهم الى الخلاصة والثمره الخ اه

﴿ المقدمة الثانية ﴾

لأذكر لك نموذجاً آخر لذلك وهي محادثة جرت بيني وبين فتى في حديقة الجيزة إذ قال انى اعتقدت أن
 القرآن أعظم مشرق للعلوم ولكن أناسا يقولون

(١) إن الدين لا علاقة له بالسكون وهؤلاء علماء أوروبا نراهم عزلوا الدين عن العلوم فأفلحوا وهم
 صادقون فاخبرنى رعاك الله أين أنت من قصة سليمان وما حكاه الله في القرآن واقد سئلت أسئلة فلم أقدر على
 الاجابة عليها فما أنادأ أعرضها الآن

(٢) كيف سمع سليمان النملة وهي تتكلم - حتى اذا أتوا على واد العمل قالت نملة يا أيها الغل ادخلوا
 مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون - وتفسير الآية ظاهر بأقل التفات

(٣) وكيف يقول الرب - وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق وأوتينا من كل شئ -

وكلمه الهدهد فقال - أحطت بما لم تحط به وجئتكم من سبأ بنبأ يقين إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء - الآية

(٤) وكيف يقول - قال عفریت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين - وكيف يقول - قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك (٥) وما تلك الأبنية العظيمة المسماة بالمحاريب التي كانوا يعسملونها له - يعسملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل - الآية

(٦) وما تلك القصاع الكبيرة المعبر عنها بالجفان ، وما تلك القصور الراسيات العظيمة (٧) وكيف تسيل المعادن من الأرض المرموز لها بقوله - وأسلنا له عين القطر - أي أسلنا له النحاس

كالعين ينبع

(٨) وما هي دابة الأرض التي أسكت عصاه في قوله - مادهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين -

(٩) وكيف سخرت له الريح حتى قال - واسماعيل الريح غدوها شهر ورواحها شهر - شهر أول النهار وشهر آخره

(١٠) ماهذه المحاوراة التي بين بلقيس وقومها واستشارتهم في الامور العامة والسياسة عند وصول كتاب سليمان اليها - قالت يا أيها الملأؤا أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون * قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد - وهذا السؤال الأخير ليس فيه اشكال وانما سألتكم فيه تكميلا للقيام وانتي أعتقد أن هذه لاعلاقة لها بالعلوم بعد منالها عن الافهام ولا ينبغي أن يفهمها إلا العامة ، أما أمثالنا الذين اقتبسوا العلوم واجتلاوا الحقائق فلا جدر بهم أن يكفوا عن هذا وسكت . فقلت أيها الفتى إن لكل أمة وجهة توليها وتناسب حالها والأتم التي ذكرت لم يكن في دياتها علوم وانما هي مواعظ وقوم دينهم شأنه هذا جديرون بعزله عن العلوم فنحن على هذا نقرر لهم بالعلم والحكمة وانما كان هذا شأنهم لأن عيسى عليه السلام جاء بالروحانيات خالصة وابتعد عما عداها ولم يلتفت قط في خطابه الى غير ذلك وموسى قبله أخذ بالجسمانيات وأما القرآن فجمع بين الأمرين وتكلم على الجسمانيات والروحانيات وأشار الى العلوم اجالا فاذا قلدناهم في ذلك ساءت العقبي لأن المسلمين أمة عودها دينها أن يتكلم عن جميع شؤونها اجالا حتى انه يعلمهم الموارث والأحكام ويفصل بينهم بالحق فاذا جاؤا الى العلوم وعزلوه عنها ارتبكوا في شؤونهم ولم يجتمعوا على رأى واحد فالقرآن جامع بينهم . وأما مسألة نبي الله سليمان عليه السلام فاني أرى انك تستعظم ذكر الخلة وكلامها والهدهد وخطابه والأرضة وأكلها العصا مع نبي الله سليمان ويلوح لي أنك لم تعلم ما المراد من ذكر هذه الحيوانات ، ولتقدم لك مقدمتين قبل الخوض في الجواب عن أسئلتك العشر . فقال نعم هات . فقلت تعلم أيها الفتى أن الأمم أجمعوا على استحسان ذكر الحكم والعلوم والمواعظ على أسنة الحيوانات والانسان ، ألم تر الى كتاب ﴿ كايلا ودمنة ﴾ نخبة كتب الهند وترجمة الفرس والعرب وهكذا نسجت كتب كثيرة على منواله في الاسلام وقد علمت هذا المقام في قصة سيدنا يوسف عليه السلام فلا أطيل بالاعادة

إن الحيوانات على ﴿ قسمين ﴾ حكيمة تعمل الأعمال العجيبة كالنمل في بناء المساكن والادخار والأرضة في الهندسة والاتقان والنحل وغيرها ، فهذه حيوانات صغرت أجسامها وعظمت حكمتها ﴿ والقسم الثاني ﴾ حيوانات خلقت للعمل كالثور والجاموس فلا قدرة لها على أعمال العمل ولا النحل ولادود القز فهي حيوانات عاملة لاعالة فأعطيت الضعيفة العلم والقوية العمل ، قسمة عادلة ، وقد جعل الله الحيوانات الحكيمة معاملة للانسان - فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال يا ويلتي أعجزت أن أكون

مثل هذا الغراب فأورى سواة أخرى -

إذا فهمت هاتين المقدمتين فاعلم أن قصص القرآن جاءت بوجه عام حكاية عن الأنبياء وهم أشرف ما بعلمه الانسان وهذه أول مزية واضحة الظاهر حقيقية وهي مرتبة ثانية ودالة على التوحيد والأخلاق ، وهي مرتبة ثالثة خالصة مما لاعلاقة له بذلك وهي مرتبة رابعة ، وهذا نبي الله سليمان عليه السلام لم يذكر معه إلا النمل والهدد والأرضة وهي دابة الأرض ، فظاهر هذه الألفاظ أمور سهلة بسيطة وكلام الهدد وسمع النمل وأكلت الأرضة عصاه ، فأما الجاهل فتى سمع هذه اكتفى بها وقال كفى بهذه معجزة ويقف عنده هذا الحد ويطن أن هذا غاية ما في القرآن وهذا في الحقيقة لم يصل لدرجة تلميذ في المدارس فانه يقرأ الحكاية ويقول ما مغزاها وما المقصود منها ، ولما علم أهل أوروبا أن التاريخ جعل للعظة والاعتبار وجهوا اليه عنايتهم وأخذ كل عالم يهذب تاريخ قومه علما منهم أن المدارس على ثمراته لاسرد حكاياته . ثم ان علماء الاسلام ما وضعوا علوم البلاغة إلا لخدمة القرآن ، ومن أجل تلك العلوم فن البيان وفيه الاستعارة التمثيلية التي تشمل جميع الروايات والخيالات وما جاء على السنة الحيوان والنبات ومنه مقامات الحريري واعترضوا عليه بأن هذا خيال يلبس بالحقيقة ومن هذا القبيل جميع الروايات المنتشرة في زماننا هذا ، فأما مثل ﴿ كائلة ودمنة ﴾ الذي جاء على السنة الحيوانات فقد قبله جميع علماء الغرب والشرق لظهور أن القصد منه الحكم والمواعظ وهذا هو الاستعارة التمثيلية بالطريقة العملية وهناك نوع يسمى الكناية وهي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع ارادة المعنى الأصلي فيكون المعنى الأصلي صحيحا واللازم هو المقصود بالذات وعلى هذا جاء قصص القرآن فيكون حكايات ظاهرها صحيح ومقصدها ما وراء ذلك المعنى ، فالعالمى يقف عند مجرد الحكاية ، فاذا سمع مسألة الهدد مع سليمان والنمل وحد الله وأخلص له وعبدته وأخذ يسبح بكرة وأصيلا ، أما العالم فاذا سمع هذا قال ليس القصد من هذه القصة مجرد الخطاب فان النمل ومسألته والهدد وخبره والأرضة وأكلها أمور تشير الى ما هو أدق من ذلك وأرقى وكون نبي الله سليمان عليه السلام علم منطق الطير صحيح في نفسه ولكن الطير ليس عنده من العلم إلا مقادير محددة تناسب ما كانه ومشر به . إذن هذه الامور تستلزم بطريق الكناية معاني أرقى من هذه مرادة ومقصودة ، وإذا كان كل كلام عربي وأعجمي له مغزى فكيف يحرم من هذا كلام الله ولأجله دون فن البلاغة ، إن هذا هو الخسران المبين ، ومن ادعى أن المقصود حكاية بسيطة فهو أحقر من أن يكون تلميذا بل هو حيوان فالأولى أن يسكت وليعتزل العلماء وليجلس مع العامة فليس له في العلم من نصيب . فقال الفتى مامثال الكناية من كلام العرب ؟ فقلت أنواع المجاز والكنايات عليها مدار تفاضل البلغاء والشعراء والخطباء ، وكل كلام لم يكن فيه تلك الملح بخفية عاطل من حلي البلاغة ، ولأذ كر لك مثالا واحدا لتقيس عليه ما سواه ﴿ دخل صخر أخوال النساء عليها يوما واستشارها في أن تزوج دريد بن الصمة أحد مشاهير العرب فقالت في أبيات لها

معاذ الله يرضعني حبرك * قصير الشبر من جثم بن بكر

فالجاهل اذا سمع مثل هذا يقول أين المناسبة بين السؤال والجواب فهو يقول لها تزوجي دريدا وهي تقول أعوذ بالله أن أرضع طفلا قصيرا شبره قصير ، أما العالم فانه يعرف اللازم والملزوم ويدرك سرا فهمه العربي في البادية بدون تعلم بل بالفطرة والمنحة الإلهية وهوانها ان تزوجت فلا بد من الاقتراب والاقتراب يتبعه الحمل فالوضع فالرضاع لطفل يشبه أباه غالبا وأبوه قصير فيكون قصيرا والأعضاء على حسب الجسم ومنها الشبر فيكون قصيرا فاذا لم ترضع الطفل الموصوف بما ذكر لزمنها أن لا تزوج أباه المرتب على زواجه ما بعده فهذه لوازم ومازومات ذكرها علم البيان ومقدمات خطابية يذكرها المنطقيون عرفها هؤلاء الأقوام بفطرتهم وإذا كان هذا كلام اعرابية في البادية وقد تضمن هذه الحكم وذكرت أمرا صحيحا وهو الامتناع من الارضاع ولكن أرادت ما هو أرقى من ذلك عند الفطن وهو عدم التزوج بدريد بن الصمة وهو المقصود بالجواب وقد

عد هذا من أجل طبقات البلاغة فإياك ياسيدي بالقرآن الذي هو سيد الكلام فكيف لا يكون فيه كُنَايَات أم كيف لا يكون فيه رموز وحكم ومعجائب وغرائب ، ولو نظرت في كلام العرب بامعان لرأيت فيه كثيرا من ذلك جدا فإياك بكلام الله جل جلاله . الله أكبر كل كلام تظاهر بساطته عند الجاهل يعظم أمره عند العالم الماهر المدقق ، ومما سهل الكلام السهل الممتنع إلا اكتمل النور يبدو للجاهل فيظنه معروفا عنده لشدة وضوحه ، فإذا نظر العالم فيه وبحث عنه وقف على كنهه ، وهاهم العلماء قديما وحديثا يبحثون عن كنهه ولا يزالون مختلفين الى يوم الدين ، العلماء (ثلاثة) عالم لغة وهو يفسر القرآن تفسيراً بسيطاً كل لفظة بما يراد منها وهذا في طبقة العامة لم يتزعمهم والعامة يمثل هذا مولعون وهو وهم ناجون بصدقهم وتصديقهم وهم مؤمنون وعالم البلاغة وهو أرق من سابقه مولع بفهم المقصود من الكلام فيتصرف فيه بالمجاز تارة والكناية أخرى والاستعارة بأنواعها والتخيل وضروبه وهذا متوسط في العلم وفوقه عالم درس جميع العلوم وعرف الكون وأصبحت له ملكة بها يحلل ويركب في المعلومات وهذا هو العالم حقا وهو الحكيم الذي يأخذ بأتمته الى العلا وهو الذي أشار له الله في قوله - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء - فتأمل كيف مدح العلماء بعد ذكر حكم الله في الكون وتنويع أشكاله ومزايا أصنافه ومعجابه والى هذه الطبقات الإشارة بقوله - يرفع الله الذين آمنوا منكم - إشارة الى الطبقة الأولى - والذين أوتوا العلم درجات - إشارة الى الطبقتين بعدها وهم درجات بعضها فوق بعض كما قال ابن عباس « بين العالم والجاهل سبعمائة درجة كل درجة كما بين السماء والأرض إشارة الى تفاوتهم في الفهم كما هو مشاهد محسوس في كل فن من الفنون ، فإذا لم يمكنك أن تكون من الحكماء فاجتهد أن تكون من علماء البلاغة وهم أوساط الأمم الذين الذين يناط بهم التحرير والانشاء ومن سمع آية من القرآن فإن كان من الفريق الأول وهم علماء اللغة والعامة فليس لهم إلا ألفاظ بسيطة ترجع لعم اللغة فإن ترقوا قليلا للبلاغة فيأخذوا ، ولقد أصبحت الأمم جمعاء تنحو هذا النحو في تعليم صغار تلامذة المدارس وهذه أمور سهلة ليست خارجة عن السنن المعهود ، فمن ظن أن القرآن لا يفهم إلا بجملة من أن يصمت ويعتزل العلماء . عجبا أن يكون لسكل حكاية في العالم مغزى يراد منها ويسلب هذه المكرومة أبلغ الكلام ، أين البلاغة إذن ؟ فقال الفتى كفى هذا وأرجو أن أسمع ما ترمنز اليه هذه القصة فأجلته الى الغد ، رجعنا الى الحديقة ، فقلت يا بني إن هذه القصص تشير الى مدينة كانت عند نبي الله سليمان فإن مدار المدينة الآن على

- (١) سرعة نقل الأخبار بالبريد والكهرباء والتلغراف بلاسلك
- (٢) وسرعة النقل وسهولته بالسكك الحديدية والآلات البخارية والمراكب الهوائية (البالون) الذي سيخلف السكك الحديدية الأرضية بواسطة تبخير الغازات التي هي أخف من الهواء
- (٣) وانشاء المباني العظيمة
- (٤) وفق النقش والتصوير وصنع التماثيل العظيمة
- (٥) واستخدام المعادن على اختلاف أنواعها
- (٦) والتدبير والاحكام والهندسة
- (٧) والسياسة بالتشاور وجعل الأمر بيد الأمة وأن لا يستبد الحاكم بالرأى
- (٨) والاعتماد على النفس
- (٩) والتحلي بالعلوم والمعارف
- (١٠) والاقتداء بالصنعة الإلهية

فهل المدنية غير ما ذكرت لك الآن ؟ فقال الفتى هذه أمور عامة داخل تحتها فروع كثيرة . قلت الهدهد
 إشارة الى أن النبي سليمان عليه السلام أعطى سهولة نقل الأخبار بأى طريقة من طرق النقل والهدهد رمز
 لذلك وقد أعطى حكمة ورثها عن آباءه وأيدها الوحي بها فنقل الأخبار بسرعة ليس خاصا بالهدهد بل به وبغيره
 ولعلّ عنده ما هو أرقى مما عندنا على سبيل الكناية . وتسخير الريح له إشارة الى أن وسائل النقل متوفرة عنده
 عليه السلام حتى وصل الى استخدام الريح الذى يبحث عنه الأوروبيون الآن بالطيارات المعروفة وإن كان
 للنبي مجزة لا يصل لها البشر ولغيره بالعمل وهو أقل وأضعف . ويقال إن النقل فى مستقبل الأمر يكون بها
 لتخاطب الأرض للزراعة والمنافع الأخرى ويشارك الإنسان الطير فى الطيران وهذا كان سرا لا يعلمه إلا ذلك
 النبي مجزة له ، ذكره الله فى القرآن ليحذّر الناس فى العلوم لعلمهم يصلون الى بعضه ، أما الوصول الى غايته
 فلن يصل أحد اليه ، وأشار الى المباني العظيمة بقوله - يعملون له ما يشاء من محاريب - . وأما فنّ النقش
 والتصوير فى قوله - وتمثيل - . وأما استخدام المعادن فهى قوله - وأسلنا له عين القطر - وهو النحاس
 فقط وهو رمز الى المعادن على اختلاف أنواعها من اطلاق اللفظ وإرادة لازمة أو الجزء وإرادة الكل إذ المدنية
 الهائلة العظيمة تستلزم الترقى فى استخراج المعادن ، وأما التدبير والاحكام فى الصناعات واتقانها فاليه الإشارة
 بفهم كلام الخلة وسماها ولذلك يقول - وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير - فأطلق
 وأريد به لازم معناه وهى الحكم والمعارف والعلوم والنظامات التى أودعت فى الطير والحيوان وليس القصد مجرد
 تلك الحكاية من الطير والذباب الدالات على أشياء لا تخرج عما يليق بحياة ذلك الحيوان من مأكل ومشرب
 لانعنى نبيا من الأنبياء إلا للإعجاز والتحدى والا فهو أرقى وأوسع علما ، فنبى الله سليمان أوتى الحكمة والعلم
 أشار به بقوله بعد ذلك - وأوتينا من كل شئ - ثم أخذ يسرد حكايات الخمل والهدهد ليدل على الحكمة التى
 أعطىها حتى لم يذكر فى قصته إلا الحيوانات الحكيمة ولم يذكر الجمل ولا البقر فى قصته إذ هو عليه السلام نبى
 وحكيم ورث بعض العلم عن آباءه الذين ألقيت اليهم النبوة والحكمة ، أما سيدنا ونبينا محمد ﷺ فلم يكن علمه
 ميراثا وإنما جاء كله بطريق الوحي فهو أسمى لأمة أتمية جاء فى جزيرة العرب لهم خاصة وللناس عامة فأمرهم
 بالتوحيد والنظر فى الكون والأخذ بأحسنه ومما قصه عليهم هذه القصة النبوية وقال تعالى له - فبهداهم
 اقتده - فأمره بأن يقتدى بهم ومنهم نبى الله سليمان وقد أوتى الحكمة والعلم فوجب إذن على أتباعه أن
 ينظروا فى قصته ويطلبوا العلم الذى يرقى مدنيّتهم من الأمم حولهم فإن بعض العلوم التى عند نبى الله سليمان
 ورثها عن آباءه وتلقاها عنه حكماء اليونان فالرومان ، وقد كان فيثاغورس تلميذا لنبي الله سليمان عليه الصلاة
 والسلام كما قيل وقد انتشر علمه فى اليونان والهند كما فى كتاب (الملل والنحل) ومنهم الى الرومان فالعرب
 فأهل أوروبا فكان أدوارا شتى وطرقا مختلفة فقصة سليمان إشارة لمدنية قديمة معلوم عهدها مجهولة آثارها
 إذ سندهم متصل بقدمااء المصريين وكان بيت بنى اسرائيل مجتمع الحكمة من الأمم الغابرة ودام ملكهم
 قرونا متطاولة ولذلك لما خرجوا من مصر أمرهم موسى بذبح البقرة لأن أذهانهم قريبة عهد بالجلجلى المسمى
 ابيس وعبادة المصريين له ولهذا الحادثة سميت بها أكبر سورة فى القرآن ففيل سورة البقرة وكان بنو اسرائيل
 إذ ذاك غلاظا شدادا لا يفقهون الحكم فأمرهم بذبح البقرة التى على هيئة عجل (ابيس) معبود المصريين ولما
 كثر فيهم الأنبياء وتمادى الزمان رقت أذهانهم وجاء فيهم نبى الله سليمان عليه السلام وأوتى الملك والحكمة
 وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وذكر حديث الخمل وغيره ، فتأمل رعاك الله تجد الأمم المتأخرة الآن
 تبحث عن هذه الحيوانات وتتأملها حتى فى أصغر كتاب للتلامذة ، فيزان الأمة نظرها فى الكون ، فكما
 دقت أنظارهم وعرفوا بواطن الأشياء ترقوا فى المدنية والعكس بالعكس وهذا هو المقصود بذكر هذه الحيوانات
 فى قصة ذلك النبي ، ومن العجيب أن السورة التى ذكر فيها الخمل وسميت باسمه كانت قصيرة بخلاف البقرة

واننى لا أزال أيها الفتى أتعجب من تخصيص ذكر هذه الحيوانات في قصة سليمان ولم يقل مخاطب البقرة والخيل والحكمة ما علمت فقال الفتى كفى في هذا السؤال . فقلت وأما التشاور في الأمر فهو ظاهر من محاوره بلقيس لقومها واستشارتهم في الأمر وآدابها وآدابهم وهذا ظاهر لا يحتاج الى إيضاح . وأما الاعتماد على النفس فهو ما ذكره من مسألة العفريت من الجنّ وأدعاء الجنّ انهم يعلمون الغيب فقال تعالى - قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك - فهذا هداية للانسان انه متى حاز النهاية في العاوم لم يكن مثله أحد من المخلوقات إذ هو خليفة في الأرض وهو أقوى من الجنّ ، فهذه أول داع لنزوى العقول أن يتقدّموا في العلوم والمعارف وقال - مادّهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خرت تبينت الجنّ أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين - فهذه كلها تريك أن الاتسكال على الاخبار بالغيب عجز وجهل بل الاهتداء بالامور الممهودة والتأمل في أعمال الخليفة يهتدى الانسان الى الطريق الأقوم فان كثيرا من الناس يخبرون بالغيب ولكنهم فيهم الصادق والكاذب فلا يعول عليهم ماعدا المعصومين من الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين والعفريت والجنّ في هذه الآية يناسب ما تنشر في أوروبا الآن من ظهور عالم الأرواح وتكليمهم إياهم بما هو شائع مستفيض والجنّ والعفاريت هم من قبل أولئك المستحضرين في أوروبا وهم يخبرون بالغيب والقرآن يفيد أن الانسان لا يلتفت الى كل خبر منهم بل يعرض كل قول على عقله واستنتاجه كما وضع من هذه الآية ، ونتيجة ذلك أن الاعتماد على النفس والعقل في كل شئ ملقّ للهمة في العاوم والمعارف وأن الانسان في علمه فوق الجنّ مكانة كما في مسألة دلالة دابة الأرض على موت سليمان وجهل الجنّ به والانسان أسمى قوّة كما في نقل عرش بلقيس بأسرع من لمح البصر . فقال الشاب وكيف انتقل سريعا وبين الشام واليمن شهر . فقلت ذلك اشارة الى أن فوق هذه المدينة الحاضرة مدنية أخرى أسمى منها وأرقى وان كان ذلك معجزة للنبي سليمان عليه الصلاة والسلام ولكن يطلب الأخذ بالأسباب السكل ما يسهل وسائل النقل والاسراع فيها . أما الاجتهاد في العاوم والمعارف فهو مفهوم من قوله - قال الذى عنده علم من الكتاب - وأما الاهتداء بالكون والصنعة الإلهية فيفهم من السورة بتمامها وتأمل في النمل وانظر . فقال الشاب ما رأيت أعجب من هذا البيان ثم قال الفتى أخبرني عن يأجوج ومأجوج وكيف ذكرهم الله في القرآن وما لنا بهم من علم وفي أي زمن خروجهم ؟ فقلت أيها الفتى قد سألت هذا السؤال أحد أدياء اليهود من زمن غير بعيد وأجبناه في ﴿ مجلة الهلال ﴾ وهي في نظام العالم والأمم وقد تقدّم في سورة الكهف

﴿ المقدمة الثالثة ﴾

(أحوال النول في قصص فرعون وموسى عليه السلام)

الانسان في حياته ينتهج سبيلا سلكه من قبله واختطه له جاهل أوعالم فاما مكبا على وجهه أوسويا على صراط مستقيم . كل ابن أنثى يتخذ طريقا سنه الأبوان أو الأقربون أو الاخوان والأصحاب والعشيرة والقبيلة والمربي مع ملاحظة الأمزجة وهؤلاء يهدونه أحد النجدين إما الخير أو الشر ، ويقال آخران هؤلاء مثل ضربت له وسبل سنت طرقا للسعادة أو الشقاء ، والتاريخ مشل واضح يقتل به الانسان سيره في نفسه وأهله ومدينته متى عقل وعمل وحوادث الاصحاب والاخوان تاريخ تشهد العينان وتسمعه الأذنان ولا جرم انه يسدّ عوز الحكيم اذا عقل في سيرته الشخصية والمنزلية ، أما سيرة المدن وثقافتها فرجعها الى مرآة أوسع وأعظم ألا وهي تواريخ الأمم الغابرة فهي المنظار المعظم تدرس بها الأخلاق في شكل بهيج جميل . لعمرك ليس كل تاريخ يعني « وماكل مصقول الحديد يماني » فقد يستمن ذوالورم وينفخ في غير ضرم ، يسرد المؤرخ حكايات الأولين قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل ولن تجد العبر إلا في آثار وأحوال تستأنس بها النفس وتطمئن لها العقول وتذكر له الحوادث برواق بهيج ونواتجها ظاهرة واضحة خيرا أو شرا فيخرج القارى من بساينها

مقطعا من رياضها أزهارا وجالبا من أشجارها أغصارا ، ولقد ذكر العلماء أن درس التاريخ أن عدل عن هذه الوجهة كان شغلا بلا فائدة وضياعا وقت وحياة . نذكر ذلك ليكون عبرة للعالمين لاسيما المصريين وقد كان فرعون يقول - أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون - ذلك تذكرة للكتاب والقارئ لأننا نعلم أنه لم يكن ليجعل حكاية يسلي بها القارئ نفسه كما يشعر به قارئ رواية أو يقتل به الزمن كلا . كيف وهو سبحانه وتعالى يقول - لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب - والعبرة مشتقة من عبور البحر فينقل قارئ التاريخ حال غيره الى نفسه ويعبر به على سفن الألفاظ الى الحقائق ويقول تعالى - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - ويقول جل وعز - كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم - ويقول سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام « ماتحت الشمس من جديد » ويقول علماء العصر « التاريخ يعيد نفسه » غفل الناس عن ذلك الاعتبار جهالة بالقصد وخبلا عن الفحوى ورضا بالقشور وابتعادا عن أسرار البلاغة . جاء الخطاب بلسان العرب وهم يعلمون ضرب الأمثال والمواعظ ولكل مثل مورد ومضرب وقد علموا موارد ومضاربها ومغازيها ومرامها وأحوال العرب عامة تنطق بها ، فن أجهل ممن جد على الألفاظ دون معناها والمصاني دون مغزاها ولذلك قال أباغ البغاء عليه الصلاة والسلام « شبتني هود وأخواتها » وترى كثيرا من الأدباء إذا أزمع هداية انسان ذكر له قصصا تشبه حاله فيردعه عن غيه فتكون أشد تأثيرا من وقع الحسام وتثير في القلب حجة واقداما أو خيفة واحكاما فزال المراء ورفع الغطاء ، إن الخبر في مغزاه كالسهم في مرماه فلنبدا بعد هذا بما وعدنا ونذكر تلالشي الأمم في قصص فرعون وموسى عليه السلام

أشرنا فيما تقدم الى أن تاريخ مصر أسس بالمصريين وأنفع للعالمين ونحن لا نعلم من تاريخ دولهم إلا أنهم كانوا في ليل الجهل الدامس حتى بعث لهم نبي الله ادريس المسمى بهرمس ويسمى المثلث لأنه كان طبيبا ومهندسا وإلهيا ، وورد أنه أول من خط القلم فاقتبس المصريون الحكمة المظمورة الآن في النواويس تحت الأشجار والصخور وكانوا موحدين وتناهاوا في ذلك التوحيد وبنوا اهل كل العظيمة آثارا للجلالة ونظروا فيما حسن ولطف دلالة على جلاله ثم نسوا المعبود وعبدوا الأثر وتراخي الزمن وبقى التوحيد سرا مكتوما عند حلة الدين وحرموا العامة منه فأرسل النبي موسى عليه الصلاة والسلام فبرهن للخاصة والعامة بالعصا واليد فنجع في الخاصة وهم القليل وآمن بنوا اسرائيل وبقى المصريون في عمائتهم وجهلهم مع فرعونهم - فاستخف قومه فأطاعوه أنهم كانوا قوما فاسقين - فأغرق فرعون وجنوده وأما بقية الشعب فاجتاحتهم جاححة الحبشان بعد الأسرة العشرين ودمرتهم صاعقة الاشوريين وأحاطت بهم سرادقات الفارسيين فجاء قبيز فلغمرك ماستد عليهم فأصابهم وأقصده القلب الابقوس من شعائر دينهم . عبدوا بعض الحيوانات ومنها الهرة فوضعها قبيز بين الجيشين فتحرج المصري عن قتلها فأصابها وأصابه قبيز فملك وقتل وسبي وغزا وأرسل الجيوش وقتل المجل المعبود وأغضب المصريين وكان ما كان من هلكته

مضت دولة الفرس فورثهم اسكندر المقدوني وبعده البطالسة فالرومان الذين استباحوا ماحرمه الظالمون فقتلوا الأبرياء واتهكوا الحرمات وغالت الأمة غولهم وجاء عمرهمهنا عليهم بجناح الرحمة وأسدل ستارا من العدل وحرسه بجند من الايمان وبنى عليه هيكل من العلم وزينه بزخرف من الكياسة ووشاء بتقوش الحكم وسيطر عمر بن الخطاب عليه جلاء نورا على نور وسجاء بشوب من الرغبة وقنعه بسوط من الرهبة فوسمه بما وسم امام الصحابة رضي الله عنهم في قضية ابنه وابن القبطي إذ ضرب الثاني الأول بمحض من الصحابة في المدينة حتى قال القبطي قد شفيت نفسي ، كل هذا وحال المصريين تنادى

وانك عادل يا عمرو فينا * ولكن جئت في الزمن الأخير

فأكثرهم أيبدا بفتاحين الظالمين وحقت عليهم كلمة العذاب مصداقا لما روى عن ادريس عليه السلام

﴿ يا مصر ، يا مصر ستركين دينك القويم القديم وتستبدلينه بالصور والتماثيل فستذهب رجالك وآمالك وتبقى أخبارك في أحجارك ﴾ والكتاب أوضح هذا فقال في فرعون - فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين * وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون * وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين * ولقد آتينا موسى الكتاب لعلمهم بهتدون -

العبرة في هذا أن الأمم لها باب ترتقي فيه وآخر فيه تضعف قوتها واذن لابد لها من اصلاح فاما أن تتعظ الأمة بالمرشدين الناصحين والافلامناص لها من السير على نهج فرعون وقومه بهلاك الجند كما أغرقوا ثم الاستعباد المتعاقب وتتابع الأمم المصمية المهيمنة الفاتكة وأن الأمة اذا ظلت عاكفة على عجول جهالتها فهي دابة كل راكب خادمة كل سيد ، طفلة كل مرب ، زوجة كل بعل ، وكما لم ينفع المصريين أن انجبت عنهم دول الأحباش والاشوريين والفرس واليونان والرومان بل كلما راح ظالم غدا عليهم جبار ، فهكذا يا قوم فليكن حالنا اليوم فادمنا جهلاء فنحن سكون أبد الدهر طعمة الآكلين فريسة القانصين ولوساد اليابان والصين أو الفرنسيين والألمان فليس لنا في ذلك مصلحة خاصة فرجة الله انما ينزلها للحسنين عملا - ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون - إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين - إن المصريين القدماء لو اعتبروا واتبعوا دعوة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ماسحقهم الأمم الجائرة بل تراهم تفرقوا شيعا فذاق بعضهم بأس بعض ، فانظر كيف كان عاقبة الجامدين

أما أهل مصر الحاضرون فماغشهم ماغشى أهل فرعون فان أكثر سكانها من بيوتات العرب وقبائلهم نزحوا اليها ، وهم وان نسوا أنسابهم ففهم بقية صالحة من صفات النجدة والشرف تظهر بكثرة في عرب البادية المصرية وتقل في الفلاحين وتضعف في أهل الامصار والمدن السكار إلا في أناس أرجعها لهم التعليم إن صح فلاحكم عليهم كما حكم على الأمة التي قبلهم ولا أرى أن يسام الحاضرون بالغابرين

هذه أمة عربية فتحت منذ قرون وتتابعت في هذه الديار زمرا زمرا زمن الأمويين والعباسيين والفاطميين الى نحو القرن السادس الهجري وأن مافي البعض من سمات الذلة يرجى زواله بعد حين ، كيف وقد غلبت صفات الفاتحين من العرب على من دخل دينهم وعاشرهم وصاهرهم ، فاذا قيل مصر بقيت في الذل والآف سنة فذلك لا يكون حكما علينا ، كيف وقد كان من العرب أنفسهم الفاطميون الذين انقضوا من نحو سبع قرون وعليه فان أمتنا قابلة لاسراع الرقي في أقرب الأزمنة متى تعلموا ، وسنذكر بعد هذا كيف تولد الأمة وهي جنين ، وكيف تشب وهي طفلة لعوب

﴿ انشاء الأمم ﴾

سبق القول انا سنسطر شرح أحوال الأمم آن تدرجها وهي أجنسة في البطون في مدارج الحياة ونشأتها وأن ذلك سنة لا محيص عنها. للأمم أعمار وابتداء وانتهاء كطلوع الشمس وزوالها وغروبها وكإنسان طفل فنشأ فشيخ فميت ، وكالسنه ربيع فصيف فخرى فشتاء فموت كسير القمر توليد فتربيع ففبر فتربيع ثان ففسرار وكالنبات ينبت فيستوى على سوقه فيجيب الزراع ففراه مصفرا فيكون حطاما وكل بائد مما ذكرنا يخلفه نظيره وشبيهه إما بالحرركات في الأفلاك أو بالولادة في العناصر. الزوجان من الانسان مهمما حاولا أن يتناسيا النسل فلامناص منه لاجمهور شاؤا أم أبوا ، فهكذا الأمم تراها مقهورة مسخرة على كفالة سواها مما تحت سيطرتها . ولكم حاولت الأمم القاهرة أن تبقى فريدة في الوجود وتدمج سواها في جسمها فلانلبث أن تمزق كل ممزق بأيدي الأمم الضعيفة فيسود الضعفاء ويحكم المقهور - ونريد أن نمق على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون - وناهيك بما وقع للمصريين من السودان وهم عبدانهم والسكنعانيين وهم الضعفاء المقهورون وما كان من تمزق الرومان بأيدي

الفاثكين من الأمم الوحشية إذ شنوا الغارة على دولة الرومان الغربية ومنزقوها كل منزق وذات جزاء ما كسبت يداها من الظلم وحق عليها القول ، هكذا ترى العرب غلبوا الفرس على أمرهم في أعصر النبوة وهم كانوا تحتهم بالاسم والغلبة والقهر - وتلك الأيام نداولها بين الناس -

هذا وليس رقى الأمم بلا موجب فلارقي أسباب وللتدلى أسباب ولقد فصلنا القول في أسباب السقوط فلنشرح الآن أسباب الرقي من قصة فرعون وموسى عليه الصلاة والسلام إذ هما أقرب لنا مكانا ومولدا ومهاجرا وقد منا انها ذكرت في الكتاب الحكيم لتذكير العالمين عموما والمصريين خصوصا ليتعظوا ويقيسوا الحاضر بالغابر والشاهد بالغائب ويعتبروا بالأمم السالفة - وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم إن ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم - وقد استخلصنا أسباب الرقي اذا هي عشرون عشرة منها بكسب الانسان وعشرة من الله ، ومتى قام الناس بما عليهم منحهم الله ما عنده من الهبات والمنح العشرة الاول أن تمنح الامة رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه فأخلصوا في أعمالهم لأنهم وجدوا بما لهم وجاههم وعملوا الأعمال لذاتها لارياء ولا سمعة بحيث يكون ذلك كأنه خاصة فيهم هبة لهم وهذا كما ساعد موسى عليه الصلاة والسلام بنى شعب عليه السلام في سقى الغنم إذ - قالتا لانسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير - فرفع الحجر عن البئر - فسقى لهما ثم تولى الى الظل - وكان ما كان من زواجه باحدى البنيتين ورعيه الغنم (١٠) سنين ، وكما أقام الخضر الجدار لليثيمين بانطاكية وقد أبى القوم أن يضيفوهما وما كان ذلك إلا عملا يريد به فضل العمل لذاته لا أجر ولا شكور

(١) حسن السياسة مع الأمم الفاتحة المغيرة وافهامها حاجات الأمة المغاوبة بما في الامكان واجتذابها اليها بما جل من العلم والمعرفة كما وقع لسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام إذ خوطب - اذهب أنت وأخوك بايى ولاتنبا في ذكرى * اذهب الى فرعون انه طغى * فقول له قولنا لينا له يتذكر أو يخشى - الى أن قال - فأرسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك باية من ربك والسلام على من اتبع الهدى - فجمع بين الارشاد واللين في القول أو الشفاعة في قومه وهذا واجب شرعا على كل من أوتي حكمة في القول وجاها وعاما وقدرة أن يتذرع بها الى الأمم المسيطرة على أمتهم ليريهم وجه الصواب والخطأ ويسعى في علو شأن أمتهم ، لهذا نزل القرآن لا تغنيا أوعاربا فحسب أوتارينا ، ومن أعطاه الله حكمة اوجاها فانتبهذ من أهله مكانا قصيا عاكفا على شهواته فبشره بالندلة والهوان وليعيش معيشة الحيوان مخالفا حكمة عامة الأديان

(٢) القوة العامة واقناع الخاصة بما يلائمهم والعامة بالمحسوسات حتى تتحدد الطبقات على مبدأ واحد ، يشير الى الأول قوله تعالى في موسى - قال فن ربك يا موسى * قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - وقوله - الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا * وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى - فهذه براهين تسقلها القلوب الواعية والأنفس الراقية وهي تشير الى ما يعقله العقلاء ويتباهى به الحكماء ثم نلقت عصاه إفك السحرة وأخرج يده فاذا هي بيضاء وهذه محسوسة لدى العامة معقولة أيضا لدى السحرة

(٣) الأنفة والغيرة والبأس والحمية وحماية الذمار وخوف العار بازالة المنكرات جهارا واستئصالها ليلا ونهارا عند القدرة كما قتل موسى القبطي الظالم للاسرائيلى - فذكره موسى ففضى عليه - وان ندم بعد ذلك وهكذا ان أذاق الخضر الفلام كأس الحمام لما كان مرسوما على صحائف نفسه فراصة بنور النبوة والعلم انه سيضل به الوالدان ، فهذه اشارات وملاح يراد منها انتهاج خطة الصلاح والاصلاح ، فهذه أشجار هذا زهرها وأثمار هذا طعمها وفاكهة هذا حلوها

(٤) سياسة اللين عند الاستكانة والضعف واستجلاب الحيل ودفع المكروه بالتي هي أحسن كما احتال

الخضر على نجاة السفينة من الظالم بحرقها - وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا - وهكذا أم موسى وضعته في التابوت لنجاته قال تعالى - فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إن أرادوه اليك وجاءوه من المرسلين -

(٥) الثبات على المبدأ والصبر أمد العمر ، ألم تركيف خريج قوم موسى من البحر سالمين ونجوا من الغرق - وجاوزنا بيني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قتلوا ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون - الخ هذا في العلم وفي المحاربة قالوا له - اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون * قال رب إني لأملك إلا نفسي وأخي - وبهذا اتعظ نبينا عليه الصلاة والسلام فقال والله لأقاتلنهم ولو وحدي وليس قصدنا من هذا إلا الثبات على المبادئ الشريفة واتباع خطة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فتى صحّ لديك البرهان فكن على مبدئك ولا تبال بعاذل أو باقم

(٦) اشعار النفوس بالشهامة وعلو النفس وأن لهم اتصالا بمبدع العالم ولهم شرف وفضيلة ولذلك كرر ذكر فضائل بني إسرائيل في القرآن بهذه العبارة - وإني فضلتكم على العالمين - تذكرة لهم في زمانهم وتذكرة لمن يقرأ هذا الدين الجديد فويل لأمة تقرؤه وهي ترى الصلة بينها وبين مبدعها منقطعة فتذل وتحزى ، كيف وهذه الأمة عموما وجهور المصريين أبناء العرب أرباب التاج وماوك الأرض مدنوا العالم ، من الأمويون والعباسيون والفاطيون ، وما الطولونيون والاختشيديون إلا موالى آبائنا وما الممالك البرية والبحرية الذين دوخوا هذه البلاد إلا من موالى أسلافنا ، ولقد أدركت القوم في القرى إبان نعومة أظفارهم وهم يفخرون بقرى الضيف وضرب السيف وينشدون الأشعار الجاسية ، وما عهد اكتساح التار بمائتي ألف من المصريين أيام المظفر من نحو سبع قرون يبعد . ولعمري لأن تمتلئ النفوس شهامة والعقول حماسة والقلوب اقداما خير من أن تراها ذليلة منكسة الأعلام مرتاعة الأفئدة مرتعدة الفرائص حائرة ذاهلة وتضمحل كخيوط من شعاع الشمس أو دقائق الهواء أو ذرات الهباء خائرات القوى

(٧) تربية الناشئة على مبادئ جديدة تصلح للرقى والتر بص بمن شبوا وشابوا على الذلة والمسكنة حتى ينقرضوا ويموتوا كما وقع لبني إسرائيل لما جبنوا عن الحرب بقوا في أرض التيه أربعين سنة حتى نشأ رجال تمكنوا من دخول مدينة الجبارة - قال فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين - (٨) الفرار بالأهل والعشيرة والأمة من حال تدهبهم إلى هاوية العذاب إلى حال أخرى كالخروج من أرض إلى أرض وأن ذلك يسهل متى أراد الانسان وهو أبو العجب ، ألم ترى موسى عليه السلام كيف مرّ ببني إسرائيل من أرض فرعون إلى أرض كنعان

(٩ و ١٠) اردواج الدين والشدة وقد كان للاولى هارون وللثانية موسى عليهما الصلاة والسلام هذه العشرة متى ظهرت في أفراد من الأمة منحهم الله هبات وافرة وهي عشرة سنذكرها في مقال آت إن شاء الله تعالى

قلنا فيما سبق ان الأمم تحيا رجال يجمعون عشر خصال « اخلاص العمل لأنهم والحنو والشفقة وتذليل العقبات بين أممهم ومن غلبوا على أمرهم ، وما من أمة من أمم الشرق إلا ولها علاقة مع دولة غربية فعليهم أن يخلصوا لبلادهم في العمل رغبة في حسن الأثر والأجدوة الجيلة وتخليد الذكر ان كانوا أوساطا في العلم أو الثواب الجليل والشوق إلى مبدع الكون وتقليده في صنع الجليل بلا طلب أجر ان كانوا حكماء واقناع الخاصة والعامة بالمعارف المناسبة لهم وتعميمها وتهذيبها بجميع أنواع الوسائل المرقية للأهم ودفع الأذى عنهم وحماية الذمار ودفع العار متى أمكن ولو أذاقهم الفاتحون كأس الحمام وجرعوه سم الموت الزؤام ، فلا أمة تفعل ما فعلت الفراعنة في بني إسرائيل ومع ههنا لم يترك موسى عليه السلام فرصة قتل نفس منهم والتلطف عند الحاجة

والثبات على المبدأ مهما عارضه الأقربون والأدنون وأشعار النفوس بمكاتها وشرورها فلا ينبغي أن تصنى الأمة إلى من يصغرها في عينها . ولقد قال ابن خلدون رحمه الله « إن هؤلاء الذين يسكنون الخيام في البادية هم أبناء ملوك الأعصر الغابرة وهم يجهلون أصلهم وتاريخهم وأنا أقول اننا قبائل نرحنا إلى هذه البلاد وأقاليم السودان واستوطنها وتغلبننا عليها من آماذ وأجيال قريية العهد لا تقتضى بأن يضرب علينا الذل والمسكنة ولا يقال في مصر « هي لمن غلب » فانما كان هذا المشل مضروبا لأمة خلت - تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولحكم ما كسبت ولا تسألون عما كانوا يعملون - وتربية النشء على المبادئ القويمة والعزة ومزج الشدة باللين والفرار بالعشيرة عند الحاجة مكانا أو صفات أو أخلاقا أو ملكا إلخ »

هذا ملخص ما ذكرناه أمس ونقول هذه العشرة تتبعها العشرة الأخرى التي قلنا إنها هبات من الله وهي تساققها بالترتيب ولا تعقب فضلا من الله الحكيم لعباده الرحيم بهم وإحسانا

(١) الإلهام وذلك يكشف الغطاء عن القول فتظهر لهم وجوه المنافع ومساوى المضار فان النفوس اذا جاوزت هذه العقبات أو بعضها حصلت لها جامعة روحية ودخول إلى الحكمة فأدركوا حالهم وما لهم واليه الإشارة بقوله تعالى - وأوحينا إلى أم موسى - وهذا وإن كان بلا كسب ففيه إشارة إلى ما نحن فيه

(٢) إجابة الدعاء والنصر - قال قد أجيت دعوتكما فاستقيا -

(٣) شدة الازر وتقوية الأفتدة بالاخوان والأنصار - قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لك سلطانا فلا يصون اليكما بآياتنا أنتم ومن اتبعكما الغالبون -

(٤) و (٥) النصر والنجاة من الضر - ولقد مننا على موسى وهرون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ونصرناهم فكانوا هم الغالبين -

(٦) الهداية إلى الطريقة المثلى - وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم -

(٧) حسن السمعة والذكر والصيت - وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون * إنا كذلك نجزي المحسنين -

(٨) القرى من الله تعالى - وناديناه من جانب الطور الأيمن وقرّبناه نجيا -

(٩) التمكين من الخلافة في الأرض - ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين * ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون -

(١٠) انقلاب الأعداء أصدقاء محبين - ألم تر إلى حديث رجل من آل فرعون - وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله - فكان نتيجة صبر موسى عليه السلام على الدعوة أن قام رجل من أعدائه يطالب قومه بالاهتداء بهديه ولعمرك إن في هذا لبلاغا للأمم المهضومة الحقوق إن من أعطى فصاحة أوجاهها وحكمة وعاما وجب عليه وجوبا عينيا أن يقوم فيناضل عن أمته بماله وأواجهه أو قلعه فان الله عز وجل وعد بالنصر ولو بعد حين حتى بلغ الأمر أن صار العدو حبيبا والخاذل ناصرا والمعادى مواليا وهذا يتر بصه كل من اتبع منهج الكمال والاعتدال ورفق أمته وهداها ورفع منارها ووسع نظامها - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين - ولما جاهد بنو إسرائيل بالقوة والعلم والجاه والمال منحهم الله ملكا عظيما دام ألفا وخمسمائة سنة مع قلة عددهم وأخذت مصر في التلاشي إذ ذاك ودوّختهم الأمم المغيرة الفاتحة من فارس وروم وسودان وكنعانيين وأشوريين وبطالسة - وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون - انتهت المقدمات

﴿ تفسیر السورة ﴾

(هی أربعة أقسام)

﴿ القسم الأول ﴾ فی قصص موسى علیه السلام من أول السورة الى قوله - لننذر قوما ما أناهم من نذیر من قبلك لعلهم يتذكرون -

﴿ القسم الثاني ﴾ من قوله - ولولا أن تصيبهم مصیبة - الى قوله - فعسى أن يكون من المفلحين -

﴿ القسم الثالث ﴾ من قوله - وربك یخلق ما یشاء ویختار - الى قوله - وضل عنهم ما كانوا یفترون -

﴿ القسم الرابع ﴾ من قوله - إن قارون كان من قوم موسى - الى آخر السورة

(القسم الأول)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طسم * تلك آیات الكتاب المبین * نزلوا علیك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم یؤمنون * إن فرعون علا فی الأرض وجعل أهلها شیعا ً یستضعف طائفة منهم یدبح أبناءهم ویستحیی نساءهم إنه كان من المفسدین * ونريد أن نمن علی الذین استضعفوا فی الأرض ونجعلهم أئمة ً ونجعلهم الوارثین * ونمكن لهم فی الأرض وفرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا یحذرون * وأوحینا إلی أم موسى أن أرضعیه فإذا خفت علیه فالقیه فی الیم ولا تخافی ولا تحزنی إنا رادوه إلیک وجاعلوه من المرسلین * فالتقطه آل فرعون لیکون لهم عدوا ً وحزنا ً إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئین * وقالت امرأت فرعون قرت عین لی ولک لا تقبلوه عسی أن ینفعنا أو نتخذہ ولدها وهم لا یשמرون * وأصبح فوآد أم موسى فارغا ً إن کادت لتبدی به لو لا أن ربنا علی قلبها لیکون من المؤمنین * وقالت لأختہ قصیه فبصرت به عن جیب وهم لا یשמرون * وحرمتنا علیه المراضع من قبل فقالت هل أدلکم علی أهل ینت یکفلونه لکم وهم له ناصحون * فرددناه إلی أمه کئ تقر عینها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن اکثرهم لا یعلمون * ولما بلغ أشده ً وأستوی ً آتیناه حُکما ً وعلما ً وكذلك نجزی المحسنین * ودخل المدينة علی حین غفلة ً من أهلها فوجد فیها رجلین یقتلان هذا من شیعیته وهذا من عدوه فاستغاثه الذی من شیعیته علی الذی من عدوه فوکره موسى ففضی علیه قال هذا من عمل

الشَّيْطَانُ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
 الرَّحِيمُ * قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ * فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً
 يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اُسْتَنْصَرُهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِي مُبِينٌ * فَلَمَّا
 أَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْطَشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ
 إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ * وَجَاءَ رَجُلٌ
 مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْمَعُ قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ
 النَّاصِحِينَ * فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَلَمَّا تَوَجَّهَ
 تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ * وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً
 مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى
 يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ
 إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ * فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ
 مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَبَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * قَالَتْ
 إِحْدَاهُمَا يَا أَبْتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ * قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَكْفِكَ
 أَحَدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي تَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ
 أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ
 قَضَيْتَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ * فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ
 آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيَكُمُ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ
 جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ
 الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ
 كَانُهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ * أَسْلَمْتَ يَدَكَ
 فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ يَبِضَاءً مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ
 رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ
 أَنْ يَقْتُلُونِ * وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ

يُكَذِّبُونَ * قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَ سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا
 أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ * فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا يَتَذَكَّرُ أَلَّا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ
 مُفْتَرَى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ * وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنِ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ
 عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ
 لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الدِّابِّ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ
 مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَأَسْتَكْبَرَهُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا
 أَنَّهُمُ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ * فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَأُنْزِلُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ
 * وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ * وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا
 لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ * وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا
 الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَاطًا لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ
 قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ * وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ
 الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * وَمَا
 كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ
 قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ *

(التفسير اللفظي)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(طسم) تقدم في أول سورة آل عمران (تلك آيات الكتاب المبين) إن هذه السورة آيات القرآن المبين
 يقال بان الشيء وأبان بمعنى واحد . ويقال أبنته فأبان لازم ومتعد والمعنى مبين خيره وبركته أوميين للحلال
 والحرام والوعد والوعيد والاخلاص والتوحيد (تتلاوا عليك) نقرأ عليك أى يقرؤه جبريل بأمرنا ومفعول
 تتلاو قوله (من نبأ موسى وفرعون) أى تتلو عليك بعض خبرهما (بالحق) حال كوننا محقين (لقوم يؤمنون)
 لأنهم هم المستفوعون به ، وههنا ذكر (فصلين) فصلا يدل على علو فرعون في الأرض وظلمه وفصلا يدل
 على أن المظلومين نصرهم الله ليفهم المسلمين أنهم ان كانوا مظلومين والناس تؤذيهم كما كانوا في مكة فان الله
 ينصرهم كما حصل بعد ذلك وهكذا اليوم هم أذلاء بظلم الأمم لهم وهو الآن يريد نصرهم لأنهم مستضعفون
 وأيضاً يريد الله أن يفهم المسلمين أنهم ان ملكوا الأرض لا يطفون والا دالت دولتهم كما حصل سابقاً لهم ولأنهم
 بعدهم . لأنهم أسرفوا في الشهوات وهم في الأندلس فأذلم الأسبان فأخرجوهم أجعين والأسبان طاردوا
 المسلمين في أصقاع أفريقية ولكن الله يريد أن يمن على الذين استضعفوا في أرض أفريقية من المغاربة
 المسلمين ويجعلهم أمة ويجعلهم الوارثين ، ولقد ابتدأ ذلك بقتال أهل الريف ورئيسهم عبد الكريم جنود

الأسبان ، وقد قتلوا منهم ما بين أربعة آلاف وعشرة آلاف في الحقول والقفار حتى ان مكاتباً أفرنجياً وصف ذلك وصفاً مرعباً فقال انه عد في عشرين دقيقة (٣٥٠) قتيلاً وأن القنلى في طول الحقول والقفار وعرضها لا تجد من يدفنها ولا مقبرتها إلا بجوارن الغربان والجوارح الحائمة والسكالب العاوية وهذا من أسرار هذه الآية - ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض - ولكن بسدهذا نفي عبدالكريم ولم يتم الاستقلال اه
وهاك ذكر الفصلين

﴿ الفصل الأول ﴾

قال تعالى (إن فرعون علا في الأرض) وهذا تبيان لبعض نيا موسى وفرعون والمراد بالأرض أرض مصر (وجعل أهلها شيعاً) فوقاً وقد استعمل كل صنف في عمل وجعلهم حزبا أخرى بعضهم ببعض كيلا يتفقوا عليه كما هي سياسة الأمة الانجائزية وعنوانها فرق تسد (استضعف طائفة منهم) وهم بنو اسرائيل وأبدل من - استضعف - قوله (يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين) ذلك لأن كاهنا أخبره أن مولودا يولد من بني اسرائيل يذهب ملكك على يده لذلك اجترأ على القتل ، فلخص هذا الفصل

(١) أنه علا في الأرض

(٢) واستضعف حزبا من أخزاب مصر

(٣) وقتل الأبناء

(٤) واستحي النساء

(٥) وأنه مفسد

﴿ والفصل الثاني ﴾ ذكر فيه سبحانه انه قابل الخمسة الأولى بخمسة وهي

(١) بمن أى يتفضل - على الذين استضعفوا في الأرض - بانقاذهم من بأس فرعون

(٢) قل - ونجعلهم أئمة - مقدمين في أمر الدارين

(٣) - ونجعلهم الوارثين - لأرض الشام

(٤) - ونمكن لهم في الأرض - أرض الشام فنسلطهم عليها

(٥) - ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم - من بني اسرائيل - ما كانوا يحذرون - من ذهاب

ملكهم وهلاكهم بالاغراق

هذان الفصلان عظيمة وضعف يعتب أحدهما الآخر كما يعقب الليل النهار قال تعالى - وتلك الأيام نداولها بين الناس - ولقد حصل هذا في كل زمان ومكان ، أفلاترى كيف أحاطت أوروبا بالأمة التركية فقطت على ملكها ثم قام طائفة منهم بالانادول فأزالوا النظم وأرجعوا الملك وتم نظيره في بلاد الفرس وبلاد الأفغان ، ولقد كانت الدولة الروسية قائمة بالقيصرية فاستبدوا بنحو مائة وعشرة ملايين من الناس وكانت البلاد بأيدي أفراد من العظماء والثروة كلها في أيديهم فقتل القيصر وبدد وشرذ جميع الاغنياء واتسم الناس تلك الثروة في تلك الأصقاع وصارت الأمة باشقية ، فهذا هو ما قاله الله هنا - ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين - فهذا هو الحاصل الآن ، أصبح المساكين الصعاليك في يدهم مقاليد الحكم في تلك البلاد ويودون أن يعمموه في سائر الاقطار وهم لذلك ساعون

(رأى سقراط في السياسة)

(١) يرى سقراط في السياسة أن الحكم يكون بأيدي قوم يصطفون من الشعب يتعلمون تعالما أرقى من

سائر الناس مع التعاليم العسكرية

(٢) فإذا انقرض هؤلاء تولى الحكم قواد الجيوش وهم أقل ممن قبلهم رتبة

(٣) فإذا تبادى الزمان قام بالأمر أبناءهم الذين لا هم حكماء ولا قواد ولكن ميزتهم انما هو المال

فكل عملهم لأجل المال

(٤) ويعقب هؤلاء أن الأمة تقوم فتقسم ما لهم وتزِيل ملكهم ويصير الحكم فوضى لا رابط ولا رادع

(٥) ثم يتولى فرد يقهرهم ويسخرهم ويذلهم

فالحكومات عنده «خمس درجات» أرقاها حكومة الحكماء والفلاسفة وأدنى منها الحكومة العسكرية ويلها حكومة ذوى المال والشهوات والترغى ، ثم حكومة المجموع الذى هو أشبه بالفوضى ثم حكومة الفرد ، فالحكومة الرابعة لامناص منها اذا استبدّ الأغنياء وأرباب الشهوات بالأمر فأخذوا المال وحدهم وسخروا الأمة لمطالبهم ، وهذا هو الذى حصل فى بلاد روسيا إذ قام الشعب فأزال القيصرية وأرباب الأموال وهذا من قوله تعالى - ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوراثين - اللهم إن الشرق الآن ضعيف فليقم فيه قائمون يرجعون إليه بحمده ويزيل الظالمين من أرضه

وهنا أذكر لك «حادثتين * الحادثة الأولى» وقعت أيام الفراغة فقد جاء فى بعض المجلات فى بلادنا وهى مجلة «كل شئ» مانصه

(البولشفية فى مصر قبل ٤٠٠٠ سنة)

كلما تفاقمت الشرور وتعاضم الناس أمرها شعروا كأن نهاية العالم قد اقتربت وهذا ما شعر به المسلمون عند قدوم التتار عليهم وما شعر به الأقباط عند ما اضطهدهم (دقلديانوس) وهذا أيضا ما شعر به النبلاء فى فرنسا سنة ١٧٨٩ وفى روسيا سنة ١٩١٧ عند نشوب الثورة وأعلّت فى هذا الشعور رجة للضطهدين لأنه يعزيهم عن فقدهم مجدهم ويوهمهم أن العالم كله سيذهب بعدهم بقليل

وقد حدث سنة ٢٢٠٠ قبل الميلاد ثورة بولشفية فى مصر تغلبت فيها الكثرة من العامة على القلة من النخاسة وطردتهم من الأرض والمسكن واحتلت مكانهم وكان ذلك فى الأسرة العاشرة ، والغريب فى هذه الثورات القديم منها والحديث أن يسبقها على الدوام ثورة فكرية تهيّ الأذهان للانقلابات القادمة ، فأدباء فرنسا فى أواخر القرن الثامن عشر طبخوا الثورة طبخوا فى أذهانهم قبل وقوعها ، وأدباء روسيا هم الذين أحدثوا الشيوعية فى كتبهم قبل أن يقتل الثائرون القيصر وأسرته ، وكذلك الحال فى مصر فى الأسرة التاسعة كانت مشهورة بكثرة المفكرين حتى اذا جاءت الأسرة العاشرة كانت العقائد قد تزعزعت وزالت من النفوس تلك الكرامة التى كانت للحكام والأخلاق ، وكانت الأسرة العاشرة تحكم الوجه البحرى وجزأ من الوجه القبلى وكان فى طيبة أمام الاقصر أسرة فرعونية أخرى تحكم جزأ صغيرا من الصعيد ، وفى هذه الأسرة العاشرة انهزم سلطان فرعون وأخذ كبار القواد والاعيان يؤلفون الجيوش يقاتل بعضهم بعضا حتى ساءت ادارة البلاد وكثر اللصوص وعمّ القحط فقام العمال جأة وهجموا على الاغنياء فقتلواهم واستولوا هم على الارض والمنازل ونحن نعرف خبر هذه الثورة من كاتب مصرى يدعى (ابفور) رأى بعينه هذه الثورة وكان أمينا لفرعون يواليه وكان فرعون قد فرّ من أعدائه الى مكان خارج مصر فأرسل اليه (ابفور) خطابا يستحثه على الرجوع لسيكى يعيد النظام الى نصابه ومما قاله فى خطابه هذا «إن الناس قد ثاروا على التاج وقامت منهم طائفة قليلة العدد لانظام لها تريد التخلص من الملوكة ، وقد ذهب النظام القديم وهدم البلاط فى سطوة وطرد العمال الملك وأصبحت خزائن الدولة ملكا لكل انسان»

وبعد ذلك يصف أحوال الناس فى تلك الفوضى فيقول «إن من لم يكن يملك شيأ قد أصبح الآن غنيا فأثرى فقراء البلاد وبات الأغنياء لا يملكون شيأ ، ومن كان قبلا خادما قد صار الآن مخدوما وكف الخدم عن تأدية المهام التى يكلفهم بها أسيادهم وصاروا لا يخشون مخالفة أوامرهم وانطلق لسان الخدامات حتى صرن

لا يطقن كلمة من سيداتهم وهؤلاء الخادومات يزينن نحورهن بالذهب والجواهر ومع أن البلاد لا تزال غنية فإن ربات البيوت يقلن « ليتنا نجد شيئاً نأكله » وذلك لأن الفقراء قد امتلكوا البلاد ﴿

ثم يقول ﴿ إن من كانوا يلبسون الملابس الفاخرة قد صاروا الآن يلبسون الاهدام البالية ، ومن لم يكن يجد الخبز قد صار له بيدرو وامتلات خزائنه بأموال الناس ، ومن لم تسكن ترى وجهها إلا في الماء قد صارت تقتنى المرأة ، فالأغنياء في حزن ومن كانوا في فقر يفرحون الآن ، ومن كان له أب عظيم صار لا يعرف الآن أو يعي عن لم يكن له أب مثله لأن عائلات النبلاء طردت من بيوتها إلى الشوارع ، وقد جاع الأمراء والأميرات وصارت أجسامهن في حال محزنة للخرق والاسهال التي يلبسونها ﴿

ثم يقول (ابفور) أيضاً ﴿ لقد حدثت حوادث مدهمة فحلت أطفال النبلاء وضربوا بالحائط ، وفتحت المحاكم وبهرت ما فيها من الكتب وداس عليها الناس في الأماكن العامة وسرقت مصالح الحكومة وذبح الموظفون وأخذت أوراقهم وكل شيء صار في خراب وجميع البلاد تقول هلموا نذل الولاة والحكام وذوى السلطان بيننا ومع أن الناس ينادون بالحق بأفواههم فإن ما يفعلونه هو الباطل ﴿ ثم يصف بعد ذلك ثمرات الثورة يقول ﴿ إن وجوه الناس شاحبة لأن المجرمين مطلقون ولم يبق أحد من ذوى السلطان فإذا قصد الفلاح إلى حقله حمل معه سلاحه ويقول الخدم هلموا نسرق شيئاً ، والأب يقاتل ابنه ويعد أخاه عدواً له ، وقد قست قلوب الناس والدم يسفك في كل مكان والموت يحصد الناس وليس بالبلاد صناع يعملون الآن ، وكف الناس عن حرق الأرض وصارت المواشي ترعى هائلة سائبة ليس لها راع ، والناس يأكلون العشب ويشربون عليه الماء وتؤخذ الأعمدة والبوابات والسياجات للحرق والصناديق المصنوعة من الأبنوس تحطم ﴿ انتهى

﴿ الحادثة الثانية ﴾

إن الأمة الانجليزية التي تحكم بلادنا قد انتصر العمال فيها ولكن هذا الانتصار مبنى على العقل وعلى الحكمة لاعلى الظلم والقتل كما فعل الروس والمصريون القدماء وهذا ماجاء بحريدة الاهرام يوم ٢٥ يونيو سنة ١٩٢٩ عند طبع تفسير هذه الآية

(في بريطانيا العظمى)

« انتخبت (مس بوند فيلد) وزيرة العمال وهي أول امرأة في تاريخ الانجليز ذكية الفؤاد كف تشترك مع الرجل في تخطيط سياسة الامبراطورية ومصير بلادها ، فهي تفتخر كذلك بأنها كانت عاملة في دكان كما يفتخر رئيسها المستر (ماكدونالد) بأنه لما وصل الى لندن لأول مرة في حياته كان لا يملك أكثر من شلنين ونصف وكان يستبدل الشاي بالماء الساخن في شربه ولا يزيد مصاريف يومه عن ثمانية بنسات ، وهذا هو المستر (ماكدونالد) مدير الامبراطورية اليوم ، وهذه مس (بوند فيلد) يوضع اليوم في يدها أهم مشكلة تعانيها الامبراطورية منذ ربع قرن ، ولم تسكن (مس بوند فيلد) شديدة التأثير والانفعال بل كانت أشد من زملائها الوزراء من الرجال حينما ذهب أعضاء الوزارة الجديدة الى قصر وندسور لمقابلة جلالة ملك الانجليز فقد كانت تسير بين الجمهور بحنان ثابت وعزيمة قوية إذ ابتسمت وهزت رأسها حينما سئلت عما اذا كان المركز ينقلها وقالت لا يا عزيزي لست كذلك بعد مجهود أربعين عاماً ، إلى مفتخرة بأن أكون أول امرأة تصل الى كرسي الحكم وأشعر بمساعدة لأن الفرصة قد هيأتني للعمل في مسألة كانت ولا تزال موضع اهتمامي ، والواقع فان (مس بوند فيلد) كانت في مجموع العموم المنحل كثيرة الاهتمام بمسألة العمال وعائلاتهم فقد قدمت في دوره الماضي مشروعا لحماية أطفال العمال باعانة الحكومة لهم وشراء الأحذية اللازمة لهؤلاء الاطفال وهذا المشروع معروف بمشروع أحذية الأطفال » اه

﴿ اللطائف الإلهية والتدبير لانقاذ بني اسرائيل من الذل ﴾

ولما أتم الله هذين الفصلين شرع يبين للناس لطائفه وتدييره في إبراز ما أراد لتسيقظ الأمة الاسلامية

إذا ضعفت ولتعلم أن الله ما أنزل القرآن إلا لاسعادهم ، علم الله أن أمة الاسلام سيعجل بها ما حلّ بالأُمم قبلها من عزّ وذل وقد أخذت حظها من الرفعة ثم سقطت الى الخضيض فأنزل هذه القصة ليبين أنه يلهم أناسا اسعاد الأُمّة فينبغي ألا يأسوا ولا يعلموا أن الله الذي نجى بنى اسرائيل هو نفسه حتى ينبغي المسلمين متى صحّت العزائم والقلوب لاتزال قابلة للاطعام والله لا يتخلف وعده فلنذكر لك الآن الحوادث المتتابعة التي انتهت بانقاذهم ثم نتبعها بما يناسبها من حوادث العصر الحاضر ثم نذكر المسلمين أن الله معهم - وإن الله لمع المحسنين - وتلك الحوادث (١٣)

﴿ الحادثة الأولى ﴾

قال تعالى (وأرحمنا الى أم موسى) باطعام أرويا (أن أرضعته) أي بأن أرضعته ما أمكنك اخفاؤه (فإذا خفت عليه) بأن يعلموا به (فألقته في اليم) في البحر وأراد به النيل (ولاتخافي) عليه من الغرق (ولاتحزني) على فراقه (إنا رآدوه اليك وجاعلوه من المرسلين) * يروى انها لما ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات بحبالى بنى اسرائيل فعالجتها فلما ولد موسى أحبته حبا جفا فأرضعته أمه ثلاثة أشهر ولما أحسّت بالارصاد والعيون وضعت في تابوت وألقته في اليم ، هذه هي الحادثة الأولى

﴿ والحادثة الثانية ﴾ إلتقاط آل فرعون له ﴿ والثالثة ﴾ رضاع أمه له ﴿ والرابعة ﴾ نبوغه في العلم ﴿ والخامسة ﴾ قتله القبطي ﴿ والسادسة ﴾ و ﴿ السابعة ﴾ و ﴿ الثامنة ﴾ فراره الى مدين ، وسقيه للبنتين ، وزواجه بابنة شعيب عليه السلام ﴿ والتاسعة ﴾ نزول الوحي عليه ﴿ والعاشرة ﴾ ظهور المجزة ﴿ والحادية عشرة ﴾ كفر فرعون ﴿ والثانية عشرة ﴾ هلاك فرعون وجنوده أئمة الضلال ﴿ والثالثة عشرة ﴾ خطاب النبي ﷺ بذلك لاستيقاظ أمته

﴿ الحادثة الثانية ﴾

قال تعالى (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً) اللام للتعليل بحسب الأصل وجعلت هنا للعاقبة لأن آل فرعون لم يريدوا أن يكون عدواً وحزناً بل هذه هي العاقبة (إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) مذبحين يقتلون أبناء بنى اسرائيل ويستحيون نساءهم فلا بدع اذا ربي موسى بين ظهرانيهم وصار عدواً فاقتص منهم لأن هذا هو العدل (وقالت امرأه فرعون) لفرعون حين أخرجه من التابوت (قرّة عين لي ولك) لأنهم لما رأياه أخرج من التابوت أحباء (لا تقتلوه) خطاب بلفظ الجمع للتعظيم (عسى أن ينفعنا) فان فيه مخايل اليمين ودلائل النفع * يقال انه كان لفرعون بنت ولم يكن له ولد غيرها وكان بها برص وقد وصف لها الأطباء ربق مخلوق يشبه الانسان يخرج من البحر في ساعة كذا حين تشرق الشمس ، فلما كان ذلك اليوم جلس فرعون على شفير النيل ومعه آسية امرأته وابنة فرعون معهم اظهر التابوت فلم يقدر على فتحه إلا آسية لأنها هي التي رأت النور مشرقاً منه فظهر منه صبى صغير وجهه منير وقد جعل الله رزقه في إبهامه يحص منه لبنا فأحبه فرعون وآسية فأما ابنته فأنها عمدت الى مايسيل من أشداقه فلطخت به برصها فبرأت فقبلته وضمته الى صدرها ، ولما قال له التوم اقتله قالت آسية لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذة ولدا وكانت لاتلد فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها وقال لها أما أنا فلا حاجة لي فيه * قال رسول الله ﷺ (لو قال يومئذ قرّة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها الله) فقيل لآسية سميه فقالت سميته موسى لانا وجدناه في الماء والشجر لأن « مو » هو الماء و « سا » هو الشجر . هذا قول بعض المفسرين وأقول لكن قال أساتذة علم قسما المصريين الذين يقرؤون الخط الطهريوغايفي ان « مو » هو الماء كما قال هؤلاء أما « سا » فعناه ابن أى ابن الماء ، فهذا قوله تعالى - فالتقطه آل فرعون - الى قوله - عسى أن ينفعنا أو نتخذة ولدا - أى نتبناه فانه أهل له (وهم لا يشعرون) حال من اللتقطين

﴿ الحادثة الثالثة ﴾

(خوف أم موسى عليه وفرعها وأرجاعه لها وأرضاعها إياه)

قال تعالى (وأصبح فرّاد أم موسى فارغا) صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون وهذا كقوله تعالى - وأفئدتهم هواء - أى خلاء لاعقول بها (إن كادت لتبدي به) أى لتصرّح بأنه ابنها من شدة وجالها وتقول «وا ابناه» (لئلا أن ربطنا على قلبها) بالصبر والتثبت (لتكون من المؤمنين) من المصدقين بوعد الله إياها فلما ربط الله على قلبها وصدقت وعد الله أخذت في الأسباب لحفظها عنها (وقالت لأختها) لمريم أخت موسى (قصيه) اتبعي أثره وتتبعي خبره (فبصرت به عن جنب) عن بعد * وقرئ - عن جانب - وهو بمعناه (وهم لا يشعرون) أنها تنقص أثره وأنها أخته (وحرّمتنا عليه المراضع) أى حرّمتنا عليه أن يرتضع من الرضعات جمع مرضع (من قبل) من قبل قصها (فقال هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم) لأجلكم (وهم له ناصحون) لا يقصرون في أرضاعه وتربيته فأمرها فرعون بأن تأتي بمن يكفله فأنت بأمها وموسى على يد فرعون يبكي وهو بعلة فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال من أنت منه فقد أبى كل ثدى إلا نديك فقالت إني امرأة طيبة الريح وطيبة اللبن لا أوتى بصبي إلا قبلني فدفعه اليها وأجزي عليها فرجعت إلى بيتها من يومها وهذا هو قوله (فرددناه إلى أمه كي تقرّ عينها) بولدها (ولا تحزن) بفراقه (ولتعلم أن وعد الله حق) علم مشاهدة (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن مواعده حق فيرتابون فيه وقوله - ولتعلم أن وعد الله حق - فيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون . انتهت الحادثة الثالثة

﴿ الحادثة الرابعة نبوغه في العلم ﴾

قال تعالى (ولما بلغ أشده) مبلغه الذي لا يكاد يزيد عليه نشؤه يقال انه في نحو ثلاث وثلاثين سنة (واستوى) أى بلغ أربعين سنة ويقال انتهى شبابه وتكامل (آتياء حكما وعلم) عقلا وفهما في الدين فعلم وحكم موسى قبل أن يبعث نبيا (وكذلك نجزي المحسنين) أى مثل ذلك الذي فعلنا بموسى وأمد نجزي المحسنين على أحسانهم

﴿ الحادثة الخامسة . قتله القبطى ﴾

قال تعالى (ودخل المدينة) ودخل مصر آتيا من عين شمس (على حين غفلة من أهلها) في وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقعون فيه يقال انه وقت القيلولة (فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه) أحدهما من شايبه على دينه وهم بنو إسرائيل والآخر من مخالفيه وهم القبط (فاستغاث الذي من شيعته) وهو الإسرائيلي (على الذي من عدوه) أى القبطى فسأله أن يغيثه بالاعانة ولذلك عدى بعلى (فوكزه موسى) فضرب القبطى موسى بجمع كفه (فقتضى عليه) أى فقتله وأصله فأنتهى حياته (قال هذا من عمل الشيطان) لأنه لم يؤمر بقتل الكفار ولأنه كان مؤمنا فيهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح في عصمته قتل الخطأ (انه عدو مفضل مبين) ظاهرا وعدوا (قال رب إني ظلمت نفسي) بقتله (فاغفر لي) ذنبي (فغفر له) باستغفاره (انه هو الغفور) لذنوب عباده (الرحيم) بهم وإنما عدّه من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر منه لأن المقرّبين يستعظمون كل ما فرط منهم ولو خطأ (قال رب بما أنعمت عليّ) أى أقسم بأنعمك عليّ بالمغفرة وغيرها لأنّون * (فلن أكون ظهيرا للمجرمين) فلن أكون معينا لمن أدّت معاونته إلى جرم * قال ابن عباس انه لما لم يستثن ابتلى به مرة أخرى (فأصبح في المدينة خائفا يترقب) يترصد الاستقادة (فاذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه) يستغيثه مشتق من الصراخ (قال له موسى إنك لغوى مبين) مبين الغواية لأنك تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر (فلما أراد أن يبطش بالذى هو عدو لهما) لموسى والإسرائيليين ، ومعلوم أن القبط أعداء بني إسرائيل (قال)

الاسرائيلي (يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسك بالأس) ولم يكن أحد يعلم من قوم فرعون أن موسى هو الذي قتل القبطي حتى أفشى عليه الاسرائيلي فسمعه القبطي فأتى فرعون فأخبره وأما قال الاسرائيلي ذلك لأنه ظن أن موسى يقتل القبطي عمد اليه هو لما سمع من قوله - إنك لقوى مبين - فقال ما تقدم وتماه (إن تريد) أي ما تريد (إلا لما هم أن تكون جباراً في الأرض) تطاول على الناس ولا تنظر العواقب (وما تريد أن تكون من المصلحين) ولما فشا أن موسى قتل القبطي أمر فرعون بقتله فخرجوا في طلبه وسمع بذلك رجل من شيعة موسى يقال له سمعان وهو قوله تعالى (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى) يسرع في مشيه حتى سبق إلى موسى فأخبره وأنذره بما سمع (قال يا موسى إن الملائكة يأتون بك) يقشرون فيك (ليقتلوك) وقيل يأمر بعضهم بعضاً بقتلك (فاخرج من المدينة (إني لك من الناصحين) أي في الأمر بالخروج (فخرج منها) موسى (خائفاً) على نفسه من آل فرعون (يتربص) ينتظر لحوق طالب فيأخذه ثم لجأ إلى الله تعالى لعله أنه لا ملجأ إلا إليه (قال رب نجني من القوم الظالمين) خلصني منهم واحفظني من لحوقهم

﴿ الحادثة السادسة ، والحادثة السابعة ، والحادثة الثامنة ﴾

(أنه ورد ماء مدين وسقى لابنني شعيب وتزوج باحداهما)

قال تعالى (ولما توجه تلقاء مدين) نحوها والتوجه الاقبال على الشيء ومدين قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين بن ابراهيم ولم تكن في سلطان فرعون ولم يكن له علم بالطريق إلا حسن الظن بربه وأما توجه نحوها لأنه وقع في نفسه أن بينهم وبينه قرابة لأن أهل مدين من ولد ابراهيم وموسى من ولد ابراهيم ومدين ابن ابراهيم ولما خرج لم يكن معه زاد ولا ظهر ولا طعام إلا ورق الشجر ونبات الأرض وما وصل إلى مدين حتى وقع خف قدميه وبين مصر ومدين كما قيل ثمانية أيام * قال ابن عباس وهو أول ابتلاء الله لموسى (قال) موسى (عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) قصد الطريق إلى مدين فهداه الله إليها (ولما ورد ماء مدين) هو بئر كانوا يسقون منها مواشيهم (وجد عليه) على الماء (أمة) جماعة (من الناس يسقون) مواشيهم (ووجد من دونهم) سوى الجماعة (امراتين تذودان) تمنعان أغنامهما من الماء لئلا تختلط بأغنامهم تحسان غنهما عن الماء من ضعفهما حتى يفرغ القوم (قال ما خطبكما) ماشاً نكماً تذودان غنمكما (قالنا لانسق حتى يصدر الرعاء) يصرف الرعاء مواشيهم عن الماء حذراً من مزاحمة الرجال فاذا صدروا سقيننا نحن مواشينا من فضل ما بقي في الحوض (وأبونا شيخ كبير) لا يقدر أن يسقى مواشيه فلذلك احتجنا نحن إلى سقى الغنم اضطراباً لذلك قيل أبوهما شعيب وأبى أخى شعيب بعد ما مات شعيب أو رجل من آمن بشعيب فلما سمع موسى كلامهما رق لهما ، فلما فرغ الرعاء من السقى غطوا رأس البئر بحجر لا يرفعه إلا عشرة نفر جاء موسى فرفع الحجر وحده وسقى الغنم بالبلوك كما سقى الرعاء وذلك قوله تعالى (فسقى لهما) مواشيهم راحة ورأفة (ثم تولى إلى الظل) (فقال رب إني لما أنزلت إلى من خير) قليل أو كثير والمراد به الطعام (فقير) محتاج * قال ابن عباس سأل الله فلقه خبر يقيم بها صلبه ، فلما رجعتا إلى أبيهما قالنا وجدنا رجلاً صالحاً رجلاً فسقى لنا أغنامنا فقتل لاحداهما اذهبي فادعيه إلى (جاءته إحداها تمشي على استحياء) مستحيية متخففة واسمها صفوراء وهي التي تزوجها موسى (قالت إن أبى يدعوك ليحزبك) ليكافئك (أجر ما سقيت لنا) جزاء سقيك لنا فأجابها تبركاً برؤية الشيخ وليستظهر معرفته لاطمئنا في الأمر ، فلما قدم له الطعام امتنع عنه وقال « إنا أهل بيت لا نبيع ديننا بالدين » فقال الشيخ هذا عادتنا مع كل من ينزل بنا (فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين) كما دعا موسى ربه إذ قال - رب نجني من القوم الظالمين - أي فرعون وقومه (قالت إحداها) التي استدعته (يا أبت استأجره) لري الغنم (إن خير من استأجرت القوي الأمين) فقال الشيخ وما علمك بقوته وأمانته فذكرت إقلال الحجر وأنه صوب رأسه حين بلغته رسالته وأمرها بالمشي خلفه

(قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرتي) أي إني أريد أن أزوجه صفوراء التي طلبتك على أن تكون أجيرا لي (ثمانى حجج) أي ثمان سنين (فإن أتممت عشرا فمن عندك) أي فإن أتممت عشرين فذلك تفضل منك وليس بواجب عليك (وما أريد أن أشق عليك) أي ألزمتك تمام العشر في مراعاة الأوقات واستيفاء الأعمال (ستجدني إن شاء الله من الصالحين) في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالمعاهدة (قال ذلك بيني وبينك) أي ما شرطت على فلك وما شرطت من تزوج أحدهما فلي والأمر بيننا على ذلك (أيما الأجلين قضيت) أي أي الأجلين أتممت وفرغت منه الثمانية أو العشرة (فلاعدوان على) أي لا ظلم على بأن أطالب بأكثر منه (والله على ما نقول وكيل) شهيد بيني وبينك * قال ابن عباس « قضى أكثر الأجلين لأن رسول الله إذا قال فعل » ويقال إن شعيبا بكى ثم عمى فرد الله بصره وكرر ذلك ثلاث مرات يعمى ويرد الله بصره عليه فقال الله له ما هذا البكاء أشوقا إلى الجنة أم خوفا من النار فقال لا يارب شوقا إلى لقائك فأوحى الله إليه هنيئا لك لذائى يا شعيب لذلك أخدمتك كإيمى موسى * ويقال إن العصا كانت عند شعيب ورثها عن الأنبياء فسلمها إلى موسى

﴿ الحادثة التاسعة ، والعاشرة ، والحادية عشرة ، والثانية عشرة ﴾

(إرسال موسى وظهور المعجزات على يديه وكفر فرعون وجنوده وهلاكهم وانهم أئمة الضلال)
قال تعالى (فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله) قاصدا مصر بامرأته بعد أن استأذن من شعيب (آنس) أبصر (من جانب الطورنارا) من الجهة التي تلى الطور (قال لأهله امكثوا إني آنست نارا على آتيكم منها بخبر) بخبر الطريق (أوجدوة) عود غليظ سواء أكانت في رأسه نار أم لم تكن ولذلك بينه بقوله (من النار لعلمكم تصطلون) تستدفئون (فلما أتاهما نودي من شاطئ الوادى الأيمن) يعنى من جانب الوادى الذى عن يمين موسى (فى البقعة المباركة) جعلها الله مباركة لأن الله تعالى كلم موسى هناك وبعث نبيا (من الشجرة) أى من ناحية الشجرة وكانت من العليق ومن الشجرة بدل اشتال من شاطئ (أن ياموسى) أى ياموسى (إني أنا الله رب العالمين) وقد خلق الله فى نفس موسى علما ضروريا بأن المتكلم هو الله تعالى وأن ذلك الكلام كلام الله تعالى (وأن ألق عصاك) فألقاها فصارت ثعبانا واهتزت (فلما رآها تهتز كأنها جان) أى حية صغيرة فى سرعة حركتها (ولم يدبر) هاربا منها (ولم يعقب) ولم يرجع فنودى عند ذلك (ياموسى أقبل ولا تخف إني أنا الذى آمنين) من المخاوف فإنه لا يخاف لى المرسلون (اسلك يدك فى جيبك) أدخلها (تخرج بيضاء من غير سوء) عيب وبرص ، والمعنى أنه أدخل يده فخرجت ولها شعاع كضوء الشمس ، ولما استبرى موسى الخوف تارة من العصا وتارة من الدهشة بشعاع يده أمره الله أن يتجلد ويظهر الثبات والجرأة بقوله (واضمم إليك جناحك من الرعب) من أجل الرعب أى الخوف مأخوذ من حال الطائر فإنه إذا خاف نشر جناحيه وإذا أمن واطمأن ضمهما إليه ، ويجوز أن يراد وضمم يدك إلى صدرك يذهب ما بك من قلق حتى قال ابن عباس رضى الله عنهما « كل خائف إذا وضع يده على صدره زال خوفه » ولا غصاصة فى إرادة المعنيين معا أى أنه يتجلد بقلبه ويضع يده على صدره ليسكون تأكيد الزوال الرعب (فذا لك) أى العصا واليد (برهانان) حججتان (من ربك إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوما فاسقين) فكانوا أحقاء بأن يرسل إليهم (قال رب إني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون) بها (وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردأ) معينا (يصدقنى) بتلخيص الحق وتقرير الحق وتزيف الشبهات (إني أخاف أن يكذبون) ولسان لا يظرونى عند الحاجة (قال سنشد عضدك بأخيك) سنقوم بك به وكان هرون بمصر (وتجعل لك سلطانا) حجة وبرهانا (فلا يصلون اليك) يقتل ولا سوء نسل لك (بآياتنا) فهو متعلق بقوله سلطانا أو فلا يصلون اليك بسبب آياتنا (أتما ومن اتبعك الغالبون) لفرعون وقومه (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا

سحر مقترى) أى سحر عمله أنت ثم تفتريه على الله وليس مجيزة (وما سمعنا بهذا) الذى تدعوننا اليه (فى آياتنا الأولين) * وقال موسى ربي أعلم بمن جاء باهلى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار) العاقبة المحمودة (إنه لا يفلح الظالمون) أى ربي أعلم منكم بشال من أهله للفلاح حيث جعله نبيا ووعدده حسن العقبى يريد بذلك نفسه وهو لا يرسل الكاذبين بل يخذلهم ولا يبنى الساحرين والمراد بالدار هى الدنيا والعاقبة المحمودة أن يحتم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقى الملائكة بالبشرى والغفران (وقال فرعون يأيتها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى) إن قدماء المصريين كانوا يجعلون الأمة (ثلاث طبقات) عليا وهم السكهنة ووسطى وهم الجيش وسفلى وهم بقية الطبقات وفرعون مصر من صف يشرف على السكهنة وكانت لهم قوانين يتبعها الملوكة والرعية وكان المالك مطاعا سواء أكان عادلا أم جائرا. ولكن إذا مات يحاكم كونه فان كان عادلا دخل المقبرة التى له والا فلا وكان الملوكة على كل حال مقدسين منزهين متصلين بالآباء والآلهة ، هذا كان اعتقادهم وليس يعتقد فرعون إنه هو الرب وحده وإنما كانت الألوهية هنا كالبوذية فى قوله تعالى - اتخذوا أجباهم ورهبانهم أربابا من دون الله - وفسرها عليه السلام بأنهم يشرعون لهم الشرائع كما تقدم ، فهذا يقول فرعون تارة - أنا ربكم الأعلى - وتارة - ما علمت لكم من إله غيرى - ولقد كان السكهنة يحرمون على الشعب أن يعرف الحقائق وعلى تملادى الزمان قدسوا الأشخاص الانسانية وبعض أنواع الحيوان والفراغة كانوا أكبر المقدسين عندهم فيكونون أكبر الآلهة لأنهم متصلون بالآلهة الذين فوقهم ، ولا تظن أن هذا بعيد غاية الأمر أن كثيرا من الناس غافلون . إن أمة اليابان لها ملك يزعمون أن أجداده منذ أربعة آلاف سنة جاؤا من نسل امرأة من السماء أى من الآلهة فهو عندهم كأنه نصف إله ، وعلى ذلك تجد أن القائد اليابانى الذى غلب دولة الروس فى الحرب بينهما ويسمى «توجى» لما مات الملك تقرب الى الله بالانتحار هو وزوجته الجوز وإنما انتحرا ليدفنا مع الملك وذلك على حسب القاعدة الدينية من قتل نفسه عند موت الملك كان الله راضيا عنهم أن هذا القائد يعرف جميع العلوم العصرية ، ولا تظن أن المسلمين والنصارى وسائر الأمم خلو من هذه الفكرة فان كثيرا من مشايخ الطرق يفهمون تلاميذهم أنهم يفعلونهم ويضرونهم ، وهذه الفكرة عامة فى كل طبقة جاهلة من أى نحلة وأى دين على وجه الأرض ، وترى كثيرا من أتباع الشيوخ أحياء أو أموات متى سمعوا لهم أمرا التزموه كأنه منزل من الله بل بعض الصوفية فى عصرنا وفى غيره يقدمونهم تلاميذهم ويلبسون وجوههم عن كل ما يقال فى الدين ، فإذا أعطوهم وردا انكبوا عليه وان كانوا جهلاء بهذه الدنيا وبنظام الكون ، ومنهم من يحرم عليهم النظر فى العلوم والمعارف ، ومنهم من يقول لهم إن الفقهاء قوم لا يعرفون إلا القشور ويقولون دعوا علم الفقه واتبعوا الذكر وحده وهكذا تنوعت الطرق وتنوعت الاعتقادات ففرق أهل الاسلام وأخذهم الفريضة ، كل هذا لأن كل ذى طريقة أو فكرة يفهم أتباعه أنه لانجاة إلا بما عرفوه منه ويتكون بقية الدين ، وكل ذلك كقوله تعالى - ما علمت لكم من إله غيرى - فلا فرق بين أتباع فرعون فى الجهالة وبين أتباع أى دين إذا جردوا على قول شيخهم وانما ديننا هو ما أوحىنا فى هذا التفسير بحيث يكون المؤمن عارفا بربه ناظرا فى الطبيعة من حيوان ونبات وانسان وفلك فان لم يعلم ذلك فليعلم به وليأمر المتعاملون الجهال بالنظر على قدر الامكان ، ولعلك تقول إذن جميع الأمم وجميع أهل الطرق بل جميع المسلمين كافرون ، أقول لك . كلا . المسلمون جميعا ناجون لا أفرق بين جماعة وجماعة هذا اعتقادى الذى ألقى الله عليه ولكن الكلام فى النقص ، ففرق بين من ينجو وهو ناقص وبين من ينجو وهو كامل ، والتعاليم الاسلامية اليوم فى غاية النقص والجهالة ، فإذا لم يتعاضد جميع الشيوخ على تعليم الشعب النظر فى هذا الوجود فلا فلاح لهم فى الدنيا وهم فى الآخرة ناقصون حقا ، إن من لم يفتح أبصار المسلمين من السنيين والشيعة والزيديين وغيرهم الى ما نقوله فى هذا التفسير وقد اطلع عليه فان الله سبحانه يعاقبه لأنه علم وكتم ، إن الله يعاقب المسلمين اليوم

جسدا في الدنيا على جهلهم ويأقرب الرؤساء اذا لم يفتضحوا عيون تلاميذهم الى ما أبدع الله في السموات والأرض ليفتح المسجون للمدارس في الأرض وليعدهم العلوم تعليما اجباريا لينظروا صنعة ربهم . وحرام ثم حرام على كل شيخ أن يأمر تلاميذه بالجهالة وحسبنا الله ونعم الوكيل . اذا عرفت هذا فقد عرفت قول فرعون هنا - ما علمت لكم من إله غيري - . فله السلطة الدنيوية والقوة الروحية في نظر الشعب الجاهل والآلة كلهم متى أشار بإشارة أنفذهوا في الشعب . هذا هو الاعتقاد الذي كان سائدا وترى نظيره في الأرض

﴿ حكاية ﴾

قد تقدم في هذا التفسير لاسيا في آخر (النساء) أن حكايات جرت لي مع الفلاحين وفيها أن المرحوم عمي الشيخ محمد شلي سأل القائم بحديثه المسمى (أبا جوده) أن يحلف بالله على العنب خلف ولما قال له احلف على أني مسلم قال لا إني أخاف منه ، فانظر كيف جعل الشيخ أبا مسلم الذي له ضريح يزوره الناس في بلادنا بالشرقية قادرا أن يؤذيه فأما الله فانه رحيم ، وأى ألوهية أكثر من ذلك ، أفلا يكون فرعون عند المصريين قديما كالشيخ أبي مسلم عند أبي جوده ، واذا قال صلى الله عليه وسلم « إن تشريع الشرائع وتحليل الحلال وتحريم الحرام أوجب أن يسمى الأحرار والرهبان أربابا » فكيف اذا انضم الى ذلك عقائد التصرف في أنفس الأحياء بالنفع والضر ، أفلا يحق لفرعون إذن أن يقول - أنا ربكم الأعلى - وأن يقول - ما علمت لكم من إله غيري - . يقول المؤلف وأنا أجد الله على هذه المعاني في هذا المقام لأن هذا يوافق العلم المنتشر عن قدماء المصريين وسيزيد هذا العلم وضوحا وانتشارا بين المسلمين في عرفوه وقرؤا هذا التفسير وجدوه مطابقا لما قرؤوه في الرسائل وعلى الأشجار وفي الأوراق البردية وفي القبور والبرابي والاهرام ، ولما كان هذا شأن فرعون وأنه ساط تسلطا ماديا وروحيا على الناس أخذ يتم تعاليمه فطلب من وزيره أن يطبخ له الطين فيجعل اللبن أجرا أى طينا محرقا ويبنى له منارة عالية جدا ليرصد منها أوضاع السكواكب ويحسب حركاتها وينظر هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل حال الأمم وهذا قوله تعالى (فأوقد لي ياهايمان على الطين) أى اتخذ لي الآجر واطبخه (فاجعل لي صرحا) منارة (لعل أطلع الى إله موسى) أى الى فعله هل في الأفلاك الدوائر وحركات الأجرام التي خلقها دليل على انه اختار موسى للنبوّة أوهل هناك إله غير من نعرفهم من آلهة المصريين (واني لأظنه من الكاذبين) في زعمه أنه نبي عن إله العالم الذي يغاير من نعرفهم في أرض مصر ونحن نفعل كل شئ وتتصرف بإمدادهم (واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق) بغير استحقاق (وظنوا أنهم البينا لا يرجعون) بالنشور (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) كما تقدم في التفسير (فانظر) يا محمد (كيف كان عاقبة الظالمين) وحذر قومك أن يكونوا مثلهم (وجعلناهم أئمة) قدوة للضلال بالجل على الاضلال (يدعون الى النار) الى موجباتها من الكفر والمعاصي (ويوم القيامة لا ينصرون) لا يدفع العذاب عنهم (وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) طردا من الرحمة (ويوم القيامة هم من المقبوحين) من المطرودين أو بمن قبحت وجوههم

﴿ الحادثة الثالثة عشرة ﴾

قال تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (من بعد ما أهلكنا القرون الأولى) أقوام نوح وهود وصالح ولوط (بصائر للناس) حال من الكتاب والبصيرة نور القلب الذي يبصر به الرشد والسعادة كما ان البصر نور العين الذي يبصر به الأجسام أى آتينا التوراة أنوارا للقلوب لأنها كانت عميا لا تستبصر ولا تعرف الحقائق (وهدي) من الضلالة لمن عمل به (ورحمة) لمن آمن (لعلمهم يتذكرون) بما فيه من المواعظ أى ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر (وما كنت) يا محمد (بجانب) الجبل (الغربي) وهو المكان الواقع في شق الغرب منه وهو الذي وقع فيه ميقات موسى (إذ قضينا الى موسى الأمر) أى كلمناه وقرّبناه نجيا (وما كنت من الشاهدين) من جملة الشاهدين للوحي اليه حتى تقف بالمشاهدة على ماجرى من أمر موسى في ميقاته (ولكننا

أنشأنا قرونا) بعد موسى (فتطاول عليهم العمر) أي طالأت أعمارهم وفترت النبوة فنسوا عهد الله واندرست العلوم ووقع التحريف والتخريف في كثير منها فأرسلناك مجددا لتلك الأخبار مبينا ما وقع فيه التحريف فلذلك أعطيناك العلم بقصص الأنبياء وقصة موسى ، يقول الله أنت يا محمد ما كنت مشاهدا ما حصل لموسى من الوحي وطالت الفترة فكان ذلك سببا لارسالك فالاستدراك بين به سبب الوحي الذي يفهم من السياق ، ومثل ما قيل هنا يقال في قوله (وما كنت ثاويا) مقيا (في أهل مدين) وهم شعيب والمؤمنون به (تلاوا عليهم آياتنا) تقرأها عليهم تعلموا منهم أي لم تقرأ الآيات التي فيها قصة شعيب (ولكننا كننا مرسلين) أي ولكننا أرسلناك واخترنك بها وعلمناكها بعد ماضت قرون اندرست فيها العلوم فأرسلناك لتبين للناس ما اندرس منها وتذكر الحقائق وتدحض المحرف منها (وما كنت بجانب الطور إذ نادينا) موسى لما أخذ الكتاب بقوة (ولكن) أعلمناك وأرسلناك بعد ما اندرست العلوم وحرفت القصص (رجة) للرجة (من ربك لتتذوقوا ما أنأههم من نذير من قبلك) في زمان الفترة بينك وبين عيسى (أعلمهم يتذكرون) يتعظون بما سمعوا من هذا القصص . انتهى التفسير اللفظي للقسم الأول من السورة

هأنت ذا اطلعت على الحوادث التي عدناها (١٣) التي منها اثنتا عشرة حادثة حصلت لتمام أمر موسى ونجاة بني اسرائيل وهلاك أعدائهم ، ابتدأت هذه الحوادث بفكرة خطرت لأمر موسى أن ترضعه وألمعت أو رأت في المنام انه محفوظ لها وسيرجع ، لم تكذب هذا الإلهام ولم تيأس من رجعة الله ، فكلم في أمة الاسلام من رجل ومن امرأة ومن شاب ومن شيخ ومن عالم ومن جاهل تخطر لهم خواطر تحثهم على خروجهم من مأزق الذلة والهوان ومن اقتناص برائن أورور باهم ، تخطر لهم هذه الخواطر فلا يعيرونها التفاتا ، يقولون الأمر انقضى والاسلام انتهى والدنيا أذبرت والآخرة أقبلت والعالم سيزول والأرض ستذهب

هذه هي الأراجيف والأكاذيب والوساوس التي تقوم في عقول المسلم الجاهل ، لماذا ؟ لأنه لم يعرف القرآن لماذا ؟ لأنه لم يعرف هذه القصة إلا كما يعرف الطفل جمال الزهرة وجمال الورق وجمال الشجر ولكن أباه يعلم أن الزهرة ذابلة والورق انما خلق للمساعدة على تغذية الشجرة والأغصان والقضبان والجذوع انما هي وسائل للثمرات والثمار هي المقصودة ، أكثر المسلمين هكذا يقرؤون هذه الآيات ويمرّون عليها كما يمر الطفل بالزهر والورق في الحقول والبساتين ولا يفكر في الثمر ، أما أبوه فان قلبه معلق بالثمر ، يظن المسلم أن المقصد من هذه القصة أن يفرح بزهراتها فيقول ما أعجب هذه القصة ، انظرأيها الأخ الى موسى كيف وضع في التابوت وكيف حفظه الله ، وكيف تعلق بالشجرة في البحر ، وكيف اتفق أن فرعون وزوجه وبنته كانوا يشاهدونه وقت طلوع الشمس ، وكيف شفى الله بنت فرعون بريقه ، وكيف ظهر نوره فأحبه فرعون وآسية ، فياعجبا لذلك ، وكيف رجع الى أمه ثانيا فأرضعته ، وكيف أيد الله أخته فدلتهم على أمه ، وكيف كنتم الخبر ور بط الله على قلب أم موسى ، وكيف جاء رجل من شيعه موسى يقول له اخرج نصيحتك له ، وكيف قدر أن يرفع الحجر الذي لا يرفعه إلا عشرة وما أشبه ذلك . فهذه العجائب يقف عندها أكثر الناس وهم في ذلك أشبه بالاطفال يفرحون بالزهرات أما العقلاء فانهم يقولون يا قوم لاتقفوا موقف الاطفال ، فكما ان الزهرات مقتّمات للثمرات هكذا هذه العجائب مقتّمات لما هو أهم منها ، إن جمال تلك القصص مسوق لما به السعادة وما به السعادة اما حفظ الأخلاق للأفراد واما حفظ الأمم للجتماعات . هذا هو المقصود . فاذا قرأ القارئ ان موسى كان عفيفا حين رأى بنت شعيب وأنه كان أمينا عليها حتى أمرها أن تمشي خلفه وأن هذه العفة وهذه الأمانة رفعت في عين شعيب وابنتيه تشوّق القارئ الذكي أن يكون كموسى أمانة وعفة وكذلك يقلده في العطف على كل ضعيف ويقول إن هذه الأخلاق انتهت بالنبوة ، فكذلك كل الأخلاق الفاضلة تنتهي بجلال المرء وبالفاتوح الذي يفتح الله عليه

﴿ نظرة المسلمين في هذا الزمان ﴾

واذا نظر المسلمون هذه القصة في هذا الزمان علموا انها مسوقة لاسعادهم واعزازهم واخراجهم من المآزق والهلاك . إن المسلمين اليوم في ذل وجهل مابعده جهل ولكن عقول المسلمين أشبه بأرض خصبة تحتاج الى البذر وانزال الماء فيخرج نبات حسن منها ، هكذا اذا عرف المسلمون مقاصد أمثال هذه الآيات خرجوا مما هم فيه من الذلة . علم الله أن المسلمين سينامون وسيمر عليهم مامراً على الأمم قبلهم وسيدوقون السوء فأنزل لهم هذه القصة ، يقول أى عبادى إن نجاة بنى اسرائيل كان مبدؤها فكرة خطرت لأم موسى وإلهاماً ألهته لها فلم تنبذ الإلهام وتبع ذلك أمور وأمور أخذت هذه الصالحة تفكر ؟ فقيم فكرت ، فكرت في نجاة ابنها ونجاة فرد من مجموع نافعة للمجموع فأرسلت ابنها تدهم على من يكفله وكتمت السر وظهرت لفرعون كأنها ليست أمه وهكذا ، كل ذلك بعد الفكرة الأولى لم تيأس من رحمة الله

أيها المسلمون أتدرون لم وقعتم في الذل ، إنكم يئستم من رحمتي في الدنيا ولم تيأسوا منها في الآخرة وهذا خطأ محض ، أنا رحيم في الدنيا ورحيم في الآخرة ، إن يأسكم في الدنيا من نصري لكم أقعدكم عن التفكير في الخروج من الذل وأنا لا أعطي إلا من فكر ، كم من رجل منكم خطر له أن ينفع أمته ، كم من شاب ، كم من امرأة ، كشرجدا منكم يفكرون كل يوم في الخروج من الذل ولكن اذا جاء لهم الفكر طردوه كأنه من كلام الأبالسة ، كأنه من كلام الشياطين ، أى عبادى إن الفكر الصالح موجود يمر بخواطركم ، أنا لم أمنعه ، أنا لم أفصم عليكم هذا القصص لأقول لكم إن الإلهام خاص بمن مضى أو بأم موسى . كلا . إن إلهام الخير موجود مستفيض كما يستفيض ضياء الشمس على أرضكم وقد يحجبه ليل أو سحب ولكنه لا يزال موجودا ولكن خطباؤكم والجهال من شيوخكم قالوا لكم إن الزمان قد قرب والدنيا ستخرب فصددتموهم مع أنى لم أطلع أحدا على غيبى فكيف تحرمون من السعادة ، كلام هؤلاء الشيوخ هو السحب المانعة لضوء شمس العلم التى ألقياها على قلوبكم ، هو الليل البهيم الذى تنام فيه الناس وتقفل أبصارها لذلك حرمت من النصر وحرمت من السعادة . أى عبادى إن حرمانكم من الرقى هذا هو سببه والا فان خطرات السعادة محيطة بكم . فاياكم أن تسمعوا لكلام هؤلاء الشيوخ المبطلين فاذا خطر لكم خاطر النصر وأن تقوموا باسعاد هذه الأمة أو باسعاد أنفسكم أو بحفظ بلادكم أو بطرد العدو منها . فلتعلموا أن هذا الخاطر بذري يجب أن يسقى بماء الفكر والسعى والجد والسكران وحفظ السر كما فعلت أم موسى فان فكرتها نمت وترعرعت وكان من نتائجها أن موسى قوى وكبر وتعلم وابتلى بقتل القبطى وهذا الابتلاء كان سبب نعمة لانقمة لأنه به خرج الى أرض مدين وقابل شعيبا وتزوج ابنته ورجع فأوحى اليه فرجع الى فرعون فأخرج بنى اسرائيل . يقول الله لاتدعوا أيها المسلمون خواطر الاصلاح فليس انعامى محجوبا عن عبادى . أنا اليكم ناظر ومن خطر له خاطر الاصلاح فليعلم أنى معه لاسيما الاصلاح العام فانى مع المحسنين ودعاء من يدعو الى اصلاح الجميع مقبول نافع وكلما كان المرء ساعيا في مصلحة العموم كنت معه مؤيدا وحافظا وناصرا . كم من المسلمين من أضاعوا حياتهم سدى يقرؤون هذه الآيات فلا يزيدون على التعجب ولا يزيدون على أن فرعون ادعى الألوهية ويذمونه وليس لهم وراء ذلك مطلب بل المتعلم الذى قرأ علوم قدماء المصريين المنتشرة حين يقرأ هذه الآية يقول ﴿ كيف يقول فرعون - ما علمت لكم من إله غيرى - مع انهم كانوا يعبدون آلهة مثل (سينوستريس) و (ايزيس) وما أشبه ذلك وبطلن أن القرآن غاب عنه ما قرأه هو في أوراق البردى أولئك من قرأه ويقول مالى ولهذا القصص وهو غافل عما ذكرناه من معنى الألوهية والربوبية فيما تقدم بأوضح مقال وذاهل عما سيق له الحديث الذى نحن بصددده حديث رقى الأمم وخروجها من الذل والاستعباد . هكذا فليخرج المسلمون اليوم أوغدا وهذا أمر محقق لا شك فيه عندى وسيقرأ هذا المسلمون بعدنا ويرون أنهم لم يألوا ما ذكرناه . وستشيع أمثال هذه الآراء في الاسلام

وسيكونون - خيرامة أخرجت للناس - وكيف لا يصيرون كذلك وقد تقدم في (سورة النمل) أن الله يقول - وقل الحمد لله سيركم آياته فتعرفونها - أليس هذا وعدا لنا بأننا سنعرف العلوم ومعجائب الأرض والسموات وهل وعد الله يخلف؟ أليس نبينا محمد ﷺ له المقام المحمود ويعطى لواء الحمد؟ أليس الحمد دائما يكون على نعم؟ أليس أهم النعم هو العلم، أليس حمد الأولين والآخرين له على العلم الذي ترقى به أمته، فإذا كان مقامه محمدا وهو رافع لواء الحمد فنتيجة ذلك كله أن تكون أمته أعلم الأمم، وإذا كان شافعا لأمته فان الشفاعة على مقتضى الهداية والهداية إلا بعلم فالعلم سيعم الأمة الإسلامية وسيخرجون من النذل وسيفكرون في اخراج أنفسهم من الهوان والجهل كما فعلت أم موسى إذ انبعث الإلهام بأن ابنها سيرجع لها بالعمل وتسلسلت حوادث كانت نذيجتها خروج أمتها من المذلة . وهنا لطائف

﴿ اللطيفة الأولى ﴾

اعلم أن الناس يحبون من أمرهم موسى ويتعجبون من أمر موسى وكيف نجا وكيف خرج بنو اسرائيل وهم في كل وقت يشاهدون أمثال هذا ولا يتعجبون . أليس الانسان يأكل الفاكهة مع ان حصولها بين يديه عجب كأم موسى وموسى وخروج بني اسرائيل . أليست الفاكهة من البستان فهل كان الحداد الذي يصنع المحراث يقصد الشجرة التي منها فاكهته وهل كانت البهايم التي خرج منها ما به تسمد الأرض تقصد أن تنال أنت الفاكهة . وهل كان الذي يستخرج الليف من النخل لصنع حبال البهايم التي تحرث الأرض يقصد فاكهته . انظر حوادث كثيرة من بخار وسحاب ومطر وحديد وخشب تجمعت من أقطار شتى ونتيجتها وصول الفاكهة اليك . إن المفكرين يحبون من الطبيعة وغرائبها كما تعجب أنت من قصص موسى وأمه وخروج بني اسرائيل ولكن لما كان هذا القصص غائبا حلا في السمع ، أما عجائب الطبيعة فان اللطائف الموجهة من الله اليها أعجب وأعجب والافأين دوران الشمس في فلكها ودوران الأرض حول نفسها ودورانها حول الشمس بحساب بديع . أليس ذلك من أسباب هذه الفاكهة . ولو أن حساب الشمس والأرض اختل ما أمكن ظهور هذه الفاكهة لأنها تحتاج الى حرارة بمقدار فتى اختلت الشمس في سيرها اختلت الحرارة في نزولها على الأرض فذهبت المنافع ولكن هذه العجائب يحفلها أكثر الناس - ولكن أكثر الناس لا يعلمون -

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

لعلك تقول من لي بأن اعتقد ما اعتقدته أم موسى ، ومن لي بذلك ، ومن أنا ان ذلك في زمان مضى وانقضى . فأين البرهان على ذلك في هذا الزمان ؟ أقول على رسالك ، أليست الحرب العظمى قلبت الكرة الأرضية . أليس سببها أن عالما يسمى (ماركس) وهو ألماني أخرج كتب للناس قائلا يجب إزالة هذه النظامات الأرضية ومن هذه الفكرة تعلم الروسيون وبها وحدها انقلبت السلوة فصارت بلشفية . ألم تكن دولة الفرس مقسمة بين الانجليز والروس . أليست الحرب العظمى جعلتها حرة مطلقة من كل قيد . انظر أين فكرة ماركس الألمانية وخلاص الفرس . أليس ذلك من قوله تعالى - إن ربي لطيف لما يشاء - وأي لطف أعجب من هذا . تلتفت في خلق الأفكار وبها بين الناس حتى عمت الكرة الأرضية وانتهت باستقلال الروس وتبع ذلك بلاد الفرس . أليس هذا كسألة أم موسى قصدت انقاذ ولدها فأنقذ بنو اسرائيل وكردوران الشمس بحساب بلاخطأ في سيرها فكانت الحرارة منتظمة على قدر انضاج الفاكهة ولولا ذلك ليمس الفلاح ولم يزرع . أليس ذلك كما فعل الله في ماء النيل . أنزله في الأرض كل عام فيصسل ما بين (٤١) مليارا من الأمطار المربعة وبين (١٠٠) مليار . ونتيجة ذلك ظهور المزارع . ولا ينزل ذلك الماء إلا بالبخار ولا بخار إلا بالحرارة ولا حرارة منتظمة إلا بانتظام سير الشمس فأين سير الشمس وأين الفاكهة . هناك سلسلة منتظمة انتهت بالفاكهة . وهناك سلسلة منتظمة انتهت باستقلال الفرس . وهناك سلسلة منتظمة انتهت بخروج بني اسرائيل ومبدؤها إلهام أم موسى

وهناك سلسلة منتظمة بها استقلت دولة الأفغان لما قام الأفغان فاربوا الانجليز أيام الحرب العظمى واستقلت البلاد الى الآن . وهناك سلسلة منتظمة ستحصل بعد قراءة هذا الكتاب فينظر المسلمون ويقرؤون قوله تعالى هنا - وما كنت ثاويا في أهل مدين - الى قوله - ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون - فهذا الذي قررته هو الرحمة وهذا هو التذكير ، يتذكر المسلمون هذا القصص فيستخرجون منه خلاصة وثمره هي أن يفكروا في الخلاص ويستمروا فينجحوا ، يفكر المسلمون فيقولون نحن - خير أمة أخرجت للناس - فكيف كانت همما منحة لندرج الى القرآن وليعرف الناس أنه يأمرنا أن نعشق جمال الله في العوالم العالوية والسفلية وهذا الجبال لاحد له والعمر كله مدة دراسة والارتقاء لاحد له وهذه القصة وأمثالها إنما هي كشجرة فلنأخذ ثمرها ولانكتفي بظلالها والثمرات إما أخلاق كعفة موسى واما إيمان بالله خيفة الملاك كما هلك قوم فرعون ، يقول المسلم أنا مسلم فكيف أهلك ؟ نقول له ولكنك ذليل بعيد عن العلم ، فانظر كما نظرت أم موسى وخلص أمتك من الذلة والهوان ، قل لها كوني منتظمة ، كوني مفكرة ، تعلمي ، اسعي للرقى والنجاح ، اجتهدى ، انشري العلوم ، إن العلوم بها محبة الله ، إن الانسان لاخير في حياته بدون النظر في هذا الجبال . إن العقول اذا وقفت تقهقرت واذا تقهقرت انحطت واذا نزلت هلكت وبأس المصير

سيقول المسلمون بعد هذا التفسير وانتشاره ان شاء الله مالنا قد امتزنا في جميع الكورة الأرضية بالجهالة ، في بلاد الشرق والغرب أصبحنا عالة على الأمم ، لماذا نرى المسلم في بلاد سيام كما يقول رجالها لا يرتقي عن الفلاحة إلا قليلا فأما غيره فانه يمكس بعنان السعادة ويسافر للعلم ويحظى بالخير والعز ، مالنا نرى المسلم الصبني شاذا بعيدا عن العلم والوثني هو القائم بالعلم والحكمة وبشؤون الدولة ، مالنا نرى المسلم أينما حلنا أو ارتحلنا واقفا في مكانه . ومتى قال من بعدنا هذا القول تجلت لهم الحقائق وأظهروا مكنون العلم وأيقظوا الأمة ونشروا فيها ما كتبناه في القرآن وما يكتب غيرنا وانقلب الأمر فأصبح المسلم أقوى من غيره في العلوم والمعارف لما يرى من عجائب القرآن التي شرحناها وشرحها المتقدمون والمتأخرون

هذا بعض ما يقصد من هذا القصص ومن قول الله تعالى - ولكن رحمة من ربك - الى قوله - لعلهم يتذكرون - هذا هو القصد من انزال هذا القصص فالقصد الرحمة والتذكير أي ان الله يرحمنا بالتذكير فيما أنزل على رسول الله ﷺ وذلك هو المذكور في الحادثة الثالثة عشرة ليرينا أن القرآن لهذا أنزل فليس يقصد أن نفرح ببني اسرائيل بل نفرح بما نتذكر وبالرحمة التي نألفها من التذكير فلاخير في شجر لا ثمر له . ولاخير في علم لا نفع له . ولاخير في أمة لا همة لها . ولاخير في قراءة دين لا يعقله قارئوه . ولاخير ولارحمة إلا لمن يتذكرون ويعقلون والحمد لله رب العالمين

﴿ البلاغة والعلوم ﴾

ينظر قوم الى القرآن من جهة البلاغة ويظنون انهم اذا عرفوا الجناس في قوله - الى إله موسى - وعرفوا ما أسأقسه عليك وهو قول الأصمى حكاية عن فتاة غربية قالت إن في قوله تعالى - وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين - قالت الفتاة إن فيها أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين . فالخبران أوحينا وخفت . والأمران ألقيه وأرضعيه . والنهيان لا تخافي ولا تحزني . والبشارتان - إنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين -

أقول . ينظر قوم الى القرآن من هذه الوجهة فيطربون لمجائب التركيب والبلاغة ولهم الحق في ذلك ولكن هل لهذا أنزل القرآن . إن البلاغة علم يرجع الى تركيب الألفاظ ونسق الكلام فهل هذا كاف ؟ كلام كلا . إن المقام ليس مقام استدلال على أن القرآن مجز فليس هذا نهاية العلم . إن نهاية العلم أن يدرس

ويستخرج منه ما يجب علينا دراسته في هذه الحياة
﴿ قصص موسى أيضا ومناسبة قوله تعالى - ولكن رحمة من ربك لتتذوقوا ما أنعم
من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ﴾

لقد عرفت أننا مقاصد البلاغة وانها لقوم مبتدئين في العلم وانها مفتاح الفهم ، أما الفهم فانه وراء ذلك
فالبلاغة مفتاح خزائن العلم والعلم في نفس الخزان و فرق بين مفاتيح الخزان وبين المخزون ، هل أنبتك بشئ
من المخزون في هذه السورة ؟ أنت تعلم أن قصص موسى قد كرر في القرآن وتكراره يصعب على كثير من
الناس ادراك سببه . فأما عالم البلاغة اذا كان حاد البصيرة فانه يقول الاطناب في مقام والايجاز في مقام لمراعاة
المقامات وهذا لا بأس به وهو حق ولكن أين الفائدة الحقيقية ؟ فعالم البلاغة لا يفسر له على الاجابة ولكن انظر
مخزون العلم ومكنون الحكمة ، انظر وتعجب ، ذكرت قصة فرعون وموسى في (طه) وفي (الشعراء) وفي هذه
السورة . لقد اطلعت على (طه) فانظر المست ترى أنه فيها شرح مسألة العصا ومسألة عجل السامري وأطنب فيهما
ليرينا أن المدار على العلوم العقلية فأما خوارق العادات فانها تنفع مؤقتا فلا يمان بها كأنه ظل لانبات له وذلك
لأن الصور المادية ظلال الحقائق فيكون الايمان بها ظلا لانبات له . وملخص ذلك انه يراد أن نكون الأمة
الاسلامية أمة علم وحكمة لا أمة خوارق عادات للصالحين وللأطالحين وقد تقدم هذا

ولقد ذكر في تلك السورة عجائب الأرض والسماء ليتم القصص من هذه الموازنة . هذا في (سورة طه)
وليكون ذلك تبصرة وتذكيرة للمسلمين . أما في (سورة الشعراء) فقد أطل القول في السحرة وشرح المقام
شرحا وافيا فأوجب ذلك النظر في السحر وحده وشرحه كما فعلنا هناك وذكرنا سحرهم على قدر ما يسعه المقام
أما في هذه السورة فان القصة أنت لغرض آخر كأنها شرح لقوله ﷺ في الصحيح ﴿ بدأ الإسلام غريبا
وسيعود كما بدأ ﴾

إن الأمة الاسلامية في أول أمرها كانت قليلة العدد وكانوا مضطهدين من الكفار وهاجر بعضهم الى الحبشة
ثم هاجروا جميعا الى المدينة ثم أعزهم الله فبدأ غريبا لم يكن له نظير في سرعة الرقي والانتشار والمنفعة بعد
الخوف والقلّة والضعف ، ثم ماذا ؟ انهم انتشروا في الأرض وترجوا علوم الأمم فتحقق بذلك كونه - رحمة
للعالمين - لأن أمة حفظت العلم وسلمته الى أعم الغرب والشرق ، والبرهان على عموم رحمة للشرق والغرب
الألفاظ الآتية في العلوم فانها تنطق بلسان فصيح أن محمدا ﷺ رحمة للعالمين في جميع السكرة الأرضية لأنه
لولا أمة ما حفظت هذه العلوم

﴿ الألفاظ العربية في العلوم العصرية ﴾

(علم الفلك)

السمت والنظير

﴿ الكيمياء والطب ﴾

الانبيق . الالكحول . القلى . البورق . الشراب . الجلاب . الاكسير . اللعوق . السا . الكافور

﴿ الموسيقى ﴾

العود . الطبل . الطنبور

﴿ فن الملاحة ﴾

أمير البحر . الترسانة . الحبل . الجلفاظ . الرصيف . الموسم . الفلك

﴿ فن التجارة ﴾

التصريف . الديوان . المخزن . البازار . القيروان . الترجان

هكذا أخذ الاوروبيون عن المسلمين الأرقام الهندية وأصول الجبر والهندسة والنقوش و بناء الحصون والقلاع والسفن الحربية والحجزة والمنار وكثيرا من الفوائد الصناعية والزراعية التي هدت أوروبا الى الحال الحاضرة من العمران والتقدم ، وانما نقلت لك هذا لتفهم هنا قوله تعالى - ولكن رجة من ربك - وتفهم أيضا - وما أرسلناك إلا رجة للعالمين - هذا هو معنى هذه الرجة ، فانظر كلمات العلوم العربية التي لا تزال تنطق بلسان فصيح بهذه الآبة وبقوله تعالى - وانه لذكر لك ولقومك - هذا ما حصل في الزمان الماضي ولكن هذه السورة جاء فيها ذكر قصص فرعون بطريق آخر كما قدمنا لم يقصد فيها شرح السحر والماوازنة بين عصا موسى وعجل السامري بل أريد أن تجعل القصة بابا للحرية والخروج الأذلاء من ذلم فذكر الحوادث الثلاثة عشرة التي بها خرج بنو اسرائيل . يقول للمسلمين اذا وقعتم في الذل فلتخرجوا منه كما خرج بنو اسرائيل وسيكون شأنكم غريبا بعد ذلك كما كان غريبا في أول أمركم ، فاذا تقهقروا أيها المسلمون ولا مناص من تقهقركم - وتلك الأيام نداؤها بين الناس - لافرق بين الأمم والديانات في الأرض كلها فالت الباب مفتوح لخروجكم من ذلك وانظروا قصص بنى اسرائيل فلتخرجوا كما خرجوا واترجعوا المجد الذي فقدتموه ولتكونوا رجة للعالمين كما كنتم سابقا ، واذا كنتم في مجدكم الأول حفظتم العلوم وساعتتموها لادم فاذا رجعت هذه المرة فافرقوا العلوم وعلموا الأمم كيف يكون العدل وعمارة الأرض لأنكم كنتم رجة أولا لمناسبة ذلك الزمان فلتكونوا رجة على حسب الزمان المستقبل ولهذا كله يشير قوله تعالى - ولكن رجة من ربك - بعد ذكر انتصار بنى اسرائيل فيكون الاسلام غريبا في سيره اليوم بأن ينشر أهله بسرعة غريبة لانظيرها كما انتشر في المرة الأولى انتشارا لانظيره ، وكما حفظ المسلمون العلوم أولا ونفعوا الأمم فليرونها من أهلها ثانيا وليرقوا النوع الانساني . هذا ما فهمته من قوله تعالى - ولكن رجة من ربك - وفي التعبير بمعنى التربية اشارة الى ما ذكرناه - والله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصرون يشاء -

﴿ جوهرة في قوله تعالى - إن فرعون علا في الأرض - الى قوله - إنه كان من المفسدين - ﴾

اللهم إنك أنت المنعم المتفضل اللهم ، أنت الرحيم ، رحمت الجنين في رحم أمه ، ورحمت الحشرات في الفلوات والأنعام في المراعي ، لم تدرعنا من العوالم إلا شملته برحمتك . اللهم اننا في هذه الأرض قد غمرتنا رحمتك وشملتنا أنوارك ظاهرا وباطنا كما قلت في سورة الروم - وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة - ولكننا محبسون في حواسنا مغمورون في ذنوبنا وعواطفنا ومطالبنا فصرنا عن فهم النعمة وحولنا عقولنا الى أمور غير عظيمة تحويلا مزريا بانسانيتنا وبشرف أصلنا في العالم العلوي فكأننا بهذا الصنف معذبون ونحن غير عالمين

أنت رحمن رحيم للأفراد وللأمم ، وهذه أمتنا الاسلامية المترامية الأطراف قد بشرت بذور العلم والرقى في الأمم شرقا وغربا ثم دالت دولتها ونامت آمادها وآمادها ، وهاهنا ذه تريد الرقي ككرة أخرى وهذا كتابك بين يدي الآن أكتب هذه الكلمات في تفسيره ، وقد قدرت في علمك القديم أن يكون هذا التفسير في زمان نطلع فيه على عمل سياسات الأمم الاسلامية القديمة والحديثة وعلى سياسة الأمم المحيطة بنا . فهانحن الآن ننظر فنرى آباءنا العرب ومن اهتدوا بهديهم من الأمم بدين الاسلام قد سلطتهم على أرضك وخولت لهم بالملك وأودعتهم ودائعك فقاموا بالأمانة ماشاء الله أن يقوموا ثم خلع الأبناء عن أنفسهم فضائل الآباء وتركوا مواهبهم وناموا وكسلوا وطاروا ولم يقوموا برعاية عبادك كما وصيتهم في كتابك فأخذت منهم أرضك وأعطيتها لغيرهم وقرأنا تاريخهم وعرفنا مدى رقيهم ومدى ضعفهم وتبين ذلك فيما تقدم في (سورة النمل) عندآية - إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها - وما بعد ذلك من أن بيوتهم خاوية بما ظلموا . إذن هذا التفسير اليوم قد جاءت فيه ملاحظات على الأمم الاسلامية السابقة وأن ماتم لهم كله مصداق للقرآن الكريم

ياسبحان الله وياسعدانه ، فكيف نسمع الله عز وجل يقول في (سورة النمل) ما تقدم من إفساد الملوك

للأرض اذا دخلوها ، وكيف يذكر أن بيوتهم خارية بما ظلموا ثم تأتي هذه السورة فيكون مبدؤها فيه هذا هذا المعنى نفسه ونهايتها فيه مصداقه فكان فيها رد العجز على المصدر المذكور في علم البديع . إن تفسير القرآن على هذا النمط في زماننا مرآة ترى فيه آثار الأمم والدول المصداقات لكتابتنا المقدس . أول هذه السورة ﴿ أمران * الأول ﴾ علو فرعون في الأرض مع استضعاف أهلها وجعلهم شيعة وقذيع أبنائهم ﴿ الثاني ﴾ انه مفسد من المفسدين . هذا هو الذي جاء في أول هذه السورة . فانظر أيها الذكي الى ما جاء في آخرها ، ماهو ؟ هو ذكركارون وانه كان من قوم موسى ، فاذا فعل ؟ بنى على قومه وفرح بماله الوفير ونصحه الناصحون فقالوا له - ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين - وهذه القصة القارونية تضمنت ان الله لا يحب الفرجين ولا يحب المفسدين ، ومعلوم أن الفرج صفة لمن يعا في الأرض . إذن هذه القصة تضمنت النهي عن العاؤ المذكور في أول السورة وعن الفساد . إذن قصة فرعون جاءت في أول السورة لنم العلو والفساد ومثلها قصة قارون في آخرها . ثم انظر كيف قال في آخر السورة - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون عاؤا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين - جل الله وجل العلم وجاءت الحكمة . هذا معنى قول الله تعالى - كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير -

انظر لحكم الله عز وجل في القرآن ، أيها الذكي انظر الى القرآن في ظاهر الأمر بغير هذه المباحث ، إن الناظر للقرآن نظرا سطحيا لا يتخيل هذه الحكم ، العربي في البداية عرف تأثير القرآن بغيرته وفطارته ولكننا نحن الآن نقف على جوهره وبدائعه وحكمه . جل الله . إن مانعرفه الآن في حكم القرآن وبدائعه أجل وأرفع مما عرفه علماء البلاغة السابقون . إذن كأن هذه السورة يقصد بها ألا نعا في الأرض ولا نفسد فيها المفسدون في الأرض هم الذين يغلبون الأمم ويحكمونهم ليكونوا عالة عليهم لينزلوهم وليكونوا أشبه بالنور والاسود والذئاب والناس أمامهم كالغزلان والأرانب . وهذه الصفة هي التي وصفها ابن خلدون فيما نقلناه عنه في سورة النمل في الآية المتقدمة في صفة الأمم العربية المتأخرة التي تركت دينها فكان ذلك مصداقا لتخويف النبي ﷺ من فتوح البلدان ومصداقا لقوله تعالى - فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم - ولما ظهر من سورة الأنفال تلك السورة التي جاء نظمها في الحكمة أشبه بما جاء في هذه السورة . ألا تراه تعالى يقول في أول السورة - وان فريقا من المؤمنين لكارهون - الى قوله - واذبحكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم - الخ وما خصص المعنى هناك أن الصحابة رضی الله عنهم كانوا يريدون أن يستولوا على العير التي مع أبي سفيان ويتركوا الجيش الكبير الذاهب الى بدر لمحاربتهم لأن العير التي مع أبي سفيان غنيمة لا تحتاج الى قتال وأما الجيش المتوجه الى قتالهم فانه يحتاج الى قتال وعمل شاق فاختر الله لهم مواجهة الجيش لأن المال ليس هو المقصود بل المقصود اعلاء كلمة الله لا غير واعلاء كلمة الله لا تكون بالاستيلاء على الغنائم بل بمحاربة الرجال والطعن والنزال . وجاء في آخر السورة قوله تعالى - ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يسخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم * لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم * فسكوا بما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله - فتأمل في هذه الآيات وتعجب ، حذر الله المسلمين فقال - تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة - ثم ذكر العذاب وأبان انه ملازم لعرض الدنيا غاية الأمر ان الله أباح الغنائم لنا لأجل حفظ بلاده فهذه الغنائم يلازمها العذاب ولكن الله لم يعذب المسلمين ولم يمنعهم من الغنائم ذلك لأنهم بها كانوا نعمة على الأمم ولكن المفسدون في الأرض من الأجيال التي جاءت بعد القرون الثلاثة لم يجعلوا الغنائم لحفظ الأمم بل جعلوها لشهواتهم وهذا هو الذي يهلك الأمم . فالدمار الذي حل بأهم الاسلام كله تطبيق على القرآن . فاذا رأينا أهل الأندلس كما تقدم في السورين السابقتين هذه صاروا (٢٠) مملكة فافرقها فيما تقدم . واذا رأينا بني العباس في آخر

أمرهم تفرقت دولتهم منذر من في أيام خلافتهم . وإذا رأينا أمة الترك بعد ذلك كانت تفعل تحت خلافة بني عثمان ما كانت تفعله الأمم العربية بعد الصدر الأول أيقنا أن هذا كله تفسير لهذه الآية وأن مال الغنائم المستعمل في غير ما وضع له يجعل الأمم التي ملكته فرحة به مفسدة في الأرض والله لا يحب الفرحين ولا يحب المفسدين ، وإنما فرح هؤلاء بالمال لأنهم وجدوا أن القصد من الحياة هي الذات والنوم والكسل بالعمل وهذه صناعة الديدان في الأرض ، فالتة ينتقم من هذه الأمم بالاذلال ، ومن تأمل أول القصص وآخرها وجدها مطابقتين لأول (الأنفال) وآخرها . وما القصص في القرآن إلا إيضاح للحكم المودعة في القرآن ، فالتة أبان في الأنفال أن عذاب الله يس من يأخذون الغنائم ولكنه أباحه لكم بمقتضى ما سبق في علمه القديم وهو أن أمثال أبي بكر وعمر وكثير من الصحابة والتابعين لم يجعلوا المال وجهتهم فكان عمر يخطب على المنبر بشوب مرقع وأبو بكر يجرم على أهل بيته أخذ شيء من الغنائم إلا للضرورة فهؤلاء هم الذين فهموا القرآن وفهموا فعل النبي ﷺ وفهموا قوله تعالى - إن فرعون علا في الأرض - وفهموا قصة قارون وما فيها من ذم الفساد في الأرض وذم الفرحين ، لذلك تبرؤا من المال . أما مالوك الاسلام فأكثرهم جهلوا هذه المعاني فأنحطت عزائمهم وخارت قواهم وذهبت دولهم لأنهم لم يفهموا لم أحلت الغنائم ولم يفهموا قوله تعالى - لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم - فكان قصة فرعون في هذه السورة وقصة قارون إيضاح لما تقدم في سورة الأنفال من المذكور في أولها والمذكور في آخرها ، ثم اعجب من قول قارون - قال إنما أوتيته على علم عندي - والرد عليه من الله بقوله - أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون - الخ فهذا مثل قوله في (الأنفال) - لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم - ثم انظر الى قوله تعالى - وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا وما يلقاها إلا الصابرون - فهذا فتح باب للعلم والحكمة والعلم هو الذي شرح أمر المال ، فترى الفيلسوف (قابس) قبل الميلاد بنحو (٥٠٠) سنة ألف الكتاب المسمى «لغز قابس» وفيه أبان أن السعادة ليست هي المال وحده ولا الملك ولا الأدب المزور ولا غيرها من عرض الدنيا وإنما السعادة ترجع الى كمال النفس بالصبر والوقار والحلم فاقراً ملخصه في (سورة البقرة) عند قوله تعالى - وبشر الصابرين - الخ وترى كتاب «الكوخ الهندي» المؤلف حديثاً ينحو هذا النحو . وترى أفلاطون في جمهوريته يبين طبقات الحكماء والمحكومين ويذكر أن الأمة اذا حكمتها أهل الطمع في المال وجعه أحاط بها وبهم النذل . فالأغنياء يجمعون المال والشعب يذل وكل منهم في شقاء . والأغنياء مهتدون من الفقراء لقلة الأولين وكثرة الآخرين .

ونظرة فيما تقدم في (سورة النمل) عند آية الملوك المفسدين وغيرها تعرف أن المال آلة للشقاوة عند قوم وللسعادة عند آخرين فهو تابع لعقول المستعملين له شرفا وضعة . إن القرآن لم يهمل نظام الأفراد ولا نظام الأمم بل سلك كل سبيل لاسعادها وإنما هذه الأمم الاسلامية حيل بينها وبينها فهو كتاب يفسره كل علم في الأرض قبله وبعده . ومن عجب أن أكبر الفلاسفة جاء بحثه على مقتضى هذه الآيات . ولقد قرأ أفلاطون وقبله سقراط أن هذه الحياة الدنيا أشبه بالعدم لأن المادة في نظرهم ليست شيئاً مذكوراً . لماذا ؟ لأنها متغيرة وكل متغير متقلب غير ثابت لا يستحق اسم الوجود بل الذي يستحق اسم الوجود إنما هو الدائم والدائم إنما هي النفوس والعقول وفوقهما الله . وبناء عليه وجهوا عقول الناس الى مبدع الكون وازدروا بالدنيا ازدرأ تاماً بهذا البرهان مع أنهم ما أشرف النواميس والقوانين للحكومات ولا جيوش ولا أمم ليعيش الناس بسعادة . اللهم إني لأعجب من كتابنا كيف يكون هذا هو مشربه ثم يجعله المتأخرون . ياسبحان الله . كيف يختم الله السورة بهذه الآية - كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم واليه ترجعون - وكيف يكون نفس هذا القول ملخص آراء أكابر الحكماء في العالم وعليه يجب على أن أكتب في سورة القتال عند آية - فاعلم أنه لا إله إلا الله - تلك الرسالة

المسألة ﴿مراجعة الفلسفة﴾ ليطلع المسلمون بعدنا على ملخص فلسفة الأمم قديما وحديثا ويفهموا كيف يقول أولئك الفلاسفة ان المادة غير موجودة وأن هذه العوالم أشبه بالخيال ، وكيف يتجه أفلاطون وسقراط الى الخير المحض (الله) وكيف يقول علماء أوروبا الحاليين ان علومهم في هذا المقام ليست شيئا مذكورا بالنسبة لعلماء علماء اليونان المذكورين ، وكيف نرى ألمانيا تتبع مذهب (كنت) الألماني فذهب يقرب من رأى أفلاطون إن المسلمين يجب أن يطلع كبارهم وعظماءهم على هذا وواجب على أن يكتبه لهم لينظموا دولهم وعقولهم ومدارسهم على نهج علمي وليكونوا بمنجاة عن الافساد في الأرض الذي ورد في (سورة القصص) هنا وفي (سورة النمل) ولا يدخلوا في زمرة من نهاهم الله في (سورة الأعراف) فقال - ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها - فان الافساد في الأرض انما يفعله الجاهلون الذين ورد ذكرهم في آية - إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها - الخ وفي آية - وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون - وفي آية - إنه كان من المفسدين - وفي آية - ولا تبغ الفساد في الأرض -

إن قرأ هذا التفسير حينما يطلعون على هذا مجرد اطلاع يدخلون في زمرة قال الله فيها في آخر هذه السورة - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا - ولولا أن الله علم أن الأمم العربية التي حلت هذا الدين سيكون من ذريتهم قوم فرحون بالمال وملوك مفسدون في الأرض ماصرح لهم بالنهي عن الافساد في آية - ولا تفسدوا - ولا عرض لهم في آية - فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الأرض - علم الله عز وجل أن آباءنا ستكون هذه حالهم فلا القرآن بهذه الحكم التي تقر بها وتشهد بها تلك العقول الحكيمة أيام اليونان وبعدها ثم غشى على عقول أئمة اسلامية جهلت ذلك واستحلت مرعى البنى والإثم فأذاقهم الله عذاب الخزي في الحياة الدنيا وجعلنا نحن أبناءهم وعلمنا خطأهم وبصرنا وأفهمنا الحقائق فكتبناها واقتبسناها من القرآن وانشرحت بها صدورنا فسيكون خلفنا إن شاء الله خلفا شريفا صالحا نافعا لعباد الله مستخرجوا لكنوز الله التي خباها في الأرض رؤفا بالأمم عاطفا على الانسانية كلها لأنهم عباد ربه وهو يحبه ويجب عبادته والحمد لله رب العالمين . انتهى يوم الخميس ٦ يونيو سنة ١٩٢٩

(الْقِسْمُ الثَّانِي)

وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ * قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ * أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا

وَيَذَرُونِ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا
أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغِ الْجَاهِلِينَ * إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ
وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ * وَقَالُوا إِن تَتَّبِعِ الْهَيْدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفُ
مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ تُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِكَ بَطْرَتٍ مَعِيشَتَهَا فِتْلَةٌ مَسَاكِينُمْ لَمْ
تُسْكِنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ * وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّى
يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ * وَمَا
أَوْتَيْنَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَنَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّا لَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * أَفَنَنْ
وَعَدْنَاهُ وَعَدًا حَسَنًا فَهُوَ لَا فِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ
الْمُخْضَرِينَ * وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ * قَالَ الَّذِينَ حَقَّ
عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا
يَعْبُدُونَ * وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا
يَهْتَدُونَ * وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ * فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ
فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ * فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم) إلى قوله (ونكون من المؤمنين) أي لولا قولهم
إذا أصابهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا أرسلت إلينا رسولا يبلغنا آياتك فنقتبها ونكون من
المصدقين ما أرسلناك . وملخص الآية إنما أرسلناك قطعاً لعذرهم وإلزاماً للحجة عليهم * روى أن مشركي العرب
بعثوا إلى رؤس اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد ﷺ فأخبروهم أن نعتهم في كتابهم التوراة فرجعوا فأخبروهم
بقول اليهود فقالوا ساحران تظاهروا بهذا قوله تعالى (فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى
موسى) أي هلا أوتى الكتاب جلة والسيد والعصا وغيرها مما اقترحنه تعنتاً قال تعالى (أولم يكفروا بما أوتى
موسى من قبل) ومعنى هذا أنهم سألوه الآيات التي اقترحوها كما كان يفعل موسى من خوارق العادات فردّ
عليهم بأنكم قد كفرتم بموسى كما كفرتم بي وبين ذلك بقوله (قالوا ساحران تظاهروا) أي محمد وموسى ساحران
تعاونوا يقوى كل واحد منهما الآخر . ومن قرأ - سحران - فهو بمعنى ساحران وعبر بالمصدر مبالغة (وقالوا
إنا بكل كافرين) أي بكل منهما (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما) مما نزل على وعلى موسى
(أتبعه إن كنتم صادقين) أنا ساحران (فإن لم يستجيبوا لك) دعاءك إلى الاتيان بالكتاب الأهدى (فاعلم
أنما يتبعون أهواءهم) فانهم لو اتبعوا العقل لأتوا بحجة (ومن أضل ممن اتبع هواه) استفهام بمعنى النفي

حال كونه كائناً (بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين) الذين ظلموا أنفسهم بالإنهمالك في الشهوات (ولقد وصلنا لهم القول) أتبعنا بعضه بعضاً في الانزال ليتصل التذكير ووصلنا خير الدنيا بخير الآخرة حتى كأنهم عابنوا الآخرة في الدنيا (لهمم يتذكرون) فيؤمنون ويتعظون ويقيسون أحوالهم بأحوال الأمم * روى أنه آمن أربعون من أهل الانجيل منهم اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من الحبشة ومنهم ثمانية جاؤا من الشام فهذا قوله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون) والضمير للقرآن (وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به) أي بأنه من كلام الله تعالى (إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين) فقلوه - إنه الحق من ربنا - علة لقولهم - آمنا - وقولهم - إنا كنا من قبله مسلمين - أي ليس إيماننا به مستحدثاً بل إنا كنا به مسلمين من قبل لأننا قرأناه في كتبنا الدينية (أولئك يؤتون أجرهم مرتين) إحداهما على إيمانهم بكتبهم ، والثانية على إيمانهم بالقرآن (بما صبروا) أي بسبب صبرهم وثباتهم على الإيمانين (ويدعون بالحسنة السيئة) يدفعون بالطاعة المعصية كما قال ﷺ « أتبع السيئة الحسنة تمحها » ويدفعون ماسمعوا من أذى المشركين وشمهم بالصفح والعفو (ومما رزقناهم ينفقون) في سبيل الخير (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه) تكرر ما (وقالوا) للآمين (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم أجمع) متاركة لهم وتوديعاً (لانتفى الجاهلين) لا نطلب صحبتهم ولا نزيدها أولانريد أن نكون من أهل الجهل والسفاهة لأننا نرفع عنهم (إنك لاتهدي من أحببت) لاتقدر أن تدخله الاسلام (واسكن الله يهدي من يشاء) فيقذف في قلبه نوراً يشرح صدره للإسلام (وهو أعلم بالمهتدين) المستعدين لذلك * روى مسلم قال نزلت في رسول الله ﷺ حيث راود عنه أبا طالب على الاسلام إذ قال النبي ﷺ له عند الموت « يا عم قل لإله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة قال لولا أن تعيرني قريش يقولون إنه حله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك » وهذه وإن كان نزولها على ما ترى ليست خاصة بذلك ، أنها قاعدة عامة ، فتجد المستعدين للحكمة والعلم والهدى أناساً لا تجمعهم رابطة ولا بلد ولا أمة ، فتجد أن المستعدين للفنون والعلوم والحكمة يخلقون ونفوسهم قابلة لذلك فالمدار على الفطرة الأصلية لا على القرابة وأمثالها * جاء الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف إلى النبي ﷺ فقال نحن نعلم أنك على الحق ولكننا نخاف أن اتبعناك وخالفنا العرب أن يتخطفونا من أرضنا فنزل قوله تعالى (وقالوا إن تتبع الهدى معك تتخطف من أرضنا أولم نمسكن لهم حرماً آمناً) أي أولم نجعل مكانهم حرماً ذا أمن فإن العرب كانت في الجاهلية يغير بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضاً وأهل مكة آمنون أي كانوا وذلك حرمة الحرم فهو مكان منعنا عنه الأذى عن عداء وأغدقنا النعم على أهلها ، فالشرع عنه مدفوع والخير إليه وارد وهذا قوله (يجي إليه) يحمل إليه ويجمع فيه (ثمرات كل شئ) من الشام ومصر والعراق واليمن (رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون) أي جهلة لا يتفطنون ولا يتفكرون في أن حرمتهم آمن من الغارات تجي إليه الثمرات فالشرع عنه نازح والخير إليهم وارد وهم في ذلك على طريقة أكثر أنواع الأناسي جهلوا ما هم فيه من نعمة العقل والأعضاء والجوارح والسموات والأرض والأنهار والجبال والنعم التي لا حصر لها فكل يجهل النعم العامة . فإذا قال الله في أهل مكة - ولكن أكثرهم لا يعلمون - قال في الإنسان كله - إن الإنسان لفي خسر - واستثنى بعضه وقال - إن الإنسان لظالم كفار - وقال - قتل الإنسان ما كرهه - فهذا هو الكفر وهذا هو الجهل . فلافرق بين جهل الجاهل بنعمة الحرم وجهل الجاهل بنعمة المال والولد والجسم والعقل والحواس والسموات والأرض . لافرق بين البكل والجزء فالناس لإقليلاً يجهاون هذه النعم لا أهل مكة وحدهم - إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم - ثم أشار الله لذلك فقال لم يختص أهل مكة بهذا البطر بل سبقهم أمم فبطروا فهلكوا وهو قوله (وكم أهلكتنا من قرية بطرت معيشتها) أي وكم من أهل قرية أثرت وطغت ويطرت أي ساء احتياها للنعم كذاكم في ذلك فخرّب الله ديارهم (فتلك مساكنهم)

خاوية (لم تسكن من بعدهم إلا قليلا) أى لم يسم منها إلا أقلها وأكثرها خراب (وكنا نحن الوارثين) أى لم يختلفهم فيها أحد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر متصرفاتهم (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا) أى ما كانت عادته سبحانه أن يهلك القرى حتى يبعث رسولا في أكبرها وأعظمها لأن أهلها يكونون أفطن وأنبل كمكة وأهلها (وما كنا مهلكي القرى إلا أول أهلها ظالمون) بتكذيب الرسل أو الجهل والمعاصي وطر النعمة وما أشبه ذلك ، وكيف قصرتم نظركم على الحياة الدنيا ، أفلاتعلمون أن النفوس الإنسانية حياة ودواما (ومأوتيتهم من شئ) من أسباب الدنيا (فتتاع الحياة الدنيا وبتتها) تمتعون به وتترضون مدة حياتكم المنقضية (وما عند الله) وهو ثوابه (خير) في نفعه من ذلك لأنه لذة لا يخاطبها كدر (وأبقى) وأدوم لأنه لا آخر له (أفلاتعقلون) فتستبدلون الفاني بالباقي (أفمن وعدناه وعدا حسنا) وهو الجنة (فهل لاقيتم) مدركة (كن متعنا متاع الحياة الدنيا) الذي هو مشوب بالآلام الكدر والانتقطاع (ثم هو يوم القيامة من المحضرين) للحساب والعذاب وثم للترخي في الزمان وهذه الآية زيادة بيان لما قبلها والاستفهام بمعنى النفي أى لا يستويان فإن الحسن الباقي خير مما ليس بحسن وهو منقطع * ثم أخذ يبين ما يلاقونه يوم القيامة بيانا لقوله - ثم هو يوم القيامة من المحضرين - وظهرارا لما قضتهم الحساب (و) اذكر (يوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) أى الذين كنتم تزعمونهم شركائي (قال الذين حق عليهم القول) بثبوت مقتضاه وهو قوله تعالى - لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين - (ربنا هؤلاء الذين أغوينا) أى هؤلاء هم الذين أغويناهم ثم استأنف فقال (أغويناهم كما غوينا) أى أضللناهم كما ضللنا ففعلن لم نفعل إلا ما هو من عادتنا وسجيتنا ولم نفوهم إلا لما وجدناهم قابلين كما لا يقع الذنب إلا على عين قدرة فليس ذنبهم علينا وإنما عيبهم عليهم هم لأنهم مشاكرون لنا ولو كانت نفوسهم أرقى ما أضللناهم ولا أغويناهم لعينهم المناسبة والمشاكلة ، فإذا فعلنا ما كان من طباعنا فهم فعلوا ما كان من طباعهم فلا يلومونا ولا يؤموا أنفسهم (تبرأنا إليك) منهم فليس علينا ذنبهم (ما كانوا إيانا يعبدون) وإنما كانوا يعبدون أهواءهم وهل الذنب على الذباب إذا وقع على العين القنطرة إنما العيب على صاحب العين لأنه لم ينظفها ولو نظفها لتباعد الذباب عنها طبيعة فهكذا هؤلاء هم المعلومون لأنهم ، هكذا الأمم الإسلامية اليوم لقلة العلم فيها يرسل أهل أوروبا لهم أقواما من المظماء منهم يعطونهم أموالا ليسوا فيهم أن هؤلاء يحكمونهم ويحفظونهم من غوائل الأمم ويدخلونهم تحت حمايتهم ورجعتهم فيطيعهم هؤلاء فيقول الأوروبي ليس الذنب على إنما أنت جاهل ومن طبعك أنك ضعيف ولا تفهم إلا الحياة الحيوانية فأنا استعبدتك لأنك جاهل ، ولو كنت متعلما ناظرا في هذه الدنيا وفيما خلق الله في السموات والأرض حافظا للنفوس متسلحا بالأسلحة التي تقيك من تجاسرت أن أكلمك ، وكيف أجسر أن أكلم من هو مثلي أن يدخل تحت حكمي فليس العيب على في استعبادك ولكن العيب عليك لأنك أهل أن تخضع للأقوى لضعفك وجهلك (وقيل ادعوا شركاءكم فدعوههم) من فرط الخيرة (فلم يستجيبوا لهم) لمجزيهم عن الاجابة ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون) أى لو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا مارأوا العذاب في الآخرة ، ثم ان هؤلاء يسألون (سؤالين) سؤالين عن إشراكهم بالله وسؤالين عن تكذيبهم الأنبياء ولما ذكر الأول أتبعه بالثاني فقال (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين) أى ما كان جوابكم لمن أرسل اليكم من النبيين (فعميت عليهم الأنباء يومئذ) أى خفيت واشتبهت عليهم الأخبار والأعذار والحجج فلم يكن لهم عذر ولا حجة (فهم لا يتساءلون) لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة فهم إذن يستنون (فأما من تاب) من الشرك (وأمن وعمل صالحا) أى جمع بين الإيمان والعمل الصالح (فمسي أن يكون من المفلحين) عند الله ، ثم ان عسى تحقيق على عادة السكرام . انتهى التفسير اللفظي للقسم الثاني من السورة

﴿ جوهره في قوله تعالى - ولقد وصلنا لهم القول - الخ ﴾

(حديث يبنى وبين العالم صديق الذي اعتاد أن يباحثني في هذا التفسير)

بعد أن كتبت مانصه ﴿ ان توصيل القول لهم فيه معان غزيرة ومجائب وحكم ﴾ حضر صاحبي فقال أتريد أن تولد هناماني من هذه الجلة ، هذه جلة مفهومة بنفسها وانك بهذا تطيل التفسير إطالة ربما لا تكون مجدية وربما يسأم منها كثير من الناس . فقلت له إني أرى أن هذا غير إطالة إنما التطويل هو القول الذي يكون أشبه بالمكرر وما سأكتبه هنا ليس بالمكرر بل هو حكمة أزيّفت للناظرين ، وحسناء أسفرت للعاشقين ، وحوراء برزت للمحبين

كأنما تبسم عن أولئ * منضد أوبرد أواقح

جئت الى اعتدال قوامها وحسن شكلها زينة حلاها وفصاحة لسانها وجمال جنانها وحسن خلقها ورجاحة عقلها ، بها هام العاشقون ، وبحديثها طرب السامعون ، ألافلاً كشف لك عنها القناع بعد أن تنقد مهرها ، فقال وماهرها ، قلت أن تشعر أن جسمك وروحك قد أحضرت صورتها أمامك وأخذت تدرسهما ومتى فهمتهما فهمت معنى التوصيل وهنا لك يتم لك الوصال . فقال إذن توصيل القول في الآية يعوزه دراسة جسمي ودراسة روحي . فقلت نعم . فقال إذن هذا تطويل لأنه تكرار كما قلت لك أولاً لأن دراسة الروح قد تقدمت في مواضع كثيرة . فقلت له لكل مقام مقال والحديث ذو شجون والكلام ذو ألوان

فلا تدوم على حال تكون به * كما تلون في أثوابها الغول

هذه الدنيا عروس ذات ألوان ونحن خلقنا فيها فطيناً أن نبرز علومها ببسائط الألوان وأقاني الصور ومختلف الأصباغ . فقال وكيف ذلك . فقلت إن ذلك منا إنما هو نسج على منوال مانرى في وضع الحكمة في خلق أجسامنا ، نحن نأكل ونلبس لمنافعنا وهذه المأكول والملابس والأصباغ والزينة والأزهار والطيور المفردة . لم يكن شعورنا بها ولا علمنا بمحاسنها من طريق واحد بل الطرق لعلمها مختلفة . فهذا التفاح نلمسه بأيدينا ونذوقه بألسنتنا ونشمه بحاسة الشم ونسمع صوت وقعته على الأرض بحاسة السمع ونرى شكله بحاسة البصر ، فهذه طرق خمس نعرف ثمره التفاح ، إن الحكمة قضت أن لا يكون العلم بالتفاحة عن طريق واحدة بل نرى لنا حاسة نلمسه من قرب وحاسة ذوق تحس بحلاوته فاحساس الحلاوة غير احساس النعومة فالحلاوة بالذوق فتحت الباب لأكلها وتمثلها بأجسامنا ، فأما الحرارة والبرودة والنعومة والثقل والخفة التي عرفناها باللمس فهي أقرب درجة من الطعم الذي هو أقرب الى استهلاكها من الثقل والخفة ، وحاسة الشم وظيفتها أنها تتقبل ذرات دقيقة منفصلة عن التفاحة واصله اليان من الهواء فنشوقنا لاجتماعها

أما حاسة السمع فالواصل لها من التفاحة اذا سمعت وقعها إنما هو الحركات الآتية في الهواء فهي حاسة الظم من سوا قربا . فأما حاسة البصر فانها الظم والظم لأن الرسول الموصل لها إنما هو الضوء وهو الظم من الهواء الذي استعماله الشم والسمع

فلما سمع صاحبي ذلك قال: هذه أقوال غريبة . ان المقام مقام سؤال مني لك في مسألة التوصيل في الآية فأجبتني بدراسة الجسم والروح . فقلت أنا فيه تكرار فأجبتني قائلاً إن العلم يجب أن يتنوع ويكون أصباغاً وألواناً ثم أخذت تقول إن الله جعل السوال التي حولنا تصل لنا من طرق شتى وضربت مثلاً بالتفاحة فاننا نعرفها بلعصها وذوقها وشمها وسمع صوتها ورؤية شكلها فهل ذلك القول هو نفس المقصود من تفسير الآية ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ هو نفس الأسلوب الذي نتوصل به الى معنى التوصيل في الآية أم هو بيان نظام الله في تعليمنا الذي نقيس عليه تعليم أئمتنا العالوم من حيث التفنن ، إني أرى أن هذا الذي تكتبه يظهر لي انه شروع في الأمرين معا أي أنك أردت أن تضرب بحجر واحد طيرين . فبينما أنت تمثل لتنوع المناهج في تعليم الناس العالوم بما فعله الله

في جسم الانسان من الحواس التي تدرك التفاحشة بأنواع من الادراك رحمة من الله بنا أن يرينا بطرق مختلفة لزيادة العلم . إذ أنت بنفس هذا المثال أخذت تشرح المقصود وهو الجسم والروح اللذان أردت أن أتصورهما أسمى وأفهمهما وبهذا الفهم أصل المعنى التوصيل في الآية وبعض سره . فقلت لقد أحسنت . نعم اني بهذا التمثيل أبين الأمرين معا . أبين أن تعاليم الأمم الاسلامية وغير الاسلامية يجب أن يكون على طرق شتى وكلها ترجى الى غرض واحد كما أن الله لما خلق العالم وخلق الانسان فيه جعل علمه بما حوله بطرق مختلفة ليحيط به علما على مقدار طاقته ويكون من نتيجة هذا أن أفهمك معنى . ولقد وصلنا لهم القول . قال فاضرب لي مثل ذلك حتى أعقله . فقلت انما مثل الانسان في هذه الأرض كمثل مالك عظيم الشأن رفيع المقام على المنزلة واسع الملك كثير الجنود والأعوان . ولا جرم أن مثل هذا الملك له عاصمة يعيش فيها وله بلاد نائية عن العاصمة ، فيها ماهو قريب من العاصمة ومنها ماهو بعيد عنها ، فأهل العاصمة يمكنهم المشول أمامه بأنفسهم ورفع قضايهم له بدون رسول . قال نعم . قلت وسكان القرى المتوسطة في البعد يمكنهم أن يرسلوا نوّابا عنهم قال نعم . قلت وسكان القرى التي هي في أقصى بلدانه يقدرّون على محادثة الملك بارسال رسائل كتابية بطريق البريد المعروف أو بطريق الحمام الزاجل أو بطريق البرق (التلغراف) قال نعم كل هذا ممكن . قلت هذه صفة الانسان في هذه الدنيا . إن الملك في عاصمته له أعوان يحيطون به في نفس قصره وله خواصّ يعيشون في عاصمته . قال نعم . قلت فالأعوان المحيطون به من خدام قصره يراهم كل حين . فأما ضواحي المملكة فانه يراهم حيناً بعد حين لصالح المملكة . قال نعم . قلت هكذا هذا الانسان هو هذا الملك والعاصمة هي جسمه فأما الحرّ والبرد والثقل والخفة والنعومة والخشونة وما أشبهها وهي (عشرة أحوال) من أحوال المادة فانها تحيط بالجسم وهي تعرف بحاسة اللمس فقد أشبهت أعوان الملك المقيمين معه بقصره . وأما طعم التفاحة وطعوم الماء كل المختلفة من الحلاوة والملاوحة والخرافة ونحوها فالتقائم بها حاسة الذوق التي هي أرق من حاسة اللمس لأن حاسة الذوق هي أشبه بوزراء المملكة الذين يترددون عليها أنا فآنا ليتشاوروا معه في حياتها وأصلاحيها ثم إن المشمومات والمسموعات أشبه بسكان المملكة الذين ابتعدوا عن عاصمة الملك ، فأما المشمومات فانها ترسل ذرات دقيقة جدا كذرات المسك التي تتطاير في الهواء كل حين ولشدة دقتها لا يظهر أثر النقص فيه على طول الزمان فهذه الذرات التي تخللت الهواء لم تخرج عن كونها نماذج من جرم التفاحة المخلوطة في الشجرة أرسلت مع الريح يشمها الانسان فهي أشبه بالوفود التي أرسلها سكان القرى المتباعدة عن المملكة ليعرف الملك مقدار طاعتهم ممن حضروا منهم ونابوا عنهم في الخضوع أمام الملك وتقول تلك الذرات التي نسميها رائحة أيها الملك اتنا طائعون لك فهل ترغب أن يحضر بقية الجماعة ليكونوا خدما لك وعبيدا بل سيصبحون جزءاً من جسمك ولحاً ودماً وعظاماً ومخاً وعينا وأذنا . ولا جرم أن هذه الذرات أغلظت من الحركات لأن الحركات عرض والذرات جسم ثم إن حركات تلك التفاحة في الشجرة وهي تترنح يمينا وشمالا وتعايق الأوراق وتضاحك القمر والنجوم وتفرح وتمرح وترسل تلك النغمات في أمواج الهواء فيسمعها صاحب البستان تعطي نفسه شوقا وتوقا الى احضارها والتغذى بها وهذه أشبه بارسال البريد بالخط والرقم في القطارات أو مع الحمام الزاجل ولا جرم أن الحركات في الهواء وسماعها ألطف من الذرات المشمومات في الهواء كما أن حاسة السمع أشرف من حاسة الشم فتلك أقرب الى عالم الروح وهذه أقرب الى عالم المادة ، ثم إن صورة تلك التفاحة لا يحملها الذسيم ولكن يحملها عالم الأثير الذي يمتوجج وبتوجه آلاف آلاف المرات في الثانية يحدث لنا ما نسميه ضوءا فهذا الضوء يحمل تلك الصورة ويدخلها في حدقات العين المركبات من أغشية متناسقة معدة لقبول تلك الصورة فتعجبنا فننارها . هذه هي الفنون وأنواع الطرق وألوان الطرق العالمية التي أبدعها المبدع الحكيم في صورة الانسان فلم يقتصر الانسان على

- (١) لمس التفاحة
 (٢) ولاعلى ذوقها
 (٣) ولاعلى الاحساس بأجزاء منها بحاسة الشم
 (٤) ولم يقف عند سماع حركات الهواء بسبب تحركها
 (٥) بل تعالى الى عالم الأثير وضوئه فارقت هذه النفس الى عالم الأفلاك ، لماذا ؟ لتعرف التفاحة فهي إذن استعانت بكل ماحوطها ، استخدمت اللمس مباشرة والهواء والضياء وهذا الضياء مسافر لها من أقصى العوالم التي ربما كان ضوؤها قد سافر اليها منذ مائة مليون سنة نورية (اقرأ هذا في سورة الفرقان عند قوله تعالى - تبارك الذي جعل في السماء بروجا - فانك ترى هناك هذا المقام مشروحا وأن من الأجرام السماوية ما بعده عنا مائة مائة مليون سنة نورية) هذه مراتب العلم عند الانسان
 (٦) إن العين كما تدرك صورة التفاحة بنفسها تدرك اللفظ الدال عليها مكتوبا بصناعة يدها
 (٧) وتدرك صورة رسمها بالآلات المصورة فهي إذن تعرف من ﴿ طرق سبعة ﴾ ثلاث منها بطريق البصر والأربعة الباقية بطرق الخواس الباقية
 ثم إن الخواس الثلاث الأولى أقرب الى العالم الأرضي فلذلك كانت صناعاتها سهلة قريبة المنزل . أما حاسة السمع والبصر فانهما أقرب الى عالم الأرواح ولذلك ترى أن حاسة السمع تسمع كل ماحولنا قريبا وهذا المسموع يشمل كل ماهو قريب وكذا ماهو بعيد باللفظ لأن الكلام يعبر عن كل موجود قريبا أو بعيدا والبصر كما يدرك نفس الأشياء يدرك صورها التي صورت بالآلات التصوير . هذا هو الشرح الذي أردت أن أبينه لك أيها الصديق . وههنا ﴿ نتيجة الأولى ﴾ ان العاوم والمعارف في هذا النوع الانساني يجب أن تنوع وتكون لها طرق مختلفة ، وقد عرف هذا علماء البيداغوجيا كما تقدم في تفسير سورة الفاتحة فانهم يقولون للدرسين لسمع التلميذ القول وليكتبه هو بيده وليكن مكتوبا بخط جميل ولتكن صور الأشياء مرسومة أمامه إذن يشترك السمع من المعلم وبصر المتعلم وكلام نفس المتعلم وكتابته للكلمة وصور الأشياء المرسومة أمامه كلها تشترك في تفهيم التلميذ . إذن علماء تعليم الأطفال أخذوا يدركون الحكمة الأولى وهي حكمة صانع العالم انه أرانا ماحولنا بطرق مختلفة . فهاهم أولاء أخذوا يسيرون على منواله ومن ضل طريق الصانع الحكيم عاش جاهلا ، هذه هي النتيجة الأولى التي جاء الكلام عليها عرضا . أما ﴿ النتيجة الثانية ﴾ وهي المقصود من أصل المقال فهي ان الله عز وجل جعل جسم الانسان كأنه النور وكأنه بطارية كهربائية وخلقه مناسباً لما حوله ومهد السبيل لانتفاعه بكل ذلك ، فالنور والهواء ونفس الأجسام كلها مستعذات لا بلاغه العلم ولنفعته . إن الله لما خلقه أراد أن يرفعه الى عالم أعلى ولا طريق الى رفته الى عالم أعلى إلا العلم فخطه بطرقه وأكثر منها وابشاه بالآلام واللذات والمرض والصحة والموت والحياة . كل ذلك ليوقظه للعالم الذي هو مسوق اليه فأكثر من الطرق لينجيه ليخرجه من هذه الأرض الضيقة وجعل في الأرض حكما وعلماء وأنبياء فهؤلاء زادوا فوق الخواس وانما زادهم في الأرض ليساعدوا هذه الخواس وهذه المزعجات من حوادث الأيام والليالي على خروج الانسان من مضائق الأرض فأسمعهم أقوالا توقظهم الى عوالم عرفوها تارة بعقولهم كالفلاسفة وتارة بالوحى كالأنبياء فهؤلاء استعملوا حاسة السمع فسمعوا الكتب السماوية ومنها القرآن . ان البصر ازداد قوة برسم صور الأشياء بعد رؤية نفس أجسامها وبخط الألفاظ الدالة عليها بوضع اللغات المختلفة شرقا وغربا هكذا السمع فضلا عن سماعه حركات المخلوقات سمع الألفاظ الدالة عليها ثم هو فوق ذلك سمع ما أنتجته العقول أوجاء به الوحى . كل ذلك تكميل للنفس لارتقاها الى العالم العاوى وازعاجها عن هذا العالم الضيق فقوله تعالى - ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون - نبيان لآخر ما يترب من حاسة السمع وهو سماع الوحى

الوحى الذى يأتى للنفوس بما يحدث فيها حكمة فستيقظ بعد الغفلة وتتلقى أشعة من نور الحكمة والعلم فتنبعث لدراسة ماحولها ، وهذا الذى كتبته الآن لم ينبعث فى نفسى إلا عند قراءة - ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون - فهذه الذكرى التى وصلت إلينا من هذه الآية

فقال صاحبي هذا بيان حسن و يظهر أن هذا الجسم الانسانى مستودع علم فعليه نظام الدول الأرضية كما فى كتابك ﴿أين الانسان﴾ وبه علم (البیدادوجيا) أو علم تعليم الأطفال ، وبه الازدياد فى الحكمة ودراسة العلوم الطبيعية وعلم الفلسفة . فقلت نعم إن نوع الانسان بعدنا سيكون فيهم أناس أبرع من العلماء فى زماننا أما الأمم الاسلامية فان حوادث الدهر ومزيجات الليالى والأيام وأمثال هذا التفسير كلها متعاونات على اخراج أجيال منهم يكونون - خيرامة أخرجت للناس - وسينهجون منهج ما أكتبته فى هذا التفسير وسيكون منهم حكماء وعلماء يتلعون علوم الشرق والغرب بعشق وغرام وحب ولا يثنونهم عن ذلك الجلال عائق وهم الذين يقولون إن الله قد جعل أجسامنا مستمدة من كل ماحولها ، فعلمنا أن نستمد من كل مخلوق فنتعلم كل علم وندرس كل موجود ، ومتى قصرنا فى أى عالم من العوالم التى حولنا فالتة لنا بالمرصاد ويقول لنا أيها الناس أنا لم أترك فرصة إلا انتهزتها لتعليمكم ولم أقف عند اللبس والالشم ولا البصر بل خلقت لكم اللغات المعبرات عن صور الموجودات ووصلتها لكم تكثيرا للعلم ، فاذا أغمضتم العين ولم تسموا ولم تلمسوا أرسلت المعانى بطرق الألفاظ حتى ان هذه الحاسة كأنها جميع الحواس ، فاذا كانت هذه أعمالى فعليكم أن تتخلقوا بأخلاق ولا تدعوا فرصة إلا انتهزتموها فانتفعوا بكل شئ بالهواء وبالماء وبالنور وبكل موجود فهذا هو التوصيل وهذا هو حديث حجة الوداع ﴿ليبلغ الشاهد منكم الغائب قرب﴾ مبلغ أوعى من سامع ﴿وهؤلاء هم الذين يعقلون قوله تعالى - ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون - هؤلاء وأمثالهم من أصحاب النبى ﷺ ومن على شاكلتهم هم الذين يتذكرون . انتهى صباح يوم الجمعة ٢٥ يناير سنة ١٩٢٩ والحمد لله رب العالمين

واعلم أن هذا القسم إلزام للكفار واحتجاج عليهم وقطع لأعدائهم بعد أن مهد لهم السبيل بذكر قصص موسى حتى يكون مدخلا للكلام معهم ومحاطبتهم وقطع أعذارهم ، ثم أعقبه بالقسم الثالث وهو من قوله تعالى - وربك يخلق ما يشاء ويختار - الى قوله - وضل عنهم ما كانوا يفترون - وهو تذكير بآيات الله سبحانه فى الأرض والسموات كما ذكرهم فى القسم الأول بآياته فى الأمم الماضية حتى تتضافر الدلائل وتتحد الحجج فأخذ يذكر أنه سبحانه هو وحده مصور الصور باختياره يخلقها كما يشاء لاراد لقضائه فلا شريك له كما يزعمون وعلمه محيط بما ظهر وما بطن وهو محمود فى الدنيا والآخرة وقضاؤه نافذ ، ومن أعظم نعمه أنه لم يجعل ظلام الليل دائما ولا نور النهار دائما بل أدار الأفلاك فكان ليل ونهار لينام الناس ليلا ويعملوا للرزق نهارا ، واليك بيان القسم الثالث

(الْقِسْمُ الثَّالِثُ)

وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ *
وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ * وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى
وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى
يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَوْ لَظْلَامًا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ
عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا

تُبْصِرُونَ * وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ الَيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَمَّا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ * وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ * وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ *

التفسير اللفظي

قال تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار) أى وربك يخلق ما يشاء ويختار ما يشاء لا موجب عليه ولا مانع منه ولذلك كان هذا العالم على غاية النظام والانتقان والابداع فليس لأحد من المخلوقين اختيار فى شئ من ذلك (ما كان لهم الخيرة) أى التخير كالطيرة بمعنى التطير فليس لهم أن يختاروا على الله شئاً ما وله الخيرة عليهم ومما يدخل فى هذا أنه له أن يرسل من يشاء رسولا فلا يجعل ذلك منوطا بمال أو بجاه فيسقط بذلك قوْلهم - لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - وهما الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي فأنه مطلق التصرف وهو أعلم بمن استعدادهم قابل لذلك (سبحان الله) تنزيها له أن ينازعه أحد أو يزاحم اختياره فإذا أراد النبي ﷺ أن يهدى أحدا من أحبائه أو أراد أهل مكة أن يرسل الله رسولا من عظمائهم قال الله ليس لكم من الأمر شئ ، فلا النبي يهدى عمه ولا أهل مكة ينالون أن تكون الرسالة فى عظمائهم تنزيها لله (وتعالى عما يشركون) عن اشراكهم . ولما كانت القدرة المسبوقة بالإرادة المعبر عنها بالاختيار يتقدمها العلم الذى هو مقام على الإرادة أعقبه بقوله (وربك يعلم ما تكن صدورهم) تخفى (وما يعلنون) يظهر من فاعل الاختصاص بالعلم بالاختيار فخلق ما يشاء كما يشاء (وهو الله لا اله الا هو له الخد فى الأولى والآخرة) ذلك انه يحمد المومنون وأوليائه وأنبيائه فى الدنيا ويحمدونه فى الآخرة مثل قوْلهم - الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن - وقوْلهم - الحمد لله الذى صدقنا وعده - (وله الحكم) القضاء النافذ فى كل شئ (واليه ترجعون) بالنشور (قل أرايتم) أى أخبرونى يا معشر الكفار (إن جعل الله عليكم اليل سرمدا) دائما (الى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء) يقول الله أخبرونى من إله غير الله يقدر أن يأتيكم بضياء إن جعل الله عليكم الخ (أفلا تسمعون) سماع تدبر واستبصار وكان الانسان اذا جئ عليه الليل وفرض أن الشمس لا تطلع يقول فى نفسه ذلك فعب بالسمع لأن الليل يناسبه السماع والنهار عكسه (قل أرايتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه) استراحة من التعب (أفلا تبصرون) ولما كان الضوء فى نفسه نعمة والظلمة انما هى عدم الضوء لم يصف الضوء اكتفاء بذكره هو ووصف الظلمة لتبيان فائدتها (ومن رحمة جعل لكم اليل والنهار لتسكنوا فيه) بالليل (ولتبتغوا من فضله) فى النهار بالمكاسب المختلفة والتنقل فى الأسفار والقلب فى الأعمال (ولعلكم تشكرون) أى ولكي تعرفوا نعمة الله فى ذلك فتشكروه عليها ولا شكر لغيره لأنه لا يكوّر النهار على الليل ولا الليل على النهار إلا الله تعالى فلذلك يعترف الكافرون بهذه الحقيقة على رؤس الأشهاد يوم القيامة بعد أن جهاوها أو تجاهلوا فى الدنيا وهو قوله تعالى (ويوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون) هذا تسكر يزلزلون على اتخاذ الشركاء فهو فيما تقدم دليل على فساد آرائهم وهنا تقرير أنه لا حجة لهم ولا شبهة وانما هو هوى وشهوة وهو قوله (ونزعنا) أخرجنا (من كل أمة شهيدا) وهو نبيهم - يشهد عليهم بما كانوا يعملون (فقلنا) لا أثم (هاتوا برهانكم) على صحة ما كنتم تدعون به (فاعلموا) حينئذ (أن الحق لله) فى أن الله ألوهيته لا يشاركه فيها أحد (وضل عنهم) وغاب عنهم كما يغيب الضائع (ما كانوا يفترون) أى يخلقون فى الدنيا من الكذب على الله . انتهى التفسير اللفظي للقسم الثالث من السورة

﴿ عجائب القرآن في هذه الآيات ﴾

تأمل قوله تعالى - وله الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون - تأمل في هذا وتجب كيف يقول هنا - وله الحمد في الأولى والآخرة - نعم الله محمود في الدنيا يحمدونه الناس على ما عرفوا من نعم يحمدونه إذا أحسوا بها ، فيحمدونه الفقير متى أحسن بالغنى ، ويحمدونه المريض متى نال الشفاء ، ويحمدونه الذليل متى أحسن بالعز . وبالجملة حمد الناس وثناؤهم على ربهم إذا أحسوا بنعمه وذلك عام في جميع النوع الانساني ، فأما في أوقات الفراغ وهذوء البال فان الناس لا يتذكرون نعمته ربهم فلا يذكرون صحة البدن ولا قوته ولا العقل المركوز فيهم ولا الذكاء ولا يفكرون في نعمة الولد والأهل والأصحاب والأقارب ولا نعمة نظم المدن التي تحفظهم ليعيشوا فيها ، ولانعم السموات والأرض والكواكب والشمس والقمر والأنهار والبحار فالداس ماداموا في خفض وسعة الرزق وبحبوحة العيش فانهم غافلون . لذلك أرسل الله رسوله ﷺ والأنبياء قبله ليدذكروا الناس بالنعم ليدرسوها متى درسوها أحسوا بها ومتى أحسوا بها حمدوا الله عليها . ولما كان النبي ﷺ آخر الأنبياء وأمر بالحمد كما رأيت في (سورة النمل) إذ قال الله له - قل الحمد لله وسلام على عباده - أمر ﷺ أن يصلي المسلمون بفاتحة الكتاب فقال ﴿ لاصلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب ﴾ وانما قال ذلك لأن الله أمره بالحمد ولا حمد إلا حيث تعرف النعمة لأن النعمة التي لا يعرفها الانسان لا يحمد عليها كما لا يحمد الأشياء على العافية ولا المبصرون على خلق أعينهم اذا لم يعترفهم مرض فيذكروهم . لهذا ترى المسلمين في أقطار المسكونة قد اتخذوا الفاتحة شعارهم وتسمع في كل آن وقت الصلاة وفي خارج الصلاة قولهم ﴿ الحمد لله ﴾ وفي عقب الأكل وعقب كل نعمة ﴿ الحمد لله ﴾ فهذا من الحمد في الدنيا . ولا جرم أن الحمد يتقدمه العلم بالمحمود عليه حتى تشعر النفس بالنعمة . فالشعور إما بحادث طبيعي أو بطريق علمي والحادث الطبيعي المذكور بالنعم غير دائم بل هو قليل لأنه خاص بالمصائب والأمراض . أما الطريق العلمي فهو عام في النعم الجزئية والنعم الكلية . فبه تعرف نعم السموات والأرض والأنهار وخلق هذا العالم حتى يدرك الانسان أن هذه كلها مساعدة له على بقائه ونعمها واصله اليه بل يرى أن الناس جميعا ينفعونه في أمته وفي غير أمته ، فإذا كان العالم كله نافع له لافرق بين شمس وقمر وبحر وأمة نشأ فيها وأمة لم ينشأ فيها ، فالعلم يعرف الانسان هذه العوالم فيحمد عليها ويعرفه أن الناس اخوانه فيحبهم ، ومتى حمد الانسان على نعم الله في الدنيا حمد عليها يوم القيامة بل لا حمد في الآخرة إلا اذا تقدمه حمد في الدنيا إذ لا حمد حقا إلا على علم والعلم في الدنيا باق في النفس بعد الموت فمن لا يدرك هذا الوجود في الدنيا لا يدركه في الآخرة ، فاذا حمد العائمة والجهال ربهم على طعام أو شراب أو مال أو جاه ، فالعالم أرقى وأرق لأنه يحسن في نفسه بحمد الله كلما نظر كوكبا أو نباتا أو حيوانا أو هبت ريح أو جرى نهر لأنه يراها كلها متعاضدة متعاونة لخدمته وخدمة الناس بل يحمد الله لذلك الجمال البديع والبهجة والرونق والحسن ويرى هذا العالم كله جيلا فيكون الحمد أجلى وأبهى وأدوم وأبهج وأجل وهذا الجمال هو المقصود لذاته وهذا غاية الحمد ولما كان الأنبياء هم المذكرون بتلك النعم وآخرهم سيدنا محمد ﷺ ورد أنه هو رافع لواء الحمد وأنه له المقام المحمود فيرجع الأمر كله الى العالم لأنه لا حمد إلا بعد علم ، ونتيجة هذا القول أن هذه الأمة الاسلامية أمة حمد ويلزم من ذلك أن يكونوا علماء بهذا الوجود ، انظر أليس الأمر اليوم معكوسا ، إن حمد المسلمين اليوم لفظي إذ حمد العائمة هو الغالب ، أما الحمد الاسلامي العقلي المبني على العلم والحكم والفهم فانه غائب اليوم انه سيقوم فيهم أناس ينبغون في العلوم ويعلمون هذه الأمة أنواعها ويتصرفون فيها وبهم الأكابر وهم يفيضون على الأصاغر وهذا هو السر في قوله في (سورة النمل) - وقل الحمد لله - وأتبعه بقوله - سيريكم آياته فتعرفونها - لأن الحمد بالمعرفة حمد لفظي لامعني فيه وهو جسم بالروح ولفظ بلامعني ، وأي فضل في حمد لا يحسن حامده به ، فالحمد بعد المعرفة ولذلك قال في هذه السورة - وله الحمد في الأولى والآخرة - لأنه ذكر

المعرفة هناك في آخر (سورة النمل) ومثل هذا يقال في (سورة الفاتحة) ابتداء الله فقال (بسم الله الرحمن الرحيم) ولا جرم أن الرحمة ﴿قسمان﴾ رحمة أفيضت على الأجسام ورحمة أفيضت على العقول ورحمة الأجسام مقدمة ورحمة العقول نهاية ثم أتبعها بقوله (الحمد لله رب العالمين) فذكر الترتيب ليوجه عقولنا الى نظام هذه العوالم كما تقدم في الفاتحة وأتبعه بذكر الرحمة للدلالة على أنها سارية في العوالم كلها لتستوجب الحمد والاحساس بالنعمة ولما كان أكثر الناس كما قلنا لا يحسون إلا بما تشعر به حواسهم من النعم الطارئة ولا يفقهون النعم المترادفة لأنها بتكرارها عليهم يبطرون ولا يذكرونها . ذكر العبادات وانها خاصة بالله وسأل المؤمن أن يهديه الله الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم . فذكر هداية الله للنعم عليهم الى الصراط المستقيم وهذه الهداية منشؤها العلم والعلم بالنعمة هو الذي يثير في النفس الحمد والاعتراف به . إن الأمة الإسلامية أمة حمد ونبينا ﷺ رافع لوائه ولا جد إلا على علم بالحمود عليه والحمد عليه جميع النعم والمسلم يسأل الله الهداية لصراط المنعم عليهم وصراط المنعم عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين هو الصراط السوي . هو العلم بالنعم . هو العمل الصالح والذين أنعم الله عليهم هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون هؤلاء هم المنعم عليهم فالأنبياء والصديقون متحققون بالعلم والأخلاق والشهداء تبع لهم وأما الصالحون فهم متحققون بالعمل أكثر من العلم فالصراط المستقيم شامل للعلم والعمل وبالعلم كما قلنا يثور الحمد في الانسان

إن هذه الآيات التي نحن بصددتها جاء فيها التسبيح - سبحان الله وتعالى عما يشركون - وتبعه التوحيد إذ قال تعالى - وهوالله لا إله إلا هو - ثم الحمد على النعم وهو قوله - له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم - فهذه ﴿درجات ثلاث﴾ تقديس وتوحيد أي ان الذات المقدسة ليست متعددة ثم حمد * وقد ورد « من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا إله إلا الله فله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله فله ثلاثون حسنة » وورد أيضا ﴿افضل الدعاء الحمد لله﴾ وقيل ﴿ليس شيء من الأذكار يضاعف ما تضاعف الحمد لله﴾ * قال الامام الغزالي ﴿ولا تظن أن هذه الحسنات بازاء تحريك اللسان بهذه الكلمات﴾ اهـ

يقول مؤلف الكتاب إن أول الأمر وآخره المعرفة والعلم ، إن هذه كلها مذكرات بالعلم ، فاذا سمعت قوله تعالى - وآخذ دعواهم أن الحمد لله رب العالمين - فاعلم ذلك الحمد لمعرفة أوجبه في الدنيا والمعرفة في الدنيا هي الاطلاع على نظام هذه الدنيا وجمال الله فيها وحكمته وبهائه وتلك النظم البديعة البهية التي تدهش العقل وتبهره فينطق بالحمد في هذا الجسم وبعده مفارقتة . وهذا الذي ذكرته كله واضح في هذه الآيات فانك ترى التقديس تلاه التوحيد أتبعه الحمد ، ولما كان الحمد لا يكون إلا على نعمة والنعمة العاتية لا تعرف إلا بالعلم قال الله تعالى - قل أرايتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا - الخ يقول الله أيها المسلمون إن ربكم محتص بالحمد في الدنيا والآخرة ولا جد إلا بعلم ، فانظروا في الليل والنهار فلو أن الليل دام عليكم أفلستم تحرمون من التصرف في معاشكم ، وإذا كان النهار دائماً عليكم أفلستم تمنعون من وقت الراحة ؟ انظروا في رحمتي التي وسعت كل شيء ، انظروا فيها فاني جعلت ظلمة وجعلت نورا بنظام دوران الشمس ليكمل هناؤكم وسعادتكم فخدمكم لا يكون إلا اذا عرفتم رحمتي ولا تعرفونها إلا بالعلم ، ألم أمركم أن تقولوا - بسم الله الرحمن الرحيم - قبل - الحمد لله رب العالمين - أليس ذلك لتذكروا رحمتي التي وسعت هذا النظام وذلك بالتعليم ومتى عرفتم خدمتي . انتهى

﴿ النعم والنعم مذكرات موجبات للشكر وهذه الآية ذكر فيها أعظمها ﴾

(نخط آخر في تفسير هذه الآية)

ذكر الله الليل والنهار وانه رحنا بهما مریدا بذلك أن نعم النعم فنشكر عليها والشكر أعظم من الحمد المتقدم فالحمد باللسان وحب جميع الناس بالقلب وصرف النعم والمواهب كلها فيما خلقت لأجله ، فهذه الثلاثة هي الشكر

وأسمها كلها العلم ، ومجامع النعم وأضداد النعم جمعت هنا ، إن الله لما خلقنا في هذه المادة أراد تربيتنا والتربية لابد لها من ضدين نعمة ونقمة ، فالنعمة موهبة ، والنقمة تسوق الناس إليها ، وعبر عن هذا كله بالليل والنهار والأصل كله دوران الشمس ومبدأ ذلك كله الحركة فبالحركة كان دوران الشمس ظاهرا وبدوران الشمس ظاهرا كان الليل والنهار ، والنهار عنوان النعم ، والظلمة أشبه بعدمها وعدم النعم هو النقم إذ لا نقمة إلا عدم النعمة ، فهذا الدوران أنتج فيما على الأرض ما هو من طباعه ، وإذا كان من طباع الدوران الظلمة والنور أى عدم النعمة ووجودها

﴿ كان في الأرض ﴾

جبل وواد وسهل وجزر وبحر وبرّ وعاصر وخراب وخصب وجذب وحار ومالح وهواء وحجر وخشن وناعم وحار وبرد ولطيف وكثيف ومرّ وحلو في النبات وحيوان مفترس ضار لنا وأنعام تنفعنا

﴿ وكان في أجسامنا ونفوسنا ﴾

أعمى وبصير وأصم وسميع وأخرس وفصيح وأعرج وضدّه وأقطع وذو يد ومريض البدن وسليمه وكذا مريض القلب والجنب أو المعدة أو الامعاء أو الكبد أو الطحال وهكذا بقية الأعضاء ومقابلة الصحيح في ذلك كله ، وكان في الإنسان الغنى والفقر والعز والذلّ والبخل والكرم وهكذا مما لا يسعه المقام وكان فيه أيضا الذكي والبليد والعالم والجاهل والأحمق والعاقل كل ذلك داخل في ذكر الليل والنهار فالأول لعدم النعم والثاني لوجودها وما ذكرناه كله لا يخرج عنهما وكل ما على الأرض ناجم من آثار الحركات السماوية النازلة على الكرة الأرضية فسكان النتائج تابعة للقيّمات ناهجة منهاجها سائرة على منوالها ولما كانت هذه تمرّ على الناس وهم غافلون ذكر الله الناس بقوله - لعلمكم تشكرون - أى لعلمكم تعرفون فتشكروا على النعم ولقد جعل الله سبحانه وتعالى ألم الجهل وألم الذلّ وألم الفقر وألم المرض والجوع وألم الفراق وألم الوحدة محرّضات على نعمة العلم والعزّ والغنى والصحة والطعام والاجتماع وهذه أشبه بالسائق للناس الى حوز النعم وجعل لذة العلم ولذة النصر ولذة الثروة ولذة الصحة ولذة الطعام ولذة الاجتماع أشبه بالقائد ، فلكل من ذلك سائق مؤتم ومقائد ملذّ تحمله على استجلابه ، ومن أكبر قائد للنعم جلال الزهر وحسن القدر وبهجة ضوء السكواكب . وغرائب المخلوقات التي تلفت النظر وتكون في باب السائق أشبه بالمقطوعى الأيدي والأرجل في باب النقم . ثم الجبال الفائق والقمم الزائد أحدهما قائد للنعم وثانيهما سائق يسوق الناس للبعد عن قبج المنظر وشناعة الملبس وسوء الحياة

هذا كله هو ما وضعت عليه الحياة في أرضنا ويقرب منه قوله تعالى - ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون * ففرّوا الى الله - فقوله - ففرّوا الى الله - هناك أى بالعلم وقوله - لعلكم تشكرون - ولاشكر إلا بعد علم

﴿ نتيجة هذه الآيات ﴾

عليك أيها الذكي أن تفهم المسلمين أن الله يغضب على كل أمة نامت عن العلوم ، أيقظ المسلمين وقل لهم اقرؤوا جبال هذه الدنيا من نبات وحيوان وتشرّج وعلم نفس وعلم فلك وعلوم البحار وبهجة هذه الدنيا وعلى كل غنى وعالم وذى جاه أن يفهم المسلمين أنهم يجب عليهم أن يعمموا التعليم في سائر بلاد الاسلام وأن تكون معرفة الله بأشياء مشوّقة من بهجة الأنوار ومحاسن الأشجار وجبال البحار وصوله البخار وعزة النضار وضوء المس ونفائس الأحجار وبدائع الأسرار وعجائب الآثار وحساب الليل والنهار وعجائب الفلك المدار - إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار -

قل ابدؤا بهذه العلوم فاقرؤوها فاذا قرأتموها للصغار فعنى ذلك أن تقطفوا من أثمارها وتسمعوهم من

أخبارها فيكونون مشتاقين فرحين بها وهذا الشوق يدفعهم إلى اكتناه أسرارها إذا كبروا . ذلك هو المسمى (درس علم الأشياء) فيؤتى ببند من كل علم وتعطى لهم كأنها حلوى بها يفرحون وفاكهة بها يتفكهون فإذا كبروا قرؤا دروسها وعرفوا نظمها وتناولوا آياتها

هذا هو شكر ربكم فادرسوه ، وهذا هو دين الاسلام في المستقبل فتر بصوه ، وهذا هو توحيد الله وشكره فاشكروه ، وهذا هو الذي به تعمروا دنسكم وتعظم أئمتكم وتقوى شوكتكم وتحفظ أغوركم وتكثر نعمكم وتقل تقمكم وبها بكم عدوكم . هذه هي العاوم التي ترفعكم في الدنيا بما ذكرناه وفي الآخرة بقاء الله ، فالدينا تكون لكم سامعة مطيعة وقلوبكم تعشق ربها وتحب خالقها وتأنس به في هذه الحياة ، فإذا ما قرب موتها أنست بعالم الجلال وفرحت بقاء الله وهذا هو قوله تعالى - رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك هو الفوز العظيم -

وههنا ﴿ أربع جواهر الجوهر الأولى ﴾ في قوله تعالى - وربك يخلق ما يشاء ويختار -

﴿ الجوهر الثانية ﴾ في قوله تعالى - وهو الله لا إله إلا هو - الخ

﴿ الجوهر الثالثة ﴾ في بهجة العلم في قوله تعالى - قل أرأيتم إن جعل الله - الخ

﴿ الجوهر الرابعة ﴾ في قوله تعالى - ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار -

﴿ الجوهر الأولى في قوله تعالى - وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة

سبحان الله وتعالى عما يشركون - ﴾

يقول المسلم في صلاته « اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا أراد لما قضيت ولا ينفذ ذا الجذ منك الجذ » هذا لأنه أعلم بالمصالح فهو يعطي وهو يمنع لحكم هو وحده يعلمها ولن يعرف أحد من نبي آدم حقائق هذه الحكم إلا بقراءة كل علم على قدر الطاقة هو يخلق ما يشاء ويختار ليس الخيال لنا لأن علمنا قاصر وهو يعلم كل شيء ، وإذا أردنا ضرب مثل هنا على ذلك وجدنا العالم كله والعلوم كلها مضرب أمثال ولكني أقتصر على مسألة واحدة تأخذ باللب وتشرح الصدر فأقول

يعيش الجنين في بطن أمه وفيه يتغذى بدمها ، فأمه تهضم الطعام في بطنها وينقلب دما والدم يقابل الهواء الجوى بالتنفس في رئتيها فيصلح لتغذية جسمها فيرجع إلى القلب ويدخل الجهة اليسرى منه فيدخل من أعلاه في تجويف يسمى البطن وينزل منه بفتحة إلى تجويف أسفل منه يسمى البطن وهو أكبر من التجويف الأول ، ومن هذا التجويف الأكبر في الجهة اليسرى يخرج منتشرا في البدن أعلاه وأسفله ثم يرجع إلى نفس القلب من الجهة اليمنى وهو ممتلئ مواد خفية (كربونية) فيدخل في تجويف صغير هناك ثم ينزل منه إلى تجويف أسفل منه يسمى البطن أيضا ومن هذا الأسفل يخرج متجها إلى الرئتين أي رئتي المرأة التي كلامنا فيها وهو يحمل المواد الفحمية فيقابل الهواء الجوى الداخل فيعطيه بنفسها تلك المواد ويصفي كما نصفي نحن الماء ونخلصه من المواد الغريبة بالآلات التصفية ، فهذه الرئة أشبه بالآواني التي نضعها في منازلنا وفيها الماء فينزل من مسامها خالصا ساغنا للشاربين لاضرر فيه ، فالرئة كالآواني المذكورة والدم كالماء ومتى صفي الماء في الرئة وطهر بمقابلة الهواء الجوى أخذ من الهواء في نفس الحال مواد الحياة (الأكسوجين) بعد ما أعطاه المواد المهلكة السامة الفحمية (الكربونية) ورجع الدم يجري إلى الناحية اليسرى ودخل فيها كما تقدم . هذه هي الأعمال التي تحصل في قلبي وقلبك أيها الذكر وفي قلب المرأة ونحن لانشر ولا نعلم . وليس شرح هذا المقام مقصودا بهذا المقال . كلا . لأنه قد تقدم مستوفى في (سورة المؤمنون) عند آية - وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون - وإنما الذي سقت له هذه المقالة أمر عجيب وغريب . سبحانك اللهم وبحمدك أنت الذي اخترت هذا الوضع للقلب واصطفيت له هذه الدورة الدموية التي تتوقف حياتنا عليها . ولما كان هذا النظام معلوما لجميع الأطباء ويتبعهم المتعلمون في السكرة الأرضية لم يكن

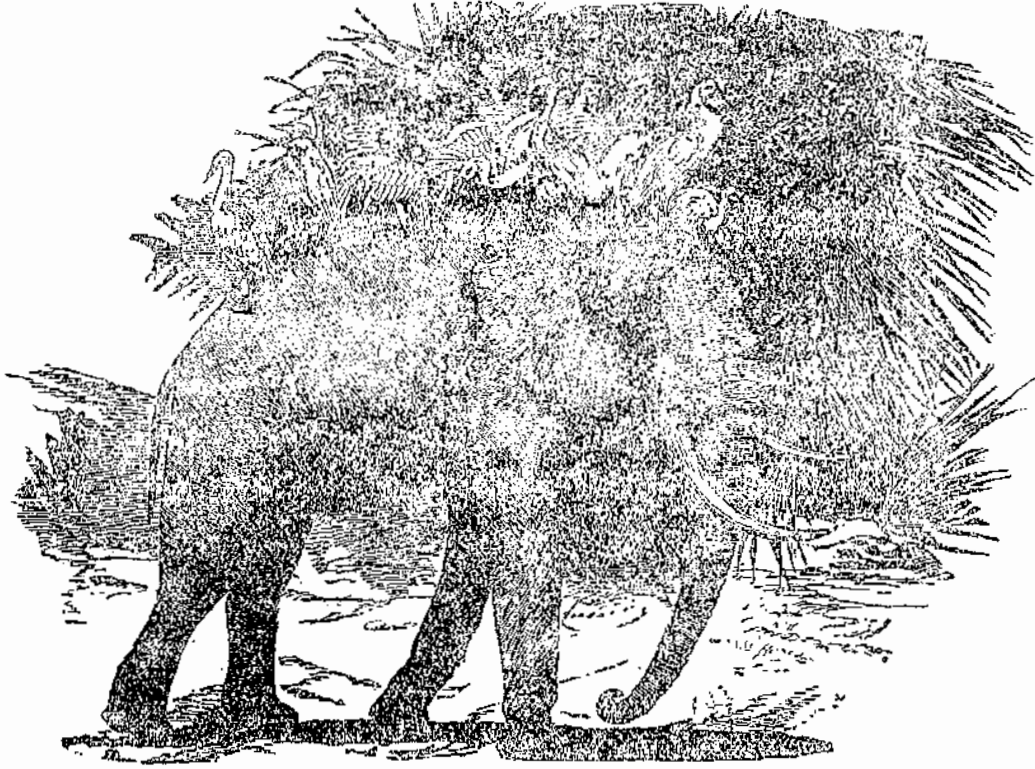
أمرا غريبا لأن كل مألف متروك وكل غريب مرغوب ، فاشكرار هذا العمل زالت غرابته كما زالت غرابة الليل والنهار ، تشرق الشمس وتقرب وهكذا القمر والكواكب فلا تتحرك ساكنا في أكثر هذا النوع الانساني كذلك هذه الدورة السموية التي تدور في أجسامنا المملوءة حكما وعلما قد أصبح الانسان كله إلا قليلا معرضا عن بدائعها وعجائبها ، وإذا رأى الناس كسوف الشمس وخسوف القمر أخذوا يتعجبون من ذلك لأنه نادر فر بما بعث الأذكيا منهم الى التفكير . هذا في عالم السموات الذي نراه بأبصارنا . أما الدورة السموية فهي غائبة عنا لانراها بل لا يعرفها . الا العلماء الدارسون لها بل الدارسون لها أيضا قلّ منهم من يفكر في عجائبها إن دراسة العوالم حوالنا أسهل علينا من دراسة نفوسنا وتشريح أجسامنا ، ولكن اذا اطلع هؤلاء الدارسون لتلك الدورة على ماسقت الكلام لأجله دهشوا من تلك الدورة وعجبوا وذلك هو المقصود من هذا المقال كله . ذلك أن التجويفين الأعلىين الصغيرين اللذين يسميهما العلماء (بطينان) بينهما في أجسامنا الآن فاصل وحاجز فلاصلة بينهما . ذلك لأن الدورة السموية لاتتم إلا بهذا الحاجز بينهما (انظر شكل الدورة السموية في سورة المؤمنون)

وانما لم تتم الدورة إلا بهذا الحاجز لأنه يفصل الدم الوريدي الذي لا يصلح للتغذية في البطن الأيمن عن الدم الشرياني الذي يصلح للتغذية في البطن الأيسر كما علمت . إذن الله فعل في الدورة السموية في جسمي وجسمك أيها الذكي مثل ما فعله في البحرين العذب والملح فقد جعل بينهما برزخا وحجرا محجورا فلم يخلط أحدهما بالآخر وجعل الحلو مشتقا من الملح بالبحر منه فيخرج الى الهواء فيخلص من الملح ثم يكون مطرا هكذا فعل الله في هذه الدورة خرج الدم الوريدي الذي لا يصلح للتغذية لما فيه من الكربون من البطن الأيمن ورفعته الى الرئتين فقابل الهواء الداخل بالتنفس فصفاه وجعله صالحا للتغذية . هذا هو فعل الله في جسمي وجسمك أيها الذكي الآن وجسم المرأة التي تحمل الجنين . انما الأمر الأعجب هو أن الحاجز الذي بين الأذين الأيمن والأيسر الذي بينا انه لا بد منه لأنه حاجز بين الدمين الشرياني والوريدي الآن لم يكن له وجود في الجنين فهو لي ولك ولأم الجنين ولكنه لم يكن عند الجنين ومتى ولدت أمه سدت هذه الفتحة حالا فسكان هنالك بوابا فتح هذا الحاجز قبل الولادة وعند الولادة أقفله وبقى مقفلا ، والسبب في ذلك أن الجنين اذا وصل دم أمه اليه اتجه أولا الى الأذين الأيمن فبسدل أن ينزل الى البطن الأيمن ومنه يتجه الى الرئة ليخلص فيها كما قدّمنا يتجه حالا من الأذين الأيمن المذكور الى الأذين الأيسر مباشرة ومن الأذين الأيسر الى البطن الأيسر ومنه ينتشر في الجسم كله ، ذلك لأنه دم الأم ودم الأم الذي يجري الى الطفل كله شرياني . إذن لا حاجة الى دخول الدم في البطن الأيمن ثم خروجه الى الرئتين لأنه لا يعوزه ما يعوز دمنا نحن لأن ذلك دم مصفى في رئة الأم فهو دم شرياني . فرة الطفل لانفس فيها لأن نفس الأم في رئتها قائم بما يجب . إذن لا حاجة لهواء يدخل في رئة لقيام رئة الأم مقام رئة . وعليه لا بد من اتجاه الدم من الأذين الأيمن الى الأيسر مباشرة ويعطل البطن الأيمن مادام الجنين في بطن أمه وتعطل الرئة أيضا ، ومتى ولد الطفل قابل فمه وأنفه الهواء الجوى ودخل الهواء الى الرئتين فهناك حالا يسد ذلك الحاجز ويدور الدم دورته المعالومة المشروحة شرحا كافيا وافيا والحمد لله رب العالمين . انتهى صباح يوم الثلاثاء ٤ يونيو سنة ١٩٢٩

﴿ ضوء الجوهرة في قوله تعالى أيضا - وربك يخلق ما يشاء ويختار - ﴾

عبر بلفظ الرب إيدانا بالترية فلم يكن الخلق إلا على مقتضى الترية ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ لم يكن الخبر إلا على حسب المبتدأ ، فالمبتدأ هو ربك والخبر هو يخلق وفي اضافة الرب لضمير الخطاب ايدان بشرف الخطاب وانه جدير بأن يكون خليفة في الأرض يرعى الأفراد والأمم ، فانه يرعى ما خلق ورسوله ﷺ ومن اقتدى به يتخلقون بالأخلاق الكاملة التي أمرهم بها ليكونوا مربيين للناس وجعل المشيئة خاصة به تعالى والاختيار

ولم يجعل لأحد من عباده اختياراً في إعطاء أو منع ، الربى الخالق الذى يعلم ما خلق لا يجعل لأحد سلطاناً ولا وزارة ولا استشارة فيما يديره ، وهذا القول الاجمالى هو معنى الآية وهذا المعنى معلوم ، وإذا أردنا أن نجعل له مثلاً تواردت آلاف الأمثلة بل ما فى هذا التفسير من عجائب الحكمة يصلح فى هذا المقام ولكن وقع اختيارى على هذا الفيل المسمى بالانجليزية (جيمو) وعليه صف من طير أبى قردان تأكل الدود من جلده وهو مطنئن ساكن وهذه صورته (شكل ١)



(شكل ١)

أنا اخترت هذا المثال لأنه أثر فى نفسى أعظم أثر وكيف لا يؤثر وأنا أرى أكبر الفيلة واقفا ساكنا وهذه الطيور واقفة فوقه وهو مستلذ ساكن بل مبهج . هذا الفيل معلوم من طبائعه أنه قوى جدا وهو يقوم فى العمل مقام جماعة من الرجال وهو يقاتل الآساد والتمور وغيرها من الحيوانات المفترسة ولكنه فى نفس الحال حبيب صديق لأبى قردان ، ذلك الطائر الضعيف الذى لاسلاح له ولا قوة ، إن الفيل وإن لم يغلبه غالب من الحيوانات المفترسة فقد غلبه أضعف المخلوقات الذى هو أعدى أعدائه ولكنه لن يقدر أن يصل اليه ، إن له جلدا متينا قويا جدا وقد سيط عليه حشرة صغيرة تسمى (تيكس) فهى تعيش فيه وتتغذى بأكله وتؤذيه بأكلها وهو يحتك بالحجر وبالشجر لينحىها عن جسمه - ولات حين مناص - وكلما أوغل فى حكاها أو غلت هى فى جلده وتعمقت وغاصت فيه فلن يقدر عليها فهى فى أمن وأمان ، فمن ذا الذى يغيب الفيل إلا أصدقاؤه أولئك القوائم على ظهره الآكلات عدوة المظهرات جلده من الآلام . وهذه الطيور البيض الجسم الصفرا العيون والمناقير قد عمدت للفيل ما لم يقدر الفيل أن يعمل لنفسه . إذن هذه الطيور خير أصدقائه . قال شارح هذه الصورة باللغة الانجليزية { فعلينا أن نستخدم بعضنا بعضا } وهذا هو الذى استنتجته العالم الانجليزى من هذه الصورة ننظر نحن فى هذه الصورة فنجد الفيل العظيم احتاج الى الطيور الضعيفة وصارت صديقات له وهذا هو خلق الله وترتيبه بحسبته ، ليس المدار فى هذا المقام على كثرة العلوم بل المدار على الاتقان والفهم ، وسترى أيها الذكى فى (سورة الروم) عند قوله تعالى - واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين -

كيف تكون الصور في أنواع الحيات وفي بعض الطيور وفي بعض الحشرات متشابهة وتشابهها يحصل سببا في حفظ الضعيف الذي لاسلحه له لمشابهته والتباسه بالقوى إذ ينجح إلى الذي يريد اهلا كما انه ذو سلاح أو بطش شديد . هذا ما استراه هناك وسترى صوره الجليسة الموفجة الدالة على حكمة تفوق كل حكمة وعلم لم تعلمه الأمم إلا في أيامنا هذه فان علم الألوان (كما تقدم في سورة الكهف عند قوله تعالى - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا -) لا يزال الآن في حال الطفولة ومع ذلك قد أصبح مظهر منه لنا الآن معجزة قرآنية فان تلك الألوان وتلك الصور والابداع فيها والتفنن لا يدع أدنى شك لعقل في الحكمة التامة التي لا يعقلها إلا من عرفها وهل يعرفها إلا علماءها وهذا معنى كونه آيات للعلماء لجميع الناس . هذا ما سيأتي هناك ومعه شرحه لتبيان تلك المعجزة وهي أن هذه الآيات انما يفهمها العلماء بفن الألوان وهي أيضا تصلح لهذا المقام لأن قوله تعالى - وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة - اذا تناولت ما استراه في الصور التي هناك أو الصور المذكورة في (سورة المؤمنون) عند قوله تعالى - وما كنا عن الخلق غافلين - فيما تقدم أيقنت أن هذا الاختيار يسحر العقول ويدهشها . إذن أنا في هذا المقام لا أكثر من الأمثلة فان ماضى وما سيأتي كاف في ذلك

وانما الذي أقول الآن ان منظر الفيل وفوقه أبو قردان ماهو إلا كتاب كتبه الله بيده وقال اقرأوه . الفيل أقوى والطير ضعيف والحشرة أضعف . الفيل كن العدو في جسمه ولم ينجه منه إلا طير ضعيف . إذن تعاون الفيل وأبو قردان على هذا الضعيف . إن هذا الكتاب الذي كتبه الله لنا بيده يجب علينا دراسته فنقول الفيل من الحيوانات الأرضية ذوات الأربع وأبو قردان من حيوانات الطواء والدود من الحيوانات التي تختفي عن الأعين في الأجسام

هذه أعم ثلاثة أمّة تكون غالبا في الأجسام أوتحت الثرى ، وأم فوق الثرى ، وأم في الطواء . هذه كلها هي التي ظهرت في هذه الصورة ، فساكن الأرض وساكن الطواء تعاونوا على ما يسكن تحت الثرى أوفى طيات الأجسام . أيها الناس ، طير وحيوان أرضي يرى تعاونا معا ، هذه هي الصورة التي ترونها ، تعاونوا لأن الحاجة ماسة ، فهناك دفع أذى عن الفيل وغذاء لأبي قردان ، فهنا العمل أشبه بمن ضرب بحجر طيرين فهو غذاء للطير وشفاء للفيل . إذن هو غذاء وشفاء ، وهنا تقرأ (درسين ، الدرس الأول) بعض أسماء الله تعالى الدرس الثاني نظام نوع الانسان ، (١) انظر الى الصورة وتفسر فانك تقرأ فيها أن الله ملك فمالك يدير الرعايا وهم في رحابه يعيشون وأى ملك ينظم كهذا النظام وهو (قدوس) منزّه عن كل ما لا يليق بكماله ومنها انه لا يخلق داء إلا خلق له دواء مثل ما رأينا هنا (السلام) فهنا أمان للفيل وأمان لأبي قردان وهو (مهيمن) فهو يفعل مع هذه الحيوانات فعل الطائر يهيمن على دغاره بأجنحته وهو (عزيز) قد غلب الفيل بتلك الحشرات وغلب تلك الحشرات بأبي قردان وهو (مؤمن) جعل هذه الحيوانات آمنة في أماكنها فرحة بنعم خالقها وهو (جبار) حكم على الفيل بما يؤذيه وأخضعه فذل لأضعف الحيوان واحتاج لبغات الطير وهو متكبر لا يريد أن يدخل أحدا في هذا النظام فهو عمله وحده (الخالق) أى المقدر لهذه الموجودات (البارئ) الموجد لها (المصور) صورها على مقتضى الحكمة التي رأيناها هنا عيانا وهو (قهار) قهر الفيل وقهر الحشرة وهو (وهاب) وهب هذه الطيور أغذيتها من تلك الحشرات (رزاق) رزقها من جلده (فتاح) فتح لها باب الرزق (عليم) بما يصنع في هذا وفي غيره (قابض) قبض أرواح تلك الحشرات (باسط) بسط الرزق لتلك الطيور بأجسام تلك الحشرات (خافض) تلك الحشرات (رافع) تلك الطيور على الفيل (معز) لهذه الطيور (مذل) لهذه الحشرات الخ إذن أسماء الله الحسنى دراستها تكون أكمل في الحقول وهو (لطيف) وبهذا اللطف خلق المنقار الحاد والعيون القوية والأجنحة لهذا الطائر فغاص على تلك الحشرات فصار لطيفا بالفيل

واطفيا بالطير وهكذا

(٢) الدرس الثاني نظام الأمم الأرضية ﴿

وحق لي الآن أن أخطب الناس كافة ، ذلك لأن هذا كتاب الله وهذا خالق الله وأنا مفسر لكتابه وقد ينشرح صدرى لما أقول فيه ، فعلى أن أخطب أهل الشرق وأهل الغرب ، أخطبهم بكلام ربهم وأعماله العجيبة فأقول

يا أهل الشرق ، ويا أهل الغرب ، إن الله جعلكم أرقى من هذه الامم الحيوانية وجعلها هي أنفسها دروسا لكم ، فاقروا هذا الدرس وانظروا أمة من أمم الهواء قد اتحدت مع أمة من أمم الأرض مع تباعد ما بينهما وشدة اختلافهما واتساع نطاق البعد بينهما ، هذا قوى وهذا ضعيف ، هذا أرضى وهذا هوائى ، هذا له أجنحة وهذا له أرجل ، هذا له معدات وهذا له قاذصة وسوصلة ، هذا أسود وهذا أبيض ، هذا طعامه نبات وهذا طعامه حيوان . نعم أتم درستم يا أهل الأرض صفات الحيوان ولكن لم تدرسوا فن الأدب ونظام الأمم منه ، فإذا كانت هذه الحيوانات المتباعدات تباعدا تاما قد اتحدوا وتعاونوا وفرح كل منهما بأخيه ، فما أجهلكم يا أهل الارض ؟ رأت الأمم الكبيرة أن الأمم الصغيرة لضعفها لم تستخرج مافى أرضها من كنوز ولم تستثمر مواهبها ، فإذا فعلوا ؟ هجموا عليهم وأذلواهم ومنعواهم العلم وهذا هو الخطأ والجهل

يقول الله لكم جميعا انظروا الفيل وأبا قردان ، الألفة بينهما جامعة لاعداءة فيها ولا جهاد ، قتل الانسان ما أجهله . قتل الانسان ما أكفره . تقرأون ولا تفهمون تدرسون ولا تعقلون . صم بكم عى فهم لا يعقلون . أبحزت الأمم العظيمة أن تكون مع الصغيرة كالفيل مع أبا قردان تعاونا بالمحبة والمودة لا بالاذلال والاكراه ارتقت الأمم الاوروبية ولكنهم جاهلون طرق الاستعمار ، الأرض لم تزل مملوءة بالمتوحشين من نوع الانسان وهؤلاء لم يقدرُوا أن يعاومهم ، وغاية ما يعملونه أنهم يستعبدونهم وينهجون معهم نهج جاعات النمل القوية مع النمل الضعيف كما تقدم فى (سورة النمل) فيكون هؤلاء سادة وهؤلاء عبيدا وتكون النتيجة أن السادة بعد أجيال وأجيال يألفون الراحة ويكرهون التعب ويفرحون بالبطالة وهناك تنقرض تلك الجاعات من الوجود . هذا هو استعمار أوروبا المعطوف على استعمار الرومان والأمم العربية فى القرون المتأخرة ومثلها استعمار التتار والترك العثمانيين ، فهؤلاء فى أواخر أيامهم كانوا عالة على الأمم يستنزفون ثروتهم وهم مذمومون . فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين .

والحق الذى لا محيص عنه أن الأمم الأرضية اليوم لاسعادة لها إلا بالمعاونة العاتة وهذه يعوزها مفكرون دارسون لها حتى يكون الضعاف فى أواسط أفريقيا وفى غربها مع الأقوياء فى أوروبا أشبه بأبا قردان مع الفيل هذا هو الذى فهمته من هذه الصورة (أى شكل ١) فى تفسير قوله تعالى - وربك يخلق ما يشاء ويختار - فهو الذى وضع لنا فى الأرض نملا يأسر بعضه بعضا وطيرا يصاحب فيلا ، وقد اخترنا أسوأ المثالين فى القرون الخالية فلنختر أشرفهما فى الأيام المقبلة لتكون ناهجين فى العمل أحسن المنهجين . انتهى يوم الثلاثاء ٢٥ يونيو سنة ١٩٢٩ م

﴿ الجوهرة الثانية فى قوله تعالى - وهو الله لا إله إلا هو له الحمد فى الأولى والآخرة

وله الحكم واليه ترجعون - الخ ﴾

جاء فى هذه الآية أن الله واحد وأنه محمود أولا ومحمود آخر وأنه هو سبحانه له الحكم وأن المرجع اليه ثم أعقبه بذكر الليل والنهار والضياء والظلام . ومن عجب أن المحاوره بين (طماوس) وهو حكيم من أصحاب (فيثاغورس) وبين (سقراط) الفيلسوف المشهور تناسب كل مافى هذه الآية وأخلصها هنا جميعها لمناسبتها هذا المقام بعد أن أثبت منها فى (سورة الشعراء) ما هو أكثر مناسبة للطب فى آية - وإذا مرضت فهو يشفين -

ذلك أن طيماوس ابتدأها بقوله ﴿ إنه يستعين بالله في شروعه في معرفة مبدأ العالم عسى أن يلهمه الله القول الحسن ويلهم السامع قبوله ، ثم أخذ يفرق بين القديم والحادث فالقديم متصف بالوجود ويدركه العقل أما الحادث فليس له وجود حقيقي وإنما يدركه الحس والخيال ويحتاج الى علة في وجوده المجازي ، ثم أخذ يثبت حدوث العالم بأنه مرئى ملموس مادى ، وكل ما ثبت له هذه الصفات فهو محسوس ، فكل ما هو محسوس فهو مدرك بالوهم والحس فهو إذن حادث والحادث لا بد له من علة ، ثم أبان انه عاجز عن شرح وفهم الإله لأن المتكلم والسامع من البشر ، ثم ذكر سبب خلق العالم وقال سببه أن الله جواد وقد عمد الى الأشياء المضطربة فوزنها فركب لها عقلا والعقل جعله في النفس والنفس جعلها في الجسد فجعل صورة العالم كله كصورة حيوان واحد مشتمل على كل حيوان والعالم في نظره حيوان عاقل مرئى جسده مركب من العناصر الأربعة في نظره إذن العالم مركب من العقل والمادة وشئ مشترك بينهما فهو كله أشبه بجسم انسان واحد وقبل ذلك التكوين لم يكن ليل ولا نهار لأنهما حصلا عند تكوين الأفلاك . إذن لا يحكم إلا على الحادث أما القديم فلا ، والكواكب التى هي من هذه الحيوان الكبير وهو العالم سواء أكانت سيارة أم ثابتة أجرام حية (في نظرهم هم) بها تكونت الأيام والشهور والسنين ، ويقول ان الله لما خلقها خلق لها أرواحا وهى الملائكة تدبرها وخطابهم يقول أنتم حادثون وهذا الحادث ليس نقصا لكم لأن قوتى تحفظكم فأنتم لا يلحقكم موت ، وهناك خلق أرواحا في كل كوكب وفي الأرض والقمر والكواكب الثابتة وأطلع تلك الأرواح على العوالم كلها ثم قال لها أنا خلقتكم من عنصر الروح الملكية وسأزلكم الى عوالم المادة وتكون لكم شهوة فمن اتبع العقل رجع الى كوكب سعيد ومن اتبع الشهوة نقلته في حيوان بعد حيوان على حسب ما غلب عليه من الشر والشهوة ، وقبل ذلك خاطب أرواح الكواكب فقال لها أنتم دائمون وأنا أمركم أن تأخذوا هذه الأرواح التى هى أيضا إلهية وتسكنوها في أجسام وتغذرها بما يناسبها وتكون تلك الأشخاص مركبات مما يموت وهو الجسم ومما لا يموت وهو الروح مع إحداث حيوانات أخرى ليكمل النظام العام ﴿ وهذا القول الذى قاله طيماوس لسقراط أكثره موافق للإسلام فقد ذكر بقاء نفوسنا ونفوس الملائكة وذكر العقاب للمذنب والسعادة للصالح وذكر أن الملائكة موكلون بالعالم وذكر أن العالم حادث وهذا عجيب جدا أوقفنا على أن نقل الفلسفة من اليونانية الى العربية كان مشوها إذ نقلوا القول بقديم العالم فظهر أن ذلك النقل كان عن صغار علمائهم وأن ذلك الخلاف في الكتب كان ضياعا ، وأقول الآن يجب الاستقلال في جميع المباحث فان الاتسكال على الأهم مضیعة لأمتنا والذى ينافى ديننا مسألة كون العصاة يصبحون حيوانات ، فنفس (طيماوس) يقول هذا ظن لا يقين وعليه فان شر يعتنا ذكرت جهنم وهذا عذاب يقين ، ومن الحكم العجيبة انه يقول « ان الله خلق الأرواح وخطابها » وهذا بعينه آية - واذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم - الخ وهذا من أعجب العجب أن يكون نبينا ﷺ قد نزل الوحي عليه وهو لم يزل عالما بما كان يختلج في قلوب علماء اليونان ، وأقول إن هذه معجزة كبرى بل كل هذا المقال معجزة وأى معجزة ، وكيف يثبت طيماوس المبدأ والمعاد وقدم الله واثبات اليوم الآخر والعذاب والثواب وان أخطأ في تعيينهما ويثبت بالظن خطاب الله للأنفس قبل نزولها الى عالمنا الأرضي ، كل ذلك قبل الرسالة المحمدية بنحو تسع قرون

وهنا بهجة العلم التى هى أنسب لهذه الآية بذكر النور والعين ، قال مانصه بالحرف الواحد

﴿ قال أفلاطون ثم بين (طيماوس) تصوير الأبدان من العناصر على يد الله وتصوير الآلات المختلفة من البصر والسمع وغيره ، قال إن البصر نار جعله الله في داخل العين فمن تلاقيه بالنار الموجودة من خارج يتولد الابصار وبسط القول في مدح البصر وبيان منافعه قال إن فائدة البصر على ما أرى انه لو لم تكن لنا القدرة على ادراك الشمس والكواكب ما كنا نتكلم من الكلام عن السماء والعالم إذ من مراقبة اليوم والليل

وتحوّل الأشهر والأعوام حصل لنا العلم بالأعداد والشعور بالزمان وحدث فينا الشوق لمعرفة الطبيعة والعالم فنه نشأت الفلسفة وهي أنفس ما أنعم الله به على البشر ﴿

ثم قال ﴿ إن الله لم يقصد من إيجاد البصر فينا إلا أن يمكننا من تأمل دوران العقل في السماء لنستفيد منها تقويم دوران عقولنا وتنظيمه على نسق مانراه في السماء من ترتيب العقل في دوراته إذ هو وذاك طبيعة واحدة ﴾ انتهى

يقول (طنطاوى جوهرى) مؤلف هذا التفسير إني لما اطلعت على هذه الجلة الأخيرة اعترانى ما يشبه الدهش والبهير وفكرت في هذا النوع الانساني في الوقت الحاضر لاسيما أمة الاسلام ، اللهم إنك أنت خلقتنا في هذه الأرض غرباء عن المادة فحجبت هي أكثر عقولنا فكيف نرى هذا الجلال ، جلال النجوم ونظام الشمس والقمر والكواكب ونرى الشهور والسنين ونحن غافلون لم يخطر ببالنا من تلقاء أنفسنا أن تلك العوالم المنظمة قد جعلت نبراسا لعقولنا للتابعات لها ونحن نقرأ كل يوم - وزيناها للناظرين - ونقرأ - أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج - ونقرأ - قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا - الخ فها هو ذا ذكر الليل والنهار وانهما لمنافعنا ، ويقول في آية أخرى - هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقتره منازل لتعلموا - الخ أوليس من أعجب العجب أن يأتي رجل يوناني فيقول إن البصر لم يخلق فينا إلا لنلاحظ هذه الكواكب وسيرها ونفكر أن نظامنا يكون على نظام السموات التي نظمها عقول عالية عقولنا مخلوقة على مثاها . أوليس هذا هو قوله - ووضعت الميزان * ألا تظفون في الميزان -

أيها الأمم الاسلامية ، إني أكتب هذا وإن نفسي في خجل أن أرى أن هذه الحكمة وهذا الاشراق وهذه النظرات السامية تكاد تكون مفقودة في أمتنا الاسلامية في القرون المتأخرة ، أنا أقول لن يكفي المسلم أن يقرأ هذا في كتاب . كلا . بل لا يتسنى للمسلمين أن يتأثروا بهذه المباحث إلا اذا نظروا بأنفسهم وفكروا بعقولهم ففكر الاستقلال ، فمن وفقه الله لهذا هداه الى النظرات في الكواكب ليلا فيفكر في جلالها الظاهري ويتأمل في عجائبا بنفسه يوما فيوما ثم يدرس مبادئ الفلك وهذا هو قوله تعالى - أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض - هنالك يتأثر الوجدان ومن هذا التأثير تحصل المعرفة ، فالكتب وحدها لا تفيد بل لابد من النظر الاستقلالي

اللهم إنك أنت النعم وأنت الهادي . اللهم إني ألجأ اليك أن تجعل هذا الكتاب ذكري لشبان من النوع الانساني مسلمين وغير مسلمين لأنك أنت رب الجميع والنعم على كل نسمة بما يناسبها وخير النعم ما كان علما وحكمة فاجعله يا الله نورا لبصائر المستعدين من العالمين والحمد لله رب العالمين انتهى صباح الاثنين يوم آخر شهر رمضان المعظم سنة ١٣٤٧

﴿ الجوهرة الثالثة في بهجة العلم في قوله تعالى - قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة - الخ ﴾ حدثني الحارث بن هشام قال رأيت في المنام كأني مت وغسلت وكفنت ودفنت وفي نفس الوقت كان روحي ترفرف بهيئة تشبه هيئة جسمي ولكنها هيئة روحية نورية فأخذني ملائكة أوقفوني في عوالم من النور البهيج الذي لا مثيل له في الأرض بحيث لا أتمكن من وصفه لبهجته وجماله ثم أحسست في نفسي بخواطر على هيئة السؤال والجواب وأنا في حال الدهش من الجلال وكأن الحق يخاطبني بلا حرف ولا صوت وأنا أجب في سرى وكأنه يقول لي يا عبدي أنا أحبك فقلت في سرى ربما كان هذا الخاطر شيطانيا والافسكيف أستحق هذه المحبة وأنا مقصر في أعمالي كلها ، فقلت في سرى وما علامة حب الله لي فكان الجواب ما يأتي ﴿ علامة حبى لك اننى شغلت عقلك في طول حياتك ، فأنت في حضرك وسفرك وفي كل حال من أحوالك تبحث عني وتفكر في أعمالي ، فهذه لم تكن إلا من الحب الذي ألقىته في قلبك لي ولن يحبنى أحد إلا كنت أنا محباً له

قبل أن يحبنى ، ألم تقرأ - يحبهم ويحبونه - ﴿ ثم قال ﴿ وقد خلقت العالم كله لأجلك ﴾ قال فلما خطر لى هذا الخاطر وكأنه خطاب من الله اعترانى الدهول ورفعت طرفى الى السماء وقلت يا الله أنا لست بقادر على أن أفهم هذا فأجبت بما يأتى ﴿ طب نفسا وقرعينا وسأعلمك معنى ذلك ، من أين أنت روحك ؟ فقلت هى قبسة من نورك فقال وهذا النور حكمت عليه أن يترى تربية تدريجية فى العوالم المادية ولا يكون ذلك إلا بأبوين يلدانك وأمة يعبد فيها هذان الأبوان وأمم تحيط بهم تساعد هذه الأمة بتجارة ومعاملة وهذه الأمم كلها لابد لها من الحيوان والنبات والماء والمعادن والأرض والهواء والكواكب الثابتة والسيارة . فقلت نعم حقا أنا لا أخلق إلا وأنا مصحوب بهذا كله فقال لى الله فى سرى فأما لأجلك خلقت الشمس والقمر والمجموعة الشمسية والمجرة والسدم والأرض ومن عليها ، قال فقلت فى نفسى انه لم يخلقها لى وحيدى فأجبنى قائلا أضرب لك مثلا رجلا له عشرة أبناء أسكنهم بيتا من خرف الحيطان مفروش الأرض مضاه السقف بالمصاييح وهؤلاء الأبناء يتعاونون على جلب الرزق ودفع الأعداء ، فهل هؤلاء الأبناء كل واحد منهم شرعى البقية من أخوانه أم هو خير فقلت بل هو خير لأنه وان شارك أخوته فى الرزق فقد شاركهم فى العمل والمنفعة لهم ، فقال إذن كل واحد من العشرة الأبناء فى حياة وسعادة بالمنزل نفسه وبجميع أخوته المساعدين له ، فقلت نعم قال فهكذا أهل الأرض كلهم فكل امرئ منهم يصح أن يقول خلق العالم كله لأجلى ولا ينافى هذه القضية بل يؤيدها وجود أمثاله من بنى آدم فى الأرض لأن كل انسان منتفع بالناس تعلما وتجارة ومدنية ونظاما كما انتفع من الشمس والقمر والسحاب والهواء . إذن لسكل عاقل أن يقول خلقت لى السموات والأرض وما بينهما كما تقول المرأة فى حق زوجها وأخوتها وذريتها هؤلاء كلهم لمنفعتى وخدمتى وكل من هؤلاء يقول مثل ما تقول هى ، وعليه لسكل انسان فى الأرض أن يقول خلق العالم كله لأجلى ، قال ثم هجس فى نفسى أن هذه المعانى كامنة فى قوله تعالى - ألم يجدك يتيما فآوى - فليتيم اللغوى معروف وهو الذى يحب القلوب فى ذلك اليتيم فتسكفه ، أما اليتيم العلمى فهو احتياج النفوس الى تربيتها فى الأجسام واصلاحها بهذه العوالم كلها وأول اليتيمين رمز لثانيهما ، فكل نفس فى حد ذاتها مقترة الى هذه العوالم افتقار من فقد أباه الى من يعوله ، وقوله - والضحى - والليل اذا سجى - قد شمل العوالم كلها فالعالم العلوى والسفلى ليلا ونهارا مسخر لسكل امرئ فى الأرض

قال الحرث بن همام فلما تم هذا الخاطر فى نفسى قلت يا عجبا وهل هذا دليل على حب الله لى ؟ فخطبت الله فى السر قائلا إذن أنت تحب كل مخلوق وكل انسان كافرا ومسلما لأن كل واحد من هؤلاء يقول مثل ما أقول فأجبنى الخاطر فى سرى يقول ﴿ إن الله لم يخلق الخلق إلا وهو يحب أن يخلقهم ومن كشف منهم له الغطاء عن حقيقة الأمر وأحس بوجدانه بما ذكرته لك الآن فهو المقصود الحقيقى لأن روحه أصبحت راقية ، أما بقية الخلق المغمورين فى الجهالة فأمامهم دهور ودهور يتيهون فى بحر الجهالة والعماية والضلال ، ثم قال إن الله خلق الخلق وأعد لهم للرقى ومن أحس بهذا الوجدان وثبت فى نفسه فذلك دليل على أنه استعد للعبادة الحقيقية والنور والبهجة والجمال ﴾

ثم قال الحرث بن همام فقلت فى سرى ان المحبة فى أهل الأرض اذا ملك قلب امرئ أضنته وأحرقت فؤاده وأمراضته وماهى إلا أن يحب الرجل اسرأة ردها من الزمن فما بالك اذا أحب العالم مبدع هذه الصور وأنواع الجمال ؟ فكيف يطبق ذلك ؟ وكيف يكون ذلك الحب . قال فأجبنى الخاطر فى سرى قائلا أما قولك كيف يكون ذلك الحب فأقول ، أذكرك بما تقرأ فى الحكمة والعلم فتفكر فى رجلين رأيا طائرا على شجرة مثل الزقراق البذى (المرسوم فى سورة يوسف وفى سورة النمل) فهذا له نوع من الجبال فوق الشجرة وقد تمايلت الأغصان وهبت الرياح وتغنت الأطيوار فأحدهما لم يفكر فيه والثانى فكر فى جماله ومنفعته وكيف

أعدّ لكل الدود الذي يأكل الزرع ، فهناك يحاربه ويدهش ويقول انى كما أتتفع بالشمس والقمر والكواكب وأهل بلدى وأمتى والأمم والجبال والأنهار هكذا أتتفع بهذا الطائر هو وأمثاله التى تبلغ نيفا وثلاثين كما تقدم فى (سورة طه) و (سورة يوسف) فهذه كلها جيوش وجنود مجندة أرسلت الى من العالم الأعلى لثقل الدود وتحافظ على حياتى ، هنالك يخرج من هذا الخطر الى مهوراقى عنده ويقول فى نفسه من أنا ؟ وماهى حياتى ؟ وما هذه الطيور والأمم والدول والكواكب . إن الأمر لأعظم وأكمل . أى حكمة دبرت . وأى تدبير أحكم إن الأمر لعظيم . هنا تدبير محكم ربط الشجر والطير بالدود والزرع والانسان . هذه حكم ونظم محكمة مضبوطة هنالك تطير روح هذا المفكر الى عالم الجبال وتفكر فيه وتنشرح وترجع الى مبدع هذه النظم وهنالك يرى الجبال بالبصيرة ويدهش عقله ويظلم به . وهذا الحب والدهش والتعجب ليس اختياريا بل هو أشبه بحب المرأة لولدها والعاشق لمعشوقه . والناس فى حق أصحاب الجبال على (قسمين) قسم عرف الجبال وهام به وقسم عرفه ولم يهم به لعدم استعداده . وكما اننا اذا أنينا بطفل أمام مائة امرأة وهو يكي طالبا ارضاعه لا نرى واحدة منهن تتقدم اليه اكثر من غيرها إلا امرأة واحدة هى أمه التى تلقمها نديها لأنها هى التى بينها وبينه مناسبة أشد من غيرها وان كان النساء كلهن يتأثرن لبكائه ويردن ارضاعه هكذا مناظر هذا الوجود كسألة الطائر المتقدمة والتقاطه الدود وحسن النظام العام فهذا ينظره العالم والجاهل وعلماء الزراعة وغيرهم ولكن لا يتأثر بالحب لمبدع العالم إلا نفوس خاصة كما لم يؤثر بكاء الطفل الأثر القوي إلا فى أمه . هنالك دعيت فى سرى وقيل لى إذن أنت محبوب فعلا لأنك اذا نظرت أمثال هذا الطائر طارلك وأخذ منك العجب كل مأخذ ووجدت فى نفسك حبا لا يحصى به من حولك مع أنهم يشاهدون مثل ما نشاهد ويعلمون مثل ما تعلم بل نفس علماء الحيوان وعلماء النبات يعلمون هذا أكثر منك ولكنهم لا يتأثرون فيرى عالم الزراعة أن ورق السنط قد حفظ بشوكة طلعت بجانب كل ورقة وأن عنق ورقة (البازلاء) وعنق ورقة الورد قد حفظ كل منهما بما خلق ملازمه كما تقدم فى (سورة النمل) رسم ذلك . يرى ذلك عالم الزراعة فلا يتأثر به لأنه ربما لم تكن روحه من الأرواح المستعدة لفهم الجبال كما لم يستعد الطفل لادراك جبال الغايات

ثم قال الحرث بن همام ، وختم الهاتف فى سرى خطابه لى قائلا (إن كل العوالم ساعية مجتدة للرقى ولم يحظ بتلك المحبة إلا نفوس خاصة هى التى أدركت ذلك الجبال ، أما البقية فانهم الى الآن لم يصلوا الى ذروة الكمال فلم ينالوا هذه المحبة . هذا جواب السؤال الأول وهو كيف يكون هذا الحب

أما قولك كيف يطيق ذلك الحب فأقول هذا هو بيت القصيد . اعلم أن أرواحكم فى هذه الأرض لها صلة بالأرواح العالية فهى نفوس جزئية لها نسبة الى النفوس الكلية التى بها نظمت العوالم كلها بأمر الله وهى المدبرات أصرا . فهذه وضعت فى الأرض والأرض كلها جبال وحكم وعجائب وبدائع فلو أن هذه النفوس كشف لها الجبال فيما حولها لماتت وتصدعت ولكن الله لرحته أحاطها بالمصائب والجهل والحسد والحرب والمرض وغيرها لئلا تعرف ذلك الجبال فيدهشها فلا تتحمله فتهلك ، فانظر الى آثار رجة الله ، جهل وذل وعمل وأشغال متعبة وهموم ، كل ذلك جعل غطاء يغطى جبال هذه العوالم المحيطة بالانسان من كل جانب بل على مقدار كثرة الجبال فى العوالم كان الغطاء الذى غطاه فكثرة الأعمال والجهل والثورات والفن فى الأرض وضعت بمقدار وفرة الجبال لتغطيه وتحجبه . فأكثر الخلق محجوبون عن الجبال فى أنفسهم وأجسامهم وحيواناتهم ونباتهم وأرضهم . فأما الذين كشف لهم بعض الجبال فهو لاء أيضا تنزل بهم السكوارث والنواب فتعجب عقولهم عن ذلك الجبال كالباقيين وانما يتجلى لهم الجبال وقتا بعد وقت فى فترات على مقدار طاقتهم . لا يكلف الله نفسا إلا وسعها .

(نور الجوهرة الثالثة الصحة والشمس)

جاء في جرائدنا المصرية في ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢٦ مانصه
يقول الدكتور (بنتلي) عميد كلية الطب بكاسكتا ان الشمس تسبب زيادة سكان الممالك أو نقصها كما
تسبب نمو المحصولات أو ضعفها . وعلى ذلك يقول الدكتور انه في أمريكا ولهند استدلوا على أن الشمس تؤثر
في إنماء الأجسام والمحصولات الزراعية وأن عدم وجود الحرارة بضعف الأجسام والمحصولات أيضا . ويزيد
أن الصحة لا تسلم إلا في نور الشمس وتحت حرارتها اه

﴿ الجوهرة الرابعة في قوله تعالى - ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار - الخ بعد قوله

- قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا - الخ ﴾

اعلم أيها الذكي أن هذا المقام عظيم القدر ساعى المنزل ففهم الرحمة هنا يعوزه أن تجتهد النفس في أن
تخلص من عاداتها وتخلص ولومؤقتا من شؤونها حتى تنفرغ الى فهم رحمة الله بشمسه وكواكبه نهارا وليلا
وبالظلمات والأنوار . واعلم أن السبيل لذلك ما قاله الله في سورة أخرى - فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد
ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى * ولا تمدن عينيك الى
ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى * وأمر أهلك بالصلاة واصطبر
عليها لانسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى -

خلقنا الله في الأرض وأفاض علينا نعم الشمس والكواكب والأنوار ولكنه في الوقت نفسه سلط علينا
الأعداء من كل جانب كما أحسن اليهم المرسلون والعلماء بافاضة العلم والخير أساؤهم وسلقوهم بالسنة حداد
ومن جهة أخرى سلط على كثير من الأخيار في الأرض حب الموازنة بينهم وبين معاصريهم في المال والرزق
والولد والجاه . إن أهل الأرض من الصالحين والطالحين جميعا قد أحاطت بهم هذه المزعجات عن حولهم ومن
أنفسهم ، يحدون من بنى آدم العداوة والبغضاء ، لاسيما الأقارب والقرناء ، ويجدون من أنفسهم طمعا لاحد
له وميلا لآخر في الحياة الدنيا ، فالأنفس في عذاب واصب مزدوج من داخلها ومن خارجها فأني وكيف تقدر
هذه النفوس ان تخلص للنظرة العامة في هذه الشمس الجيلة والكواكب البهجة وبهاؤها وظلمة الليل وضياء
الشمس . كلا . فالقوى النفسية في الانسان محدودة وقد وزعت بين قوتين قوة داخلية وأخرى خارجة
اللهم إنا نحن بنى آدم على الأرض مساكين خلقتنا في أرضك الجيلة تحت شمسك البهية المتلائة وكواكبك
البديهة ثم أحكمت أقفال أبواب السماء على أكثر نفوسنا فغابت في دجى ظلماتها وانهمكت في مطالب دفاع
الأعداء وجلب الكساء والغذاء ، فنفسنا أبدا ما بين قوى الدفع والجذب فأني لها أن تخلص من ذلك وتنظر
رجاتك الواسعة المحيطة بها

علم الله أن ذلك الخلق فينا فقال لنا أيها الناس ، أما ذم الأعداء وحسدكم وايداؤهم فدواؤه الصبر وما الصبر
إلا الجنة (بضم الجيم وتشديد النون) التي تتخذونها لكم دروعا تتقون بها ايداء الأعداء وأنا مع الصابرين
، وأما مطالب أنفسكم وجه الزهرة الحياة الدنيا فأيكم أن تمدوا أعينكم الى ذلك لأنها زهرات وهل لازهرات بقاء ؟
إذن لابد من صبر على الضراء وصبر عن الشهوات . إذن الناس موثقون بوثاقين والوثاقان لهما حل واحد
وهو الصبر ، صبر على قول الأعداء وصبر عن الشهوات ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ احتقار ما يصيب الانسان داخلا
وخارجا . هذا هو قوله تعالى - فاصبر على ما يقولون - راجع للصبر على كيد الأعداء . وقوله - ولا تمدن
عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم - الخ راجع للصبر عن الشهوات . وهاتان الحصلتان يرجع اليهما كل مكروه
من مرض وفقر وفراق وهكذا . فهذه هي القواطع التي تقطع الناس وتصرفهم عن معرفة رحمة الله عز وجل

في شمسهم وقره وكواكبهم . وبالصبر والرضا بالقضاء والقدر رضا مبني على العلم والحكمة . يتفرغ الانسان لهذا الوجود ويفهم إذ ذاك قوله تعالى - وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار اعليك ترضى - لأن النفس لا ترضى إلا بالعلم والعلم لا يكون إلا بعد أن تذهب تلك القواطع بأمرنا الله بالتسبيح بحمده قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وأمرنا بذلك في بعض ساعات الليل ويقول لنا في هذه الآية التي نحن بصدددها - ومن رحته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله - . قد قلنا إن الانسان موثق بوثاقين من الداخل والخارج والوثاقان يحلان بالصبر ولكن الزهد في الدنيا والصبر على الأذى وحدهما ليس معناهما أن الانسان يفهم هذا الوجود لأن هذا ماهو إلا تخلية ولا بد من التخلية كمدخل الحمام يتجرد من الأقدار ثم يلبس الثياب هكذا هنا اذا خلصت النفس من هذه القواطع فلتشرع في درس هذا الوجود ولتقف أيها الذكي صباحا قبل طلوع الشمس وقبل غروبها في موضع خال والجو جيل فسيح وقد أقبلت جيوش الصباح البيض الصباح أو المشرقات الحسان البهجات في دياجي الظلمات . فهناك تنظر فترى دولة وموكبا مقبلا فتطلع الشمس وترسل الحرارة الى الهواء فتجري الرياح الى الماء فيثور البخار الذي يصير سحابة فتقابله الرياح فتحمله الى الاقطار فيمطر فيكون أنهارا تسقي النبات والحيوان والانسان . أو ترى تلك الثريات اللامعات التي لاحد لجأها في الدجى وهن باهرات لا يعرف لهن أمد ولا يوقف لهن على عدد ثم تنظر فترى أن حياة كل مخلوق موقوفة على الشمس وضوئها وحرارتها وأن كل ماهو جيل في الأرض مشتق من بهاء تلك المشرقات ، وما هذه الزينة التي تتباهى بها الغايات الحسان في الأرض إلا من آثار ذلك الضياء ، ألم ترى أن الأصباغ التي نوعها الانسان في الثياب ماهي إلا من الفحم الحجري الذي حفظ ضوء الشمس قبل آلاف الآلاف من السنين ثم استخرج الناس منه تلك الأصباغ الآن والأضواء ، وبتلك الحرارة المخزونة أجروا المركبات في الطرقات وتوزعوها ووزعوها في الأقطار

نفس الانسان شريفة كبيرة عظيمة تعطى الملك والنعم والمال والولد وتلك الأنظار والبلاد ولكنها تقول كلا . كلا . هل من مزيد ، هي حقاً من نور الله ، نحن لانرضى في الأرض بما نملك . لو ملك كل منا هذه الأرض جميعها لقال هل من مزيد فكيف اذا كانت الأرض موزعة بيننا فلا سبيل لنا إلا العداوة والبغضاء في اقتسامها وانما لم نرض بذلك لأن هذه النفوس عالية شريفة لا ترضى إلا بمعرفة حقيقة هذا الوجود ومتى عرفت اطمأنت وسكنت . فهذا معنى قوله تعالى - لعلك ترضى - أما إهلاك الأعداء وأما مد عيذك الى ما متعناهم به من مال وولد فهذا لا يرضى هذه النفوس إلا وقتاً ما ثم ترجع للطالبة وتقول أين المنتهى . ومتى أدرك الانسان جلال هذا الوجود (ويكيفك مؤقناً قراءة هذا التفسير أو أكثره) رضيت نفسه وفهم معنى - فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها - الخ وأدرك السبب في ترتيب الرضى على التسبيح والتنزيه لا غير إذ يرى أن ما يصيبنا لم يكن إلا لارتقائنا والله منزّه عن قصد الايلام بلا فائدة . ومتى اعتقد ذلك اعتقاداً مبني على النظر والعلم رضى وفهم سر معنى كون رضوان خازن الجنان فهو من هذا الوادي وكفى في هذا المقام من أسرار وبهذا المقام يفهم المسلم في صلاته معنى مخاطبة ربه قائلاً ﴿أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت﴾ فأنت أهل الثناء والمجد دائماً . ومعلوم أن الثناء لا يكون إلا على نعمة وهذا المنع بعد فهم الحقائق صار نعمة . والمصلي يقول إما تعبدوا وتسكفوا إن كان جاهلاً واما بعلم وعقل ان كان عارفاً بأمثال ما يذكر في هذا التفسير وهنالك درجات فوق ذلك

فهناك يمتزج التسبيح بالتحميد إذ يرى في طلوع الشمس والكواكب وغروبها حياة وموتاً وزرعاً وحصاداً ويدرك النعم ويعقل السبب في الموت والمرض وأن كل شر لم يكن إلا لخبر وأن الأمر عظيم ويفهم - واذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملحاً كبيراً - ويرى أن الملك الكبير كما يكون يوم القيامة يكون في الدنيا بالنعم والعلم

غاية الأمر أنه يكون هناك أظهر ولكنه ظاهر لنسوى البصائر الآن . إن هذه الطائفة التي اتصفت بما أقوله الآن وعرفت مقصود الوجود على مقدار طاقتها تعرف نيم الله فتحمده عليها وتشكره ويخاصر قلوبها حبه لما ترى من جماله وإحسانه الذي لا حد له وتفهم أن رحمة لا حد لها وتعقل أن الموت الذي هو أعظم المصائب الخفيات في الدنيا ما هو إلا مقدمة لابد منها من مقدمات الرحات لأنه يستحيل أن تكون هذه الرحمة التي لا حد لها تأتي بنقمة إلا مقدمة لنعمة ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ ان النعمة ضرورية لجلب نعمة أرقى من النعم السابقة

هذا هو الذي تضمنه قوله تعالى هنا - ومن رحمة جعل لكم الليل والنهار - الخ فهذا الاجمال تصور مبادئ الرحمة التي في هذه الآية فنزله الله عن الايلام لغیر نتیجة وهذا هو التسبیح ونعرف نعمه التي لا حد لها وهذا هو التحمید وهذا هو غاية الرضا واذن نفهم - لعلك ترضى - هذه هي الرحمة العامة

أما الرحمة العملية فانظر أيها الذكي الى بني آدم تجدهم قد تخبطوا في قبول هذه النعمة . رأوا الشمس وضوءها فإذا فعلوا ؟ رأوا الطيور والأنعام والحشرات متمتعات فرحات بضوء الشمس فقلت أمرأضها وكثرت خيراتها ونعمها . أما هذا النوع الانساني فانه لما أعطى قوة الفكر والتمييز أخذ يتواري عن السعادة وينحط في دركات الشقاء بسوء تدبيره وكبل في قيوده وحيل بينه وبين سمادته بالتباهي وألهاه التكاثر في المال والولد والزينة والزخرف وجع المال والأكثر من الملابس والتفنن في الأطعمة والازواء في القصور والمنازل فخرم الهواء النقي وضوء الشمس والأطعمة الطبيعية فأحاطت به المسكروبات (الحيوانات الذرية) وأوردته موازداً لهلكة بالطاعون والحصاء والجذري والحجى وأمثالها وقتلته الأسقام بسبب البطنة وسوء اختيار الأغذية واتباعه ظواهر اللذات الحسية ونبذ مقاصد المطاعم والمشارب ولذلك الإشارة بقصة آيينا آدم التي ذكرت في مواضع من القرآن يقول تعالى - فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى - فانظر هذا المقام في أول سورة الحجر وفي أواخر سورة طه ، فهناك ترى خطئ هذا الانسان وجهله في الشرق والغرب ومريض بدنه بجهاه سواء في ذلك أطباؤه وعلمائه وجهلاؤه

لعمري الله ما نزل تلك القصة ولا كررت تأديبا لآدم . كلا . وإنما ذكرت عفاة لنا وتأديبا وهذه القصة قد نزلت على الأنبياء ثم على نبينا ﷺ والناس لا يكادون يفطنون لها حتى اذا كان هذا الزمان أخذ الناس يفطنون لهذا الوجود وبحسوا فأذاهم بحسهم الى أن التواري عن الشمس والازواء في البيوت والانهماك في اللذات كلها عذاب واصب . أما المطاعم واللذات فقد تقدم الكلام عليها مفصلاً في (سورة الشعراء) عند قوله تعالى - واذا مرضت فهو يشفين - وفي (سورة طه) عند قصة آدم وفي (سورة الحجر) كما تقدم وفي (سورة الأعراف) عند قوله تعالى - وكلاوا واشربوا ولا تسرفوا - وفي (سورة البقرة) عند قوله تعالى - أستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير - فافقروا ما هناك فان فيه غنى لك ولذوبك وحكمة ونورا ميذا

وأما أمر الشمس فان الناس اليوم عرفوا قيمة الخلاوات والهواء والتعرض لضوء الشمس فعلى المسلمين أن يذكروا ما عندهم من العادات واليكن لهم وجهة محمية يعلم وفهم وليعلموا أن الله عز وجل عمهم نور الشمس وجعله سعادة وصحة للطيور وللأنعام وللحشرات المقيمت في الحقول والبساتين فليس من المعقول أن يكون نعمة هذه المخاوقات ثم هو نفسه يكون نقمة على الانسان

قد أجمع الأطباء أن ضوء الشمس يجب أن يتخلل جميع حجرات المنزل حتى تقتل الحيوانات الذرية بل ان الأمر فوق ذلك . هاهم أولاء أهل ألمانيا أخرجوا التلاميذ من المدن والمنازل وأخذوا يعلمونهم في الخلاء ليتلقوا العلم وهم معرضون للشمس التي هي رحمة مرغوبة لانقمة مرهوبة ، فهناك ما اطلعت عليه في « مجلة كل شيء » فافقروا قراءة من يريد أن يعمل بالعلم ، فاذا قرأته ففكر فيه وغير نظام مدارس المسلمين وأخرجهم من ظلمات الحجرات الحقبيرة القذرة وقل لهم أيها الناس إن الله جعل ضوء الشمس رحمة بنص الآية ثم ألهم

الأم وعامها فحرفت فوائدها الضوء فاعترفوا من رحمة ضوء الشمس ولا تجسوا أبناءكم في تلك الأماكن القذرة التي لا يدخلها ضوء الشمس وابتغوا من فضل الله فهذا كلام الله وهذا عمل العلماء من عباده فهذا ما جاء في تلك المجلة بنصه

(التعليم في الهواء الطلق)

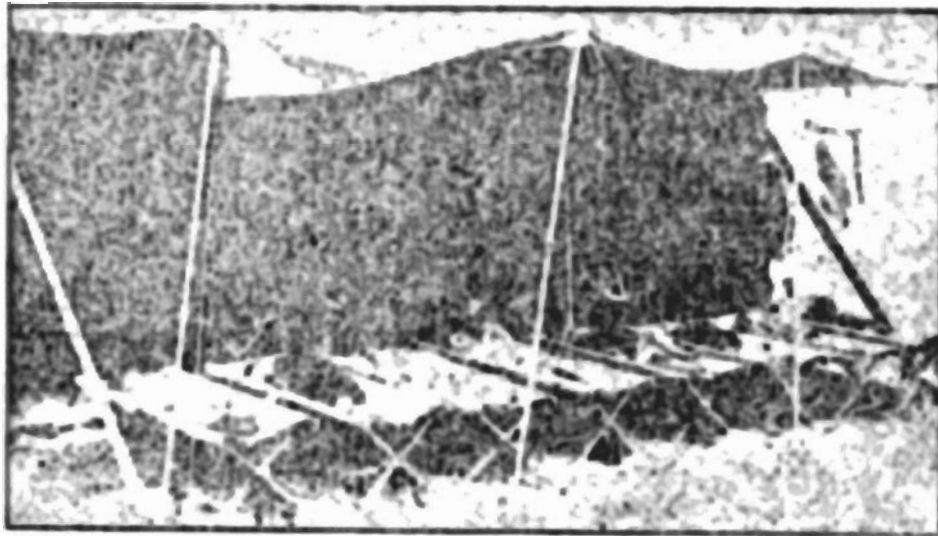
يؤمن الأطباء الآن إيماناً عظيماً بفائدة الضوء والهواء الطلق ، ولذلك هم ينصحون للرضى بالتعرض لضوء الشمس والتخفيف من الملابس بل ينصحون باستعمال الضوء الصناعي إذا كانت اليوم كثيرة كما هي في لندن . وقد بنى الألمان وغيرهم مدارس مكشوفة يجرى التعليم فيها في الخلاء فإذا أمطرت السماء أوى التلاميذ والمعلمون إلى الغرف ، ويرى القارئ هنا ثلاث صور للمدرسة أطفال جديدة أنشئت قريباً من (بورجيه) في فرنسا وهي تجمع الصفار من منازلهم كل يوم بالأتوموبيل وتخرج بهم للخلاء فيجري التعليم بين الحقول تحت الشمس عند اعتدال الهواء ، فإذا لم يكن الجو موافقاً فقد التلاميذ في المدرسة الأصلية وهي بناء عادي به الغرف الخاصة بالتدريس وبهذه المدرسة الآن ٨٠ تلميذاً (انظر شكل ٢) و (شكل ٣) و (شكل ٤)



(شكل ٢ - التلاميذ في المدرسة الجديدة التي أنشئت أخيراً في فرنسا يلعبون في الحقل أثناء الاستراحة بين درسين)



(شكل ٣ - التلاميذ على الواث)



(شكل ٤ - التلاميذ في خيامهم في الخلاء يستريحون على أسرتهم عقب الغداء)

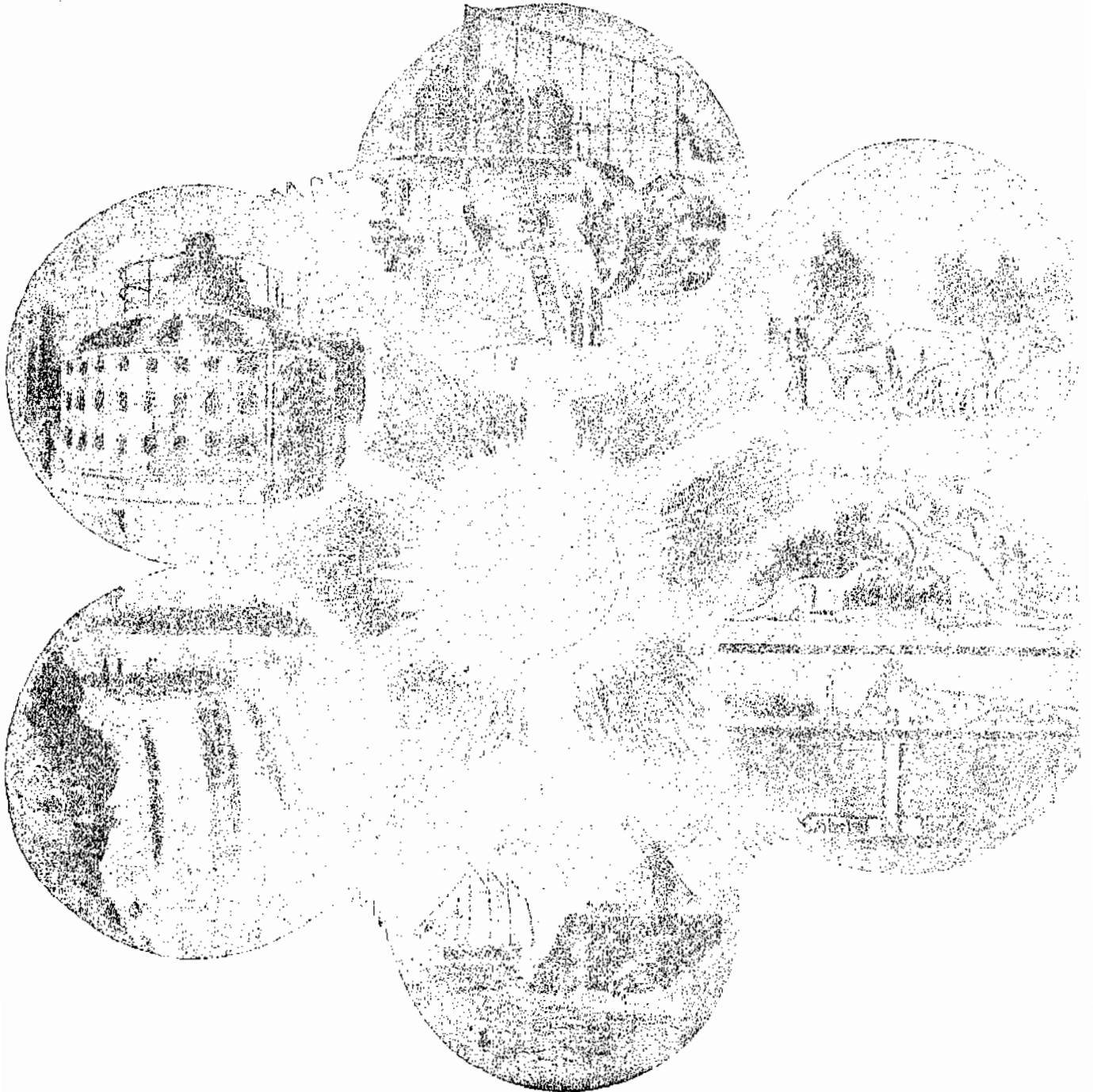
فلما اطلع صاحبي العالم على هذه الصورة وفيها التلامذة في الخلاء معرضين للشمس . قال أتدري ما يقول الناس حين يرون هذه الصورة ، يقولون إنك تأتي بالجزئيات فتجعلها كليات ، هذه فرنسا ربما قام فيها أفراد وصنعوا هذه التجربة وجعلوا مدارسهم في الخلاء تحت الهواء والشمس فهل يصبح هذا قاعدة وعلمنا وأيضا إن أمر الشمس يحتاج الى ايضاح ثم لماذا أدخل من على الرحة وما رأيك في تعليم المسلمين اليوم وغدا فقلت سأشرح هذا المقام في هذه الفصول ﴿ الفصل الأول ﴾ في منافع الشمس وما يتخيله الناس في مستقبل أمرهم بالنسبة لها ﴿ الفصل الثاني ﴾ علاقة الشمس والهواء بارتقاء الأمم وفي ذلك ﴿ مقصدان ﴾ المقصد الأول ﴿ آراء ابن خلدون في أن التضييق على المتعلم يورثه الخيبة وتقهده به عن المعالي ﴾ المقصد الثاني ﴿ فيما قاله العالم السويسري الذي جاء الى مصر الآن ﴾ الفصل الثالث ﴿ في أن نباعد الناس عن الفطرة يضر بصحتهم ويقصر أعمارهم ﴾ الفصل الرابع ﴿ في شرح الكلام على الرحة في هذا المقام ﴾ الفصل الخامس ﴿ آرائي في التعليم عند المسلمين اليوم وفي المستقبل

﴿ الفصل الأول في منافع الشمس وما يتخيله الناس في أمرها غدا ﴾

- (١) إن الشمس بها يكون البخار فيصير سحابا فطرا فيكون النبات والحيوان
- (٢) إن الفحم الحجري المظمور تحت الأرض من مثات ألوف السنين قد خزنت فيه حرارة الشمس وهما هو الآن تجرى به المركبات وتسرع الحركات
- (٣) بالشمس كانت الرياح اللاتي تجرى بها السفن والمطاحن . إن الشلالات بها تستخرج الكهرباء والشلالات وما أشبهها نتائج الشمس لأن نفس الأنهار سببها الشمس
- (٤) وكل محرك كهربائي لا يسير إلا بوقود وقوة والقوة أصلها من الشمس
- (٥) وقد تخيل العلماء أن الشمس في المستقبل سيجعل لها زجاج بلوري يجمع الأشعة ثم يوزعها ومعنى هذا أننا بدل أن نرجع إلى ما خزن من حرارتها قديما في الفحم المظمور في باطن الأرض نتجده مباشرة لنفس الضوء بالآلات خاصة ونخزنه ونستعمله أي أننا نأخذ ضوء الشمس مباشرة بدون تلك الوسائط القديمة التي صنعها الله لنا لضعفنا وجهلنا ، أما الآن فالعلم يفتح لنا كل مغلق وهذا هو الرسم الذي تخيله الناس نقلته من مجلة « كل شيء » (انظر شكل هـ في الصفحة التالية)

(الشمس مصدر كل قوة في الأرض)

هذا الرسم يبين أهمية الشمس للبشر وكيف أنها المرجع الأصلي لكل القوى التي نستخدمها على وجه الأرض ، وقد رسمت الشمس في الوسط ورسمت حولها بعض الأشكال التي نستخدم بها قوتها أي الأجهزة التي تستمد قوتها من الشمس



(٥ شكل)

- (١) آلة لاستخدام أشعة الشمس في المستقبل وهي صورة تخيلية
 - (٢) الأحياء كلها تستمد قوتها من الشمس إما مباشرة أو غير مباشرة
 - (٣) الفهم ليس إلا نباتا معامورا والنبات انما تنميه الشمس
 - (٤) الشمس تسبب حركة الرياح فتستخدم في المطاحن وفي السفن
 - (٥) الشلالات والأنهار انما نشأت عن تبخر المياه وسقوطها مطرا
 - (٦) المحركات الكهربية لا تسير إلا بقوة أى بقوة مستمدة من الشمس
- ﴿ ايضاح الصورة المتقدمة ﴾

تكثر الصحف هذه الأيام من ذكر القلق الذى يفتاب العلماء بشأن نفاذ الوقود ، فالبنزول والفحم سينفدان عن قريب ، وقوة المياه المساقطة محدودة ، أما قوة الرياح والمد والجزر فلم يمسها أحد إلا قليلا ولذلك يكبد العلماء قرائحهم بتبكار طريقة للارتفاع بقوة الشمس مباشرة ، فكل ما فى الأرض من قوة مخزونة ماضية أو مستقبلية مرجعه الى الشمس وحدها وفى

- (١) رسم يمثل آلة لتوليد القوة من الشمس رأسا وبها زجاج باورى يجمع الأشعة ثم يوزعها ، والرسم خيالى لأنه لم يتحقق للآن وإن يتحقق إلا فى زمن بعيد جدا وفى
- (٢) صورة حارث يحرق الأرض ، فكل ما فيه وفى الأشجار والثيران من قوة مستمدة من الشمس فالشجر يخزن قوة الشمس بواسطة ورقه وحياة الحيوانات كلها متوقفة على حياة النبات والنبات لا يمكنه أن يعيش بدون ضوء الشمس . وفى

- (٣) يرى القارئ صورتين العليا تمثل الأشجار القديمة والزواحف المقرضة . وهذه الأشجار قد طمرها التراب فصارت الآن خفا ، فصدر القوة فى الفهم هو الشمس أيضا لأنها هى التى أنبتت نباته . وفى
- (٤) ترى مطحنة هوائية وسفينة وكلاهما تستغل الرياح والرياح لا تتحرك إلا بفعل الشمس التى تسلط أشعتها على بعض الأماكن فيخفض الهواء عند ما يسخن ويرتفع فيأتى غيره مكانه فتتولد الرياح . وفى
- (٥) يرى القارئ شلالا ينتفع بسقوط المياه منه فى توليد الكهرباء بآلية وقوته تعزى أيضا الى الشمس التى هى سبب تبخر المياه وتكوين الأمطار والأنهار . وفى
- (٦) يرى دينام كهر بائى ولده البخار الذى تولده الشمس أيضا فهى التى أوجدت الوقود لإيجاد البخار وبهذا تم الكلام على الفصل الأول

﴿ الفصل الثانى فى بيان علاقة الشمس والهواء ونحوهما بارتقاء الأمم وفيه « متصدان » المقصد

الأول » آراء العلامة ابن خلدون فى التصديق على المعلمين فقد عقد فصلا عنوانه ﴿

(فصل فى أن الشدة على المعلمين مضرّة بهم)

قال ، وذلك ان اذهاف الحد فى التعليم مضرّ بالمعلم سيما أصاغر الولد لأنه من سوء الملكة ، ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المعلمين أو المالئيك أو الخدم سطا به القهر وضيق على النفس فى انبساطها وذهب بنشاطها ودعا الى الكسل وجعل على الكذب والنخب وهو التظاهر بغير ما فى ضميره خوفا من انبساط الأيدى بالقهر عليه وعمله المكروا الخديعة لذلك . الى أن قال وفسدت الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله وصار عيالا على غيره ، ثم أخذ يقيس الأمم على الأفراد وضرب مثلا باليهود وانهم يوصفون فى كل أمة وعصر بالحرج والتخايب والسكيد وسببه ما تقدم ، ثم أخذ ينصح المعلم أن لا يستبد بالمعلم ونقل من الاستاذ محمد بن أبى زيد فى كتابه الذى ألفه فى حكم المعلمين والمتعلمين انه لا يزيد فى الضرب عن ثلاثة أسواط ، وهنا ذكر موعظة عمر وخطاب الرشيد للأحرار معلم ولده وقوله له يا أحرار إن أمير المؤمنين الخ

هذا ما قصدت نقله من مقدمة العلامة ابن خلدون وهو وإن لم يكن فيه نص على الهواء والشمس اللذين نحن بصدد الكلام عليهما لمناسبة الآية فبيد ذكر العناية بالتعليم وإن في إذلالهم بوضعهم في سجن ضيقة ومنع الهواء والشمس عنهم ضررا أشد وذلا أعظم من الضرب وهذا هو الذي صرح به المستر (مان) الذي انتدبه وزارة المعارف المصرية أثناء طبع هذه السورة من علماء النفس والتعليم في بلاد سويسرا وهو الذي عقدت له

﴿ المقصد الثاني ﴾

فإن وزارة المعارف كلفته أن يضع تقريرا وافيا عن التعليم في مصر بجميع فروعها ، فمن حسن حظ هذا التفسير أني اطلعت على ما كتبه في هذا الصدد فرأيت يقول : لقد رأيت مدارس كثيرة في نفس بلاد الريف والجو حول المدارس حسن جيل والمزارع تحيط بهم والتلاميذ مع ذلك لا يتبدلون عليهم ملاحج السرور فكأنهم محبسون وقد حرّموا من الهواء والشمس ، ونصح المعارف أن تجعل الشمس والهواء يحيطان بهم وأن يجعل لهم حرية في الذهاب والإياب وأن يشعرهم المعلمون بأن لهم كرامة الخ . واقترح أن المعلمين يذهبون بهم أحيانا إلى الخلاء في الشمس والهواء ويعلمونهم هناك اه

أفليس هذا من العجب ، أتى بعد أن أحضر صورة المدرسة الفرنسية أطلع على التقرير أثناء ترجمته فأجده يصرح بإخراج التلاميذ إلى الخلاء في الشمس أحيانا . أليس هذا من التأييد لهذا التفسير . ومعالم أن جميع مدارس أوروبا تنحو نحو الخلاء والشمس والاستقلال

﴿ الفصل الثالث في أن تباعد الناس عن الفطرة يضر بصحتهم ويقصر أعمارهم ﴾

إن هذا الموضوع مناسب لما قبله من تبطبه ، ذلك أن العلامة (فنلند) ألف كتابا موضوعه «إطالة العمر» فقد قال هو وغيره : ﴿ إن الكلب يبلغ تمام نموه في سنة ونصف ، والحصان في ثلاث سنين وهكذا لكل حيوان زمان يتم نموه فيه ومدة تمام النمو المذكورة تبلغ ثمن عمره إذا لم يقتل بسبب آخر ، فيعيش الكلب (١٢) سنة ويعيش الحصان (٢٤) سنة ويقاس عليهما بقية الحيوانات ﴾

ثم قال هو وغيره : ﴿ إن نهاية نمو الإنسان تكون في (٢٥) سنة وبضربها في (٨) تكون مائتي سنة والسبب الذي منع عن الناس طول عمرهم أنهم لا يعيشون بالبساطة والقناعة والاعتدال بل يفرطون في كل أمر مع الانحراف عن النظام الطبيعي ومن ذلك العبودية للشهوة والتقليد والبطالة والري . أنا لست أقول هذا الكلام حق من كل وجه . كلا . وإنما أقول علينا أن نعتدل لتصح أجسامنا ، وقد ذكر أن (هنري) عاش (١٦٩) سنة وهو انجليزي و (جون بافن) البولندي عاش (١٧٥) سنة و (يوحنا) النرويجي عاش (١٦٠) سنة و (طوزمابار) عاش (١٥٢) سنة . وهناك رجل زنجي يعيش الآن وعمره (٢٠٠) سنة اه

﴿ الفصل الرابع في الكلام على الرحة ﴾

يقول الله تعالى - ومن رحمته - الخ . معلوم أن أول السورة - بسم الله الرحمن الرحيم - والمسلم في كل صلاة يذكر الرحة عشرات المرات ، فالرحمة تكرر في كل زمان ومكان . يقول الله - ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار - الخ فهذه الشمس المضيئة التي جرت بها الأنهار والرياح والسموات واخضر الزرع وعاش الحيوان والإنسان وجرت السفن والقطرات والكهرباء وبها كانت الأصباغ المختزعة الكثيرة التي تفتخر بها الغادات فهي كلها من القطران المستخرج من الفحم كما تقدم في آخر (سورة النمل)

فهذه الشمس ومنافعها التي لا حصر لها من بعض رحمته . ومعالم من حديث الصحيح أن الرحة في الأرض واحدة نشأ عنها هذه السعادة في الأرض والرحمة بين الأمهات وذريتها والآباء وأبنائهم في الإنسان والحيوان وهذه الرحمة واحدة من مائة رحمة أخرى جيعها للناس في عالم آخر بعد فراق هذه الأرض

﴿ الفصل الخامس آرائى فى التعليم عند المسلمين اليوم ﴾

إن الأمم الإسلامية فى الأكثر اليوم ليس عندها إلا السكتانيب المعدّة لحفظ القرآن وهى فى أكثرها أشبه بالمقابر قد نزلت لاضوء فيها ولاهواء إلا قليلا وهذه مضرّة بالمنتهين باجتماع الأمم . فقال صديق العالم هل تظن أن المسلمين يقتنعهم هذا القول ؟ هذا يقنع الرافقين منهم لأنهم يعلمون اتساع ديننا . أما الأمم المتأخرة منهم فانها لاتثق إلا بما يرد عن المتقدمين . فقلت أذكرك بما ورد أن النبي ﷺ كان يوحى اليه وهو سائر فى الغزوات ومتى نزلت عليه آيات أو سورة اجتمع القوم أو لهم فى الطريق وآخرهم وهو على دابته يقرأ لهم ما نزل عليه ﷺ فهاهو ﷺ ألقى عليهم الدرس فى الشمس والهواء الطلق . أفليس هذا يكفىك أن تعرف أن جلوس المسلمين فى الهواء الطلق موافق لسنة النبوية . ومن عجب أن الحج فيه الوقوف بعرفة ورمى الجمار والسعى بين الصفا والمروة وهكذا جميع أعمال الحج . وترى الحاج قد امتنع عن كل زخرف فى هذه الحياة ولا يلبس المخيط وإنما يلبس إزارا ورداء ، فكيف كان الحج على هذا النمط ؟ نعم هذا أمر تعبدى . نحن لا نذكر ذلك ولكن هذا التعبدى ظهر بعض سرّه اليوم . الله أكبر . يتجرّد الحاج من المخيط ويوقف عارى الرأس تحت الشمس المحرقة يوم عرفة ويهرول بين الصفا والمروة . أليست هذه مبادئ سبقني عليها أمم بعدنا سعادة للإنسانية غير هذه الحال . إن آدم أكل من الشجرة والقرآن والتوراة وغيرها صرحت بذلك وعصيان آدم ربه نزل به القرآن فهو مع صمته يرمز به حالنا نحن . فهاهى ذه الأعمار قصرت لانحراف الناس فى ما كاهم ومشاربهم وملايسهم وفى طمهم وفى شرهم ولذاتهم فهلكوا سريعا

إن بنى آدم باجتماع الأطباء انصرفوا عن سراء السبيل فى أحوالهم النفسية والجسمية ، فرأينا الصحابة رضى الله عنهم يأكلون الخبز غير متخول زهدا فى الدنيا ، ولكن العلم الحديث اليوم أثبت أن هذا صحة لأبدانهم ، وهاهى ذه الأمم تنحون نحوهم طيبا لا زهدا ، ومثلها مسألة الحج فهى لنا تعبد ولكن من الذى تعبدنا ؟ الذى تعبدنا هو الله . ولما نظرنا وجدنا أن الأمم اليوم تستشفى بالشمس (انظر ما تقدم فى سورة الشعراء شكل ١) فانك ترى الفتيات فى الشمس يستنفين بنورها ، ثم انظر المدرسة الفرنسية فى هذه المقالة التى ترى تلاميذها مكشوفين للشمس . إذن البساطة فى الحج من حيث الملابس وظهور بعض الجسم للشمس هو أولا عبادة مقدسة وثانيا هو مبدأ يتخذ للشفاء والصحة والقوة والعلم وهذا ضد الترف المهلك للأمم ونفس الهرولة بين الصفا والمروة مبدأ يقاس عليه الحركات التى تقوى الأجسام وهذه كلها حكم غير حكمه العبادة المقدسة العالية . أليست ترى أن تقليل الملابس وكشف بعض الجسم للشمس وترك الترف هو هذا الذى يحبه النوع الإنسانى الآن نيسعد بالحياة ونصح أجسامه . إذن الحج من فوائده فتح باب التجرد من أمور الزينة والشهوة اتصح الأجسام ومنها فتح باب الرياضة البدنية وأيضا اجتماع الناس فى مكان واحد ولبسهم ملابس متماثلة رجوعهم إلى الفطرة الأولى وفيه إشارة إلى انكم أيها الناس جميعا يجب أن تتعارفوا وتتركوا الترف والنعيم وهذا الترك هو الذى يجمعكم واللذات تفرقكم ، والصوم يلحق بالحج لأن فيه ترك الأكل فأما الصلاة فهى درس اجمالى لجميع العلوم كما أوضحته فى بعض هذا التفسير ، الصلاة مبدأ العلوم والزكاة مبدأ المودات بين الأمة والحج مبدأ المساواة العامة وصحة البدن وهكذا . انتهى نصف الليل ليلة الأربعاء ٢٦ يونيو سنة ١٩٢٩ وهذا تم الكلام على القسم الثالث من السورة

(القسم الرابع)

إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ

بِالْمُصِيبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ * فَفَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ * نَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَسْكَنَّ اللَّهُ يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَّا وَيَسْكَنَّاهُ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ * تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْمُتَّقِينَ * مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يَجْزِي الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونْ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ * وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلَتْ إِلَيْكَ وَأَذْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُسْرِكِينَ * وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ *

هذا القسم تطابق على ما تقدم من أقسام السورة راجع إليها متعمها مكمل لمقاصدها منه لما ترمى إليه ،
ابتدأ الله السورة بما يأتي

- (١) بذكر أن فرعون علا في الأرض وأنه من المفسدين
 - (٢) ثم ذكر قصة موسى وفرعون ونجاة الأول وهلاك الثاني وقومه
 - (٣) ثم أردفه بذكر نظير ذلك من كفار قريش وأفهمهم أنهم كقوم بطروا معيشتهم فخرت ديارهم
 - (٤) ثم أتبع ذلك بمن أنعم عليهم وتعلموا وشكروا
- ذلك ملخص السورة ، ثم أتبع ذلك بذكر قارون وأنه بغى على قومه وقد كثرت ماله فأبطره الغنى ونسبه إلى علمه وتكبر على قومه وانقسم الناس في أمره ﴿ قسمين ﴾ قسم السامع وهؤلاء حقروا زينة وماله وقسم الجهلاء وهؤلاء تمنوا مثل ما أعطى قارون ، فلما وقعت واقعة وانسقت السماء بحجده فكانت واهية وسقط قارون في الهاوية عرف الجاهلون الحقيقة بهذه الحادثة وأدركوها بتلك الكارثة فأما أهل العلم فلم ترددهم إلا ثباتاً ،

إن ذلك أشبه بما حصل لفرعون وموسى ومحمد ﷺ وكفار قریش ففرعون كفارون وكاهل مكة لما طفوا وأسرفوا واستكبروا وتدمر قارون وما يملك كتمدبر فرعون وجنوده وكذلك هلاك قریش . لذلك ختم السورة بأن الدار الآخرة يحرم منها ﴿ اثنان ﴾ العالون في الأرض والمفسدون وبنالها من تنزهوا من هذين وهذا نظير ما في أول السورة - إن فرعون علا في الأرض - الى قوله - من المفسدين - فهنا يقول الآخرة لمن لم يتصف بهذين الوصفين وتجرد من الأمرين وفاز بالحسنين التواضع واصلاح الأرض . ثم ختم السورة بأن كل شيء هالك إلا ما كان على نسق يرزاه الله كما كان موسى ومحمد ﷺ والذين أوتوا العلم مع فرعون وقریش وقارون ، وملخص ذلك أنه لا آخرة إلا لنبي أو حكيم أو عالم أو متبع سنتهم . فهو لأهلهم الذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً فكأن السورة في هذا القسم خلصت مرتين مرة في قصة قارون ومرة في قوله - كل شيء هالك إلا وجهه - في آخر السورة . اذا عرفت ذلك فلنشرع في

﴿ تفسير الألفاظ ﴾

قال تعالى (إن قارون كان من قوم موسى) كان ابن عمه (فبغى عليهم) طلب الفضل عليهم وأن يكونوا تحت أمره وتكبر عليهم وظلمهم (وآتيناه من الكنوز) الأموال المتخرة (ما إن مفاتحه) أي خزائنه جمع مفتاح بفتح الميم وأما ما يفتح به فهو بكسرهما وما بمعنى الذي منصوب والجللة صلته (لتنوء بالعصبة أوى القوة) أي لتثقل العصبة ، غالباء إذن للتعدي ، يقال ناء به الجمل اذا أثقله حتى أماله والعصبة الجماعة الكثيرة والقوة الشدة ، وقوله (إذ) متعلق بقوله (قال له قومه) المؤمنون ونبههم موسى عليه السلام (لاتفرح) لاتبخر بكثرة المال كما قال تعالى - ولا تفرحوا بما آتاكم - وكيف يفرح الناس بما أوتوا وهم زائلون من هذه الأرض (إن الله لا يحب الفرحين) بزخارف الدنيا لأنهم قوم غافلون ، ثم أبان المقصود من المال في هذه الدنيا فقال (وابتغ فيما آتاك الله) من الغنى والثروة (الدار الآخرة) بأن تكون أباً لأمتك ناظراً في شؤونهم مرقياً لهم حافظاً لكرامتهم حريصاً على اسعادهم بحيث يكون مالك معيناً لفقراهم مرقياً لهم (ولانفس نصيبك من الدنيا) لأنك واحد منهم والمال مال الله والخلق عياله ، فليس معنى اتفاق المال للناس أن تنسى نفسك . كلا . بل ابدأ بنفسك فاذا نسيت نصيبك من الدنيا فأنت مذنب لأنه لا معنى لإحياء نفوس الناس وامانة نفسك واصلاح حياتهم وافساد حياتك ، ولما قرر هذه الحقيقة أخذ يتم تحريضه على الاخسان فقال (وأحسن كما أحسن الله اليك) لأن مالدريك من المال والقوة والعلم ليس منك وإنما هو من الله وكما أن ضياء الشمس والكواكب من الله خلقه فانه الى خلقه منفعة هكذا ما أنعم الله به عليك فهو من الله والى عباده ومنهم نفسك (ولاتبغ الفساد في الأرض) بالظلم والبغى (إن الله لا يحب المفسدين) لسوء فعلهم فأجاب قارون ناسياً أن الله هو الذي وهبه هذه النعم متدعياً أنه استحقها بقوة فطنته وذكائه وعلمه (قال إنما أوتيته على علم عندي) فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم في المال والجاه أي إنما أوتيته حال كوني على علم كائن عندي كعلم التجارة والكيمياء ، ولا جرم أن العلوم كلها كشجرة ذات أغصان وفروع فمن اقتصر على أحدها أغرم به وجهل سواه ، ومماثل الناس إلا كمثل قوم عمى أمسك كل بجزء من الشجرة فقال أحدهم إن هذه الشجرة ناعمة رائحتها طيبة وهو قد أمسك بالزهرة وقال آخر إن هذه الشجرة خشنة مدورة وقد أمسك بالجذع وقال ثالث إن هذه الشجرة رقيقة كورق الكتابة كثيرة القطع معلقة في سقف مربوطة بحبال دقيقة يريد الورق وهو متصل بفروع صغيرة دقيقة هكذا العلوم من قرأ منها علم التجارة أو علم الكيمياء على فرض استخراج الذهب به فانه يغرم به ويقول إنما العلوم لجمع المال وهو المقصود وماعداه فجفالة . ومن قرأ علم الزهد والتصوف احتقر المال وتعلق بأسباب الكمال وتهذبت النفس وههنا قارون كان من القسم الأول وكلا القسمين في نقص مشين فلا بد من معرفة سائر العلوم معرفة اجالية ثم التفرغ لواحد منها ولا يكون المسلم كما كان قارون

يحفظ علما واحدا ويجهل سواه فيعيش ناقصا وحيدا لأن ذوقه لا يطابق أذواق الناس فيصبح عالم التجارة عدو صاحب تهذيب الأخلاق ويكون الناس في تقاطع ، فعلى الناس أن يقرؤا سائر العلوم فعلم الزهد لابد منه لدى المال حتى لا يكون أحدهم مغرما بالمال فتضيع حياته سدى . ولذلك ونحنا الله فقال لما دأبت علوم الدنيا وتركت علوم الآخرة والدنيا والآخرة لي ، هلاقرأت العلمين (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا) للمال أى أغره علم المال فافتخر به وجهل علم تواريخ الأمم العابرة والقرون البائدة وكم فيهم من كانوا أكثر منه مالا وأعز نفرا فهلكوا

فقل لمن يدعى علما ومعرفة * حفظت شيئا وغابت عنك أشياء

ولذلك يقال « البلاء خير من الفطانة البتراء » فهؤلاء جميعا واقعون في الهلاك محكوم عليهم بالاعدام لافرق بين الأولين وبين الآخرين ومنهم قارون انهم يهلكون بذنوبهم لأن الله عليم بظواهر ذنوبهم كما هو عالم ببواطنهم فيهلكهم (ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) وكيف يسألون وأمرهم عنده معلوم ، ثم أعقبه بذكر بعض ذنوبه ليعلمنا الله كيف تكون الذنوب الكبار والمواقفات كامنسة في مظاهر لا يظنها الناس إنما ولا يعتقدونها ذنبا بل تلك المظاهر أحوال عادية وأمور مباحة مظاهرها رجسات وباطنها زلات بل أعظم الزلات فيا ليت شعري أى شين وأى إثم فى قوله تعالى (نفرج على قومه فى زينته) وماذا فعل ؟ يقال انه خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب وعليه الأرجوان ومعه أربعة آلاف فارس وعليهم وعلى دوابهم الأرجوان ومعه ثلثمائة جارية بيضاء عليهم الخلى والثياب المروحة على البغال الشهب ، ولا حاجة الى نقل أقوال غير هذا لأنها عبارات متقاربة وإنما المقام مقام هذا السؤال أى ذنب فى هذا وهل ظهور الانسان مع نسائه ومع الفرسان وعليهم ملابس جيلة حرام ، إن هذا ليس بحرام إلا اذا كان هناك بعض ملابس محرمة وهذه الملابس حرمتها من الصغار . إن هذا المظهر مظهر مباح فما ذنب قارون إذن ؟ ولماذا يذكر ذلك المظهر بعد قوله ... ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون - وهل اذا تبنى الجهال مثل ذلك الجمال والزينة إذ (قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لننحفظ عظيم) من الدنيا ، هل هذا ذنب لقارون وإنما هؤلاء لجهالتهم تمنوا مثل قارون كما نرى ونسمع فى كل قرية وبلدة وضعية هذه العبارة بعينها حتى ان الرجل والشاب والمرأة والفتاة ليقول كل منهم ياليت لى مثل ما أوتى فلان وفلانة على أى نعمة كشوب جيل أودابة يركبها أو بهيمة يأكل لبنها أو مزرعة يحصد غلتها وما أشبه ذلك ، إن هذه عادة جميع أهل الأرض فى زمن قارون وقبل قارون وبعد قارون ، فما ذنب قارون إذن ؟ نعم ذنبه ظاهر فى الآية إذ قال تعالى - فبني عليهم - وسيأتى ما فعله من أنه برطل المرأة الباغية لتتهم سيدنا موسى ، فهذا بعض البغى منه ولذلك ذمّه الله وخسف به وبداره الأرض . أقول ولكن ذكر خروجه على قومه فى زينته لابد فيه من أمر خفى والأفلاماذا يذكر بعد ذكر هلاك الأمم وأن المذنب منهم لا يسأل عن ذنبه كما قال تعالى - فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان - والجواب على ذلك ، ان من الذنوب ذنوبا باطنية وقال علماؤنا رحيم الله أنها أشد فتكا بالانسان من الذنوب الظاهرية . إن الله لم يذكر فى القرآن إلا انه بنى على قومه وانه - قال انما أوتيته على علم عندى - وانه - خرج على قومه فى زينته - ولم يذكر ماسأقصه عليك مما نقله المفسرون عن بنى اسرائيل من أمر المرأة وغيرها ، فلنبحث فى هذا الذى جاء فى الآية . إن فيه لكبار الذنوب مثل الكبرياء والعجاب والتعالى على الناس . فهذه وأمثالها ذنوب كباث ويقول علماؤنا انها هى المهلكة . إن هذه المظاهر إما أن تكون من أشرف الأعمال وإما أن تكون من أضلها فإذا كانت لاظهار مجد الأئمة وقهر عدوّهوا وكسر نفسه واظهار العظمة الدينية والقومية فهى جهاد فى سبيل الله . فأما اظهارها لاذلال النفوس وكسر القلوب والتعالى على الاخوان وأبناء البلاد فذلك تفريق للكلمة واظهار للعظمة فى غير موضعها فان الناس اخوانه ومتى تعالى عنهم خفضهم فلا جامعة بينهم ولا رابطة تربطهم

فيذلون في الدنيا بانقضاء الأعداء عليهم وفي الآخرة يجتهم . فظواهر قارون كانت من القسم الثاني قصصها الله
 ليعلم المسلمين ويقول لهم لتكن نفوسكم شريفة وإياكم أن تطغوا إنما نظرى لقلوبكم لا بصوركم ، فكلم مظاهر
 نعمة يريد بها تعالى والتفاخر ، وكلم مقيم زينة وصانع وليمة أو عرسا أو مأتما وهو في ذلك كله كقارون ، ليست
 هذه المظاهر عند كثير من الناس إلا ليظهروا بها الكبرياء والتعالى على الناس واطهار العظمة ... من كان يريد
 الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا ينجسون * أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار
 وحبط ماصنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون - إن هذه الآية وردت في المرأتين ، ففعل قارون وأمثال قارون
 من كل ذى مال ولو قل في الأمة الإسلامية يدخله الرياء والاعتجاب بالنفس والكبرياء والتعالى على الأقران
 وهي هي المهلكات المزجمات قال تعالى - أذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب
 الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون - هذا هو القرآن وهذا كلام الله وأكبر
 مصيبة حلت بالاسلام أن الذنوب الباطنية لم تذكر في مدارس التعليم واكتفى الناس بالأحكام الشرعية الظاهرة
 وظنوا أن التعليم في البواطن خاص بالمجاذيب والصوفية وهذا من أكبر عيوب التعاليم الإسلامية . إن هذا هو
 السبب في أنك ترى بعض المسلمين في المكتبات العائمة النافعة لا يساعدون ، وترى الناس يصرفون أموالهم
 في الزينة والزخرف والسفر إلى أوروبا للنزهة والرياضة ومصر التي هي بلاد يسهل منها كل سنة نحو خمسين ألفا
 يصطافون في أوروبا ، وترى الناس في المساجد والأعراس يدفعون أموالا كثيرة ، كل ذلك لأن التعاليم الإسلامية
 اليوم لم تدخل القلوب . إن التعاليم الإسلامية إنما قصرها الناس على ظواهر الأجسام وتركوا القلوب فارغة
 لاعلم ولا رجة ولا احساس إلا ماجاء عفوا وبدون قصد . فأما تربية الوجدان فانها متروكة للأهل والأقارب
 والبيئة . إن المسلم اذا سمع هذه الآيات يقول انها في الكفار فأما أنا فيكفيني الاسلام وهذه أكبر خطر .
 يقول المسلم « مادمت لا أؤذى أحدا ولا أسرق ولا أؤذي فأنا لا ذنب علي » وهذا هو الخطأ الفاحش والذنب
 العظيم . إذن أين أمثال هذه الآيات ولم أنزل القرآن . إن استنار المسلم بالدين واحتججه به وقوله إلى مسلم
 وإنما هذه الآية واردة للكفار هو الذي أوقع الأمة في الجهل وضياح المال والبدخ والزينة والاسراف نخسف
 بنا وبادرنا الأرض خسفا معنويا وذلا حقيقيا . فلئن خسف بقارون وبادره الأرض فهل هلاكنا حسيا
 فلقد خسف بنا وبادرنا الأرض خسفا معنويا ، فأينما تول وجهك في بلاد الاسلام لا ترى إلا جهالة عمياء وضلالا
 ورياء إلا قليلا من ذوى النفوس الشريفة فهم الذين يرجع اليهم وسيتقوون بنشر أمثال هذه بين المسلمين
 وسيرجع للاسلام مجده على أيديهم ويكونون نورا للمسلمين . إن الله ما قص هذا القصص إلا ليرينا أن أمثال
 هذه الذنوب كالكبرياء والرياء والتعالى ليس ذنبا في الآخرة وحدها بل شؤمها يحصل في الدنيا كما حصل اليوم
 للمسلمين ، هذا في ضمن قوله تعالى (وقال الذين أوتوا العلم) بأحوال الدنيا والآخرة لأولئك المنتمين (ويلكم)
 دعاء بالهلاك استعمل للزجر عما لا يرتضى كيف تتعاملون بالزينة وتفخرون بالحلية (ثواب الله) في الآخرة (خير
 لمن آمن وعمل صالحا) مما أوتي قارون ومن الدنيا وما فيها (ولا يلقاها) أى المثوبة أو الجنة والعامل الصالح
 (إلا الصابرون) على الطاعات وعن المعاصي وبذلك الصبر وحفظ الشهوات يصرفون ما لهم لوجه الله وللأعمال
 العائمة ويكونون قدوة صالحة ويرفعون أمتهم ويحفظون مجدها ويجمعون ما لهم لاسعاد أمتهم فينالون بذلك
 الصبر الشاء في الدنيا وحب الناس وفي الآخرة يدخون الجنة فانه لا آخرة إلا على حسب الدنيا . إن النفوس
 الانسانية مصروفة الى الهوى والشهوة والعادات الموروثة والامور المحسوسة . انظر الى المسلم انه يريد أن يوجه
 قلبه في الصلاة لله وللذكر والقراءة والمعاني فلا تطاوعه نفسه وتنصرف الى أمورهم هذا طبعها فاذا جاهدتها
 مرة بعد مرة قوت وثبتت وتذكرت ثم يصير ذلك عادة جديدة ثم يستلذ بها هكذا في المال تنصرف النفس
 الى الزينة واطهار الشرف والغنى والجاه والثروة فاذا وجدت من يفهمها أن المال ليس لهذه السفاست بل لتلبية

الذين وشريف العواطف وذكركها مرة بعد أخرى صار ذلك عادة لازمة، واستأنف بها لئلا دائماً ويسمع ثناء الناس عليه والآخرة خير وأدوم . إن اتجه قلب المصلي بعد شموسه وسجاده وشروده وانقياده بعد نفوره للحضور في الصلاة وصرف ذى المال ماله للحتاجين وللنافع العاقبة بعد رباؤه وكبريائه وجهالاته لم يكن إلا بالصبر . إن ردع النفس عن طبعها لا يكون إلا بالصبر عن المألوف والبذل في المعروف . هذا معنى قوله تعالى - ولا يلقاها إلا الصابرون - ولا يجرم أن قارون لم يكن منهم ككثير من أمثاله من أغنياء الأمة الإسلامية الآن بل انه استهان بالمال على اهانة قومه وعصيان ربه ككثير من أغنياء المسلمين الآن وقد ذكر المفسرون منها ما يأتي (١) أوحى الله الى موسى أن مر بني اسرائيل أن يعلقوا في أرديتهم خيوطاً أربعة في كل طرف خطا أخضر كانوا السماء يذكرونني به اذا نظروا الى السماء ويعلمون اني منزل منها كلامي فامتثل بنو اسرائيل وتكبر قارون وقال هذا فعل الأرباب اصيبتهم

(٢) جعل الله الحبورة لهارون وفي رئاسة المذبح فكان بنو اسرائيل يأتون بقراباتهم الى هارون فيضعها في المذبح فتزول نار من السماء فتأكله فحسد موسى وهارون وقال أنا أقرأ التوراة وأنت تنال الرسالة وهارون الحبورة ولست في شيء من ذلك فأقام له موسى الحجّة أن هذا من الله فعدّها سحراً . ذلك أن القوم وضعوا عصيهم في قبّة وحرسوها طول الليل فأورقت عصا هارون ولم تورق سواها من العصي فقال هذا سحر كالمصهور ولستم تسحرون قبل هذا

(٣) أمره بالزكاة فلما جعلها استكثرها وتحمى ولم يعطها

(٤) أراد أن يفضح موسى بين بني اسرائيل فبرطل بغيا ليرميهم بنفسها فلما كان يوم العيد قام موسى خطيباً فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصناً رجناه فقال قارون ولو كنت أنت قال ولو كنت أنا قال إن بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاستحضرت فناشدها موسى عليه السلام بالله أن تصدق فقالت جعل لي قارون جعلاً على أن أرميك بنفسى فخرّ موسى شاكياً منه الى ربه فأوحى اليه أن من الأرض بما شئت فقال يا أرض خذيه فأخذته الى ركبتة ثم قال خذيه فأخذته الى وسطه ثم قال خذيه فأخذته الى عنقه ثم قال خذيه فحسفت به وكان قارون يتضرّع اليه في هذه الأحوال فلم يرجه فأوحى الله اليه ما أفظمك استرحك مراراً فلم ترجه وعزّتي وجلالي لودعاني مرة لأجبتة ثم قال بنو اسرائيل انما فعل ذلك ليرثه فدعا الله حتى خسف بداره وأمواله

إن ذلك كله كان نتيجة عدم صبره أى انه لم يكبح جماح نفسه عن رعونتها وميلها الى الكبرياء والشهوات والقرآن لم يجعّ فيه هذا التفصيل وليس فيه إلا قوله تعالى (نخسفنا به وبداره الأرض) مرشداً بذلك المسلمين أن يعرفوا هواهم عن التعالي والكبرياء والتعالي في الزينة لئلا يخسف بهم وبما لهم الأرض كما حصل الآن فقد أصبح ما لهم تحت تصرف غيرهم من الأمم المحتلة وذلك لجهلهم وقلة علم وعنايتهم إلا قليلاً فصرف الناس أموالهم وعقولهم في الرياء والمباهاة وجهلوا المقصود من المال ومن الحياة فضاعت بلادهم وهذا هو الخسف العظيم ، وأى شيء خسف قارون وداره ؟ الخسف الآن خسف الأمم بتماها ، يدخل جيش الأعداء القاهر في بلدة من بلاد الاسلام فيصبح الناس عبيد القاصيين وضحية الطامعين ، ذلك هو الخسف الأكبر ، خسف أمة لا خسف فرد ، فليخسف الفرد ولتبقى الأمة ، أما الأمم الإسلامية الحديثة فانها ابتليت بخسف الأمم والأفراد والجهل كثير من الوعاظ الغافلين الساهين النائمين الجاهلين ، الخسف حتم لكل مرء وياغ وجاهل بمقاصد المال ومقاصد الصحة والعلم ، يخسف بهم سواء أكانوا أم أفراداً كقارون (فما كان له من فئة) أعوان (ينصرونه من دون الله) فيدفعون عنه عذابه (وما كان من المنتصرين) الممتنعين منه يقال نصره من عدوه فانتصر اذا منعه منه فامتنع . وكيف يكون له معين . وكيف يكون للأمة الغافلة ناصر

وهو وهي قد فرطوا في قواهم وأضاعوا مجدهم وخربوا بيوتهم بأيديهم . إن النصر للصابرين . إنما النصر نتيجة الصبر على حفظ المال وحفظ الشهوات والعقول وجعل ذلك كله للفضائل والمنافع العامة

﴿ ضرب مثل لحال المسرفين في ما لهم بالمسرفين في ما كلهم ﴾

أضرب لك مثلاً يوضح لك السابق كله لتعلم أن هذه الآية لم تنزل في القرآن ليتعجب الجاهل من قارون كيف خسفت به الأرض وكيف كانت البغي لم يفرها المال بل نطقت بالحق وهو براءة موسى وأشباه ذلك . كلا . إن هذه القصص جاءت لحقائق علمية ومعاني قدسية وحكم عقلية وآيات عمرانية وعجائب نظامية وسعادة اسلامية للمسلمين في مستقبل الزمان * قال أطباء هذا العصر من النساويين والألمان وغيرهم ﴿ إن الذين يتعاطون اللحم والبيض واللبن وأمثالها من كل ما فيه غذاء كثير التغذية تقوى أجسامهم وتحمر وجوههم ويحسدون أقرانهم لأن المواد الغذائية في هذه الأصناف الثلاثة قوية فتدخل في نسيج الجسم وخلياته بقوة فتملؤها فيظهر ذلك على الوجوه والأعضاء وتحمر الحدود وتقوى الجسوم . وهناك فريق ثان ضعيف البنية منهوك القوى قد أضرب به المرض فظهر في جسمه القروح والبثور والعوارض الكثيرة وهو ينتمي من المرض ولا يقوى على هضم الطعام أحيانا ، فيقول الناس إذا رأوا الأول قائما بينهم هاشا باشا ياليتنا كنا مثله ويحسدونه على ما آتاه الله من قوة الجسم والبدن والجمال والحسن . وبينما الناس على هذه الحال إذا ذلك القوى المتين خرب صريعا في يوم أو بعض يوم ، أما ذلك المريض الضعيف فانه كثيرا ما يعيش بعد ذلك سنين وسنين وهذا أمر عجب ، الغذاء حسن جيل مقو فهل المقوى ضار ؟ وماذا يصنع الناس ، فأجاب هؤلاء الحكماء قائلين اعلم أن الرجل القوى الجسم كان ضعيفا والضعيف الجسم كان قويا لأن القوى الجسم لما أكل هذه المواد السامة وامتلاّت به أنسجة جسمه ولم ترحم تلك الأنسجة ولم تشفق عليها ولم تكن كالأغذية الواردة عليها من المواد النباتية والفواكه والحبوب ، تلك الأغذية التي تدخل تلك الأنسجة بلطف وتؤدة لأنها ليست كثيرة التغذية بل قوة الغذاء مصدوبة بمواد أخرى تحول بينها وبين تلك الأنسجة فلا ترهقها كما أرهقها أمثال اللحم وماءه . أقول لما حصل كل هذا في جسم ذلك القوى ظاهرا وامتلاّت الأنسجة بالمادة الغذائية احتاج الجسم أن يخرج الفضول ويستريح مما زاد عن قوة الأنسجة الممتلئة فلا يجد لذلك سبيلا فامتلاّ الجسم كما يمتلئ النهر بالماء حتى يفيض ولا بد من قطع موضع من الجسر ، هكذا ذلك الجسم يتمزق في يوم أو بعض يوم ، أما ذلك الضعيف فان جسمه لما امتلاّ كذلك القوى فانه لقوته فتح منافذ سماها الناس أمراضا كالقروح والبثور والأمراض فتخرج الداء من الأجسام ويستريح الجسم وما ذلك بداء وإنما هو صحة للجسم وإخراج للفضلات منه فتكون النتيجة هكذا « المريض قوى والصحيح ضعيف »

هذا هو الذي قاله الأطباء في العصر الحاضر وبنوا على ذلك أن الانسان خير له أن يأكل البقول والفواكه والحبوب وأن يمتنع عن اللحم والبيض واللبن أو يقلل منها ما استطاع لذلك سبيلا . أفلمست ترى أن صاحب الثروة الواسعة الذي أشبهه قارون في بذخه كذلك القوى الجسم . أولست ترى أن الذي أنفق ماله لأهل قريته ونفع أمته وذلك العالم الذي جعل علمه لأمته أشبه بذلك المريض الذي قوى جسمه على دفع الأذى . ألا ترى أن ما يظنه الناس انه فقر عند ما يعطون المال لمستحقه أشبه بما يظنه الناس مرضا بظهور القروح والبثور فاذن يكون المنفق غنيا والممسك المتباهي بالزينة فقيرا . أوليس هذا أشبه بما في قوله (وأصبح الذين تمنوا مكانه) منزله (بالأمس) منذ زمان قريب (يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) يبسط ويقدر بمقتضى المشيئة لا لسكرامة تقتضى البسط ولا طهوان يوجب القبض فالقبض والبسط كالليل والنهار والصغر والكبر والصيف والشتاء يمران على الصالح والطالح امتحانا لهما واختبارا وتربية من رب العالمين وقد أخطأ الانسان فانه إذا أكرمه الله ونعمه يقول - ربني أكرم من * وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربني

أهانن * كلا - ثم كلا إن الأمر امتحان واختبار وترية وأفظ « وئى » للتعجب و « كأن » للتشبيه أى ما أشبه الأمر - إن الله بسيط - الخ (لولا أن من الله علينا) فلم يعطنا ما تمنينا (نخسف بنا) لأنه يحقق بنا ما حاق به فيخسف بنا (ويكأنه لا يفلح الكافرون) لئله الصارفون لها فيما نفعه قليل ومن هؤلاء المكذبون برسله . أليس هذا هو ما يحصل الآن أمام أعيننا فى الدنيا لاسيما فى هذا العصر

(١) ألم تر الى قيصر الروس كيف كان له السلطان التام والقدرة والصولة والعظمة والجاه وقد ملك مقاليد الروس ، وما ادراك ما الروس ، أمة عظيمة قوية تحتها أم وأى أم ، مائة مليون أوزيريدون ، فإذا حل به لما جاءت الحرب الكبرى ؟ أنزله قومه من على عرشه وذبحوا أبناءه أمامه وأنزلوه بعد ذلك دارا طوان وقتلوه قتلا شنيعا بعد أن أجاعوه وأذاقوه مرّ النكال . أليس ذلك هو عينه ما حصل لقارون وللسرفين فى ما كاهم مخالفين نصيح الأطباء ، يحسداهم الناس ويقولون ياليت لنا مثل قيصر انه لذو حظ عظيم ، ياليت لنا صحة مثل هذا السمين الوسيم من الأصحاء ، أفليس الناس بعد انقلاب الأمر على قيصر وحاول المنون بذلك السمين الوسيم يقولون نفس هذا المقال يقولون تعجب كأن هذه الدنيا دار خدعة ، انظر الى قيصر كيف أبادته الجنود وأهلكه من كان يغتر بهم وذلك لأنه استبد بالأمر وخرج على قومه فى زينته وهو يريد الحياة الدنيا والناس كلهم كانوا له كالعبيد . هكذا حصل فى الاستانة وخلع عبد الحميد من ملكه وهكذا كثير من ملوك أوروبا

(٢) أولست ترى أن أولئك الموسرين من مصر وأهل الشام والمغرب وغيرهم من أقطار الاسلام الغافلين عن منفعة المال يتباهون بالدور والعقار والولائم ويتظاهرون بها وقد ركبهم الدين ورهن العقار والقرنجة واقفون لهم بالمرصاد يخربون بيوتهم بالدين وهم غافلون والناس من حول هؤلاء المثرين يقولون ياليت لنا مثل ما أوتى فلان المثرى ، انظروا الى زينته ، انظروا الى قصوره ، انظروا الى الجوع التى جعها فى عرسه أو ماتمه ثم ينقض عليه دائئوه فيبيعون العقار ويخربون الديار ويصبح كأن لم يكن بالأمس . ذلك مشاهد فى كل قرية وبلد وضيفة ولكن الناس غافلون وترى الذين كانوا يحسدونه بالأمس بعد سقوطه يقولون - ويكأن الله بسيط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر - لولا أن الله لطف لكان جعلنا مثله مغرورين فأصبحنا عبرة وشماتة للأعداء فى الداء العضال . ذلك هو المقصد من قصة قارون ثم ذكر الله نتيجة جميع ما تقدم فقال (تلك الدار الآخرة) الاشارة للتعظيم أى تلك التى سمعت من أبناء الأمم وعرفت وصفها ، وقوله - الدار - بدل والآخرة صفة الدار والخبر (نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض) غلبة وقهرا (ولافسادا) ظاهرا على الناس كما أراد فرعون وقارون وكفار مكة لما آذوا النبى وأصحابه (والعاقبة) المحمودة (للمتقين) ما لا يرضاه الله (من جاء بالحسنة فله خير منها) ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون) أى إلا مثل ما كانوا يعملون ولما كان الصابرون الذين لا يفخرون على الناس وتكون أمواهم وحياتهم وقفا على أهمهم موعودين بالشواب فى الآخرة أعقبه بما يفيد أن الحظ فى الدنيا والآخرة لهم فلهم الآخرة وهم الدنيا ، فالذى لا يتبع الهوى فى شهوة الطعام له الصحة الحقة والذى يسلك سبيل الانفاق فى المنافع العامة يرى فى الدنيا سعادة لا يحلم بها ذلك المسرف المرائى بما يتهيا له من حب الناس وثنائهم عليه وإكرامهم له وتبجيله واعظامه فقال (إن الذى فرض عليك القرآن) أى أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه (لرأى الى معاد) دنيوى وأخروى ، أما الدنيوى فانك ترد الى مكة اذا اشتقت اليها لأنها مولدك ومولد آبائك ، وأما الأخروى فانك ترد الى المقام المحمود الذى وعدت أن تبعث فيه وهذا المقام أنت تحمده ويحمده كل من عرفه ، ولقد تقدم أن هذا المقام يشير الى ارتقاء العلوم فى هذه الأمة فى مستقبل الزمان كما ارتقت عند أسلافنا ، فهم رفعوا منار العلوم التى هى منار الهدى كما قدمناه وسيرفعونه كما أوضحناه . وملخصه أن هذه الأمة سترقى فى مستقبل الزمان . وملخص ذلك كله أن الذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا وهم منفقون أمواهم فى الخيرات ينالون الخير فى الدنيا والآخرة كما حصل

لرسول الله ﷺ إذ قال له جبريل لما نزل المحقة بين مكة والمدينة وعرف الطريق إلى مكة فاشتاق إليها «أشتاق إلى بلدك» قال نعم قال فإن الله تعالى يقول - إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد - فهذه الآية لا مكية ولا مدنية ، ثم قرّر ذلك فقال (قل ربني أعلم من جاء بالهدى) وما يستحقه من الثواب في الدنيا والآخرة كما قال تعالى - وآتيناه أجره في الدنيا وأنه في الآخرة لمن الصالحين - (ومن هو في ضلال مبين) وما استحقه من العذاب والاذلال في الدنيا والآخرة كما قال تعالى - لهم عذاب انحرى في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون - والمقصود من ذلك نفسه عليه الصلاة والسلام والمشركون وكذا كل مهتد وكل ضال كما عرفت . ولما كان الصبر على شدة الكفار ومقاساة الأهوال شديدا على النفوس وقد وعد الله نبيه على صبره على أذى قومه وما يلاقيه من الصعاب أن يردّه إلى مكة في الدنيا وإلى المقام المحمود في الآخرة . أكد ذلك بما سبق له من شوقه إلى لقاء جبريل ونزول الوحي أيام الفترة في أول النبوة فتلك الشوق لشدة وجده وهيامه وغرامه بملاقاة جبريل وتلقيه الوحي منه يكاد يلقي نفسه من فوق الجبل وذلك الشوق جعله الله في الأنبياء وفي العلماء والحكماء ليكون ذلك أدعى إلى صبرهم على مقاومة الأعداء ومقاومة الأخوان ومصادمة الحوادث فانهم لو لم يشوقوا لتلك المراتب ولم يرتقبوا تلك الفضائل بل أتت لهم سهلة هينة مرسلة لجوها إذا أودوا أو تركوها إذا قهرروا فالاشتاق للشيء الذي لم يج في طلبه وكرره وهو ممتنع عليه محبوس عنه إذا بلغ منه بعد اليأس كان أحرص الناس عليه وألزمهم له وأغرمهم به وأحبهم إليه وهذا قول الله تعالى (وما كنت ترجوا أن يلقى إليك الكتاب) أي يوحى (إلا رجوة من ربك) أي ولكن لرجوة من ربك ألقى إليك الكتاب فأنت أوتيت الكتاب بعد الشوق وقطع الرجاء فهانئ أولاء وعدناك بالعز في الدنيا والمقام المحمود في الآخرة الآن وقد كنا شوقناك إلى الوحي ومنعنا عنك وقد قطع رجاءك استزادة لشوقك لتزيد بالكتاب غراما وعليه حرصا حتى تصبر على الأذى وتقاوم المشركين (فلان تكونن ظهيرا للكافرين) أي لا تكونن مينا لهم بمدارهم والاجابة إلى طلبهم وكيف يكون ذلك منك وأنت مانيت هذا الكتاب إلا بعد الطلب القوي والشوق إن ذلك أدعى لصبرك هكذا أكرمناك ودبرنا أمرنا - وما كنا عن الخلق غافلين - وهكذا جميع الحكماء والعلماء والمصلحين يشوقون إلى المعالي ثم يمنعونها زمانا ليصبروا على ما أحبوا متى نالوا وهذه سياسة الله في هذا العالم الأرضي إنه لطيف لما يشاء (ولا يصدك عن آيات الله) عن قراءتها والعمل بها (بعد إذ أنزل إليك وأدع إلى ربك) إلى عبادته وتوحيده (ولا تكونن من المشركين) بمساعدتهم (ولا تدع مع الله إلها آخر) وذلك القول لقطع أطماع المشركين وكيف يصدونك أو ينالون بغيتهم منك أوتكون أنت معهم ونحن قد أحكمنا أمرنا بما ذكرناه فشوقناك ثم أرسلناك وهذا القول يقتضي أن سياسة الشوق أعظم وسيلة للنفقة العامة ، فالعناية والتشويق للأفراد وللأمة والجماعات إلى فضيلة من الفضائل هي الداعية للاستزادة منها فعلى المسلمين في أنحاء المعمورة أن يشوقوا الشبان إلى مجد آبائهم وإلى حفظ بلادهم وإلى استخراج ثمرات أرضهم ومعادن جبالهم ويبتشون فيهم هذه الفكرة ويحضوهم حضا دائما على ذلك وعلى النظر في المجانب بذكر بعض جاهلها ، وكلما تمتعت هذه المطالب ازداد الشبان غراما حتى إذا نالوا بغيتهم استمسكوا بتلك المزايا أجيالا وأجيالا حتى تخور العزائم وتدور الدوائر وتضمحل الأمم وتموت الهمم ذلك يؤخذ من هذه الآيات إذ رتب الله أمره لنبيه بأن لا يعاون الكافرين ولا يصدن عن آيات الله وأن يدعو إلى ربه وأن لا يكون من المشركين ولا يتخذ غيره وكيسلا على أموره كلها ولا يعتمد إلا عليه . كل ذلك رتبته على أنه شوقه إلى الوحي وأوحى إليه بعد اليأس ، هكذا فليفعل المسلمون وليقم بذلك المدرسون في البلاد الإسلامية ، وقوله (لا إله إلا هو) معروف (كل شيء هالك إلا وجهه) أي إلا ما أريد به وجهه لأن كل شيء أريد به غير الله فهو هالك ، فكل ما لمصلحة فيه كما تقدم من الأمثلة بقصر الروس وبالأغنياء في الإسلام المسرفين الجاهلين وبقارون

و فرعون وكفار مكة كل فعل هؤلاء هالك (له الحكم) فصل القضاء بالعدل فيخذل المسرفين المرائين وينصر
الفاضلين العادلين على وجه الحكمة وطريق الصواب (واليه ترجعون) للجزاء بالحق . انتهى التفسير اللفظي
للقسم الرابع من السورة . وهنا لطائف

﴿ اللطيفة الأولى في قوله تعالى - نخرج على قومه في زينته - ﴾

لقد ذكرنا في هذا التفسير في سور كثيرة أن التنعم مضاعف للأجسام والعقول والهمم ، ومن لطائف
الاسلام انه حرم لبس الحرير والتختم بالذهب على الرجال ، ذلك ليقتل باب التنعم الذي يورث القعود عن
المعالي ، والأمم لأحياة لها إلا بالرياضة البدنية ومزاولة الأعمال العسكرية ومشاق الجندية لحفظ الثغور ونظام
البلاد وقوة الأجسام وصيانة النفوس والقوى من الضعف . إن السعادة كل السعادة في ترك التنعم وكثرة
الأعمال الجسمية وترك النعيم فانه أدعى للسعادة والهناء والصحة والقوة وحفظ البلاد

﴿ اللطيفة الثانية في قوله تعالى - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض

ولا فسادا والعاقبة للمتقين - ﴾

إن ذكر هذه الجلة بعد ما قص الله من قصص قارون وموسى وما تجلّى للناس من أمر المال وانه زائل
وأن الذين أوتوا العلم قالوا إن ثواب الله خير الخ ثم خسفت الأرض بالمال وصاحب المال . أقول إن ذكر
هذه الجلة بعد ما تقدم فتح باب لأرقى ما وصلت اليه الحكمة والفلسفة . ياسبحان الله . أليس من العجب أن
يكون أرقى الحكماء في نظر علماء العصر الحاضر والغابر يقولون ﴿ إنه لا يصح أن يسمى موجودا إلا ما كان
معصوما من الزوال ﴾ . واقدر نسمع كثيرا من حكماء القدماء يقولون ﴿ إن الحركة وجودها ضعيف وبرهنوا
على ذلك ﴾ فهذه هي القاعدة التي بنى عليها أن العلم لا يبنى إلا على ما هو ثابت ، فأما ما لا ثابت له فلا يبنى العلم
عليه . ولا جرم أن مافى السموات والأرض كله متغير والمتغير غير ثابت وغير الثابت لا يبنى عليه علم فالعلم الذي
نعتقه مبنى على أمور وراء هذه المادّة ويسمونه (عالم المثال) وكل ما نراه أو نحس به فما هو إلا ظلال لذلك
العالم أو صور له أو آثاره لا غير وذلك العالم هو الثابت الذي يبقى فلذلك نرى العلم باقيا فهو باق ببقاء ما بنى عليه
والمادّة لا بقاء لها فلا علم يتعلق بها ، وعلى ذلك يقول أولئك الفلاسفة ﴿ فلنوجه وجوهنا للعالم الذي يبقى
وانحقر هذه الدار الفانية ﴾

أما الدار الدنيا فليست دار حياة وانما هي دار متقلبة متغيرة فليس من حقها أن تسمى حياة كما أنه ليس
من حقها أن تسمى موجودة ، فاعجب من القرآن ومن أن تشرحه حكمة الحكماء وعلم العلماء ، فجّلّ الله وجلّ
العلم ، واعجب كيف يقول الله في آية أخرى - وإن الدار الآخرة لى الحيوان لو كانوا يعلمون - فأفاد أن عدم
العلم هو الذي يمنع الناس من أن يفهموا أن عالم الأرواح هو العالم الثابت وهو الموجود على الحقيقة وما سواه
من المادّة باطل ، وهل يفهم هذا القول إلا أولوا العلم المذكورون في هذه السورة وهو ذلك - وقال الذين
أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير - وأفاد أن ذلك يعوزه الصبر . انتهى صباح يوم السبت قبيل ظهر (٢١)
يوليوسنة ١٩٢٩ م

﴿ اللطيفة الثالثة . الموازنة بين فهم الصحابة رضى الله عنهم وبين فهمنا في القرآن ﴾

كيف كان سلفنا الصالح يفهمون القرآن ، وكيف كان فهمهم سببا في انهم ملكوا ملك فارس والروم ،
وكيف كان فهمنا للقرآن بعد ذهاب السؤل الاسلامية والقوة العربية غير مجد ولا مفيد فقلبتنا الأمم وصرفنا لهم
خاضعين . ذلك نفهمه من حكاية الربيع بن زياد مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه . قال الربيع بن زياد
الحارثي كنت عاملا لأبى موسى الأشعري على البحرين فكتب اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه يأمره
بالقدوم عليه هو وعماله وأن يستخلفوا جميعا (أى أن يتخذ كل واحد منهم له خليفة يقوم بالحكم في غيابه)

قال فلما قدمنا أتيت (برفاً) فقلت (يا برفاً) مسترشد وابن سبيل أى الهيئات أحب إلى أمير المؤمنين أن يرى فيها عمله فأومأ إلى بالشونة فاتخذت خفين مطارقين أى مطبقين يقال طارقت نعلى إذا أطبقتهما ويقال لكل ماضوعف قد طورق ولبست جبة صوف واثت عمامتى على رأسى أى أدت بعضها على بعض على غير استواء ويقال رجل ألوث إذا كان أهوج مأخوذ من اللوثة ، فدخلنا على عمر فصفنا بين يديه فصعد فينا وصوب فلم تأخذ عينه أحداً غيرى فدعاني فقال من أنت قلت الربيع بن زياد الحارثي قال وماتولى من أعمالنا قلت البحرين قال كم ترتزق قلت ألفاً قال كثير فاصنع به ؟ قلت أتقوت منه شيئاً وأعود به على أقارب لى فما فضل منهم فعلى فقراء المسلمين قال فلا بأس أرجع الى موضعك فرجعت الى موضعي من الصف فصعد بنا وصوب فلم تقع عينه إلا على فدعاني فقال كم سنك قلت خمس واربعون سنة قال الآن حين استحكمت ثم دعا بالطعام وأصحابي حديث عهدهم بلين العيش وقد تجوعت له فأنى بخبز وأكسار بعير (الكسر والجذل والوصل بكسر الأول في الثلاثة العظم بفصل بماعليه من اللحم وجع الكسر أكسار) فجعل أصحابي يعافون ذلك وجعلت أكل فأجيد فعملت أنظر اليه بلحظي من بينهم ثم سبقت منى كلة تمنيت انى سخط في الأرض فقلت يا أمير المؤمنين ان الناس يحتاجون الى صلاحك فلو عمدت الى طعام ألبين من هذا فزجرتى ثم قال كيف قلت ، فقلت أقول يا أمير المؤمنين ان تنظر الى قوتك من الطحين فيخبز لك قبل ارادتك إياه بيوم ويطبخ لك اللحم كذلك فتؤتى بالخبز لنا واللحم غريضا (أى طرياً) فسكن من غربه (أى لانت حديثه) وقال أهنا غرت (أى ذهبت) قلت نعم فقال يارب بيع إنا لو شئنا ملأنا هذه الرحاب من صلائق (الصلائق كل مطبوخ ومشوى بالنار) وسبائك (هو ما يسبك من الدقيق فيؤخذ خالصه وهو الخوارى والرقاق تسمى سبائك) وصاب (هو صباغ يتخذ من الخردل والزبيب ولكنى رأيت الله عز وجل نبي على قوم شهواتهم (أى عاهتهم ووجعهم) فقال - أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا - ثم أمر أبا موسى باقرارى وأن يستبدل بأصحابي اهـ

﴿ الكشف الحديث ﴾

(فى ايضاح قوله تعالى - كل شئ هالك إلا وجهه له الحكم واليه ترجعون -)

اعلم أن هذه الآية أصل عظيم من أصول العلوم الطبيعية والذى جاء فى نص هذه الآية هو آخر رأى وصل له العلماء ، انظر الى علوم اليونان فلقد ابتدأت حياتى العلمية الفلسفية بقراءتها ولم أكن أعلم بالحديث فرأيت القوم يقولون ان السموات والكواكب كل هذه أزلية أبدية ولا يمكن خرقها ولا التثامها فهى قديمة كما أن الله قديم وباقية كما ان الله باق ولا يمكن أن تجزأ ولا تنفصل . أقول ومعلوم أن هذا المذهب يخالف ديننا على خط مستقيم ، ثم إن المتأخرين من العلماء أجعوا أن هذه الكواكب مركبات من عناصر وانها كانت بخارا قديما وفى المستقبل ترجع بخارا الخ ولا جرم أن هذا يوافق ديننا أى ان علماء أوروبا قرروا ما يوافق ديننا موافقة تامة وان كانوا لا يعلمون ولكن بقيت العناصر وهى فوق الثمانين ، فهذه لا تنحل مطلقا ، فإذا هى دائمة وتقوم فى دوامها مقام السموات فى بقائها عند القدماء فرجع الأمر الى مثل ما كان عليه القدماء . هنالك ظهر علماء زماننا فقالوا . كلا . بل كل هذا الوجود ونفس هذه المادة تنعدم كما تنعدم مركباتها ، وآخر رأى هو أن العناصر محكوم عليها بالفناء كالمركبات منها

﴿ ايضاح هذا المقام . النظرية القديمة ﴾

قد أبنت لك أن بعض علماء اليونان ومن تبعهم من علماء الاسكندرية أيام دولة الرومان بمصر قد قالوا ﴿ إن السموات لا تنحل ﴾ وأزيد عليه أيضا انهم قالوا ﴿ إن المواليد الثلاثة وهى الحيوان والنبات والمعادن مركبات من عناصر أربعة وهى الماء والتراب والنار والهواء ، فإذا حكمنا بأن السموات وكواكبها لا تنحل ولا تنجزأ ولا تنفى فانا نحكم أيضا على الماء والنار والتراب بأنها لا تنحل ولا تنجزأ ، فالشمس لانفى والقمر

لا يفتنى والكواكب لا تنفى ﴿ واستمر الأمر على ذلك مئات السنين

﴿ نقض هذه النظرية ﴾

هنالك جاء متأخرو علماء الاسلام كما تراه في ﴿ كتاب المواقف ﴾ للعلامة العبد وهكذا السيد وغيرهما
فزّلوا بعض القواعد كقولهم ﴿ إن الأرض تدور حول الشمس وليست الشمس دائرة حول الأرض ﴾
ثم جاء (كوبرنيكوس) و(غاليلي) من علماء أوروبا وأوضحوا هذا ودونوه وهذا وإن لم يكن نقضا لهذه
النظرية هو فتح باب للنظر فيها والتفكير والهدم . هنالك نظر المتأخرون من الفرنجة مثل العلامة (لافوازيه)
فانه وضع هذه النظرية وهي

﴿ المادة لا تنعدم ولا تتجدد ﴾

ومعنى هذا انك لو أثبت بمادة خشبية وأحرقتها فان الأجزاء تتفرق فبعضها يطير في الهواء وبعضها يبقى
خفا في الأرض وهكذا . نحن نأكل الخبز فالخبز لم يذهب منه شيء فانك لو وزنته فوجدته رطلا فهذا الرطل
يقسم أقساما فقسم يصير دما بعد تمام هضمه وقسم يخرج مع العرق والبول وقسم يخرج مع الفضلات ، فدمنا
موجود يصير لحما وعظما ومخا الخ والفضلات والعرق لا تزال في هوائنا وفي أرضنا وفي حقولنا فترجع في أجسام
نباتنا وحيواننا أو في تراب أرضنا . هذا هو الوجود كله عند (لافوازيه) وهناك حللوا هذه المادة فوجدوا
أن العناصر الأربعة مركبات من عناصر أطف منها ، فالماء من الأكسوجين والهيدروجين والهواء من
الأكسوجين والاوزون ومعه بخار الماء والفحم وهو الكربون ومواد أخرى ، وقد عرفوا من العناصر فوق
الثمانين ولها جداول عجيبة تبين المناسبات بينها كما ستره في (سورة العنكبوت) فهذه العناصر وإن أبطلت
النظرية القديمة لم تحل بها المشكلة ، فاذا قلنا ان الكواكب مركبة من عناصر كما يتركب حيواننا ونباتنا وماؤنا
وأرضنا وأن هذه الكواكب وهذه الأرض ستحل وتذهب مركباتها وتتفرق وأن ذلك معروف من أضواء
تلك الكواكب فانهم حللوا بالمنظار فوجدوا في كل كوكب أضواء مختلفة كالنحاس والحديد والرصاص الخ
أى انهم وجدوا هذه الكواكب مركبات من عناصر هي نفس العناصر الأرضية والشمسية لأن أشعة تلك
الأضواء تشبه أشعة المعادن المختلفة المذكورة وبحثوا بحثا طويلا في معاملهم . أقول إن هذا أيضا لم يحل
المشكلة لأن هذه العناصر التي تنحل اليها الكواكب لا تنفى كما هو رأى (لافوازيه)

﴿ رأى الحديث الموافق لقوله تعالى - كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم واليه ترجعون - ﴾

(رأى العلامة جوستاف لوبون)

اطلع العلماء اليوم على مادة اسمها (الراديوم) فهذا الراديوم له ضوء غريب عجيب جدا . ذلك أن أشعته
لها مزايا لا توجد في غيرها بها تنحل أجزاء العنصر أى ينقص وزنه فهذا أدهش العلماء كيف يكون هذا
الشعاع سببا في نقص الوزن فأخذوا يعللون ذلك بعلة لم تصب كبد الحقيقة وذهبت أدراج الرياح ، ولكن
(جوستاف لوبون) قال ما يأتى ﴿ إن جميع العناصر تقبل هذا الانحلال ولكن الراديوم أقواها وأسرعها انحلالا
مع علمنا أن جزءا واحدا من ألف جزء من الجرام في الراديوم الذى هو أسرع المواد انحلالا يبقى دهرا وهو
يشع الملايين وملايين الملايين من تلك النرات حتى يصبح معدوما تماما أى ان الراديوم المذكور يصير قوة لا
مادة ومثله العنبر وإن كان أبدا انحلالا عن الراديوم وهكذا سائر العناصر قابلة لهذا الانحلال لكنها أبدا
ثم قال وهذا الانحلال البطيء يكون بخروج أجزاء ضوئية سرعتها في الثانية الواحدة (٢٠٠.٠٠٠) مائتا ألف
كيلومتر . وقرر العلماء الذين وافقوا (لوبون) انهم لو استطاعوا أن يحلوا جرما واحدا من الحديد في ثانية
واحدة أى لو قدروا أن يدمموه كما يدم الراديوم ويحوّله الى قوة لا وزن له لأفادونا قوة من هذا التحول
تعادل قوة تبحر قطارا حديديا حول الكرة الأرضية أربع مرات فان القوة التي يتحول اليها ذلك الجرام تساوى

قوة (٦٨٠٠) ألف ألف حصان ﴿ ومعنى هذا أن المادة التي نراها والعناصر التي تركب منها كل نبات وحيوان وإنسان نعدم كلها ، وما هذه العناصر إلا قوى مخزونة متراكمة مجتمعة سميناها مادة وما هي إلا حالة من حالات عالم يسمى الأثير ، فالأثير الذي لا وزن له ولا لون ولا يرى ولا يعرف إلا بالعقل والاستنتاج هو الوجود كله ، فإذا رأينا كهرباء أو ضوءاً أو نوراً أو حرارة ومغناطيساً قلنا هذه كلها قوى يتحول بعضها إلى بعض وهي في المعنى شيء واحد هو الأثير المالى للفضاء في جميع هذا الفراغ فاليه يرجع كل شيء بل هو كل شيء ، وما هذه العناصر الأرضية والسموية بالنسبة للأثير إلا كلماء قد صار ثلجاً أو البخار صامء ، فاذن أنا وأنت وأرضنا وسماؤنا وعناصرنا كلها عبارة عن قوى أشبه بقوى الكهرباء والنور تجمدت وتكاثفت وهانحن أولاد نراها تنحل في الراديو مثلاً . إذن هذا الوجود الذي نعيش فيه والذي نسميه مادة متنوعة إلى عناصر وإلى كواكب وشموس ماهو إلا قوى متجمدة متكاثفة كتكاثف البخار فيعود ماء فالبخار إذا صامء أمكن رجوعه إلى بخار ثانياً هكذا المادة . فاذن لا مادة ، واذن فهمنا قوله تعالى - كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم واليه ترجعون -

﴿ حظ هذا التفسير ﴾

أفلاترى أن هذا التفسير حظه عظيم ، انظر إلى التوفيق ، انظر كيف أمكن انطباق الآية في آخر السورة على آخر كشف حديث وكيف كانت هذه الآية توافق نفس العلم الذي به ارتقت أوروبا وقهرت المسلمين به ، اللهم إني أحمدك على نعمة العلم والحكمة ، بل انظر فوق ذلك إلى ما استراه في (سورة العنكبوت) أنا الساعة أكتب هذا صبح يوم الأربعاء وهو ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٦ وذلك أثناء طبع هذا التفسير بعد أن تم تأليفه وقد كنت كتبت في (سورة العنكبوت) في العام الماضي ما يناسب هذا المقام ولم أكن لأعلم ولم يخطر لي أن آخر الشعراء هو عيسى أول العنكبوت ﴿ وبسارة أخرى ﴾ لم يكن ليخطر لي أن قوله تعالى - كل شيء هالك إلا وجهه - هو عيسى مادونه في (سورة العنكبوت) من أن - الم - في أول السورة هي عبارة عن حروف مفرقة وهذه الحروف المفرقة تفتح باب العناصر وأن المركبات السماوية والأرضية ترجع إلى عناصرها كما ترجع الكلمات والخطب والقصائد إلى الحروف الأبجدية وأن الأمم الإسلامية يجب عليها أن تنظر في التحليل والتركيب لأن العالم الذي نعيش فيه لا نعقله إلا بتحليله كما أن القراءة لا تتم إلا بمعرفة حروف الهجاء التي تتركب منها الكلمات وهناك في السورة جدول للعناصر والصلة بينها . إذن سورة العنكبوت أصبحت موضحة لسورة الشعراء من بعض الوجوه واتصل آخر الثانية بأول الأولى

﴿ ظهور هذه الوحدة في النبات والحيوان ﴾

(النرة والخروج)

إن النرة كما تقدم في (سورة الفاتحة) يكون فيها أعضاء الذكور في أعلى عودها والأنثى في وسط العود والخروج يكون ذكره أسفل والأنثى أعلى ولكنها عند الالتحاق تنزل الأنثى فتكون أسفل من الذكر فيقع اللقح عليها ثم تكون النمرة فيهما ثم يعدم الذكران والاناث ، وهذه الحال حاصلة في كل نبات ، والنخل وإن امتاز ذكره عن أنثاه هكذا حالة الذكر والأنثى متعاونان ثم يذهبان ، وكل حيوان وكل إنسان أشبه بعود النرة وعود الخروج فانك ترى شجرة الخروج وتقول هي واحدة وترى النباتات من النرة فتقول هي واحدة ومع ذلك ترى في هذه الوحدة ذكرًا وترى أنثى فيهما ممتازان ، فهنا وحدة تنوعت ، هكذا النخل وحدة تنوعت وهكذا الإنسان والحيوان ، فالرجل والمرأة فيهما معنى الوحدة التي رأيناها في النرة والخروج وهذه الوحدة تذكرنا بالوحدة العامة في الوجود فهو كله يرجع للأثير والأثير شيء لا وزن له ، فالظاهر كلها ذاهبة ، هذا كله معنى قوله تعالى - كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم واليه ترجعون - والحمد لله رب العالمين

﴿ ايضاح لهذا المقام بأوسع مما تقدم وذلك تذكراً في قوله تعالى - كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم واليه ترجعون - وقوله تعالى في سورة أخرى - كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام - ﴾
 إن هاتين الآيتين من واد واحد ، فقوله - هالك - وقوله - فان - كلاهما اسم فاعل وهو حقيقة في الحال ، وكثيراً ما كنت أسمع بعض أساتذتي يقولون ذلك وأن الموجود على الحقيقة هو الله ولا موجود سواه الآن ، ولما كانت العقول اليوم في الأمم لا تعرف إلا الحقائق أخذت أبحث في هذا الموضوع فوجدته يرجع الى ﴿ مسألتين اثنتين ﴾ المسألة الأولى ﴿ هل المادة موجودة وجوداً حقيقياً ﴾ المسألة الثانية ﴿ هل هذه العوالم صائرة الى الزوال ؟

أما المسألة الأولى وهي هل المادة موجودة وجوداً حقيقياً ، فاعلم أيها الذكي أن نفس المادة من سموات وأرضين وما بينهما قد صعب على العلماء اثباته وحاروا في تحقيقه ، وبيانه أن القدماء من علماء الفلسفة قالوا إن هذه المادة مفرقة على حواسنا ، فهذه الأضواء والحركات والسكنات والألوان والقرب والبعد اختص بها البصر ، وهذه المسموعات من صوت الانسان والحيوان والجمادات اختصت بها حاسة الشم ، وهذا الثقل وهذه الخفة وهذه الحرارة وهذه البرودة اختصت بها حاسة اللمس ، وهذه الخلاوة وهذه الملوحة والمرارة وما أشبهها اختصت بها حاسة الذوق

اننا لما فكّرنا في هذا الوجود لم نعرف منه إلا هذه الصفات وهذه الصفات شيء والمادة شيء آخر ، أما المادة فابتدأنا لم نعرف لها برهاناً ولا برهاناً على وجودها إلا هذه الأوصاف فهذه المحسوسات ماهي إلا أعراض وأخيراً حكموا بأن المادة وجودها ضعيف

هذا ما يقوله قدماء الفلاسفة وهذه المحسوسات هي التي عرفوها في (علم المقولات) وهي كلمات عشر تشمل جميع هذا الوجود والذي ذكرته لك منها هنا ملخص كلمة منها وهي (الكيف) والكيف عندهم يرجع الى كيف محسوس والى كيف معقول والذي ذكرته هو الكيفيات المحسوسة التي استنتجوا منها ضعف أدلة وجود المادة . هذا آخر آراء القدماء في المسألة الأولى وهي هل المادة موجودة وجوداً حقيقياً

﴿ آراء المحدثين ﴾

أما آراء علماء العصر الحاضر فانهم وافقوا القدماء ولكن على منهج غير منهجهم قالوا إن الذي نعرفه من هذه العوالم أمامنا إنما هو الأثير والأثير شيء تصوّرناه ولم نره وهذا الأثير فيه حركات كثيرة وتلك الحركات تنوّع فيها حركات تصير كهرباء . ومنها حركات تصير نورا ، ومنها حركات تصير حرارة ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ إن هذه المذكورات من النور والحرارة والكهرباء ماهي إلا حركات ظهرت بمظاهر مختلفة أي انها شيء واحد اختلفت مظاهره بحسب استعداد قوانا نحن الأحياء على الأرض . فأما ما نراه من جمادات ونبات وحيوان وانسان وجبل وحجر فما هو إلا نفس هذه الحركات حصل لها ما حصل للحركات التي صارت نورا وكهرباء وحرارة غاية الأمر أن الحركات التي صارت نورا قليلة بالنسبة للحركات التي صارت قمحا أو قطناً أو ذهباً أو فضة فان الحركات التي سمينها نورا تعدّ بملايين الملايين فقط فيقال إن حركات النور في الثانية الواحدة من حوالى (٤٠٠) مليون مليون الى حوالى (٧٠٠) مليون مليون . فأما الحركات التي تكون حجراً أو شجراً أو ماء فانها تعدّ بأكثر من هذا فيقال مثلاً انها ستة آلاف مليون مليون فبدل أن كنا نقول إن الحركات في النور تعدّ بمئات الملايين صرنا نقول إن الحركات التي صارت مادة تعدّ بألاف الملايين . إذن الموجودات كلها ترجع الى حركات وكلما كانت الحركات أقل كان الموجود أطف وكلما كانت الحركات أكثر كان الموجود أكثر كشف . واعلمى ان هذا يخالف ما هو معروف في بادية الرأي . ألا ترى رعاك الله أن النور سريع الحركات وأن الحجر والشجر معدومة الحركات . فانظر كيف انقلب الوضع وأصبح ما كان يظهر لنا انه كثير الحركات قليل الحركات

وما كان قليل الحركات قد كثرت حركاته

فياعجبنا من وجودنا في هذه الأرض ، الأوضاع مقالوبة ، والأحوال معكوسة ، والعلم يظهر لنا الحقائق على غير ما نعهد . سبحانه اللهم حكمت علينا أن نعيش في عالم مقالوب الوضع معكوس الحال ، نرى الشمس جارية حول الأرض فيقول العلم . كلا . الأرض جارية حول الشمس . ونرى أن المال والولد والدنيا كل ذلك سعادة فيقول لنا العلم والدين . كلا . فالسعادة غير هذا . ونرى بحسب نظرنا أن الإنسان متى مات فلا وجود له ويقول العلم والدين . كلا . بل هو حي . إن هذه الحياة مقالوبة الوضع معكوسة الحال ترىنا الكبير صغيرا والصغير كبيرا والعظيم حقيرا والحقير عظيما

فهاك برهاننا على مانحن بصدده من أن المادة كلها ترجع لحركات أذكرك بما تقدم في (سورة النور) عند قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - فأذكرك بقطرة الماء المذكورة هناك وانما رجعت الى جزئيات ضعيفة وتلك الجزئيات يبلغ عددها نحو عدد نجوم السماء ثم هي مع هذا كله لا تملأ فراغ هذه القطرة بل تملأ جزءا من مئات الآلاف من الفراغ المذكور ثم هذه الجزئيات مع صغر مقدارها بالنسبة للفراغ الذي تشغله القطرة ظهر انما ترجع الى كهرباء سالبة والى كهرباء موجبة (وبعبارة أخرى) نقطة ضوء تجرى حول نقطة أخرى ستة آلاف مليون مليون مرة في الثانية الواحدة وباختلاف مقادير هذه السرعة في الجرى اختلفت المادة بحسب ما نراه فقلنا هذا اكسوجين وهذا ادروجين وهذا ذهب وهذا فضة الخ والحقيقة أن هذا كله أمر واحد هو نور أو كهرباء لا غير وباختلاف الحركات ظهرت المواد المختلفة . أما أنا فاني أجد الله عز وجل . أجدك يا الله على انك وفقتي لتلخيص هذا الموضوع وشرحت صدرى لتبينه فيعرف الأذكى في أمم الاسلام وغيرهم أن العلم الذي وصل الى عقول أمم الأرض الآن أظهر أن الموجود انما هو حركات والحركات ضوء أو كهرباء أو حرارة أو ذهب أو قرح أو حديد لا أقل ولا أكثر . فالحقيقة شيء والظواهر شيء آخر

واعلم ايها الذكي أن كثيرا من الناس حينما يقرؤون هذا يهجم في نفوسهم خواطر ترجعهم فيقولون ﴿ إذا كان الموجود ما هو إلا حركات اختلفت مظاهرها فكيف يكون عندنا جنة ونار وحساب وعقاب ودنيا وآخرة إذن هذا كله لا وجود له ﴾ وهذا قول من لا تحصيل عنده . فاننا اذا عرفنا حقيقة هذه الدنيا على حسب ما وصلت اليه عقولنا فليس معناه أن هذه الموجودات والمظاهر لا عمل لها . كلا . فان فائدة هذه المباحث في مثل هذا المقام أن تظهر لنا الحقائق فأما تعطيل قوانا وملكاتنا وأعمالنا فهذا ضرب من الجهل . إن هذه الحقائق تثير عقولنا وتفهمنا أن هذه العقول أمرها عظيم وانها قادرة أن تحيط علما بالمادة علويها وسفليها (وبعبارة أخرى) انها أكبر من الشمس والأكوار والكواكب الثابتة والسيارة لأنها تحكم عليها وتتصورها وتخليها وترجعها كلها الى أمر واحد . إذن هذه العقول نور أكبر من النور الذي خلقت منه المادة بدليل أن هذه العقول حكمت على جميع العوالم فقالت انها نور والنور يرجع الى حركات والحركات أفضل من المحكوم عليه ، فنفس هذا المبحث يرىنا عظمة نفوسنا وشرفها وانها تكبر وتعظم أن تخضع لهذه المظاهر بل مقامها الأسنى أن تعيش في ملاأ أعلى ومقام أشرف - في مقعد صدق عند مليك مقتدر -

﴿ آراء أفلاطون ﴾

ولاجرم أن هذه الآراء قد عرفت اجالا أفلاطون إذ يقول ﴿ إن هذه المادة لا ثبات لها وما لا ثبات له فلا ثبات به وما لا ثبات به لا يصح مناطا للعلم بل العلم مبني على أمور ثابتة ﴾ وما هي هذه الأمور الثابتة ؟ هي التي سماها هو « المثل الأفلاطونية » التي أوصفتها في غير هذا المكان ، وما هذه المثل الأفلاطونية إلا العوالم العقلية التي تعلو عن المادة ، وكم ورد عليه من اعتراض ، وكما أجيب عنه ، وسترى هذا المبحث في (سورة القتال) إن شاء الله تعالى في رسالة ﴿ مرآة الفلسفة ﴾ التي ظهر فيها هذا الوجود أوضح مما قاله أفلاطون ولا يرد علينا

ماورد عليه من الاعتراض ذلك لظهور الحقائق في زماننا والله واسع عليم
سبحانك اللهم وبحمدك ، علمت الأولين وعلمت الآخرين وجعلت العلم كله يرجع الى أمر واحد وأهملت
(أفلاطون) قبل الميلاد ما علمته لعلماء العصر الحاضر ، إنك رحيم بعبادك معلم الأولين والآخرين ، ومن عجب
أن علماء الهند قديما يقولون كما رأيت في كتاب (راجا يوقا) المترجم الى الانجليزية من الهندية (إن المادة
أصلها عقل بدليل انها ترجع اليه) ألا ترى أن الفناء فينا يرجع الى قوة فكرية ، فن المادة العضلات
والأعضاء ومنها نفس العقل إذن رجعت الى أصلها وهذا رأى عجيب وهذا الرأى يقول به (استوارت سميث)
فانه يقول (إن المادة ماهي إلا عقل تكاثف) وهذه العبارة منقولة عنه في نفس ذلك الكتاب . انتهى
الكلام على المسألة الأولى وملخصها

(١) ان القدماء يقولون (إن الكيفيات المحسوسة البالغة ٣٦ كيفية مفرقة على حواسنا وحواسنا لم
تترك المادة وانما أدركت هذه الكيفيات لاغير) إذن وجود المادة ضعيف

(٢) علماء العصر الحاضر يقولون (إن العوالم كلها ترجع الى حركات فلا فرق بين الضوء وبين الحجر كلاهما
حركات والحركات أضواء والأضواء باختلاف حركاتها تصير محسوسة لنا فان كثرت الحركات كانت مواد صلبة
وان قلت كانت سائلة وان زادت قلتها كانت ضوءاً أو كهرباء الخ

(٣) أفلاطون من علماء اليونان يقول (إن المادة لا ثبات لها وما لا ثبات له لا يصح أن يكون مناط العلم
بل لا يصح أن يسمى موجودا فلموجود الحقيقي هو العالم العقلي المسمى المثل الأفلاطونية)

(٤) يقول القدماء من علماء الهند (إن المادة أصلها فكر بدليل انها تعود الى فكر) ويقرب منها
رأى (ستوارت سميث) ومن قرأ آراء (اينشتين الألماني) لا يجدها تعدو ما كتبناه هنا فهو يقول هذا القول
بعينه غاية الأمر انه أوضحها وأطال فيها وأعلن عنها . فهذا العالم الألماني أعلن أيام الحرب الكبرى هذه
المسألة وقال (إن هذا الكون ساكن لا وجود لشيء فيه وماهى إلا حركات ظهرت لحواسنا مختلفة المظاهر)
وهذا الرأى قد تقدم في هذا التفسير فارجع اليه إن شئت

وهذا هو نهاية الكلام على المسألة الأولى وهي هل المادة موجودة وجودا حقيقيا تفصيلا واجالا وأجد
الله على التوفيق ونعمة العلم ونعمة الايضاح والحمد لله رب العالمين

(المسألة الثانية هل هذه العوالم صائرة الى الزوال)

اعلم أيها الذكي أن المسألة الأولى رجع الأمر فيها الى تحقيق هذا الوجود وانه راجع للحركات لاغير ولكن
هذه الحركات مظاهر وهذه المظاهر لها قيمتها العظيمة لخياتنا كلها وأعمالنا وديننا وآخرتنا ترجع أ كثرها
الى هذه المظاهر فليس معرفة أصل الوجود بمن فتيلا عن نفس هذه الموجودات فائق عليه حواسنا له مقام
عظيم في العلم فلا ينبغي لنا أن نفعل ما يفعله كثير من جهلة الصوفية الذين يقولون (إذا لم يكن في الوجود إلا
الله فالعلم يكون جهلا والبحث جنونا) وهذا يرجع بالانسانية الى الكسل والجهل والهمز ويقول عليه السلام
« اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من الهمز والكسل الخ » إذن هذه المادة التي هي مظهر
من مظاهر الحركات والأنوار مقام عظيم وعليها مدار المباحث وهي السبيل الموصل الى ما وراءها وحينئذ نقول
هل هذه المادة التي ظهرت أمام حواسنا يوما ما ستفنى بحسب ما يظهر لحواسنا ، وهنا ظهر في الدنيا (رأيان
اثان * الرأى الأول) وهو القديم « لاشئ يزيد على المادة ولاشئ ينقص منها » وهذا رأى (لافوازيه)
وهو يعتبر اليوم الرأى القديم . ومعنى هذا أنك اذا أحرقت خشبة أمامك ثم جمعت ما بقى من رمادها وماطر
في الجوّ من دخانها وبخارها كان مساويا في وزنه لوزن الخشبة . وعليه يكون الماء والهواء ونحوهما لا تفنى
فالماء يدخل النبات ويخزن فيه ثم يتحلل هذا النبات والماء الذي كان فيه لا بد أن يرجع بخارا كرة أخرى

ولا يفتي وهكذا الهواء ونحوه . إذن المادة تتحلل وتتركب وكأنما هي حروف الطبع توضع في الصندوق وترتب وتنظم ويطبع بها الكتاب ثم تفرق كرة أخرى وهكذا فالحروف واحدة معلومة محدودة في المطبعة والكتب المطبوعة بها تعد بالآلاف وهكذا هذه العوالم بحسب النظر الظاهر والمشاهدة في هذه الحياة ﴿ رأى الحديث « لاشئ يزيد على المادة ولكن كل شئ صائر الى الزوال » ﴾

اعلمك حين تسمع هذا القول تقول ان المسألة الأولى والمسألة الثانية اللتين ذكرتهما مرجعهما واحد فان المسألة الأولى رجع الأمر فيها الى أن العوالم كلها ترجع الى الحركات والحركات الى الأثير ، وهذا رأى القائل ان المادة صائرة الى الزوال معناه يرجع لهذا ، فرجع الأمر الى أن هذه المادة تتحات وتتجزأ وتصير في آخر أمرها الى القوة والقوة ترجع الى الأثير فقلت . كلا . ليست المسألتان واحدة وايضا به بضرب المثل أن أقول انظر حباك الله العلم وأهملك التوفيق وشرح صدرك للحكمة وأنا لك الكمال الى رجل أصيب بمرض عصبي وهذا المرض جعله يرى أشباحا من عجة وأشخاصا يظهرون له فيؤذونه ويسمعونه ما يكرهه ولا يزال يوالون والون الظهور له وهو يستغيث ولا مغيث ويسأل ولا يجيب وهو في الحقيقة مظهر له إلا ما خيلته له نفسه من الصور الخفية التي ظهرت له كأنها حقيقة فلا تزال تلك الصور تظهر له وقتا فوقتاً حتى يوارى في ثرى رموه بسبب ظهور تلك الأشباح المزججة والتاريخ القديم والحديث قص علينا قصص هؤلاء العصبيين الذين اوردتهم مرضهم موارد الخف وأقلقتهم تلك الصور وأمضت مضاجعهم وهياتهم للموت ومفارقة الحياة ، لست في هذا التمثيل أتخيله تخيلا بل هو حقيقة عرفها علماء الطب وعلماء الأخلاق ، هذا المريض بذلك المرض العصبي يرى تلك الأشباح ، لماذا ؟ لأنه مستعد لذلك فاستعداده هيا له تلك الأشباح والمظاهر وهذه حقيقة عنده لا تقبل الشك ولذلك تمنع عنه النوم والأكل والشرب واللذات ثم يرد أحواض المنايا ليخلص من هذا العذاب المهيمن ، فبينما هو كذلك اذا الناس حوله يصفونه بأوصاف الجنون والتخبط والطبيب يقول إن أعصابه فيها مرض هيا له ظهور هذه الصور فهنا ﴿ رأيان ﴾ رأى الجمهور الذي سلمت قواه العقلية من الخطأ فهو يقول لاصور ولا أشباح ، ورأى المريض الذي أصيب بهذا الخطأ والتخل فهو يقول بوجود صور وأشباح والجمهور تكون نتيجة معارفه انه لا يفرع لأشباح ولا يخاف من عفاريت وهذا العصبي يتأثر في موت

اذا عرفت هذا المثل فاعلم انه منطبق على المسألتين السابقتين . فبماثل الناس في الأرض إلا كمثل هذا هذا العصبي المريض . وبماثل العوالم الروحية التي خلصت من المادة إلا كمثل العقلاء الذين في الأرض حول هذا العصبي . وبماثل الصور والأشباح التي تظهر له إلا كمثل هذه المادة الظاهرة لنا في الأرض الآن . فاذا قال العصبي هنا صور وأشباح وقد صدق فعلا وما كذب وقال الناس حوله لاصور ولا أشباح وقد صدقوا وما كذبوا فهكذا نحن الآن في الأرض نقول هنا موت وحياة وسما وأرض وجاد وحيوان ونبات وقد صدقنا وهناك عوالم أخرى روحية لا نرى إلا أنوارا وحركات وقد صدقوا فنحن صادقون في اعتبار هذه العوالم موجودة وصادقون في قولنا باعتبار آخر انها غير موجودة . ومن الجهل أن نخطأ أحد المقامين بالآخر ثم إن هذا المريض العصبي اذا بقى على حاله مريضا وانفق أن الصور والأشباح لم تعد تظهر له فهذه حال أخرى نظيرها ما نقوله في المادة نحن فإنا نقول ان المادة آيلة للزوال ونحن على حالنا الحاضرة أي اننا بالعلم عرفنا أن هذه المادة ونحن في حالنا الحاضرة تأخذ في الزوال وترجع الى قوة والقوة ترجع الى عالم الأثير . إذن هنا فرق بين المسألة الأولى والمسألة الثانية ، المسألة الأولى فيها أن هذه العوالم لاحقة حقيقة لها بل ترجع الى الأثير في التحقيق العلمي وهذا كالمثال الأول للمريض بالمرض العصبي ، والمسألة الثانية ترجع الى أن المادة ونحن على حالنا صائرة الى الزوال كما ان العصبي وهو مريض زالت الأشباح وماعدت تظهر له

هذا هو الفرق بين المسألتين ، فالمسألة الأولى فيها بطلان العوالم في التحقيق العلمي ، والمسألة الثانية تفيد

أن بطلان المادة يصير عملاً واقعاً تطبيقاً للعلم على العمل ، وعليه نقول - كل شيء هالك إلا وجهه - و- كل من عليها فان - أما في الحال الآن في التحقيق العلمي وأما في الظواهر وفي مقامنا الانساني في الأرض . بل نحن مأمورون ومسوقون الى العمل في العالم بحجده باعتباره موجود فعلاً وجوداً يناسب حالنا ، وأما في المسأل بأن يبطل هذا العالم الذي ظهر لنا ويزول من الوجود فعلاً كما أنه زائل الآن في النظر العلمي ولا يجوز للناس أن يخلطوا أحد المقامين بالآخر فلا يقول جهال المسلمين وبعض الذين يدعون التصوف ﴿ إذا لم يكن في الوجود إلا الله فلم النصب والعمل فلنتوكل ولنعم ﴾ وإذا قال بعض المتفلسفين صغار العقول من الذين قرؤوا قشور العلوم وجهلوا الحقائق ﴿ ليس عندنا في الوجود إلا هذه المحسوسات فعلم النصب والتعب في تحصيل الحقائق ولا حقائق إلا ما نراه فلنعش للذات ﴾ فهؤلاء يقال لهم أتم مساكين جهلتم علوم الأمم المحيطة بنا وأذا كم كسلكم الى هذه الفكرة فوقفت في أول الطريق فأنتم مغرورون ، وهؤلاء يأكلون كما تأكل الأنعام والنار مشوى لهم ولما اطلع صديق العالم على هذا المقال قال لقد أجدت صنعا ولكن هنا ﴿ سؤالان * الأول ﴾ انك جعلت النوع الانساني أشبه بالمرض مرضاً عصبياً يرى الأشباح ولا حقيقة لها . إذن هذا الانسان الآن في حال نقص . فقلت إن الانسان في هذه الأرض روحه من عالم النور ووجوده في أرضنا يعدله عن مقامه السامي الشريف وهذا هو المرموز له بقصة آدم إذ عصى وأكل من الشجرة وهذا هو المرموز له بالذنب ، ألم تر الى قوله تعالى - واستغفر لذنوبك - ألم تر الى المسلم يقول في كل صلاة في الجلوس بين السجدين ﴿ رب اغفر لي وارحمني الخ ﴾ إن المسلم يطلب المغفرة دائماً أذنب أولم يذنب ، ولا معنى اطلب المغفرة لغير ذنب . إذن هناك ذنب عام لنوع الانسان وهو تجسده في هذه المادة والذنب هنا ليس بالمعنى المتعارف بل بمعنى آخر كالنقص أو الاحتجاب عن مقام الكمال أو البعد عن عالم الأرواح والصفاء والنور ولهذا المعنى تفسر كثير من الآيات كقوله تعالى - إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر - ولا ذنب لنبينا ﷺ متقدماً أو متأخراً من الذنوب المعروفة . كلا . وإنما الذنب هنا بمعنى الوجود في هذه المادة الجسمية التي هي أشبه بسجن يسجن فيه الناس ولكنهم بالعبادة والعلم والعمل يتخلصون من ذلك السجن ، فالذنب هنا يرجع الى معنى يقرب من هذا ، ولا جرم أن هذا المعنى ملازم لسكل شيء في الأرض . إذن نبينا ﷺ أشبه بمن دخل السجن لا ليسجن ولكن دخله ليخلص المسجونين ولكنه في أثناء بقاءه في السجن قد حجز وأبعد عن مقره العالي الشريف فلأمانع أن يسمى هذا ذنباً مجازاً . وهذا هو المعنى في طلب الاستغفار . هذا هو السؤال الأول

فقال أما ﴿ السؤال الثاني ﴾ فاني أقول انك لم تبين لنا ايضاح المسألة الثانية وهي أن السكون صائر لازوال ومن الذي قال بهذا الرأي وما برهانه ؟ فقلت ان هذا الرأي رأى الدكتور (جوستاف لوبون) العالم الفيلسوف الفرنسي فان الناس يقولون ﴿ إن علم الطبيعة أساسه الجوهر الفرد ﴾ ولكنه هو يقول ﴿ إن المادة تنحل فعلاً ﴾ وجعل المادة أشبه بالنبات والحيوان والانسان ، فشكل نبات وكل حيوان تنحل وترجع الى المواد الأصلية والعناصر المألومة ، فهكذا المادة تسكون على الحال الأنثوية ثم تصير كواكب وأرضين ثم تنحل وترجع الى عالم الأنثروبي كحيوان أو كنبات ، وقد قرئت علماء أوروبا كتابه الذي شرح فيه هذه الآراء وسماه « نشوء المادة » أحسن تقرير ثم قالوا انه أعظم كتاب علمي ظهر بعد كتاب « أصل الأنواع » لداروين وملخص كلامه أن الرأي القديم القائل ان السكون مركب من مادة قابلة للوزن ومن قوة تحرك المادة ولا تقبل الوزن أيضاً وتسكون كهرباء وحرارة ونورا الخ ومن أمر لطيف يسمى أثيراً غير قابل للوزن أيضاً تسبح فيه الجواهر الفردة وهذه العوالم الثلاثة كل منها مستقل عن الآخر فهو يقول إن هذا الرأي القديم خطأ وان هذه العوالم الثلاثة لا فواصل بينها . فالمادة تتحول الى قوة والقوة تتحول الى أثير . يقول (جوستاف لوبون) لا نبات

هذه المسألة ﴿ إن الراديوم وما أشبهه يذهب هباء منثورا ويذوب من الوجود بارسال ذرات صغيرة منه ذات سرعة عظيمة ﴾ ويقول إن جزءا من ألف من جرام (الراديوم) الذي هو أسرع المواد انحلالا يبقى دهرا وهو يشع ملايين الملايين من تلك الذرات الى أن تتحول مادته الى قوة أخيرا فعلا . إن جميع المادة لا فرق بينها وبين الراديوم غاية الأمر أن الراديوم أسرع انحلالا وانحلال الراديوم يكون بارسال ذرات صغيرة منه بسرعة تقرب من سرعة النور أى (٣٠٠.٠٠٠) كيلومتر في الثانية وقد قاسوا تلك القوى التي تضع في أثناء انحلال المادة فوجدوها أشد القوى في هذا العالم وقد قالوا انهم لو قدروا أن يحولوا جراما من الحديد بحيث يهدم في ثانية واحدة لتتحول هذا الجرام الى قوة تعادل قوة (٦) آلاف مليون و (٨٠٠) مليون حصان وهذا المقدار كاف أن يحرق قطارا حديديا حول الأرض (٤) مرات ومن هذه القوة الكامنة في المادة النور والكهرباء والحرارة والجاذبية ، فهذه تتحول بعضها الى بعض لأن أصلها واحد وما الكهر بائية ، إلا نتيجة انحلال المادة وهكذا ضوء الشمس فهو ناتج من انحلال مستمر في عناصر وهكذا

فهذا هو الرأي الجديد لجوستاف لوبون القائل إن العالم المادى مصيره الزوال كسكل حيوان وكل إنسان وهذا هو تفسير الآية . يقول الله تعالى - كل شئ هالك إلا وجهه له الحكم واليه ترجعون - إذن أصبح الرأي الجديد هو المفسر لهذه الآية ، فكل شئ هالك إلا وجهه ، فلا فرق بين النحلة والنملة وبين نفس المادة العامة فكل منها له عمر محدود ثم يعدم ، فإذا رجع الحيوان والنبات الى المادة الأرضية والطوائف رجعت المادة جميعها الى عالم الأثير وعالم الأثير عالم إلهي لا ندري سره ... وأن الى ربك المنتهى -

وعالم الأثير إلا كعالم الخيال الذي نحسه في نفوسنا فإن الإنسان متى أغمض عينيه وهو مستيقظ أخذ يحول في عوالم لانهاية لها يشاهدها بحاسة باطنية ثم إن السور التي تبرزها في الخارج لانصنعها إلا بعد أن تتصورها في خيالنا كما أن المادة الخارجية لا تظهر إلا من الأثير فعالم الأثير عالم مجهول لا يقرب لنا إلا هذا الخيال الذي نتخيله ولا نراه

فلتتظروا أمة الاسلام بعدنا وليتأملوا هل أمكننا تفسير هذه الآية إلا بقراءة علوم الأمم حولنا ؟ ألسنا بهذا نعرف قوله تعالى - ويقول الذين كفروا لست سر سلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب - فالعلماء في الأمم بعدنا هم الذين يفهمون أسرار النبوة ويعقلون معنى - كل شئ هالك إلا وجهه - ومعنى - وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير - الخ

وهذا وأمثاله هو السبب في أن القرآن يذكر في الأمور العظيمة العلم وأولى العلم ويقول الله - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط - إذن دين الاسلام في المستقبل لا يحمله إلا أمم ارتقت بالعلم ودرست مناهل كل فن ، فويل بعدنا للمسلمين الجاهلين ، وويل ثم وويل لمن قرأ هذا التفسير ولم يكن نبأ نورا مشرقا للمسلمين فأعرض وتولى عنهم مع قدرته ولم يكن مصلحا لعقول المؤمنين . انتهى ما أردته في تفسير هذه الآية عند الطبع يوم الاثنين أول يوليو سنة ١٩٢٩ م

﴿ جوهرنان ﴾

(الأولى) في بعض سر - طسم -

(الثانية) في الصلة بين السورتين

﴿ الجوهرة الأولى في سر - طسم - أى الطاء والسين والميم في أول سورة القصص ﴾

في ليلة الخميس ١٨ يوليو سنة ١٩٢٩ خطر لي وأنا ذاهب الى المنزل هذه المعاني في سر - طسم - في أول هذه السورة . لقد جاء في أول السور المتقدمة أن هذه الحروف قد خصت لتذكر المسلمين اليوم بأهم ما ينقصهم من السكال في هذه الحياة وغيرها وهذه السورة ولما بدئت بها يشير لذلك فيها . إن هذه السورة مبعوسة

بقصص فرعون محتومة بقصص قارون ، ولا يجوز أن فرعون استضعف طائفة من الناس واستحيا نساءهم لأنه مفسد . ثم إن هذه الطائفة من الله عليها وفازت ، إذن أنهم مافي هذه السورة أن الطوائف الضعيفة المستعبدة يوماً ما تنصر على أعدائها . وتلك الأيام ندأوها بين الناس . ومثل ذلك أسرى قارون فإنه أعطى المال ففرح وأفسد ثم ذهب هو وماله وكان الذين أوتوا العلم أرشد من أوتي المال . هذا ملخص مافي السورة طوائف ذليلة ، سياسة ، أو ما لا يكون ما لهم الفوز ، فالسياسة في أول السورة في قصص فرعون وموسى والمال في آخرها في قصص قارون ، فلما كانت هذه المعاني هي أهم ما يقصد في زماننا لرقى المسلمين كان مافتح الله به في هذه الليلة مناسباً لذلك ، ألم تره أشار بالطاء لطائفة وبالسين لنسبها واستعبادها وهذه السنين مذكورة في - يستضعف - و - يستحي - وفي - المفسدين - فالسنيين في السكامتين الأوليين مذكورة مع الازلال وفي الآخرة لتوجيه الفكر إلى صفة الظالمين وهو الفساد ، ولما كانت هذه الطوائف الضعيفة لا بد من نصرها كثر ذكر الميم في هذه المعاني إذ قال - وزيد أن نرى على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم - الخ فالميم في - طسم - تشير إلى جعلهم أئمة لأن الميم جاءت في السكامتين وفي جعلهم الوارثين وفي تمكنهم في الأرض . إذن - طسم - في هذه السورة فيها ملخص السورة ، ولعل قائل يقول هذه الحروف لم تأت في أول الكلمات غالباً بخلاف كثير من السور السابقة فأقول إن من فهم أسرار حروف أوائل السور فيما تقدم يسهل عليه استخراج خفي هذه السورة من الحروف في أولها ، إذن من عرف ما تقدم يعرف الحكمة الإلهية وأذن يفقه ما ذكرناه هنا سرها ، لذلك جعل الله هذه الحروف هنا موزعة على آيات كثيرة وليست أكثرها في أول الكلمات وظهور هذا السر الآن في هذا التفسير يرمى في الغرضين الغرض الأول هو ما تقدم وهو أن الطوائف الضعيفة لا بد من فوزها وأن الله رؤف بها ، فالطاء للطائفة والسنيين لنسبها والميم لنصرها ، وهذا ملخص السورة كما تقدم ، فهذا الغرض اليوم يشير إلى رقي المسلمين كأنه يقال لهم أيها المسلمون كل دليل يعز بعد ذله فاقروا التاريخ ، فإياكم أن تقنطوا من رحمة الله فسيرجع لكم محمدكم فستم أول أمة ذلت بعد عزها في الغرض الثاني أن تحترس الأمم الإسلامية وغير الإسلامية في مشارق الأرض ومغارها من الغرور بالملك واستضعاف الأمم فإذا قويت أمة إسلامية فلتعلم أن الله لها بالمرصاد وإذا أدلت أمة فإن الله يقتص للظالم من الظالم ، وكل هذا تشير له - طسم - فكأن هذه الحروف مبشرة لكثير من الأمم الأدلاء ومنذرة للأمة الأقوياء وأن الله ينصر الضعفاء يوماً ما عليهم فيجب الاحسان للأمة الضعيفة والنصح لهم والحمد لله رب العالمين

﴿ الجوهر الثاني في الكلام على الصلة بين آخر سورة القصص وأول سورة العنكبوت ﴾

اللهم إنا نحمدك على جمال العلم وبهاء الحكمة ، أريتنا يا الله في قصة قارون أنه غره المال والخراش و - قال إنما أوتيته على علم عندي - ووجته على أنه جهل تصرفك في السؤل واهلاكك للأمة وشهد الذين أوتوا العلم أن هذا ظل زائل وقلت للناس في غضون ذلك أنك لاتحب الفرحين وإنك لم تجعل العاقبة إلا للذين لا يفسدون في الأرض ولا يريدون العاق فيها ثم ختمت السورة بأن هذه المواد غير موجودة عند التحقيق وإنما هذه النفوس الأرضية قد حكم عليها أن يكون نظرها للوجودات نظراً يحبسها فيها ويجعل عقولها مشغولة بهذه المادة وفي الحقيقة لا مادة وإنما تلك أشياء أقرب إلى الخيال منها إلى الحقائق ، فناسب أن تكون سورة العنكبوت مبتدأة بمسألة الفتنة وأن هذا النوع الانساني مبتلى كله كما ابتلى الأنبياء والعلماء وذلك ليجتهد الناس في أعمالهم ويصل كل منهم إلى درجته التي استعد لها ، ثم أخذ بعد ذلك يحرض على الجهاد وأن لقاء الله لا يكون إلا بهذا الجهاد . إن هذا الإنسان كله مكبل بقيوده محبوس في سجنه حكم عليه حكماً قطعاً أن يعيش في ظامة الطبيعة ويقضى الضرورة الحيوانية ويتلبس بالطين ويأول شهوات البهائم ووزرة السباع وضراوتها

فلست تراه إلا ساعيا جهده لسكرته يأكلها وشهوة يستدها وغضب يثيره فقواه موزعة وآراؤه مشتتة هذا هو الانسان أوله وآخره ، وما الدين ولا العلم ولا العمل إلا سعى للخلاص من هذه الطبيعة الطينية . واعلم أيها الذكي أن هذه المعاني لا تكشف إلا لمن أدرك ماعليه الناس الآن . إن الناس تراهم في هذه الأرض مجبورين مقهورين على أعمال كلها نصب وتعب وما أرضنا إلا جواهر نارية متكاثفة وباطنها مواد محرقة وكل نبات وكل حيوان أجسامها قابلة للاحتراق ونحن لأحياء لنا إلا بالحرارة التي هي من طبع النار ، وهانحن أولاء ننتقل من سجن الى سجن فاذا سجننا في سجن الجوع أو الشبق وهو بنا من هذين السجنين بتعاطي الطعام وباجتماع الذكور بالاناث دخلنا في سجنين آخرين وهما سجن حوز المال وحسب الترف وذل المحافظة على ماملنا ثم الحسد والبخل وما أشبه ذلك ، وسجن الذرية الذين نسعى ونكد لتربيتهم وتعليمهم ونحزن لمرضهم وجهلهم فنخرج من سجن الى سجن ومن عذاب الى عذاب ونحن نظن أننا سعداء فرحون ثم إن الأمم كالأفراد فهم متعادون منافقون مخادعون متحاربون - لقد خلقنا الانسان في كبد - قتل الانسان ما أكفره - إن الانسان لفي خسر - وكيف لا يكون في خسر وهو مشغول بما كفيته الدودة وسعدت به حشرة أبي دقيق ، حشرة أبي دقيق دودها يأكل ورق القطن وتجده موفرا لها فهي به سعيدة ، ومثال الانسان من سعيه مثل ما نالت تلك الحشرات الساكنات في قصور خضراء من ورق القطن فيها ثريات لامعات بهجات هي أزهار القطن ، وهذا الانسان كله أوله وآخره يسعى ليحصل سعادته في الدنيا فلم ينل ثم هو يخلو بنفسه ويفكر في أصل العالم ومنشئه وهذه النجوم والشموس ولماذا خلقنا في الأرض وهكذا فيجهزه البحث فيرجع طرفه خاسئا وهو حسير

هذه هي مرتبة الانسان ولهذا أمر بالجهاد ليخرج من هذه المازق وضربت له الأمثال تارة بقصة آدم وآونة بقصة قارون ، فاذا وجدنا قارون افتتن بالمال فذلك ليس خاصا به بل كل الناس بل الذي لامال عنده قد يكون قلبه معلقا به كقارون ، وكمن صعلوك لا يملك شروى نقيرا أعمته الدنيا وأصلته ، وكمن غنى زهدا فهما كما قيل

علقتها عرضا وعلقت رجلا * غيرى وعلق أخرى ذلك الرجل

واعلم أن جميع الذنوب التي وردت في الشرائع السابقة واللاحقة كالزنا والسرقه والقتل ما هي إلا آثار أو نتائج لما كن في هذه النفوس من الشهوة والغضب ، فمماثل تلك الصفات في النفوس إلا كمثل الأقداء في العيون ، وما مثل هذه الذنوب إلا كمثل الذباب يقع عليها فاولم تكن في العيون أقداء لم يقع الذباب عليها فوقع الذباب شبه به الذنوب والقذى في العين شبه به أساس تلك الذنوب ومن أزال الأساس فقد أزال ما بنى عليها ولا تزال هذا الأساس إلا بالجد والاستغفار والتوبة والأعمال الصالحة والرجوع الى مبدع العالم واعلم أيها الذكي أن من عرف ماقلته لك الآن وأدركه حق الإدراك عرف أسرارا في الديانات وحلت له مشا كل كثيرة ﴿ مثال ذلك ﴾ أن المسلم يقول في الجاوس بين السجدين ﴿ رب اغفر لي وارحمني واجبرني وارفعني وارزقني واهدني وعافني ﴾ فقول المسلم اغفر لي في كل ركعة ليس معناها انه قد أذنب فعلا فكم من المسلمين من يقول اغفر لي ولاذنب له وقد كان ﷺ يقولها وقد أجمع العلماء انه معصوم من الذنب فهو ﷺ وكثير من المسلمين لا ذنوب لهم فكيف يطلب هؤلاء الطاهرون غفران ذنب لم يقع منهم . إذن طلب الغفران منصب على أساس الذنوب وهي الطبيعة الترابية التي شبهناها بقذى العين الذي هو السبب في وقوع الذباب عليها . إذن المسلم يطلب غفران الذنب سواء أذنب ذنبا أولم يذنب لأن هذه الطبيعة الطينية معرضة للذنوب فاذا كان المسلم مذنبيا يطلب غفران هذه الذنوب الفرعية وان لم يكن مذنبيا طلب إزالة أساس الذنب لا غير ، وبهذا نفهم قوله تعالى - إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر - فالغفران

هنا منصب على تلك الأساس التي اقتضتها الطبيعة الانسانية في هذه الأرض

(بيان ما يشير الى هذا المعنى عند الأمم السابقة)

وإذا أنت أيها الذكي رجعت الى ماتقدم في آخر (سورة المائدة) وقرأت أن الدين المسيحي ماهو الاصدى صوت ديانا تقدمت في مصر والهند والتبت والعراق عند الآشوريين والبابليين وأهل المكسيك القدماء وهكذا ترى بعضه في (سورة مريم) منقولاً عن علماء الألمان الكاشفين لهذا المعنى سنة ١٩٠٣ فما وجدوه على الأنواح في بلاد العراق ، أقول اذا رجعت الى ذلك كله وقرأته وفهمته حق فهمه أيقنت أن الصلب كان أمراً شائعاً في تلك الأمم على سبيل الخرافة وقد نقل الى الدين المسيحي نقلاً لاغير وأن هذا الصلب لابن الله البكر ليخلصهم من ذنوبهم بخروجه من هذه المادة وانهم جميعاً يغمسون أنفسهم في الماء (ماء المعمودية) وأيضاً قد شاع في أكثر الديانات وآخرها الاسلام أن آدم عصي وانه هبط من الجنة الى الأرض وهكذا فكل ذلك من واد واحد ، نعم تلك الديانات منسوخة عندنا نحن المسلمين والمنسوخ لاحق له ، ولكن كلامنا الآن في شيوع هذه الآراء في الأمم . ان العقول الانسانية لاتقل في فطرها عن فطرة الحيوان بل فطرة الانسان أرقى وأرقى ولم نجد في الحيوان غرائز باطلة بل هي كلها غرائز شريفة أبدعها المبدع الحكيم ، فإذا كان هذا في الحيوان فكيف إذن بالانسان الذي جعله الله خليفة في الأرض وشرفه فكيف تعم فيه خرافات الصلب وهذا الصلب لابن الله البكر ، وكيف تشيع عادة ماء المعمودية ، أقول إن هذا كله انما شاع في هذه الديانات وقبلته الفطر الانسانية وبقيت فيها دهوراً ودهوراً لأن هذا النوع الانساني كله يحس بأنه موضوع في طبيعة تبعده عن مقامه العالي وشرفه الرفيع فهو عاص وهو يحتاج الى التطهير من المعصية فماء المعمودية ماهو إلا رمز لطهارة النفس بالعلم والعمل والصلب خروج النفس من هذه المادة وارتقاؤها وتنزّتها عن شهوات أهل الأرض . كل هذه المعاني مخبوءة في عقول أهل الأرض فتارة تظهر بهذه الخرافات كالصلب وماء المعمودية وتارة تظهر بهيئة حقائق مثل انها ذنوب ويطلب من الله غفرانها ، ومثل ان أبانا آدم قد عصي وهبط من الجنة . كل ذلك يرجع الى تلك الأساس التي ذكرتها لك ، ولست أقول لك ان كل دين من تلك الأديان كان حقاً بل أقول ان هذه خرافات ابتدعتها الناس في الأمم وقبلتها نفوسهم ولكن لماذا قبلت النفوس هذه الخرافات ؟ انما قبلت هذه الخرافات لأنها تعبر عن فطرها

ولما أراد الله انقاذ الانسان من الخرافات وعلم انه استعدّ لظهور بعض الحقائق أنزل دين الاسلام وعبر بالمعزة والذنب . هذا ثم انك اذا سمعت الله يقول في آخر القصص - فلايجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون - فان هذا راجع الى الذنوب الفرعية ، وإذا سمعته يقول - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً - الخ فهذا راجع الى طهارة تلك الأساس وتهذيبها ، وإذا سمعته يقول - نخرج على قومه في زينته - الخ فذلك لفروع تلك الأساس وإذا سمعت ذكر الجهاد والفتنة في أول العنكبوت فما هو إلا إتمام لما في آخر القصص وهكذا ذكر الأعمال الصالحة والسيئات والأثقال كل ذلك تكميل لما في آخر السورة قبلها . انتهى والحمد لله رب العالمين . كتب صباح يوم الجمعة ١٩ يوليو سنة ١٩٢٩ م

(تذييل)

(حكمة ألقاها الله على قلوب بعض عباده من الصوفية وهي ان من ادعى الاستغناء بالله عن الدنيا فهو جاهل

وهي من حكم قصة قارون فانها تتحدث الزهد في الدنيا)

هذه القصة كما دمت المال والدنيا حُرّضت على عدم نسيانها بالكلية ، فالتصية أعطتنا طريقاً وسطاً فلا نكون عالة على الناس ولا نكون طماعين جاعين ، ولقد شاع في أيامنا هذه أن كثيراً من الشيوخ ورجال

الصوفية وجهالة الوعاظ يحقرون أمر الدنيا للناس فيبطل سعى كثير من العامة ويكون نفس أولئك الشيوخ عالة على الأمة يلتمسون منها الهدايا تقرّبوا إليهم مما هو شائع معروف وهذا إثم وضلال ، فأنه ما خلق العنق والقدره والأعضاء والحواس الظاهرة والباطنة ليعطلها ولكنه فصلها تفصيلا لأعمال تقوم بها فتظهر مواهبها في الحياة الدنيا والآخرة ولقد رأيت في كتاب الشيخ الشعرائي المسمى « درر الفواص على فتاوى سيدى على الخواص » ما نصه « سألت شيخنا رضى الله عنه عما استندنا إليه الزاهد في الدنيا من الأساء والحضرات الإلهية فانه لا بد لكل شئ في العالم من استناده الى حقيقة إلهية ونرى الحق تعالى رجح وجود العالم على عدمه فبخلق من تخلق هذا الزاهد ؟ فقال رضى الله عنه الزاهد في الدنيا هو هدى الأولين والآخريين المتبعين للأوامر الإلهية لأن الله تعالى قد عشق الخلق في الوجود وزينه لهم وجعل ذلك حجابا عليه لا يصل أحد الى معرفته تعالى إلا بالاعراض عن زينة الكونين ، فمن زهد في الدنيا والآخرة فقد تخلص لربه عز وجل ومن زهد في الدنيا فقد تخلص للآخرة ومن لم يزهد في الدنيا لم يتخلص بشئ ونعس وانتكس ، فالزاهدون قد تخلصوا بأخلاق الله تعالى في كون الله تعالى منذ خلق الدنيا لم ينظر إليها أعنى نظر محبة ورغبة والافهوتعالى ينظر إليها نظرتدبير وامداد ولولا ذلك ما كان لها وجود ، وكذلك الزاهد لا ينظر الى الدنيا نظر محبة ورغبة وانما هو نظر تدبير لمعايشه التي لا يصح له أن يستغنى عنها فان من ادعى الاستغناء بالله عن الدنيا فهو جاهل إذ الغنى بالحق حقيقة لا يصح بالاستغناء عن الوجود نعت خاص بالله عز وجل فبابق مقصود القوم بالزهد في الدنيا إلا فراغ القلب وعدم العمل في تحصيل ما زاد على ضرورات العبد لا غير عكس مرادهم بالرغبة فيها . فقلت له إن بعض الناس يزهد في الدنيا ويقول انما أزهد فيها توسعة على اخواني في الرزق فما حكمه ؟ فقال رضى الله عنه هو زهد معلول . فقلت له فكيف ؟ فقال لأن في اعتقاده ان الذى تركه قسمه الحق له ثم أعطاه للخلق وهو باطل . فقلت له فما الخلاص في مقام الزهد ؟ فقال رضى الله عنه الخلاص أن يكون بما ضمنه الحق تعالى أوثق منه مما في يديه ثم يتصرف فيما في يده تصرف حكيم عليم إذ هو نائب الحق من حضرة اسميه المعطى والمانع فيمنع بحق ويعطى بحق والله غفور رحيم » انتهى وبهذا تم الكلام على (سورة القصص) والحمد لله رب العالمين

- سورة العنكبوت مكية -

إلا من أول السورة الى قوله تعالى - وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون - فدية وآياتها ٦٩ - نزلت بعد الروم

﴿ وهي قسمان ﴾

﴿ القسم الأول ﴾ في تعليم الصبر والجهاد وطاعة الوالدين والمجاهدة في سبيل الله وفي برّهما ومجاهدة الأصحاب وعدم إطاعتهم إذا أرادوا فتنه المؤمن ، ثم قصص الأنبياء من أول السورة الى قوله - وما كان الله ليطأهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون -

﴿ القسم الثاني ﴾ في محاجة الكفار وأهل الكتاب وإثبات النبوة من قوله - مثل الذين اتخذوا من دون الله - الى آخر السورة

(الْقِسْمُ الْأَوَّلُ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم * أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ * أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ * مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ * وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُنَّ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ رَبِّكَ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ * وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَمَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ * وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ * فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَمَلْنَاهَا ءَايَةً لِلْعَالَمِينَ * وَإِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ

لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمُونَ * إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ
تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا
لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبْتُمْ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ
الْمُبِينُ * أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * قُلْ سِيرُوا
فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
* يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ * وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا
فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ
أُولَئِكَ يَلْعَنُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا
اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَقَالَ إِنَّمَا
اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ * فَأَمَنْ لَهُ لُوطٌ
وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا
فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * وَلُوطًا
إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * أَلَيْسَ لَكُمْ
لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا
أَنْ قَالُوا أَتُنتَنَّا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ
* وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا
ظَالِمِينَ * قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ
الْغَابِرِينَ * وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا
تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُونَكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ * إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ
الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ *
وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْبُوا فِي

الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ * وَعَادًا وَنُوحًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَغْمَاهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنْ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ * وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَاقِينَ * فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ *

التفسير اللفظي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الم) تقدم الكلام فيه في سورة آل عمران ، وسيأتي بيان أتم لها في هذه السورة ، فانك ستري قريباً أن - الم - هنا تشير إلى قوله تعالى - أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق - الخ ففيه - الم - وذلك ليحقق العلماء بالحكمة ، ههنا أخذ الله عز وجل يصل هذه السورة بما قبلها ، إن أواخر السورة السابقة كان في ذكر قارون وأهل العلم والجهلاء وكيف كانت الزينة القارونية تغر الجاهلين وكان أهل العلم غير مغترين بها ولا جزعين من فواتها ولا فرحين بنواها لعلمهم أن دوامها مستحيل وأن هناك ما هو أبهج منظرًا وأبقى أثراً وهي الحكمة والعلم ونعيم الآخرة فكان ملخص ذلك المجاهدة في ترك هوى النفس فلا علو على الناس ولا فساد في الأرض ، فهذه السورة ابتدئت بمحيط هذا الموضوع والتدقيق فيه فقال الله (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) أي أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم - آمنا - كلا انهم لا يتركون لقولهم آمنا بل يمتحنهم الله بمشاق التكليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف الطاعات وأنواع المصائب في الأنفس والأموال والفقر والقحط ومصابة الكفار ، ولقد فتن الله بعض الناس ببعض لتخلص نفوسهم من أسرار المادة وذل الطبيعة لأن التهذيب والتأديب إما بالعلم والمعرفة والعبادة وإما بأنواع المصائب فكلهما جعله الله في الأرض لتخلص الناس من أشراك هذه المادة

(١) فيجاهد المرء شهواته المذكورة في آخر القصص حينما يرى زينة المترفين والأغنياء كزينة قارون وهذا الجهاد إما بالعلم كما قص الله عن أهل العلم إذ قالوا - ويليكم ثواب الله خير - الخ وإما بالعبرة والنوازل كالجهلاء لما رأوا هلاك قارون فعرفوا معرفة سطحية وقالوا - ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر - (٢) ويجاهد أبويه ويكون معهما بوجهين فهو بار بهما عاص لأمرهما إذا أمراه بالكفر كما سيأتي (٣) ويجاهد الأصحاب إذا أغروه أن يكفروا وسهلوا له الأمر كأن يقولوا له « نحن نحمل عنك خطاياك » وملخص ذلك كله جهاد الشهوات ، رجاء الأصحاب ، وجهاد الأعداء ، وكل ذلك اختبار للناس وتهذيب واعلم أن كل ما رواه المفسرون في هذا المقام من أنها نزلت في عمار أو في مهجع أو غيرهما لم يرد له ذكر في الصحيح وفوق ذلك رواياتهم مناقضة للحقيقة لأنهم ذكروا أن بعضهم أودى في مكة والمؤمنون في المدينة وذلك يناقض كون السورة مكية وكثير من أحاديث النزول ليست في الصحيح فتفتن ، ولم يرد في هذه السورة من الصحاح إلا حديث أم هانئ كما سيأتي رواية الترمذي وحديث ابن عباس رواية رزين وبقية الصحاح لا شيء فيها مما يخص هذه السورة ، وسأتبع هذه الطريقة في بقية التفسير إن شاء الله تعالى ، فلا ذكر بقية

تفسير هذا القسم فأقول

ههنا يقول الله أيها الناس لا تظنوا اني خلقتكم سدى انما خلقتكم لأرقيكم لعلكم لا تظنوا اني خلقتكم سدى ، ولما كان العلم والعمل وحدهما لا يقويان على ارتقاكم ساعدتكم بما يفتاكم من النوازل والمصائب الطبيعية والأنفس والآفاق لأن هذا يرقى نفوسكم وان كنتم لا تشعرون ولم أدخل العبادات من ذلك فلقد أمرتكم بالتخلي عن بعض المال والشهوات والجوع في الصيام لأكمل بالعسل التهذيب الذي وضعته بالطبع في أرضكم كما أني كلفتكم بالزراعة والسكسب لاصلاح معاشكم فأكثر معاشكم بالطبيعة التي نظمها ولا يكمل إلا بعملكم هكذا المصائب والنوازل وتغير الأحوال التي لا تقفرون عنها كل حين مهنات لنفوسكم فجاء الدين فأكملها تهذيباً وتأديباً بصرف النفس عن المال والولد الى الزكاة والحج والصلاة والجهاد وغيرها غياتكم كلها حياة شقاء شتم أم أيتهم فان جاهدتم ارتقيتم والا كان العذاب واصبا عليكم في الدنيا وبعد الموت لأن الميت اذا لم يكن له أجنحة من العلم والعمل يطير بها هناك فكيف يعيش في تلك الأجواء النقية الحرة البهية فلذلك لم أدخلكم من الجهاد كما لم أدخل من قبلكم من الأمم البائدة (ولقد فتنا الذين من قبلهم) فذلك سنة قديمة قديمة شرعناها لكم كما شرعناها للأمم قبلكم فلا ينبغي أن يتوقع الناس خلاف ذلك (فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) أي فليظنن الله الصادقين والكاذبين وليميزنهما أولي جازينهما فالمراد بالعلم أثره ومن ظن خلاف ذلك من الناس فهو سوي الحكم جاهل (أم حسب الذين يعملون السيئات) كالشرك والمعاصي (أن يسبقونا) أي بل أحسب هؤلاء أن يفوتونا فلا تقدر أن نجازيهم (ساء ما يحكمون) أي بئس حكما يحكمونه حكمهم ، وكيف يحكمون هذا الحكم وأنا لم أخلق الخلق سدى ، أنا ربيتهم في عالم المادة وهذا بهم بأنواع التهذيب والتعذيب والريضة والعلم عسى أن يأمعوا في هذا العالم نور جلالى وجالى (من كان يرجوا لقاء الله) في الجنة وأن يشاهده ويرى مالهين رأته ولأذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فليفرح (فان أجل الله لآت) وكيف لا يفرح وكل مصيبة نزلت أو تكليف جاء به دين فأنما جعل ليقرّب العبد من ذلك المقام ويبعده عن ظلمة المادة وليس الله بغافل عن المطيع والعاصي (وهو السميع) لأقوال الفريقين (العليم) بما أكنته قلوبهم من كفر وجهل أو إيمان وعلم فيضع كلا في مركزه الخاص به ، فعلى المرء أن يجاهد حتى يبلغ تلك المرتبة العالية (ومن جاهد فأنما يجاهد لنفسه) لأنه يريد أن يتخلص من عالم النقص حتى يستعد لمشاهدة العوالم اللطيفة ثم يصل الى الله ولا يكون ذلك إلا بتلطيف النفوس فليس ذلك الجهاد راجعاً لله بل هو لنفس العبد (إن الله لغنى عن العالمين) فهم في حاجة الى لقائه بتصفية نفوسهم لاهو فالجهاد إذن لهم لاله إذ لا معنى لعمل لا تعود فائدته على العامل نفسه فكل عبادة أو تكليف يراد بها ارتقاء النفس فقول العبد - إياك نعبد - ليس الله في حاجة اليها بل تلك تاطف النفس بعض التلطيف بذلك التوجه فتتخلص شيئاً فشيئاً من المادة وهذا هو قوله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم) كالكفر بالإيمان والمعاصي بالطاعات فترفع نفوسهم عن العالم المظلم (ولنجزيهم أحسن الذي كانوا يعملون) أي أحسن جزاء أعمالهم والحسن في الجزاء أن تكون الحسنة جزاءها حسنة والأحسن أن تكون الحسنة جزاؤها عشر حسنات أو أكثر ثم أخذ يشرح بعض الجهاد في الوالدين إذ قال (ووصينا الانسان بوالديه حسناً) أي وقلنا له أحسن بوالديك حسناً أو قلنا أفعّل بهما حسناً (وان جاهدك لتترك في ماله لك به علم) أي لاعلم لك بالهية بل هو منفي أي لتترك في شيئاً لا يصح أن يكون إلهاً (فلا تطعهما) في ذلك وكيف تطيعهما في معصية خالقك وخالقهما (الى مرجعكم فأنشكم بما كنتم تعملون) فأجاز بكم على الخير والشر * روى انها نزلت في سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه وأن أمه حلفت لا تنقل من الضح ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد ولبثت ثلاثة أيام كذلك ثم إن ابنها أوقع في قلبها اليأس من اسلامه فرجعت فأكلت وأن هذه الحادثة أيضاً كانت سبب هذه كانت سبب

التي في لقمان والأحقاف وهذه الرواية لم ترد في الصحيحين ولا بقية الكتب الستة ، ثم قال تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين) أي في جملتهم فليستعدوا لذلك بالجهاد فالصلاح درجات وللعلم درجات وكل يوم القيامة يدخل فيمن هو أهل لهم ، وليس الصلاح مجرد دعوى لادليل عليها بالعمل . إن الصلاح لا يكون إلا بالجهاد والصبر على الأذى (ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذى في الله) كما حصل من تعذيب الكفار المؤمنين (جصل فتنة الناس) أي ما يصيبه من أذيتهم في الدنيا ليصدوه عن الإيمان (كعذاب الله) الذي قدره على الكافرين ليصرفهم عن الكفر ، فهو لاء يجزعون من عذاب الناس ولا يصبرون عليه فيطيعون الناس في كفرهم كما يطيع المؤمن ربه لخوفه من عذابه وهل فتنة الناس كعذاب الله كلاء . إن عذاب الله أشد وأبقى فهو لاء لا ثبات لهم ولا صبر ولا سعادة لأحد إلا بالصبر وإنما يروغون كما يروغ الثعلب ويتقلبون تقلب الحرباء وذلك التقلب لضعف قلوبهم ، ولذلك إذا جاء نصر أو غنيمة قالوا إنا معكم وهذا قوله تعالى (وإئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم) في الدين فاشركونا فيه ، فهو لاء هم المنافقون (أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين) من الاخلاص والنفاق ثم أكده فقال (وليعلنن الله الذين آمنوا وليعلنن المنافقين) يقال انها نزلت فيمن أخرجهم المشركون معهم الى بدر وهم الذين نزل فيهم - الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم - ولذلك يقال إن هذه الآيات العشر من أول السورة الى هنا مدنية وباقي السورة مكية وقد علمت أن الأحاديث ليست في الصحاح المعروفة

هذا ولما تم الكلام على جهاد الوالدين وما بعده من المنافقين ذكر جهاد الأصحاب الذين يغفرون أصحابهم لتركوا الدين فقال (وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبلنا) الذي نسلكه في ديننا (ولنحمل خطاياكم) فتركوا الاسلام واتبعوا ديننا القديم وعلينا أن نحمل خطاياكم وهذا قول صناديد قریش لمن آمن منهم (وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لسكاذبون) في قولهم نحمل خطاياكم (وليحملن أثقاهم) أثنال ما اقترفوه من الإثم (وأثقالا مع أثقالهم) أي وأثقالا آخر معها فإن من سبق سنة سيئة فعلية وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من وزر من اتبعه شيء (وليسأأن يوم القيامة) سؤال تقرير (عما كانوا يفترن) من الأباطيل التي أضلوا بها ، وههنا ابتداء سبحاته بذكر قصص الأنبياء ليتعظ المسلم بما يرى من جهاد المجاهدين شرحا لقوله - ولقد فتنا الذين من قبلهم - الخ فابتداء بما فتن به نوح ومن معه حتى يصبر الناس كما صبروا وكذلك ابراهيم ولوط وشعيب وهود وصالح وموسى ، فهو لاء كلهم صبروا هم وأتباعهم على ما أودوا فنجوا وهلك أعداؤهم

﴿ جوهره في قوله تعالى - ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين - ﴾
 اللهم إناك خلقتنا في الأرض ونحن فيها أشبه بالفرق في بحر لجي ، أرواحنا قبسة من نورك فأنزلنا الى الأرض وليست كل روح جسمها ووقعت في حيص يبص فهي أبدا تجاهد لتنجو من الخطر الملازم لها وهي هذه الأجسام وشهواتها وأخلاقها وأحوالها ، وليس الجهاد قاصرا على أمر دون أمر فالجهاد يشمل كل عمل يرفع هذه النفس عن الدنايا ويقويها في سفرها وينقلها من غرقها ويخرجها من بحر هذه الحياة اللعجي والجهاد ﴿ نوعان ﴾ جهاد داخلي وجهاد خارجي ، فالجهاد الداخلي لقوى الشهوة والغضب فيعتدل الانسان في قوته الجسمية والعقلية ، وجهاد خارجي وهو دفاع الأعداء وبعض العبادات ومنها الحج فهو من أهم أنواع الجهاد بل الحج يذكرنا بسعادة نوع الانسان ويرمز الى ﴿ فائدتين ﴾ منها صحة البدن واجتماع الأم بسلام ، إن الاسلام لو لم يكن فيه سوى الحج لكفى لسعادة الانسان ، ففيه جهاد النفوس بترك الخيط من الثياب كما تقدم قريبا في (سورة القصص) عند الكلام على منافع الشمس في آية - قل أرأيتم - الخ والاجتماع بالاخوان من سائر الأقطار ليشهدوا منافع لهم . واعلم أيديك الله أيها الذكي أن مسألة الحج يقصد بها الى أمر عظيم وهو

نبد التعالى والتكبر وترك الترف والتعظيم اللذين يسببان هلاك الأمم فى هذه الدنيا ، ولقد فاتنى فى سورة الحج وفى البقرة وغيرهما من السور التى ذكر فيها الحج أن أبين أكثر ما ذكرته هناك ولكن الله عز وجل يريد أن يمن على أمم الاسلام بالعلم والحكمة ، فأول ما خطر لى خاطر الحج من حيث الصحة العامة بتعرض الجسم لضوء الشمس كان بسبب محاذنة شاب معى أخذ يذكركم مناسك الحج وأن أوروبا قد أخذت تنبذ القصور والصور وتذهب الى أعالي الجبال ليعرضوا أجسامهم لحرارة الشمس تبعا لأوامر الصحة ، هنالك حضر لى هذا الخاطر فكتبت بعض ذلك فى (سورة القصص) كما قلت لك آنفا ولكن انظر . ان الانسان يعيش ويموت وهو لا يزال فى حاجة الى الاطلاع ليعلم ما لم يكن يعلم فأتى فى هذا اليوم صباح ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٩ اطلعت على هذا الموضوع فى (الرحلة الحجازية) لصديقى محمد ليلى بك البقونى فرأيت فى الموضوع حقه فسالخصه هنا تلبية لنداء الوجدان وتماما للكلام على الجهاد لأن جهاد النفوس الانسانية فى الحياة الدنيا يجب أن يشمل الجهاد الجسمى والجهاد الروحى وجهاد الأجسام بصفاتها وخواصها من الأمراض بترك الاكثار من الملابس كل وباستخلاص أنفسها فى الحياة والصحة وبتترك الاكثار من الملابس التى تضر بالصحة فى كل أمة بحسبها . والجهاد الروحى بحب الاخوان بل بحب جميع الأمم ولن يكون ذلك إلا بترك الترف والتعظيم والحرص ومد يد المساعدة العامة فلامترف فى الأرض مساعد لآخوانه ولاضعيف جسم يقوم بأود محتاج . إن الحياة جميعها جهاد . ومما كان يهيج بالى ويزيد بلبالى أمر الملابس فأتى وجدت الأمم قد اختطت لأنفسها خطة ضيق الملابس والتصاقها بالجسم ولم أجد فى هذا الانسان إلا مقلدا . الناس جميعا مقلدون وقليل فيهم المفكرون وهذا القليل لا قوة له على اخضاع هذه الجوع ، ولطالما وقفت أمام صورة فى المتحف المصرى يقال انها صورة (شيخ البلد) فكنت أجد الجسم ليس عليه إلا إزار واحد فحجبت وصرت أقول ياليت شعرى ، أليست هذه مصر ، أليس هذا منها وأنا منها ، فلماذا اكتفى هذا الرئيس ومروءوه بالازار ونحن لبسنا ملابس وماهى إلا حل ثقىل علينا . هذا الموضوع وغيره حرك وجدانى فبحث فلم أجد لى سبيلا إلا مناسك الحج وفهم بعض أسرارها فعرفت أن الله فرضه ليقول للناس ها هوذا وصف رقى الانسان ليقرا الناس علم الصحة فيعرفوا أن صحتهم لا تتم إلا بالتجرد فى بعض الأوقات من الثياب وتعرض أجسامهم للشمس وليكونوا بزي واحد تقرر يباحثي بتحابوا فتكون مدارس الغرب ومدارس الشرق على وتيرة واحدة ، هنالك يتعاونون جميعا وهنالك تقسم لهم الأرض خيراتهم كنوزها . ولم أجد كتابا يشرح هذا الموضوع مثل ما جاء فى تلك (الرحلة) وهذا نص ما جاء فيها تحت العنوان التالى وها هوذا

﴿ لباس الاحرام ﴾

كان الناس قديما يصنعون ملابسهم من القطن أو الكتان أو جلود الحيوان بحال بسيطة جدا والمصريون كانوا يستعملون فى أول أمرهم المنزلة البرنس وهو قطعة من القماش تلقى على الأكتاف وتربط بحزام وترسل الى الركبتين فى العانة أو الى أسفل منهما فى الخاصة حتى اذا ترقى الدولة فى عمراتها أطالوا من ذلك البرنس الى السكبين ولبسوا من تحته قميصا لا أكمام له أخذوه عن الأثيوبيين (١) وكانوا فى مبدل أمرهم يلونون ثيابهم بلون واحد (أخضر أو أزرق أو أحمر) ثم انتهوا باستعمال كثير من الألوان فى ثيابهم مع ما كانوا يوشون به دائر ملابسهم بالأشرطة المنقوشة . أما الاشوريون فقد كانوا يشتملون بقطعة كبيرة من القماش ويمرونها من تحت ابطنهم الأيمن ويغطون بها الصدر ثم يرسلونها على الكتف الأيسر حيث يثبت طرفها إما بعقدة أو بمشبك

(١) هم سكان أثيوبيا وهى مملكة قديمة كانت فى جنوب مصر فى المنطقة التى بها الحبشة وما والاها شرقا الى الصومال وشمالا وغربا الى جزء عظيم من السودان المصرى

(انظر سطر عشرين من صفحة ١١٥٣ من الجزء الثاني من دائرة المعارف الفرنسية الكبرى) ثم غيروا هذا الزي بأن لبسوا قميصا صغيرا ومن فوقه شئ يشبه العباءة والأعجام كانوا يزيدون على ذلك سراويل واسعة . وأهل اليونان كانوا يلبسون رداء طويلا واسعا ويمرّونه من تحت ابطنهم الأيمن بعد أن يلفوا به وسطهم ثم يرسلونه على ظهرهم بعد أن يغطوا به كتفهم الآخر ثم صاروا يشملون بهذا الرداء الجسم جميعه . ذلك بأنهم كانوا يأتون بهذا الرداء الطويل ويربطون طرفيه ثم يدخلون ذراعهم الأيمن مع الرأس من فتحة ما بينهما بحيث تكون العقدة على الكتف الأيسر ثم يلف الجسم بباقي هذه الشملة ويسمونها (شبون) كما تراه الى اليوم في عرب البادية المصريين خصوصا عرب الغرب منهم . ولا شك في أنهم أخذوا هذا الزي من الرومانيين أو القرطاجيين ولبت فيهم على بداوته الأولى الى الآن وهذا الشكل يوجد منه صور كثيرة على الآثار الرومانية وقد شاهدت شيا مماثلة تماما على قاعدة المسلة التي في القسطنطينية في ميدان السلطان أحمد وعلى بعض النواويس الموجودة في متحف الاستانة بل وفي النقوش الموجودة في سقف جامع القهرية (القهرية) وهو أول كنيسة بنيت في الاستانة وحولت الى مسجد بعد الفتح . أما أنتكخاتنا المصرية فقد شاهدت فيها أن ملابس المصريين في قديم الزمان كانت تنحصر في لبس المتر وهو فوطه يلف بها النصف الأسفل من الجسم على هيئة ما يكون الرجل في أيامنا هذه داخل الحمامات العمومية (١)

وأخص بالذكر ما رأيته على هذه الصورة تمثال « كفرين » المشهور بشيخ البلد في القاعة حرف (٨) من الدور الأول نمرة ٧٤ وهو باني هرم الجيزة الثاني ومن ملوك العائلة الرابعة المصرية التي كانت توجد في القرن الحسین قبل المسيح ، ثم تمثال (رعنفر) من العائلة الخامسة في القاعة حرف (٥) ثم تمثال (امور وأمون) وهما من معبودات المصريين ، ثم صورة للمسيح بالدخلة الصغيرة للطريقة الخنسية تمثله بمتر بسيط ولا يمكن تحقيق ما على نصفه العلوي لأن يد الزمن قد محت ما عليه ، ويوجد غير ذلك كثير من التماثيل البرنزية والنحاسية التي في دواليب المتحف لاسية شبه احرام كامل وقد شاهدت من بينها تمثالا من الفخار للعدراء وهي ملتصقة بشملة تغطي جميع جسمها وابنها على يدها

أما القاعات الرومانية واليونانية التي على عین صحن المتحف من الدور الأول ففيها مثال الاحرام بأشكاله الناقصة فترى في وسط القاعة حرف (١) امرأة رومانية من الرخام الأبيض الوردی بهيئة احرام كامل أعني انهما ملتصقة برداء أبيض يغطي كل جسمها ماعدا رأسها ، ويقرب منها مثال رجل من الجرانيت الاسود ملتصق برداء قد انحصر عن ذراعه الأيمن وهو ماسمونه في الاحرام بالاضطباع وفي رجله نعال لا تغطي ظاهر القدم اللهم إلا عروة يدخل فيها الابهام ويخرج منها سيران رفيعان يتصالبان على مادون الكعيعين ويربطان فيما دون العقب وهو ماسمونه في الحجاز بالنعال الشرقية التي أجمعت المذاهب الأربع على صحة الاحرام بها وهذه النعال تراها أيضا في قدم منفصلة عن جسمها موضوعة على يسار الداخل في القاعة حرف (٨) ومتاحف الفنون الجميلة في جميع أنحاء الدنيا غاصة بصور الناس في العهد القديم وهم في لباسهم البسيط الذي يماثل لباس الاحرام بل هو هو بعينه والقوم يمثلونه تماما في تشخيص الروايات التي تمثل الزمن القديم الروماني أو اليوناني وخصوصا في تمثيل صور الأنبياء والحكماء . ويقال ان اليهود كانوا يستعملون في معابدهم لبس غير الخيط . أما الآن فيكتفون بوضع رداء على أكتافهم من الصوف يسمونه (تليت) أو (تسبوت) ليشبهوا بموسى عليه السلام في بساطة لباسه . ومن هذا ترى أن ملابس الناس في الزمن القديم بل في جميع أدوار الأمم الخالية حتى في إبان الحضارة كانت على هذه البساطة ، وليس هذا بغريب فان آلة الخياطة ما كانت معروفة في تلك

(١) هذا اللباس شائع للآن في أغلب بلاد السودان وغيرها من البلاد التي لا تزال على فطرتها الأولى

ونشاهده على كثير من أعراب البادية في احرامهم وفي غير احرامهم

الأزمان ، ولقد كان الناس يستعملون أولا في خياطة ملابسهم شوك الأسماك وسبل النخل ثم توردوا الى استعمال الابر الحديدية ، أما الإبر التي من الصلب فانها لم تخترع إلا في القرن الرابع عشر للمسيح ولم يذع استعمالها في أوروبا إلا في القرن السادس عشر ، وكان أبسط تلك الملابس شكلا ونوعا ملابس الاشوريين الذين هم اخوان الكلدانيين الذين خرج منهم ابراهيم لأن كليهما من الجنس السامي ، وعليه فلباس الاحرام كان هو هو بذاته ذلك اللباس البسيط الذي كان يلبسه ابراهيم عليه السلام حين أمره الله تعالى بالحج قائلا - وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق - وما زالت هذه السنة قائمة في حج البيت الى الآن ، وأما كونه أبيض فلأن لون البياض شعار الطهارة والنظافة والا فالغرض من الاحرام لبس غير المخيط مطلقا إشارة الى أن الانسان خرج الى ربه من زخارف الدنيا وما فيها الى بساطة الوجود وبدائه ، خرج الى ربه من أهمة الحياة ورفقها وتمثل بين يديه تعالى بحال رجع فيها الى طبيعة الوجود البشري من حيث البساطة القائمة التي كان مظهرها ذلك الزي الذي يمثل الاشتراكية الحقة بكل معانيها فيستوى فيه الصعوك والملوك . هذا الزي الذي يستقبل الانسان في مهده ويشيعه الى لحده حتى كأنه يقول الى ربه « اللهم إني قد نزلت عن نفسي ظاهرها وباطنها رداء قد وشته الأباطيل وهوته الأضاليل وخرجت اليك وقد جردت نفسي لك مما أملك طامعا في نيل مالا أملك من نعم إن عشت أعود بها الى حياة جديدة كلها فضيلة وخير وبركة أو أقضى بها إن مت في سبيلك ومحبتك وطاعتك وانتقل بها الى دار السعادة الحقيقية فأحشر في زمرة المقبولين والصادقين زمرة الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين »

وهل رأيت ذلك اللباس الأكبروسي البسيط « لباس الرهبان » الذي رسم عليه كل من تمثالي (غليوم الثاني) امبراطور ألمانيا والأميرة قرينته وأرسل بهما ليوضعا في الملعب الألماني الذي بني في بيت المقدس وسافر البرنس (ايتل) لافتتاحه رسميا بالنيابة عن والده الأمبراطور في شهر ابريل سنة ١٩١٠ على أنه لا يعزب عن فطنتك وينبوع عن فكرتك أن الأطباء وجدوا أخيرا أن الانسان لا بد له من تعرض جسمه الى الهواء المطلق ومؤثرات الجو نحو شهر من كل سنة يسترجع فيه الجسم قوته ويستعيد نشاطه بفضل ملاصقة أوكسوجين الهواء لجميع مسام جثمانه ، وبهذه العملية يحترق ما في الدم من السكر بون الذي تشبع به أثناء دورته من الفضلات التي تخلفت في الجسم فيعود الى القلب دما نقيا زكيا صالحا لتغذية الحياة بمادة القوة التي تكون بها العافية التامة والصحة العامة التي هي قوام الوجود بل الحياة بجميع معانيها . لذلك ترى الاوروبيين وعلى الخصوص الانجليز (لاعتنائهم بصحتهم أكثر من غيرهم) يعتمدون كل سنة الى الجبال أو الى شواطئ البحار فيخلعون ثيابهم إلا ما يستر عورتهم و يقيمون على هذه الحال شهرا أو أكثر يستعيدون فيه ما فقدوه من قواهم في سبيل العمل طول سنتهم ، وكثيرا ما رأيت الفرنجة في هذه الأماكن الصحية على شاطئ البحر حفاة عراة معرضين بكل جسمهم للهواء وبرودة الجو أو حرارة الشمس جلة ساعات وليس عليهم إلا تلك العانة المستعارة التي يغطون بها السبيلين ويسمون ذلك بعلاج الطبيعة أو علاج الهواء ولا غرابة اذا رجعت بنا المدينة الحديثة الى كثير مما كان عليه القدماء في بدائهم الذي يسميه الجهلاء خشونة وتوحشا . انتهى ما أردته من تلك الرحلة والحمد لله رب العالمين

واعلم أيها الذكي كما قدمت لك أن الحياة كلها جهاد وانما أطلت الكلام على الحج لأن فيه أصول سعادة الأمم جسما وروحا فهو نموذج الجهاد العام وأي جهاد يفوق توافق الأمم وارتباطها واتحادها وأول من قام بذلك رسول الله ﷺ فهو الذي حرك الأمم شرقا وغربا وهاهي ذه الموجة التي أرسلها فيها قد سكنت في الشرق ثم تحركت في الغرب ثم رجعت الى الشرق ثانيا ، كل ذلك لم يقصد منه إلا اجتماع جميع الأمم شرقا وغربا ورمز لذلك بالوقوف بعرفة والتجرد من الخيط وغير ذلك من المزاي والاحكام وصرح بذلك فقال - حتى تضع

الحرب أوزارها - هنالك قال العلماء إن ذلك يوم يصبح أهل الأرض ﴿قسمين﴾ قسم مسلم وقسم مسلم اه
﴿خطابى للمسلمين﴾

أيها الأمم الإسلامية ، حكمة الجهاد عامة تشمل العبادات والأعمال المدنية كلها والصناعات والسياسات ،
إن ذلك كله إما فرض عين وإما فرض كفاية ، فالصلاة والصيام ونحوها فروض عين والعلوم ونظام المدن
والصناعات وفروض كفايات وتحتاج الى جموع كثيرة حتى تكفى الأمة ، فالنجارة والحداثة والكهرباء وصناعات
السفن والطائرات ونظم المدن كلها فروض كفايات واجب على الأمة أن تتعاون عليها طوعاً أو كرهاً ، وليس
عمل من هذه الأعمال يكفي فيه الفرد الواحد فالجموع هي التي تتعاون على كل ذلك

أيها المسلمون ، لقد أودع الله في عقول الأمم وفي أديانها بذور السعادات ، هاهوذا لم يذر العباد يتخطون
ويفرقون في بحر الحياة اللحي بل أسعفهم بأصول العلم وغرسها في أفئدتهم وفي عاداتهم وفي دياناتهم ، لك
الحمد يا الله على نعمك العاتية ، أنت الذي ألهمت القدماء ألا ينووا بناء ولا يعملوا عملاً إلا نقشوه على الأحجار
وكتبوه في الطوامير وأبقاه الأولون للآخرين ، أنت يارب أبقيت آثار الأولين ليتبعها الآخرون ، هذه مصر
والعراق والشام وبلاد الهند وأمريكا والصين وأورو با يظهر كل يوم فيها كنوز مدفونة وأجسام مطمورة ونقوش
مفهومة أبقاها الأولون للآخرين ، أنت الذي دفنت الفحم الحجري قديماً ثم أبرزته لأهل الأرض الآن ليكون من
أكبر أساس السعادة في العالمين ، فالأرض ملأتها بالذخائر والنقائس والنقوش وأودعت فيها وفي الجوّ كهرباء
تصل الناس بعضهم ببعض وهم يتعجبون ، ولما كانت الديانات في الأرض من وحيك ونزلت بأمرك وقبل
الناس دعوة الرسل بأهلهم كنزت فيها علوماً وخزنت فيها حكماً كما كنزتها في الأرض والهواء والماء والسماء
ألهمت الأنعام والحشرات وكل حيوان إلهامات كلها نافعات لها وأنزلت للإنسان ديانات وجعلتها هدى
للعالمين في كل زمان بحسبه ، وهذا ديننا كنزت فيه علوماً وعالوماً وهذه العلوم لا يثيرها إلا البحث والتتقيب ،
التوحيد والصلاة والصيام والزكاة والحج التي هي أركان الإسلام قد كنزت فيها سعادات الأمم ، هذه الصلاة
التي هي بعض الجهاد المذكور في هذه الآية قد جعلتها مذكرة بجميع الحكمة والفلسفة وما الحكمة ولا الفلسفة
إلا ما أجنسه السماء وأقنته الأرض ونظام هذا العالم ، المؤمن صباحاً ومساءً يقول ﴿ربنا لك الحمد السموات
وملأ الأرض وملأ ما بينهما الخ﴾ كما قدّمناه مراراً ، وهنالك جميع الطبيعيات والرياضيات إلماً في السموات
والأرض . الله أكبر . لقد أنعم الله على بنعمة هذا التفسير وما هو إلا سر الصلاة التي هي ركن من أركان
الجهاد المذكور في هذه السورة وسيأتي فيها - إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر - ، فهنا يقول تعالى - ومن
جاهد فانما يجاهد لنفسه - وفي أواخر السورة يبين أهم أركان الجهاد وهو الصلاة الخ

﴿رؤى المؤلف الكثرة بالفتوح﴾

اعلم أيها الذكي اننى من إبان شبابي كنت أرى رؤى كثيرة جداً كلها تدل على ما أعمله الآن وبشرت
بأن هناك عملاً نافعا لا بد منه ، ولما بلغت سنين نحو (٥٩) سنة رأيت وقت الصباح كأني أقول أنا يارب قائم
بأعمالي ولا تقصير عندي فأين إذن ما بشرت به فسمعت قائلاً يقول كذبت ، أنك لا تحضر قلبك في الصلاة فلما
استيقظت أخذت أحضر قلبي في الصلاة بقدر الامكان فانفتح الباب لهذا التفسير . ومن عجب أن كثيراً من
المسائل تحضر لي بعد الصلاة أوفي أثنائها ، وبسبب هذا الاستحضار عرفت أن الصلاة ملخص العلوم أو مفتاح
لأصولها وهكذا سميت الفاتحة فعلمت إذن أن المسلمين بتأملهم في الصلاة يصبحون أمة غير هذه الأمة .
الصلاة عبادة ولكن اذا كنا نرى الناس يشربون الماء ويأكلون الفاكهة ومع ذلك يحالونهما ويبدسونهما
حتى يتم الانتفاع بهما ، فإذا كان الماء والهواء والتراب لا يتم الانتفاع بهما إلا بتحليلها فكيف بالصلاة والصيام
والزكاة والحج ، أفليس انتفاع الجهال بها في العبادة كانتفاعهم بشرب الماء ، أو ليس الانتفاع بكشف أسرارها

وماترعى اليه كانتفاع الأمم الآن بتحليل الماء والهواء الخ أليس هذا سرّ قوله تعالى - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات - فالدرجات لأولى العلم أما الجهلاء فلا حظ لهم من العبادة إلا كحظ الشارب من الماء . هذا ما أقوله في الصلاة وسيتم الكلام عليها في آية - إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر - الخ ولا ذكر الحج بعد الصلاة لأنه هو الذي أفضنا فيه الكلام قريبا وقد ظهر أن الله كثر فيه آثار الأمم وأصبحت الأمم العريقة في المجد ترجع الى حال البساطة وسهولة الحياة فيسعدون سعادة لم يحلم بها أولئك المترفون الغافلون إذن الحج الذي هو من أركان الاسلام قد حل في طياته بذور السعادة والمدنية المستقبلية التي يرجع فيها الانسان الى الاجتماع العام والصحة التامة

فانظروا أيها المسلمون ، صلاة تحث على الفلسفة وحج بحث على الصحة العامة ونظام الاجتماع العام . وههنا جاء دور الزكاة ﴿ الزكاة ذكر فيها الامام الغزالي انها مساعدة للفقراء ومذهبة اشح النفس فان الانسان اذا ملك حب المال قلبه أقلقه وأخرته بعده عنه بموته هو أو بأخذه منه ظاهرا أو بالقضاء والقدر ﴾ ويقول ﴿ إن المقصود من ذلك راحة النفوس ﴾ ونقول نحن فكما أن الصلاة مذكرة بالعلوم والحج بالاجتماع العام وصحة الأبدان هكذا الزكاة يراد بها أن يكون الناس جميعا اخوة كما نقلته عن الامام الغزالي في أواخر (سورة البقرة) فانه يقول ﴿ إن مال الانسان للامة كلها عند الخواص أما الزكاة فانما تؤخذ من البخلاء ﴾ فبتين إذن أن اتفاق المال بالزكاة متمم لنظام الاجتماع الذي فهمناه من الحج فالحج يعطينا درس الاجتماع العام والصحة والزكاة تسكمل ذلك بالمساعدة . وههنا جاء دور الكلام على الصيام

الكلام على اصيام معروف في الكتب ولكن نحن الآن في تفسير القرآن وتفسير القرآن انما يكتب لأجل الأمم كلها لأن القرآن كتاب الله والناس عباده والصوم درس من أهم مظاهر منه اليوم في الأمم علم الصحة ، نعم هو قرى الى الله ولكن فيه فوائد أخرى ، إن علم الصحة اليوم قد تطور وأخذ الناس يهجررون المداواة بالعقاقير ويكتفون بالرياضة البدنية والجوع ، يصوم المسلم ويصلي المسلم ويحج المسلم ولكني أقول إن من أكبر العار أن لا تظهر أسرار هذا الدين إلا على يد الأمم لا على يد المسلمين . يحج الناس ويكتفون من الحج بظواهره ويقف العلماء في الأمم الاسلامية عن دراسة الحقائق الاجتماعية

الله أكبر . بعد هذا التفسير سيقوم في الاسلام فطاحل العلماء ويدرسون كل شيء في الوجود وبعد ذلك يدرسون أركان الاسلام ومتى درسوا عرفوا انها يراد بها اجتماع جميع الأمم شرقا وغربا على الصحة والتعاون العام . هذا الصيام درسته الأمم في زماننا وعرفوا بعض سرّه ففتح لهم بابا واسعا من علوم الصحة والمداواة الله أكبر . وهأنذا أسمعك ﴿ مقالين ﴾ أحدهما ﴿ مقال عن حال زعيم الهندوس الأكبر مهاتما غاندى ﴾ والثاني ﴿ ما جاء في مجلة « كل شيء » تحت عنوان (المعالجة بالصوم) فهناك ما قاله معرّب كتابه المسمى ﴿ كتاب الصحة ﴾ ومعرّبه الاستاذ الشيخ عبد الرزاق المليح آبادي وهذا نص ما قاله في مقدمة التعريب

إن من سوء حظ الشرق أنه لم يفقد استقلاله السياسي فحسب بل قد فقد استقلاله الفكري أيضا ولذلك تراه يقلد الغرب في كل شيء حتى إنه أصبح لا يفكر في نفسه ولا يقيم للأشياء وزنا ولا يميز بين الحق والباطل بل لا يزال نظره الى الغرب فان رآه يقول لشيء إنه حق قال هذا أيضا إنه حق وبالعكس أنا لا أكره الغرب ولا أنكر فضله في العلم والمدنية ولا أحرّم الاقتباس والاستفادة منه ولكن الذي أقبحه وأشمئز منه هو الاستعباد الفكري للغرب لأن هذا الاستعباد اذا تمكن من نفوسنا لن نستردّ حريتنا السياسية المنصوبة وان نجدّد أسس قوميتنا المنهدمة . أقول هذا لأنني أخشى أن يندب فريق من القراء هذا الكتاب قبل أن يطلع عليه ، لا لأنه يستحق النبد بل لأنه جاء من مصدر شرقي بحث فيحسبه سخافة شرقية ، فلذلك أرجو من هو على هذه الشاكلة أن يتمهل في الحكم عليه ليقرأه بامعان فان لم يحجبه فايبرمه إن شاء ،

وإني نطمئنا لهؤلاء أقول إن هذه الآراء ليست خاصة بفاندي وحده بل هناك في أوروبا وأمريكا أيضا ثورة كبيرة على الطب وأساليبه وأدويته بل إن تقدم العلوم أخذ يهدم أركان هذا الطب الذي نسميه (الحديث) ويسمونه هناك (القديم)

إلى أن قال « إن هذا الزعيم كذلك يدعو الناس إلى المعيشة الفطرية الساذجة وبذالبذخ والترف وإلى التخلص بالأخلاق الفاضلة والمحبة الشاملة العامة والتمسك بجميع مافي الأديان من الخير والتقوى وخشية الله والرفقة بالشر . ليت شعري كيف يكون عجب المغترين بالمدينة الغربية إذا رأوا هذا الزعيم الهندي بأعينهم ، انهم ليرونه عاريا حافيا حاسرا قد تجرد من الملابس قائلا لا يصح لي أن أتجمل بالملابس والملايين الكثيرة من بني جلدتي لا يجندون ما يسترون به عورتهم ويقون به أجسادهم من الحر والبرد ، فتراه الآن متجردا ليس على جسده لباس اللهم إلا إزار صغير يستر به عورته . وكذلك شأنه في مأكله ، لا يأكل المشتريات والمملكات والأطعمة الشائقة ، ليس ذلك لأنه يرى رأى المتقشفين الغفل الذين يحرمون أنفسهم من الطيبات ومحسبون ذلك قربة إلى الله بل يرى ذلك مضرا بالصحة البدنية والعقلية فإذ ذلك نراه لا يأكل الملح ولا اللحم ولا العدس ولا الحبوب ماعدا خبز القمح نادرا وقد حصر غذاءه في الفواكه وهو يكثر من أكل البرتقال والموز ويفضلهما على غيرهما من الفواكه »

إلى أن قال « وأكبر دليل على قوته أنه صام أربعين يوما متتابعة لم يذق فيها أي شيء ومع ذلك لا أغشى عليه ولا أحس بضعف بل مازال يكتب جرائده المقالات ويفزل كل يوم من القطن المقدار الذي قرره لنفسه ومن أعجب ما رأيته أنه بينما كان ثقيله قد قل كثيرا في الأسبوع الأول من الصوم حتى خافوا على نفسه أخذ يزداد وزنا بعد ذلك وقد تحير الأطباء في تعليل ذلك . ثم انه فوق ذلك قد ملك زمام نفسه فبعيش كما قرر لنفسه أن يعيش فلا ينام إلا القدر الذي قرر أن ينام ويقوم بجميع أعماله بنظام تام بدون أن يطرأ عليه أي خلل ثم انه لا يغضب أبدا ولا يستجمل ولا يفزع بل يبقى دائما هادئا مطمئنا كأنه مالك نفسه سخرها فأصبحت له أطوع من بناته . ومن عجب أمره انه يعيش مع زوجته ولكنه يحسبها كأخته أو أمه كما صرح بذلك في إحدى خطبه فقال « أنا وزوجتي قد اتفقنا على أن نعيش كالأخ والأخت أو كالابن والأب أو البنات والأم فأنا لها كآب وهي لي كأم » وكلامه هذا لا يرتاب فيه لأن عيشته مفتوحة وليست بسر وهو لا يكذب أبدا مهما اضطرت له الأحوال اه » هذا ما أردت نقله من ذلك الكتاب المذكور والحمد لله رب العالمين

وأقول ، إن هذا الزعيم الهندي قد جمع بين فضيلة الصيام وفضيلة الحج فاستفاد بهما صحة وقوة . هاهو ذا تجرد من أكثر الثياب . وهاهو ذا قلل الطعام فنال الصحة والعافية . ولست أقول أن هذا عبادة ولا انه يثاب عليها . كلا . لأن الصيام لا يصح إلا من مسلم وكذا الحج وأيضاً الحج إنما يكون بمكة لا بالهند ولكن ليس المقام في خصوص التدين بل المقام في أن منافع الصوم ومنافع بعض مناسك الحج في حد ذاتها مقوية لصحة الانسان كما قررناه . فهذه في الحقيقة دراسة للحج والصيام من بعض الوجوه . وعلى المسلمين بعدنا أن يتولوا هذه الدراسة ليمتدوا ما نقص في أمم الاسلام . انتهى الكلام على المقال الأول

(المقال الثاني) ماجاء في مجلة « كل شيء » بتاريخ ١٨ يوليوس سنة ١٩٢٧ تحت العنوان الآتي

(الصوم للمعالجة)

كان الناس ولا يزالون للآن يصومون للأغراض الدينية وقد يكون صومهم كلياً أو جزئياً ، ففي الهند يعمد الصالحون إلى الكف عن الطعام كلية جلة أيام ، ولا يزال بعض الأقباط في مصر يصومون عن الطعام والشراب كلية ثلاثة أيام في ذكرى يونس الذي بلعه الحوت ، أما الصوم الجزئي ففي الامتناع عن اللحم كما يفعل بعض

المسيحيين الى الآن

وجميع الذين يصابون بكثرة الزلال في الدم أو يتصلب الشرايين ينصح لهم الأطباء بالامتناع عن اللحم وخاصة ذلك اللحم الأحمر والامتناع أيضا عن تناول زلال البيض ونحو ذلك بل من الأطباء من ينصح لسكل من جاوز سن الأربعين أو الخمسين أن يمتنع كلية عن اللحم والاعتصار على الأغذية النباتية ، وقد دشت عادة الصوم في هذه الأيام حتى ان طبيباً فرنسياً بشير على كل انسان جاوز الأربعين أن يصوم صياماً كاملاً يوماً في الاسبوع ، ويشير أيضاً بأن يتعاطى مسهلاً في الصباح حتى تبقى أمعاؤه فارغة لا يشغلها شغل يوماً كل أسبوع ، ومن الأطباء من ينصح بالامتناع عن العشاء للسنين

ولكن فائدة الصوم ليست للامعاء وحدها بل هي أيضا للجسم كله وذلك لأن الجسم اذا لم يحمل الدم الى خلاياه طعاماً جديداً انكفاً على نفسه تأكل منه الخلايا القوية الخلايا الضعيفة وفي الوقت نفسه بزوال الشحم من الجسم تظهر المسالك وتحمل معها فضلات كانت تعوق الدورة الدموية فاذا انتهى الصيام بعد ثلاثين أو أربعين يوماً لم يبق بالجسم سوى خلايا قوية . وللجسم عقل يهتدى به أيام الصيام فهو يتخلى عما لا فائدة فيه الى ما فائدته صغيرة ، أما الأنسجة التي لا يمكن للجسم العمل بدونها فلا تلتف من الصيام . فاذا شرعنا في الصوم فاننا نفقد أولاً الشحم ثم اللحم ، أما الأعصاب ومادة الدماغ فلا تنقص درهما واحداً بعد صيام ثلاثين أو أربعين يوماً وذلك لأن مادة الأعصاب ثمينة وعليها ميزان الجسم كله وعقله وهي اذا فقدت شيئاً لم تستعص . أما اللحم والشحم فيمكن استعادتهما بعد فقدهما . والصيام الذي يمارسه الناس للعلاج الآن هو عن الطعام فقط . أما الماء فان الصائم يشرب كما يحب ويشتهي لأنه في حاجة اليه حتى يغسل خلايا جسمه وأنسجته ويحمل معه الفضلات ويظهرها منها ، وبعض الصائمين الآن يضع قطرات من عصارة الليمون أو الالفاكهة أو الخضراوات الطازجة على الماء حتى لا يحرم الجسم من الفيتامين لأن جسم الانسان قد يستطيع أن يعيش بلا طعام نحو خمسين أو ستين يوماً ولكنه لا يمكنه أن يبقى هذه المدة بلا فيتامين

ويمكن كل انسان أن يمارس الصيام ولكن يجب الحذر من الإفطار لأن الصائم اذا بقي نحو عشرين يوماً بلا طعام رقت جدران معدته وأمعائه واعتاد جسمه حالة الصوم فاذا فاجأ قناته الهضمية بطعام جامد فقد يؤذي نفسه بذلك أذى كبيراً إذ قد يغشى عليه من هذه الصدمة وقد ينحرق جدار الامعاء أو المعدة ، فالإفطار يجب أن يكون رويداً رويداً حيث يتمصص الصائم جرعة بعد جرعة

ونحن نذكر فيما يلي تجارب المستر (ارفنج) وهو رجل انجليزي صام خمسين يوماً بغية التخلص من ضعف المعدة وضعف الأعصاب الناشئ عن تراكم الفضلات في الجسم ، فقد قال انه ابتداءً أول يوم من الصيام بأن شرب ستة أكواب من عصارة البرتقال وفي اليوم الثاني شرب أقل من ذلك من هذه العصارة أيضاً وفي اليوم الثالث لم يشرب سوى الماء القراح وبقى على ذلك عدة أسابيع وكان أحياناً يمزج الماء بقطرات من عصارة الليمون . وبعد الاسبوع الأول من الصيام زالت الشهوة للأكل فكان يتريض بالمشي ميلين أو ثلاثة في اليوم على مهل وفي غير مشقة وكان لسانه قد اكتسى بفرور أبيض يكاد ينفصل عنه اذا مسح . ويقول الراسخون في فن الصوم (إن الصحة لا تعود الى الجسد حتى يزول الفرو الكاسي للسان) ولكن الواقع انه لا يزول تماماً وإنما عند اقتراب نهاية الصوم يتحسن اللسان ويرق هذا الكساء من الفرو ، وكان المستر (ارفنج) قد هبط وزنه واستمر المهبوط الى الاسبوع الرابع حين وقف الجسم فلم يفقد في الأسبوعين سوى رطلين أو رطلين فقط . وفي اليوم الثامن والأربعين جلس في الشمس فنام نوماً طويلاً استيقظ منه وهو في غاية الضعف وقضى اليوم التاسع والأربعين وهو في الفراش . وفي اليوم الحسين عاد اليه نشاطه فنهض وزال عن لسانه بعض فروه فقمم هذه المدة وخاصة عند ما رأى أن الآلام التي كان يشكو منها قد زالت كلها

أما كيفية رجوعه فانه شرب في اليوم الحسين نصف كوب من اللبن تمصصه كما يمص الانسان الليمونة .
وفي اليوم التالي صار يشرب كوبا من اللبن كل ساعتين فيمتصها أيضا وبعد ذلك يتناول كوبا من اللبن كل
نصف ساعة واستمر على ذلك أربعة أسابيع تناول في نهايتها (عجة) وكان قد فقد في صيامه ٤٠ رطلا استعادها
وزاد عليها ، ومن غريب ما رأى انه كان يلبس نظارات لقصر نظره فلما صام عاد اليه نظره كله سليما اه

﴿ ضرب مثل لحال العابدين الذين يفكرون في العبادة بحال قراء القرآن بلا عقل ﴾
اعلم أن مثل العباد الذين يعبدون ولا يفكرون في عبادتهم ولا يعرفون مقصودها كمثل من يقرأ القرآن
بلا فهم ولا عقل فكلاهما له ثواب على مقدار نيته ولكنهما في مرتبة ضعيفة ، هذا في القراءة وهذا في العبادة
فاذا فكر العابد وأدرك معاني الكلمات التي يقرأها في الصلاة التي يقيمها ومقاصد الزكاة التي يؤتيها ومناسك
الحج التي يؤديها وعبادة الصوم التي يتقرب بها كان هؤلاء كلهم أشبه بمن يفهم معاني القرآن ويعمل به ، فاذا
ارتقى العابد عن هذه الدرجة أدرك السر المصون والجوهر المكنون كالذي ذكرناه هنا في أسرار أركان الاسلام
وانها بذور لسعادة انسانية عامة في الطب وفي الاجتماع والتعاون العام كان ذلك خليفة الله في أرضه وكان أشبه
بمن ارتقى عقله في القرآن وأدرك أن علوم الحكمة كلها وأسرارها موافقة للقرآن وأن هذه العلوم كلها لا تخالف
بينها وبين القرآن الذي أنزله الله بالوحي وانه كلما كان الانسان أضعف منزلة وأقل فهما وأسخف رأيا تباعدت
مسافة الخلف بين دينه وبين العلوم عند عقله ، وكلما ارتقت نفسه منزلة وازداد عقله كمالا تقارب العلم والدين
عنده على مقدار ارتقاء علومه وعقله والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

الجهاد على ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ جهاد بالفرية ، جهاد بالعقل ، جهاد بالوحي . والأخيران أفضل من
الأول . إن الجهاد بالفرية لا يعوزه عقل ولا فكر ولا روية فهو أضعف رتبة وأقل قيمة ، فأما الجهاد بالعقل
وبالوحي فهما أرقى منزلة وأكثر شرفا وأعظم قدرا

ألا ترى رعاك الله أن هذا الانسان فطر على ألا يجب إلا بمنوع وألا يفرح إلا بما تباعدت أقطاره وصعب نواله
وعز مطلبه وتمنع وتولى بركنه كما نرى أن الماس والياقوت والزبرجد وأمثالها من الأحجار الثمينة يحرس عليها
الناس كل الحرص لغلاء ثمنها وصعوبة مطلبها ووعورة طرقها وهم يشاهدون أمامهم في منازلهم وحقوقهم
وسمائهم زهرا جيلا وكوكبا مشرقا متلأثا أجمل من الياقوت والماس والزبرجد وأبهج وأعلى ولكن الزهر
والسكواكب مبدولات والماس والياقوت ممنوعان ، لذلك رغب الناس في الممنوع وزهدوا في المبدول ولذلك
نجد السكواكب في السماء لا يفرح بها الجهلاء وانما يفرح بها المفكرون من العلماء ويحقرون الأحجار الثمينة
 وأنواع الزينة في هذه الأرض اذا وزنوها بما عرفوا من جمال السكواكب وسيرها في مداراتها ودقة حسابها
وبهجة نظامها ، فالجاهل وقف عقله عند الزبرجد والياقوت والعالم ارتقى خقرهما ولكنه سعى سعيا حثيثا
وجد حتى ارتقى الى الأفلاك . كلاهما لا سعادة له إلا بالجهاد . فالجاهل جاهد بالمال حتى نال الماس والزبرجد
والياقوت . هنالك وقف عقله وحط رحله وأنشد

فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قرّ عيننا بالإياب المسافر

والعالم جاهد جهاد الأبطال في ارتقاء عقله وبذل ثمن ذلك النوال بالسهر والنصب والتعب والجهد وأنشد

على قدر أهل العزم تأتي العزائم * وتأتي على قدر الكرام المكارم

وتعظم في عين الصغير صغارها * وتصغر في عين العظيم العظائم

وقال آخر ومن تكن العلياء أكبر هم * فكل الذي يلقاه فيها محب

وقال غيره فلتنايا ولا الدنيايا وخير * من ركوب النخا ركوب المنايا

وقال غيره لا تحسب المجد تمرا أنت آكاه * لا تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

إذا عرفت هذا فهناك نبذة في الجهاد بالفريزة ثم أتبعها بنبذة في الجهاد بالعقل ثم أذكر تأييد الوحي للعقل في الجهاد وذلك في ﴿ثلاثة فصول﴾

﴿الفصل الأول في الجهاد بالفريزة﴾

إن من قرأ هذا الكتاب أوجلة صالحة منه عرف كثيرا من غرائز الحيوان فإنه يراه مفرقا في سور كثيرة فانظر رعاك الله في (سورة النحل) وأعجب من نظامه ونظام الأرضة فانك تراها مرسومة هناك في جانب رسم ملكة النحل وجنودها المحيطين بها . فهاتان دولتان عظيمتان دولة الأرضة ودولة النحل ومثلها دولة النمل . الله أكبر . جلّ الله . إنك يا الله رحيم لطيف حكيم عليم ألهمت الأرضة فجعلت لها دولة لاتنار عنها في أرضنا دولة من دول الانسان ولا الحشرات ولا الطيور وعدد كل دولة من دول الأرضة لا يعرف منتهاه فهي أعظم من ملكة النمل والنحل . وإذا كان الناس الآن وجدوا أن أعظم دولة للنمل عرفوها قد بلغت (٥٠٠) خمسمائة مليون نملة ولا نظير لها في الممالك الأرضية إلا الدولة الصناعية المتكيفة التي هي انكثرا بل هي لم تصل لهذا العدد مع ملحقاتها التي ليست ملتزمة بها إلتزام رعايا النمل . أقول عرف الناس ذلك كما تقدم فانهم لم يقدروا أن يحصوا مملكة واحدة من ممالك الأرضة كما تقدم شرحه في سورة النحل وسيأتي تمام الكلام على ذلك في (سورة سبأ) عند آية - ماد لهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته -

ها أنا ذا أيها الذكي ذكرت لك ممالك ثلاث أنت عرفت في هذا التفسير مشروحة فاقرأها في سورة النحل وفي سورة النمل وفي سورة سبأ وأقتصر لك عليها في بيان الجهاد بالفريزة . فهذه وغيرها من الطيور والحشرات وحيوانات البر والبحر نرى جهادها جهادا اجتماعيا لافرديا فأيقنا بهذا أن الجهاد كلما كان من جمع كان أقوى وأعظم وكلما كان فرديا كان أضعف وأقل فائدة . والعبرة في هذا أن الناس كلما كانوا أكثر عددا في العمل والجهاد كانت الثمرة أضعافا مضاعفة على مقدار كثرة العدد على شرط أن تكون الجماعة مهما كثرت على رأى واحد ومشرب واحد وفكرة واحدة ونظام قوى متين . فاذا كان الجهاد بالفريزة الذي أثبتنا أنه أقل مرتبة من الجهاد بالعقل والوحي لم يكمل إلا بالاجتماع فليكن ذلك الاجتماع فيما هو أكمل منه أكثر وجوبا وأولى بالعناية . انتهى الكلام على الجهاد بالفريزة

﴿الفصل الثاني في الجهاد بالعقل﴾

أيها الذكي ، إن العلم سعادة وهناء ، وأي سعادة وأي هناء من أن نجد في هذا المقام أن غرائز الحيوان في اجتماعها قد اتصلت بأراء الحكماء والفلاسفة

أيها الذكي ، اننا بالبحث في العلم كلما أوغلنا ازددنا بهجة وسعادة ، وأي بهجة وأي سعادة أعلى وأدوم من اتفاق الغرائز في الحيوان مع عقول الحكماء في الشرق والغرب ﴿وبعبارة أخرى﴾ ان عقول الناس كلها انما تسعى لترجع العلم كله والحياة كلها الى مبدأ واحد وقاعدة واحدة ، فكما وصلوا لهذا التوحيد في عمل ما أحسوا بالهناء والسعادة وكلما تباعدت القواعد واختلفت الاصول كانت العقول أقرب الى الشقاء وأبعد من السعادة لما تجد من التناقض والاختلاف في هذا الوجود

هذه الحشرات وهذه الطيور وهذه الأنعام نرى أكثرها كوّنت لها ممالك منتظمة أيما نظام متقنة أيما اتقان ، فهل تحب أن أثبتك نبأ عقول الحكماء والعلماء ، انظر كيف ضربوا الأمثال للاجتماع ، انما ضربوا الأمثال بنفس الحيوانات واجتماعها وائتلافها واتحادها في طلب النافع والفرار من الضار ، وانما ضربوا هذه الأمثال بالحيوانات لأنهم أيقنوا بعقولهم انما لوحهم المقروء وكتابهم المفتوح ومدرستهم العاقبة ، فالأثم قديما قبل نزول الانجيل والفرقان كانوا يضربون الأمثال بالحيوان للاجتماع وان كان ذلك ضربا من الصور على طريق الخيال لأنه أقرب الى الأفهام وأدعى الى الاقبال . يقصدون بذلك أن الجهاد يكون انهم كلما كان عدد

المجاهدين أوفر ونظامهم أتم . فانظر الى أمثال ﴿ كذبة ودمنة ﴾ الذي ألفه بيدبا الفيلسوف وترجه عبد الله ابن المقفع الى العربية بعد أن ترجمه (برزديه) الطبيب الفارسي الذي كان أبوه من المقاتلة وأمه من عظماء بيوت الزمزمة من الهندية الى الفارسية فان من الأمثال هناك ما جاء في باب الأسد والثور من تمثيل (بيدبا) الفيلسوف رأس البراهمة للمتحيين يقطع بينهما الكذب المحتمل حتى يحملهما على العداوة والبغضاء ثم لا يلبث أن يتقاطعا ويتدابرا بالأسد والثور اللذين تحابا وحصلت بينهما المودة والمحبة . ثم جاء (دمنة) وأخذ يشي بينهما ويقول للثور يا ثور إن الأسد يريد أكلك وقال للأسد إن الثور يريد مقاتلتك وعلامة ذلك أنك إذا توجهت اليه وجدت حركات غريبة فلما رأى الأسد الثور خاف الثور واضطرب فظن أنه يريد مقاتلته ففتك بالثور الأسد ثم ظهرت الحقيقة بعد ذلك وحكم على (دمنة) جزاء كذبه

ومن تلك الأمثال مثل الحمامة المطوقة فقد ضربها ذلك الفيلسوف ليعلّم الناس أنهم يقدرّون على الاتحاد سواء أكانوا من وطن واحد وأمة واحدة أم من أوطان مختلفة وأمم كثيرة . ذلك أن دبشليم الملك قال لبيدبا الفيلسوف قد سمعت مثل المتحيين يقطع بينهما الكذب والى ماذا صار عاقبة أمره من بعد ذلك فحدثني ان رأيت عن اخوان الصفاء كيف ابتدأ تواصلهم ويستمتع بعضهم ببعض فذكر الحمامة المطوقة وهي سيدة الحمام إذ وقعت هي وهن في الشبكة فخطبتن خطبة قالت « لاتخاذن في المعالجة ولا تكن نفس إحداكن أحب اليها من نفس صاحبها ولكن تعاونا جميعا فنرفع الشبكة » فلما علت الحمامات في الجوّ استعانت المطوقة بجرد كان صاحبها قديما يسمى (زيرك) فنزلت معهن بالشبكة عنده ففرض الشبكة حتى فرغ منها فنجت المطوقة وأخواتها . فلما رأى الغراب صنع الجرذ مع الحمام أحب مصاحبتهم وانضم اليهما السلحفاة والظبي . فكما تعاون الحمام الذي هو من نوع واحد تعاون الغراب والظبي والجرذ على نجاة السلحفاة حين جاءها الصياد ليقتنصها . هذه أساليب تلك الأمثال التي ضربها حكيم الهند لجهاد الانسان المؤيد بالجماعة انتهاج لخطه الحيوان بغريزته وبهذا انتهى الكلام على الفصل الثاني

﴿ الفصل الثالث في الجهاد بالوحى الذى هو أعلى من سابقه ﴾

قد ذكرنا آنفا أن الهدى ﴿ بثلاث طرق ﴾ طريق الغريزة ، وطريق العقل ، وطريق الوحى ، وكل مرتبة أرقى مما قبلها وأقلّ مما بعدها ، وربما يطلق قوم أن غريزة الحيوان كوحى الأنبياء وربما يستدلون بقوله تعالى - وأوحى ربك الى النحل - وهذا خطأ فان الغريزة فطرية ساذجة وان كانت صادقة والوحى أمر علوى يحكم العقل ويصقله ويرقيه ، فالوحى جاء لتنظيم العقول والغريزة لنظام العمل فى الحيوان والعقول الانسانية أرقى من الأعمال الحيوانية ومنظم الأعلى أرقى من منظم الأدنى

هأنت ذا رأيت غرائز الحيوان فهي بها مجاهدات وعقول الحكماء وتعليمهم للناس فقد جاء على مقتضى غريزة الحيوان ، فهل لك أن أسمعك ما جاء بالوحى فاقرا ما تستمعه واعجب من هذا الوجود ، حيوان ذوا اجتماع بغريزته وانسان يتعلم الاجتماع بتعليم حكمائه ثم أنبياء نراهم ينظمون اجتماع الانسان على نسق غرائز الحيوان وحكمة الحكماء فى الانسان بحيث يعقل تلك العقول ويهيئها

فاسمع ما أقصه عليك من جهاد رسول الله ﷺ عسى أن نهج نهجه . فانظر كيف كاتب الأمراء والملوك وحملهم على التآلف والتآزر والمودة والاخلاص حتى اتحدوا والتأموا وصاروا أمة واحدة يشار اليها بالبنان . فها هو ذا جهاد الغريزة وجهاد العقل اللذان بدأهما الله فى الحيوان والانسان أكملهما بما هو أعلى فأرسل نبينا ﷺ يذكر العقول بما اختبأ فيها من الكمال الفطرى - انما أنت مذكر - إنا نحن نزلنا الذكر - فما الوحى إلا تذكرة للناس بما سترته عاداتهم وتقاليدهم عن فطرتهم الشريفة الالهية المستمدة من سماء الكمال وكمال الجبال

(خير مناهج الجهاد)

اعلم أن للجهاد مناهج وطرقا مذلة عبدها (بتشديد الباء) أناس مضوا قبلنا وخير المجاهدين من درس سير العظماء والعلماء والحكماء ، فلتقرأ أيها الذكي سير أولى العلم والحكمة واعلم أن الله ما خلقنا في الأرض إلا لنمحي كل قوائنا التي خلقها فينا وفصلها تفصيلا . أما والله ليس أن كل امرئ عن هذه الأعضاء المفصلة وهذه الحواس المحكمة وهذه العقول المحكمة وعما أعطيت من نعم وما أتيح لها من قوى وقدر واعلم أنك مسؤول عما أودع فيك من هذه العطايا والنعم فجاهد أمد الحياة وتبدأ بجهاد نفسك ، فإذا رأيت منها خورا أضعف عزيمة فاستعن بالله وأدم الدعاء وثق به فإنه يجيب دعاءك لاسيما إذا كان هذا الدعاء عن شدة ولوع بما تدعوا إليه فتكون أشبه بالمضطرب فنهنا الاجابة محقة لاشك فيها

وخير من تقدي بهم في جهاد نفسك وفي ارشاد غيرك رسول الله ﷺ فإذا ألمت بك حاجة فادع كما دعا رسول الله ﷺ إذ يقول « اللهم إني أسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سرّي وعلايتي لا تخفى عليك شئ من أمرى أنا البائس الفقير المستغيث المستجير والوجل المشفق المعترف بذنوبي أسألك مسألة المسكين وأبتهل اليك ابتهاج المذنب الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضعير من خضعت لك رقبتك وقاضت لك عيناه وذلل جسده ورغم أنفه لك ، اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن في رؤف رحما يا خير المسؤولين ويا خير المعطين »

ومن دعائه ﷺ في الاستسقاء « اللهم اسق عبادك وبهائمك وانشر رجلك وأحي بلدك الميت ، اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا مريرا (١) نافعا غير ضار عاجلا غير آجل » ومن دعائه « اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام (٢) والجبال والظراب (٣) وبطن الأودية ومناكب الشجر » ومن دعائه « اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا غدقا مجللا (٤) عاما طبقا (٥) سحبا (٦) دائما ، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، اللهم إن بالعباد والبساتين والبهائم والخلق من اللاذواء والجهنم (٧) ما لا نشكوه إلا إليك ، اللهم أنبت لنا الزرع وأدر لنا الضرع واسقنا من بركات السماء وأنبت لنا من بركات الأرض ، اللهم ارفع عنا الجهد والجوع والعري واكشف عنا من البلاء ما لا يكشفه غيرك ، اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفارا فأرسل السماء علينا مدرارا »

وإذا أصابك هم أو دين فقل ما أمر به رسول الله ﷺ « اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال » فإذا دعوت به وداومت فإن الله يجيب دعاءك كما روى في الحديث وهكذا من الأدعية التي وردت في الصحاح ، فإذا قويت نفسك وهدئت ورأيت فيها ميلا قويا إلى الارشاد والنفع العام فاعلم أنه لا يقف أمامها ما يمنعها ولا يصدها أحد في العالمين . وإياك أن يصيبك خور أضعف واسمع ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شئ فلا تقاتل لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فان لو تفتح عمل

(١) المرى الطيب السائغ والمريع المخصب وكلاهما بوزن كريم

(٢) جمع أكمة وهي الراية

(٣) الجبال الصغار واحدها ظرب ككتف

(٤) الغدق المطر السكبار القطر ، والمجل الذي يجمل الأرض ويعمها بمائه أو نباته

(٥) مائلا للأرض مغطيا لها

(٦) قوله سحبا بفتح السين وتشديد الحاء أي دائم النزول

(٧) اللاذواء الشدة والجهد المشقة كقف

الشیطان » واعلم علما ليس بالظن أن الله لما خلق هذه النفوس الانسانية جعل قواها موزعة على ما يحتاج اليه النظام . واعلم انك اذا منحت منحة إفاضة الخبر والارشاد والتعليم فان تأثيرك على سامعك حاضرا وعلى قارئ كلامك غائبا لن يكون إلا على مقتضى ما عتلى به نفسك فعلى مقدار الأحوال المضمرة في نفسك تكون نتائج كلامك . اننا نرى النار تحرق بجوهرها وكذلك الماء يحيى بنفس جوهره لا بعوارض فيه وهكذا السم السم في الإهلاك والدواء في الشفاء . كل هذه مؤثرات بأنفسها وطبائعها هكذا شأن التعليم والارشاد ، فإذا رأيت نفسك متجهة وطال الأمد على هذا الاتجاه فاعلم انك رجل قد أذن لك وقد اصطفت لترقية العقول واصلاحها فشمع عن ساعد الجد وادرس سيرة رسول الله ﷺ وسير الصحابة وعظماء الأمة وحكماءها واقف آثاره ﷺ في وعظه وارشاده للأفراد وللجماعات الذين كانوا معه ولمن بعدهوا عنه ، فإذا رأيت هذا كله مغروسا في نفسك من غير تكلف ولا تصنع فاعلم انك منصور مقبول الوعظ والارشاد فجاهد في الله بعد أن تقرأ أمثال ما قاله ابن شهاب « بلغنا أن رسول الله ﷺ كان يقول اذا خطب ، كل ماهوات قريب لا بعد لما هو آت ولا يجعل الله لهجلة أحد ولا يخف لأمر الناس ، ماشاء الله لا ماشاء الناس ، يريد الله شيئا ويريد الناس شيئا ماشاء الله كان ولو كره الناس ، ولا مبعد لما قرب الله ولا مقرب لما بعد الله ولا يكون شيء إلا باذن الله » وهكذا تقرأ خطبته ﷺ لما قدم المدينة * قال ابن اسحق « كانت أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ فيما بلغني عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ونعوذ بالله أن نقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل . انه قام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال (أما بعد) أيها الناس فقدموا لأنفسكم تهافتا (١) والله ليمعقن (٢) أحكمكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ثم ليقوا لله ربه وليس له ترجان ولا حاجب يحجبه دونه ألم يأتك رسول ربك فليأمرك وأتيتك مالا وأنصت عليك فاقدمت لنفسك ؟ فليظرن عينا وشمالا فلا يرى شيئا ثم لينظرن قدماه فلا يرى غير جهم فمن استطاع أن يتق بوجهه من النار ولو بشق من تمر فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فانها تجزي الحسنة بعشر أمثالها الى سبع مائة ضعف والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »

قال ابن اسحق . ثم خطب رسول الله ﷺ مرة أخرى فقال « إن الحمد لله ، أحمده وأستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إن أحسن الحديث كتاب الله ، قد أفصح من زينه الله في قلبه وأدخله في الاسلام بعد الكفر فاختره على ما سواه من أحاديث الناس ، إنه أحسن الحديث وأبلغه أحبوا ما أحب الله ، أحبوا الله من كل قلوبكم ولا تمأوا كلام الله وذكره ولا تقس عنه قلوبكم فانه قد سماه خيرته من الأعمال فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا واتقوه حق تقاته وأصدقوا الله وألح ما تقولون بأفواهكم وتحابوا بروح الله بينكم . إن الله يغضب أن ينكث عهده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (٣) »

وتقرأ ما ورد عن أحمد بن حنبل انه ﷺ قال « أما بعد فان رجالا يزعمون أن كسوف هذه الشمس وكسوف هذا القمر وزوال هذه النجوم عن مطالعها لموت رجال عظماء من أهل الأرض وانهم قد كذبوا ولكنها آيات من آيات الله تبارك وتعالى يعتبر بها عباده فينظر من يحدث منهم توبة الخ » وتقرأ خطبة حجة الوداع . لما زالت الشمس يوم عرفة أمر ﷺ بناقته القصواء (٤) فرحلت ثم سار حتى أتى بطن الوادي فخطب الناس خطبة عظيمة نذكر لك نصها من رواية ابن هشام في سيرته وهاهي ذم

(١) بنون التوكيد

(٢) من باب علم

(٣) روى ذلك هناد وعن أبي سلمة مرسلا

(٤) القصواء لقب ناقه رسول الله ﷺ ولم تكن قصواء أى مقطوعة طرف الأذن

« الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره وننتوب اليه ، ونعوذ به من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحسكم على طاعته وأستفتح بالذي هو خير ، أيها الناس اسمعوا قولي فاني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا ، أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا وانكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها وأن كل ربا موضوع ولكن لكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، قضى الله أنه لا ربا وأن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله وأن كل دم كان في الجاهلية موضوع وأن أول دمانكم أضع دم بن ربيعة بن الحارث (وكان مسترضعا في بني ليث فقتلته هذيل) فهو أول ما أبدا به من دماء الجاهلية (أما بعد) أيها الناس . إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم . أيها الناس إن النسيء (١) زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرّمونه عاما ليواطؤا عدة ما حرم الله فيحاولوا ما حرم الله ويحرّموا ما أحلّ الله وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليه (٢) ورجب مضر الذي بين جدى وشعبان . (أما بعد) أيها الناس فإن لكم على نسائكم حقا ولهن عليكم حقا ، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تسكرهونه . وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان (٣) لا يملكن لأنفسهن شيئا وانكم انما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله فاعقلوا أيها الناس قولي فاني قد بلغت وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا أمرا بينا كتاب الله وسنة نبيه . أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه تعلمون أن كل مسلم أخ للمسلم وأن المسلمين اخوة فلا يحل لمسلم من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم ، ألاهل بلغت ؟ فقال الناس اللهم نعم فقال رسول الله ﷺ اللهم اشهد »

فاذا قرأت هذه الخطب وأماها علمت أن لكل مقام مقالا واتمهزت فرص الحوادث والوقائع وهنالك يسمع قولك ويهش السامعون له ويبدشون . فانظر كيف انتهز ﷺ فرصة كسوف الشمس وجعلها موضوع وعظ . فهكذا فليكن تعليمك على حسب الوقائع والأحوال ولتكن أنت نبراس زمانك باجتهادك أنت نفسك واذا رأيت ظالما عمّ وفتنا طمت فتفكر في قوله ﷺ في بعض خطبه « أما بعد فإن الدنيا خضرة حلوة وإن الله تعالى مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني اسرائيل كانت في النساء ، ألا إن الغضب جرة توقد في جوف ابن آدم ، ألا ترون الى حجرة عينيه وانتفاخ أوداجه (٤) فاذا وجد أحدكم شيئا من ذلك فالأرض الأرض ، ألا إن خير الرجال من كان بطيء الغضب سريع الرضا ، وشر الرجال من كان سريع الغضب بطيء الرضا . فاذا كان الرجل بطيء الغضب بطيء النفي وسريع الغضب سريع النفي فانها بها . ألا إن خير التجار من كان حسن القضاء حسن الطلب وشر التجار من كان سيئ القضاء سيئ الطلب . فاذا كان الرجل حسن القضاء سيئ الطلب أو كان سيئ القضاء حسن الطلب فانها بها ،

(١) النسيء التأخير في الوقت . كان العرب يؤخرون بعض الأشهر الحرم الى شهر آخر

(٢) ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم

(٣) عوان بالفتح معينات لأزواجهن أو عوار كما في رواية أي أمانات عندكم

(٤) الأوداج عروق الدم في العنق

ألا إن لكل غادر لواء يوم القيامة بقدر غدرته . ألا وأكبر الغدر غدر أمير عاتمة . ألا لا يمنع رجلا مهابة الناس أن يتكلم بالحق إذا علمه . ألا إن أفضل الجهاد كلمة حق عند أمير جائر . ألا إن مثل ما بقي من الدنيا فيما مضى منها مثل ما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه ﴿

وهي نفسك لتذكير الناس بأمثاله . ومتى علمت قبول جهادك فيمن يليك ورأيت النفوس مشرقة لما تقول متبعة طريقك في جهادك وأن عواطفك قد أشربت قلوب من حولك بتأثير وعظك وهديك فهناك يجب عليك أن تخاطب من بعد عنك كما فعل رسول الله ﷺ . قد كان رسول الله ﷺ يريد أن يجعل الناس كلهم في الأرض أمة واحدة فلنفسج نحن على منواله وننوقظ العقول الإسلامية لتتجه لإصلاح الأرض مع الأمم . أفلا تعجب منه ﷺ إذ أخذ يدعو الأمم أمة مة فاقراً ما كتبه ﷺ إلى صاحب اليمامة

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى هوزة (١) بن علي . سلام على من اتبع الهدى واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخلف والحافر (٢) فأسلم تسلم واجعل لك ماتحت يديك (وكان الحامل لهذا الكتاب سليط (٣) بن عمرو العامري فأكرم هوزة وفادته) وكتب إلى النبي ﷺ يقول ما أحسن ما تدعوا لي وأجله والعرب تنهاب مكاني فأجعل إلى بعض الأمر أتبعك وأجاز سليطاً بجائرة وكساه أثواباً من نسج هجر فتقدم بذلك كله إلى النبي ﷺ فأخبره وقرأ النبي ﷺ كتابه فقال لوسائلي سبابة من الأرض ما فعلت باد وباد ما في يديه . وقد مات هوزة مرجع رسول الله ﷺ من الفتح »

ثم اقرأ ما كتبه إلى ملك عمان « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى جعفر (٤) وعبد الله بن الجندى (٥) سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوكا بدعاية الإسلام أسلمها أسلماً فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحقق القول على الكافرين وأنكما إن أقررتما بالإسلام ولتسكما وإن أبيتما أن تقرّا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما وخيل تحلّ بساحتكما وتظهر نبؤتي على ملككما وقد بعث بالكتاب مع عمرو بن العاص فخرج به حتى وافى عمان ، قال عمرو فلما قدمتها عمدت إلى عبد وكان أحلم الرجلين وأسهلها خلقاً فقلت إني رسول رسول الله ﷺ إليك وإلى أخيك فقال أخى المقدم عليّ بالسن والملك وأنا أوصلك إليه حتى يقرأ كتابك ، ثم قال وما تدعوا إليه ؟ قلت أدعوك إلى الله وحده لا شريك له وتخلع ما عبد من دونه وتشهد أن محمداً عبده ورسوله . قال يا عمرو إنك ابن سيد قومك فكيف صنع أبوك فإن لنا فيه قدوة . قلت مات ولم يؤمن بمحمد ﷺ ووددت أنه كان أسلم وصدق به وقد كنت أنا على مثل رأيه حتى هداني الله للإسلام قال فحق تبعة ؟ قلت قريباً فسألني أين كان إسلامك ؟ قلت عند النجاشي . وأخبرته أن النجاشي قد أسلم قال فكيف صنع قومه بملكك ؟ قلت أقرّوه واتبعوه . قال والأساقفة والرهبان تبعوه ؟ قلت نعم . قال انظر يا عمرو ما تقول إنه ليس من خصلة في رجل أفصح له من الكذب . قلت ما كذبت وما نستعمله في ديننا . ثم قال ما أرى هرقل علم بالإسلام النجاشي . قلت بلى . قال بأي شيء علمت ذلك ؟ قلت كان النجاشي يخرج له خراجاً فلما أسلم وصدق بمحمد ﷺ قال لا والله لوسائلي درهم واحد ما أعطيته فبلغ هرقل قوله فقال له النياق أخوه أندع عبدك لا يخرج لك خراجاً ويدين بدين غيرك ديننا محدثاً . قال هرقل ، رجل رغب في دين فاختره لنفسه ما أصنع به ؟ والله لولا الضن بملكك لصنعت كما صنع . قال أنظر ما تقول يا عمرو . قلت والله صدقتك قال عبد فأخبرني ما الذي يأمر به وينهى عنه . قلت يأمر بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته ويأمر بالبر

(١) هوزة بوزن جوزة

(٢) الخلف للبعير والحافر للفرس ويطلقان عليهما

(٣) سليط بوزن جيل

(٤) بوزن جعفر (٥) بضم ففتح فسكون وهو مقصور

وصلة الرحم وينهى عن الظلم والعدوان وعن الزنى وعن الخروج عن عبادة الحجر والوشن والصليب . قال ما أحسن هذا الذى يدعو اليه لو كان أخى يتابعنى عليه لركبنا حتى نؤمن بمحمد وصدق به ولكن أخى أضن بملكه من أن يدعه ويصير ذنبا . قلت إنه إن أسلم ملكه (بتشديد اللام) رسول الله ﷺ على قومه فأخذ الصدقة من غنهم فبردها على فقيرهم . قال إن هذا خلق حسن وما الصدقة ؟ فأخبرته بما فرض رسول الله ﷺ في الصدقات في الأموال حتى انتهت إلى الإبل قال يا عمرو وتؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى الشجر وترد المياه . فقلت نعم . فقال والله ما أرى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون لهذا قال فسكت ببابه أياما وهو يصل إلى أخيه فيخبره كل خبرى ثم إنه دعانى يوما فدخلت عليه فأخذ أعوانه بضبعي^(١) فقال دعوه^(٢) فأرسلت فذهبت لأجلس فأبوا أن يدعوني أجلس فنظرت إليه قال تسكلم بحاجتك فدفعت إليه الكتاب محتوما ففرض خاتمه وقرأ حتى انتهى إلى آخره ثم دفعه إلى أخيه فقراه مثل قراءته إلا أنى رأيت أخاه ارق منه قال ألا تخبرنى عن قریش كيف صنعت . فقلت تبعوه إما راغب في الدين وإما مقهور بالسيف . قال ومن معه ؟ قلت الناس قد رغبوا في الاسلام واختاروه على غيره وعرفوا بعقولهم مع هدى الله إياهم أنهم كانوا في ضلال فما أعلم أحدا بقى غيرك في هذه الخرجة وأنت إن لم تسلم اليوم وتبعه توطئك^(٣) الخيل وتبيد خضراك فأسلم تسلم ويستعملك على قومك ولا تدخل عليك الخيل والرجال . قال دعنى يومى هذا وارجع إلى غدا فرجعت إلى أخيه فقال يا عمرو إنى لأرجو أن يسلم إن لم يضن بملكه حتى إذا كان الغد أتيت إليه فأبى أن يأذن لى فانصرفت إلى أخيه فأخبرته أنى لم أصل إليه فأوصلنى إليه . فقال إنى فكرت فما دعوتنى إليه فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلا ما فى يدى وهو لا تبلغ خيله هنا وإن بلغت خيله ألفت قتالا ليس كقتال من لاقى . قلت وأنا خارج غدا فلما أيقن بمخرجى خلا به أخوه . فقال ما نحن فيما ظهر عليه ؟ وكل من أرسل إليه قد أجابه فأصبح فأرسل إلى فأنجاب إلى الاسلام هو وأخوه جميعا وصدقنا النبي ﷺ وخليا (بتشديد اللام) بينى وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم وكانلى عونى على من خالفنى .

وهكذا تامل كتابه ﷺ إلى المنذر بن ساوى . بعث رسول الله ﷺ العلاء بن الحضرمي إلى المنذر ابن ساوى وكتب إليه ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ، أسلم أنت فانى أجد اليك الله الذى لا إله إلا هو (أما بعد) فان من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم له ذمة الله وذمة الرسول ، من أحب ذلك من الجوس فانه آمن ومن أبى فعلية الجزية فأسلم ، وكتب إلى رسول الله ﷺ (أما بعد) يا رسول الله فانى قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم من أحب الاسلام وأعجبه ومنهم من كرهه ، وبأرضى بجوس ويهود فأحدث إلى فى ذلك أمرى ، فكتب إليه رسول الله ﷺ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى ، سلام عليك فانى أجد اليك الله الذى لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله (أما بعد) فانى أذكرك الله عز وجل فانه من ينصح إنما ينصح نفسه وانه من يطع رسلى ويتبع أمرهم فقد أطاعنى ومن نصح لهم فقد نصح لى وإن رسلى قد أنشوا عليك خيرا وانى قد شفعتك فى قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه وعفوت عن أهل الذنوب فأقبل منهم وانك تصليح فلن نغزلك عن عملك ومن أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية ﴾

وبعد ذلك تنظر مكاتبة ﷺ إلى ملك الحبشة ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة ، أسلم أنت فانى أجد اليك الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته أنقأها إلى مريم البتول^(٤) الطيبة الحصينة حملت بعيسى نفلته الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده وانى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالة على طاعته وأن تتبعنى وتؤمن بالنبي

(١) الضبع وسط العضد أو ماتحت الإبط وقوله بضبعى^(١) مثنى ضبع بوزن قلب

(٢) بالبناء للمجهول (٣) بتشديد الطاء (٤) البتول أى العابدة

جاءني فاني رسول الله واني أدعوك وجنودك الى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى . وقد بعث النبي ﷺ بكتابه هذا مع عمرو بن أمية الضمري (١) فقال للنجاشي يا أحممة إن على القول وعليك الاستماع إنك كأنك في الرقة علينا وكأننا في الثقة بك منك لأننا لم نظن بك خيرا قط إلا نلناه ولم نخفك على شيء قط إلا أمناه وقد أخذنا الحجة عليك من فيك . الانجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد وقاض لا يجور وفي ذلك الموضع الحز وأصابة المفصل والا فأنت في هذا النبي الأُمِّي كاليهود في عيسى ابن مريم وقد فرق النبي ﷺ رساله الى الناس فرجاك لما لم يرجعهم له وأمنك على ما أخافهم عليه بخير سالف وأجر ينتظر فقال النجاشي أشهد بالله أنه النبي الأُمِّي الذي ينتظره أهل الكتاب وأن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل وأن العيان ليس بأشقي من الخبر . ثم كتب النجاشي كتاب جواب النبي ﷺ الى محمد رسول الله من النجاشي أحممة ، سلام عليك يانبي الله من الله ورحمة الله وبركات الله الذي لا إله إلا هو (أما بعد) فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى فوبرب السماء والأرض إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت نفروقا (الفلافة بين النواة والقشر) إنه كما ذكرت وقد عرفت ما بعثت إلينا وقد عرفنا ابن عمك وأصحابك فأشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسأمت على يديه لله رب العالمين ﴿

وهكذا تفكر في كتابه ﷺ الى كسرى ملك الفرس ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس . سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أدعوك بدعاية الله فاني أنا رسول الله الى الناس كافة - لينسذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين - أسلم تسلم فإن آيت فعليك إثم المجوس . فلما قرئ عليه الكتاب مزقه فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال مزق الله ملكه وقد كان ﴿

ثم تقرأ كتابه ﷺ الى المقوقس ملك مصر والاسكندرية وهذا نصه ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى المقوقس عظيم القبط . سلام على من اتبع الهدى (أما بعد) فاني أدعوك بدعاية الاسلام (٢) أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم أهل القبط - يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم - الآية ، وقد بعث به ﷺ مع حاطب بن أبي بلتعة فلما دخل على المقوقس قال له إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى فأخذه الله نكال (٣) الآخرة والأولى فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر بغيرك بك . فقال إن لنا ديننا لن ندعه إلا لما هو خير منه . فقال له حاطب ندعوك الى دين الاسلام الكافي به الله فقد ماسواه . إن هذا النبي دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش وأعداهم له اليهود وأقربهم منه النصارى ، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد وما دعاؤنا إياك الى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة الى الانجيل وكل نبي أدرك قوما فهم أمته فالحق عليهم أن يطيعوه وأنت ممن أدركه هذا النبي ولنا نهارك عن دين المسيح ولكننا نأمرك به . فقال المقوقس إني قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهي عن مرغوب فيه ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكاذب ووجدت معه آية النبوة باخراج الحب (٤) والاخبار بالنجوى (٥) وسأ نظر وأخذ كتاب النبي ﷺ بفعله في حق من عاج وختم عليه ودفعه الى جارية له ثم دعا كاتبه ل يكتب بالعربية فكتب الى رسول الله ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم محمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك (أما بعد) فقد قرأت كتابك

(١) بفتح الأول

(٢) دعوته وهي كلمة الشهادة التي يدعى إليها أهل الملل

(٣) النكال العقاب الذي يزجر الغير (٤) المحتجب (٥) السر

وفهمت ماذا كرت فيه وما تدعوا اليه وقد علمت أن نبيا بقي وكنت أظن أنه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك وبعثت اليك بحاريتين طهما مكان في القبط عظيم وبكسوة وأهديت اليك بغلة لتركبها والسلام عليك ولم يسلم ﴿﴾ وهكذا تقرأ كتابه ﷺ الى هرقل ملك الروم وهذا نصه ﴿﴾ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى (أما بعد) فاني أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتلك الله أجرك مرتين فان توليت فان عليك إثم الأريسيين (١) - يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون - ولما قرأ هرقل الكتاب فكر في الأمر ثم جمع عظماء الروم في قصر له بجمص (بكسر الحاء) ثم أطل عليهم فقال « يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبا بهوا لهذا النبي فخاصوا (٢) حبيصة حمر الوحش الى الأبواب فوجدوها قد غلقت ، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الايمان قال ردوهم على وقال إني قلت مقالتي آنفا (٣) أختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيته » فسجدوا له ورضوا عنه ﴿﴾

فاذا تتبعنا أمثال هذه المكاتبات والخطب ألفيته ﷺ يخاطب الأمراء في بلاد العرب بأسلوب غير الذي يخاطب به الملوك ويعطى كل ذي حق حقه . ألا تراه يقول للملك الحبشة ﴿﴾ وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها الى مريم ﴿﴾ ولكنه يقول لملك عمان وأخيه ﴿﴾ وانكما إن أقررتمنا بالاسلام وليستكما وان أبيتنا أن نقرأ بالاسلام فان ملككما زائل عنكما وخيل تحل بساحتكما وتظهر نبؤتي على ملككما ﴿﴾ فانظر الفرق بين الكتابين اللذين اختلفا على مقتضى الحالين

فاذا قرأت هذا وأمثاله هنالك تعرف كيف ترقى الأمم الاسلامية الآن وكيف تتحد مع غيرها في الأعمال النافعة وانظر تلاحظ خاطب بن أبي بلاتعة مع القوقس وقوله له ﴿﴾ لسانا تنهاك عن دين المسيح ولكننا نأمرك به ﴿﴾ وهذا أمر عجيب ووازن بين هذه المعاملة ومعاملة ملك عمان . إن هذه الأحاديث والأخبار تعطينا فكرة عامة وهي أن نلبس لكل حال ابوسها ونجد في رقي الأمم الاسلامية ونكلم كل امرئ بما يصلح له ولا نفرأمة منا إذن دين الاسلام في مستقبل الزمان سيقوم به قوم أرقى وأعلى من رجال تقدمونا بعد العصر الأول الذي هو خير العصور والعصرين بعده وسيكون اصلاحا لجميع الأمم والحمد لله رب العالمين

(بيان عام في أمر الجهاد)

للك الحمد اللهم على نعمة العلم وبهجة الحكمة . وأينا جال صنعك وحكمك البالغة التي نظمت بها لأفلاك في علاها والحيوانات في فلالها والأمم في هداها

يقف المصلي ذا كرا رحمتك بسم الله الرحمن الرحيم يكررها كل حين ويعترف بأنك أنت ربيت جميع العوالم مع رحمتك التامة وحكمتك الشاملة وقيامك بالقسط فيها وعدلك في الحكم وهو قد شاهد نظامك في حركات الأفلاك ومداب الأسماك فيطلب إذ ذاك هدايتك لصراطك وماصراطك لإشمول الرحمة وعموم الحكمة والنظام - مامن دابة إلا هو أخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - فصراط ربي تألف الطيور في الهواء والأنعام في العراء وعيشها بسعادة وهناء وصراط ربي أن يلهم أمثال (بيدبا) كما ذكرناه آنفا أن يصوغ الحكم ويعلم الناس الاتحاد تشبها بالحمامات وبالجماعة المطوقة مع الفار والسلحفاة والغراب وصراط ربي أن يتحد الناس على المنافع العامة . اللهم إنك أنت الذي ألهمت النمل فأحكمت نظامها وعلمت النحل فهديتها طرقها ورسمت للحكماء رسما في عقولهم فنسجوا على منوالك في إلهامك الحيوان ، ولعمري ما مكاتبه رسول الله ﷺ

(١) جمع أريسي نسبة الى أريس كفعل وهو الفلاح

(٢) نفروا (٣) قريبا

إلى ملك عمان والحبشة ومصر والروم والفرس إلا على نهج صراط الله في الهداية فهناك هداية بالفرار أولاً وبالقول ثانياً وهنا هداية بالوحي الذي نزل ليصقل العقول ويجمع الشتات ويؤلف بين القلوب ، سبحانه اللهم وبحمدك لإله إلا أنت الحكيم العليم

﴿ زيادة إيضاح ﴾

أنت يا الله جعلت صلاة المصلي شاملة معاني عامة إذ يلاحظ نظام الكواكب وتجاذبها ونظام الجسم الانساني في دعاء الركوع والسجود فيرى انتظام الوضع بين الكواكب وانتظام الحركات في سيرها وجمال الترتيب والتنسيق والجنردة والاتساق في السمع والبصر والمخ والعظم والعصب وما استقلت به القدم فلا يسهه إلا أن يطلب أن يكون الناس في اتحادهم على مقتضى ما شاهد في الآفاق وفي جسمه وهناك يرى أن الهداية للصراط المستقيم هي صراط الله الذي له مافى السموات ومافى الأرض كما انها هداية الله الذي - مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها - واذن يرى المصلي أن الصراط المستقيم في الفاتحة هو صراط المنعم عليهم لاصراط المغضوب عليهم ولا صراط الضالين فان هاتين الطائفتين لم يخلقوا للنظام العام وسعادة الأمم فان أهل الغضب والضلال منشأ كسان وهل يجمعهما إلا المهديون الى الصراط المستقيم وهذا هو الذي حصل أيام النبوة ﷺ ما كاد يسمع آية - قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله - حتى أرسل رساله الى الأمصار وخاطب الملوك يريد أن يكون النوع الانساني على وتيرة واحدة من حيث نظام السياسة ويجعل أولئك الذين على صراط مستقيم مسيطرين على أولئك المغضوب عليهم والضالين . أرسل ﷺ رساله وقواده وجيوشه وكان ذلك كله بلذة روحية فكان الصحابة والتابعون لا يريدون إلا وجه الله وان من قرأ سير الصحابة والتابعين ودرس محاورات هؤلاء مع الملوك والأصراء كما تقدم في محاوره حاطب بن أبي بلتعة مع من أرسل اليه من الملوك ومحاوره عمرو بن العاص كذلك وقرأ ما تقدم في (سورة الكهف) محاورات عبادة بن الصامت مع المقوقس وكيف كانوا يفحمونهم في الخطاب ويدعون للحق فالحق والحق أقول لولا هذه اللذة الروحية ما توغل المسلمون في بلاد الله شرقاً وغرباً . إن الله جعلهم رسل نظام عام على شريطة أن يكونوا رجة للأمم على مقدار ما تتحمله هذه الطبيعة الطينية . يا سبحان الله بقيت هذه الخصلة (٣٠) سنة كما قال ﷺ ﴿ الخلافة بعدى ثلاثون ثم تكون ملكاً عضواً خلف من بعد الخلفاء ملوك لم يكونوا كالخلفاء ﴾ . إن الخلفاء كانوا يعلمون مقصود النبوة فخرموا على أنفسهم مال المسلمين علماً منهم أن الأمة اذا انغمست في الشهوات زال ملكها في الدنيا وعذبت في الآخرة . ناهيك ما تقدم في آخر (سورة القصص) من حكاية الربيع بن زياد لما وفد على عمر رضي الله عنه فقرأه تجد أنه خاف من قوله تعالى - أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض غير الحق وبما كنتم تفسقون - ماذا كان يخاف عمر ؟ خاف عذاب الهون وخاف عذاب الخزي في الحياة الدنيا اذا استمتع بالذات ولذلك لم يبع لنفسه أن يتخذ ما كل لمجرد اللذة

هذا هو رأي أكابر الصحابة ، حرم عمر على ابنته أن يضحخ ثوبها بطيب المسلمين ونظيره في ذلك أبو بكر وبقية الخلفاء الراشدين ، خلف من بعدهم خلف بعضهم أضاعوا النخوة والعزة وتلهوا بالنفان في اقتناء الجوارى والانغماس في اللذات بعد الغزوات فكانوا لا يبالون باذلال الأمم ولا باذلال المسلمين وأخذوا ببعض الدين وتركوا بعضه . ذلك ان الله أباح الأسر ولكنه يقول - فلا تقتحم العقبة * وما أدراك ما العقبة * فك رقبة * أو أطعام في يوم ذي مسغبة * يتماذا مقربة * أو مسكناً ذا منربة * ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرجة * أولئك أصحاب الميمنة - فالله أول ما ذكر في هذه الآية قال - فك رقبة - إذن فك الرقبة أهم مابه نقضهم العقبة وذكر بعدها الإطعام ثم ذكر الايمان مع الصبر والمرجة . إذن هنا فك الرقبة

أولا والمرجة آخر وهكذا دخل العتق في أكثر أبواب الفقه

إنه ﷺ أرسل لمنفعة الأمم ولما وجد النوع الانساني قد تأصلت فيه عادة الأسر أيسح له أن يأسر كما تأسر الأمم فلوانه حرم أسرهم على المسلمين لا تقرضوا فانهم في الحرب يأسرهم غيرهم اذا غلبهم واذا غلبوا غيرهم لا يأسرونهم وهذا هو هلاك الأمم الاسلامية وظلمهم ، لذلك أباح أخذ الاسرى ورغب في العتق وجعل بين المعتق والعتيق ولاء ومودة حتى ان المعتق يرث من أعتق كالقريب . ومعنى هذا كانه أن يكون الأعداء أصدقاء (بعبارة أخرى) تصبح الأمم المغلوبة مندوحة في الأمم الغالبة بطريق الولاء الذي هو كالنسب هذه الأحكام لا مندوحة عنها ، فالمسلمون يأسرون غيرهم ثم يعتقونهم وخير من هذا أن يعنوا عليهم فلا أسر ولا فداء . وكل هذا كان موكولا للملك والملوك كانوا يستبدون بالأمر ، ثم تفاضى المسلمون بعد ذلك عما يسمعون من أخلاق أبي بكر وعمر وعلي وأمثالهم فاستباح الملوك لأنفسهم كل أنواع الزينة والفسوق وجهلوا تلك الأخلاق الفاضلة ، واذا سمعوا قوله تعالى ... فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ... أسمعوا الآية المتقدمة التي أخافت عمر رضي الله عنه وهي - أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها - الخ يقولون هذه وردت في الكفار فأصبح فهم المتأخرين غير فهم المتقدمين فانغمسوا في اللذات فذهبت نخوتهم ودولهم وعزهم والله لا يظلم الناس شيئا

إن رسول الله ﷺ كان هو الذي يقتبس منه الصحابة الحقائق ثم انكمش المسلمون وتركوا هذه الفضائل واقتصروا على الفقه وظنوا أن الحرام والحلال كافيان في الاسلام وتركوا آيات كثيرة جدا ظنوها نزلت في الكفار أوفى المنافقين ، فهذا صار الاسلام غريبا وكيف لا يكون غريبا وآيات العبر ونظام الأمم قد تركت وجعلت خاصة بقوم غيرنا . إذن بعض المسلمين صدق عليهم قوله تعالى - واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول ... فالترفون في الآية هم أنفسهم الذين قال الله فيهم - أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا - الخ . سر في بلاد الاسلام شرقا وغربا فانك لا تجد هذه المباحث العامة راجعا اللهم إلا في هذا الزمان فان النهضة قد سرت بين المسلمين وسبتم أمرها ، واعلم أن المسلمين في زماننا لاملجأ لهم إلا أن يقوم فيهم مجددون مصلحون ينهون السبل ويوضحون الطرق ، وإنى أجد الله عز وجل أن يكون هذا التفسير قد جعل فيه روح الإصلاح ، وهناك كتاب في بلاد الاسلام معروفون يسرون على منهج الإصلاح وهذا زمان النهضة وسيأخذ حظه ويرى الأمم التي تدين به ان شاء الله

﴿ جهاد بعض المتأخرين من الأمم الاسلامية السابقة جهاد خذلان واتسكاس ﴾

لقد طال الأمد على أئمتنا الاسلامية فقست القلوب وكثر الفسق والفجور فأين الجهاد ؟ والجهاد يراد منه الإصلاح ، وكيف تصلح أمة انغمست في الشهوات وقيل فيها المصلحون بعد العصور الأولى وكلما تمادى الزمان ازداد العصيان بسبب الترف والجهل العميم . فوازن رعاك الله بين أزمان النبوة إذ أريد جعل أهل الأرض أمة واحدة وبين أيام انحطاط دولة العرب باسبانيا وطردهم منها في كلام العلامة (سديو) الفرنسي وهذا نصه

﴿ الباب الرابع في انحطاط دولة العرب باسبانيا وطردهم منها ، وفيه خمسة مباحث * المبحث

الأول ﴾ في وقوع عدة عمالك اسلامية من اسبانيا تحت حكم ملوك النصارى

نعود الآن الى ما سلف من تاريخ عرب اسبانيا فنقول ﴿ لما أغارت الأهالي على عساكر الموحدين المحافظين باسبانيا أوقعوا بهم أول نكبة وأخطبها لسكرتهم أماطوا عنهم جورا يلزمهم أن يستعدوا عقبه لصد النصارى بتجديدهم للحكومة مركزا عموميا تبنى عليه المصالح العامة لسكرتهم عدلوا عن ذلك وأخذ كل ينظر في مصالحه الخاصة ، ولذا انقسمت الحكومة الاسلامية الى عدة دول صغيرة مستقلة عن بعضها لم يكن منها ذات شوكة في الجلة إلا مملكتنا (والنسة) و (الجرو) ومملكتنا (ابن هود) و (محمد الحار) وكان ذلك التفرق مساعدا

للفرنج على أخذهم عدة ممالك واحدة بعد أخرى

ثم قال ﴿وسلك (فرينند) مسلك السياسة بتوليته محمد الجار على جميع بلاده الرحبة المستدة من حدود الجزيرة الى المرية بين جبل طارق وهو يستقر بشرط أن يؤدي له جزية كل سنة وجنودا زمن الحرب ويذهب الى المشورة التي تنعقد في (قسطنطينة) ثم حاصر فرينند ومعه محمد الجار مدينة اشبيلية التي كانت كرسى سلطنة المرابية والموحدين فقاومه أهلها زمنا طويلا لورود مدد اليهم من الوادي الكبير وعبورهم قنطرة من سفن على هذا النهر الى مدينة تربية المشتعلة على لوازهم فجهز (فرينند) في جون بسقاية ومينيات اقليم جاليسنة سفنا صغيرة استولى بها على مصب نهر الوادي الكبير ثم ألقي سفنا كبيرة كسرت تلك القنطرة بشراعهافكان لأهل اشبيلية مجاعة سلموا بها المدينة الى فرينند سنة ١٢٤٨ بشرط توافقههم لبيع أملاكهم ميعادها أطول من ميعاد أهل (والنسة) وقد تيسر لهم بأخذ (مدينة اشبيلية) سرعة انقياد جميع البلاد التي على ميمنة نهر الوادي الكبير وجالوا حين استيلاء البرتغال على مدينتي لولة وأيامنته سنة ١٢٤٩ بسواحل البحر التي بين نهر الوادي الكبير والوادي اليناع جولة منتصر مؤيد فأخذوا مدنا بعضها للمسلمين

فانظر كيف ترى (فرينند) مع محمد الجار يحاربان (أشبيلية) وقد سلمت لفرينند أي ان الأمير المسلم يساعد الفرنجى على أن يملك بلاده اسلامية ، ذلك لأن الترف والنعم هما اللذان يقعدان بالأمم عن المعالي ثم تأمل ما تقدم في المجلد الثالث عشر في (سورة الشعراء والخل) فانك تجد تاريخ القوم وانحما وانهم غرقوا في بحار الفسوق والفجور والله عاقبة الامور

ولأختم هذا المقال بما لم أذكره فيما مضى مما ألتجته للتخاذه الذي سببه الانغماس في الشهوات وشيوع الغزل والتغنى والتفاخر بالخر والحراف الأمة عن العاوم والمعارف ورضاها بالقشور فقترقت وذاق بعضها بأس بعض ، ذلك عبرة لمعتبر وتبصرة لمتذكر

جاء في تاريخ (زبني دحلان) صفحة (٣٠١) مانصه ﴿من الممالك التي في شرقي الأندلس بر بشر وسرقسطة والشعر الأعلى ومدينة طابطة ومرسية وبلنسية وغير ذلك والمتغلبون عليها من ملوك الطوائف بنو سليمان ابن محمد بن هود الجذامي من سنة إحدى وثلاثين وأربع مائة وكان قبلهم متعلبا عليها بنو منذر بن مطرق التجيبي فانزعها منهم بنو هود في السنة المذكورة فلما كانت سنة ست وخسين وأربع مائة نازلها جيش الاردميلش وحاصرها وقصر الأمير يوسف بن سليمان بن هود في حيايتها ووكل أهلها الى نفوسهم فأقام العدو عليها أربعين يوما ووقع فيما بين أهلها تنازع في القوت لقلته واتصل الخبر بالعدو فشد القتال عليها والحصر لها ، وكان لها مدينتان فدخل المدينة الأولى خمسة آلاف مدرع فدهش الناس وتحصنوا بالمدينة الداخلية وجرت بينهم حروب شديدة قتل فيها خمسمائة افرنجي ثم اتفق أن القناة التي كان الماء يجري فيها من أنهر الى المدينة تحت الأرض في سرب موزون فانهارت القناة وفسدت ووقع فيها صخرة عظيمة سدت السرب بأسره فانقطع الماء عن المدينة ولمس من بها من الحياة فلاذوا بطلب الأمان على أنفسهم خاصة دون مال وعيال فأعطاهم العدو الأمان فلما خرجوا نكث بهم وغدر وقتل الجميع إلا القائد ابن الطويل والقاضي ابن عيسى وهما نكر من الوجوه وحصل للعدو من الأموال ما لا يحصى حتى إن الذي خص بعض مقدمي العدو ألف وخمسمائة جارية أبكارا ومن وقار الحلي والكسوة ما يحمل خمسمائة جبل وقدر القتلى والأسرى مائة ألف نفس . ومن نوادر ما جرى على هذه المدينة لما فسدت القناة وانقطعت المياه أن المرأة كانت تقف على السور وتنادي من كان بالقرب منها أن يعطيها جرعة ماء لنفسها أولادها فيقول لها اعطاني مامعك فتعطيه ما معها من كسوة وحلي وغيرها ، وكان السبب في قتلهم أنه خاف من وصول أحد انجدهتهم وشاهد من كثرتهم ما هاله فشرع في قتلهم ، فلما قتل منهم نيفا على ستة آلاف نادى المالك بنأمين من بقي ، وأمر أن يخرج من بقي بالبلد فازدحوا على الباب الى

أن مات منهم خلق كثير ونزلوا من الأسوار بالحبال خشية الازدحام في الأبواب ومبادرة إلى شرب الماء وقد كان تحيز في المدينة جاعة ولم يخرجوا وكانوا مقدار سبع مائة نفس من الوجوه وحاروا في نفوسهم وانتظروا ما ينزل بهم فلما خلت بمن أسروا وقتل وأخرج من الأبواب والأسوار وهلك في الزحمة نودى في تلك البقية أن يبادر كل منهم إلى داره بأهله وله الأمان وأرهبوا وأزعجوا فلما حصل كل منهم بمن معه من أهله في منزله اقتسمهم الأفرنج بأسر الملك وأخذ كل واحد منهم دارا بمن فيها وكان جاعة من أهل المدينة قد نفروا ولادوا برؤس الجبال وتحصنوا بمواضع منيعة وكادوا يهلكون من العطش فأمنهم الملك على نفوسهم وبرزوا في صورة الهلكى من العطش فأطلق سبيلهم فبينما هم في الطريق إذ لقيتهم خيل الكفر بمن لم يشهد الحادثة فقتلهم إلا القليل من بقي أجليه ، وكان الأفرنج لما استولوا على المدينة يقتضون السكر بحضرة أيها والثيب بحضرة زوجها وأهلها ، وجرى من هذه الأمور والأحوال ما لم يشهد المسلمون مثله قط فيما مضى من الزمان ومن لم يرض منهم أن يطاء بعض النساء ذوات المهنة أنطاهن خدمه وغلماهن يعيشون فيهن وبلغ الكثرة منهم ما لا يمكن أن يوصف على الحقيقة ، ولما عزم ملكهم على القبول إلى بلده تخير من بنات المسلمين الجوارى الأبنكار والثيبات ذوات الجمال ومن صبيانهم ألوفا جلهم معه ليهديهم إلى من فوقه من ملوكهم وترك من رابطة خيله ير بشر ألفا وخمسمائة ومن الرجال ألفين

ومما كان في هذه الواقعة الشنعاء أن بعض تجار اليهود جاء (بر بشر) بعد الحادثة ملتصقا فدية بنات بعض الوجوه ممن نجوا كن حصان في سهم قومس منهم كان يعرفه قال فذهبت إلى منزله واستأذنت عليه فوجدته جالسا مكان رب الدار مستويا على فراشه رافلا في نفيس ثيابه والمجاس والسريركما خلفهما ربهما يوم محنته لم يغير شيء من ريشهما وزينتهما ووصافته مضمومات الشعور قائمات على رأسه ساعيات في خدمته فرحب بي وسألني عن قصدي فعرفته وجهه وأشرت إلى وفور ما أبدل له في بعض اللواتي كن واقفات على رأسه وفيها كانت حاجتي فتبسم وقال بلسانه ما أسرع ما طمعت فيمن عرضاه لك أعرض عنهم وتعرض لمن شئت ممن صبرته لحصني من سبي وأسرى من أقاربك فقلت له أما الدخول إلى الحصن فلا رأي لي فيه وبقربك أنست وبكفك أطمأنت فأعطني بعض من هنا فاني أعطيك رغبتك قال وما عندك فقلت العين الكثير الطيب والبر الرفيع الغريب فقال كأنك تشبهني ما ليس عندي ، ياباجه ينادي بعض أولئك الوصائف (يريد ياباجة فقيره بمجمته) قومي فأعرضي عليه ما في ذلك الصندوق فقامت إليه وأقبلت بيد الدنانير وأكياس الدراهم وأسفاط الحلى فكشف وجعل بين يدي العليج حتى كانت توارى شخصه ثم قال لها أدنى إلى من تلك التخت فأدنت منه قطعة من قطع الوشى والخز والديباج الفاخر حتى حارل ذلك ناظري وبهت واسترذلت ما عندي ثم قال لي لقد كثرت هنا عندي كل شيء حتى ما ألتذبه ثم حلف لي أنه لو لم يكن عنده شيء من ذلك ثم بذل لي أحدهم ذلك ماسخت بهذه الجارية التي أطلبها نفسي فهي ابنة صاحب المنزل وله حسب في قومه واصطفيتها لنفسى لمزيد جاهها لأجل أن تلد لي وفعلنا هذا مثل ما كان قومها يصنعون بنسائنا إذا ملكونا حين كانت دولتهم وقد ردت الله لنا الكرة عليهم فصرنا فيها تراه وأزيدك بأن تلك الخودة الناعمة وأشار إلى جارية أخرى كانت مغنية لوالدها ثم قال لها يا فلانة خذي عودك فأخذت العود وقعدت تسويه وأنا أنامل دمعها يقطر على خدتها فتسارع العليج ومسحه بيده واندفعت تنفي بشعرا ففهمته أنا فضلا عن العليج وأظهر الطرب فلما يئست مما عنده قت منطلقا واطلمت على كثرة ما بأيديهم من السبي والمغنم فطال تعجبي قال في نفح الطيب فهذا مقنع لمن تدبره وتذكره لمن تذكره - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - فان أهل الأندلس لما توات عليهم النعم انهكوا في اللذات والشهوات وحل بهم داء التقاطع وقد أمروا بالتواصل والألفة فأصبحوا على شفا جوف يؤدى إلى الهلكة لا محالة وأنهم كانوا يعالون أنفسهم بالباطل ويفترون بالنعيم الزائل وقد بهتوا

عن طاعة خالقهم ورفضوا وصية نبيهم وغفلوا عن ستأفورهم حتى جاس عدوهم بخلال ديارهم ثم سرى البقي اليهم جميعا فلاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ﴿ اه

وانما سقت هذه الحادثة لترى أيها الذكي كيف كان اتباع الشهوات سببا في التخاذل والتخاذل سبب في انتهاك العدو حرمة البلاد وضياع المال والعرض والشرف والجاه ، وانظر كيف أصبحت الفتاة بهجة مملوكة لعليج في نفس منزل أبيها ، وكيف يأمر تلك الفتاة التي كانت مغنية لأبيها أن تغني له ، وأليس مما يؤسف له أن يجعل الرجل ابنته مغنية له . كل ذلك دليل على ضياع الأمم . نعم هذه المدينة في السنة التي بعدها استرجعها المسلمون كما في نفس التاريخ وفعلا بالفرنجية مافعله الفرنجية بالمسلمين ولكن ليس المدار على الانتصار المؤقت في بلدة من البلاد بل المدار على استقامة القلوب وارتقاء النفوس فهو النصر الحقيقي

وإذا أراد الله ذل قبيلة * رماها بتشتيت الهوى والتواكل

﴿ كيف أثمر الجهاد لتحرير أوروبا بعد خلود أم الاسلام ﴾

لقد ذكرت لك أيها الذكي فيما تقدم كيف تمزقت الوحدة الاسلامية بعد القرون الأولى ، وكيف انغمس المسلمون في الشهوات والمعاصي وفسقوا فسوقا أدوا ثمنه وهو الأسر والذل والفنك والضنك ، وكيف دخل العدو الدار وفسقوا بالبنات والنساء أمام الأزواج والآباء ، وانظر الى الفتاة (بهجة) كيف اصطفاها العليج لنفسه بحجة انها كانت ابنة رجل عظيم وقد استخدمها في نفس منزل أبيها على فراشه ، وانظر كيف وكل الأمير الأندلسي يوسف بن سليمان أمر أهل بر بشترا إلى أنفسهم وقال لهم دافعوا عن أنفسكم

إن أعظم سبب في فشل الأمم ومنها الأمة الاسلامية أن الأمر يوكل الى أناس يظن فيهم الخير فاذا مات الآباء ونشأ الأبناء على الترف والنعيم بقي الناس مسحورين بالابن كما سحرُوا بالآب فيطبع ذلك الابن وابن الابن الشعب بطابعهم فهو يرتع في ملاهيهِ ولذاته وهم يقلدونه ، ولما رأت الأمم الحاضرة ذلك استبدلت مجالس النقاب والشيوخ بذلك النظام العتيق . فاذا كان الملك فاسقا جاهلا لم يضربهم شيء فلهم الحل والعقد وعليه التصديق فليكن كما شاء جاهلا أو عالما . هذا هو الذي عليه الأمم الآن واسكنهم لم يصلوا الى هذا إلا بعد جهاد وجهاد وصبر طويل وتجارب هداهم اليها الاسلام ، وانما قلت هداهم اليها الاسلام لأنك اذا رجعت الى تفسير (سورة التوبة) عند آية - يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار - الخ رأيت هناك أن الانقلاب الأوروبي ما حدث إلا بما قرأه أمثال (فواتير) و(روسو) من كتب المسلمين المنهوبة من الأندلس أو المأخوذة من مصر (اقرأ مذكرات سيدة أوروبية أسلمت) تحت عنوان « الحضارة الاسلامية والحضارة الأوروبية » فلقد أثبتت هناك ذلك بأجل العبارات ، وقرأ قبيل ذلك كيف كان ظلم القسيسين والبابوات ، ولعمري لم يكن ذلك إلا للخضوع القبيح الذي يخضعه الانسان لغيره جهلا بقوله تعالى - وان تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله - وبقوله تعالى - ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكاننا مؤمنين * قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صدقناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كتمن مجرمين * وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون * وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون * وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين -

وفي القرآن من أنواع المحاورات بين الرؤساء والمؤسسين ما لا يدع عفرا للمعتذر وقد غفل عن هذا المسلمون واستيقظ له الأوروبيون ، ولقد تقدم في هذا التفسير أمثلة كثيرة لاستيقاظ الأوروبيين والموازنة بينهم وبين المسلمين ، ولاكتف الآن بأمر عجيب أشر في جرائدنا في وقت طبع هذا المقال لاسعاد هذا التفسير والعناية

الإلهية به يوم ٤ أغسطس سنة ١٧٨٩ فقد جاء في جريدة الاهرام مانصه

﴿ ٤ أغسطس ﴾

(أو يوم اعلان حقوق الانسان)

عند ما تشرق شمس هذا النهار ويستقبل الناس يوما جديدا يتم انقضاء مائة وأربعين سنة كاملة على اليوم الذي أتحدث عنه الآن

ففي يوم (٤) أغسطس من عام ١٧٨٩ ذكرى قيعة بالخلود في نفوس الشعوب المجيدة التي تعز بالحرية والأمم الناهضة التي تنسدها ، وحقيق بالفرنسيين خاصة أن يبجلوه تبجيلهم ليوم (١٤ يوليو) الذي جعلوه عيدهم القومي وهو لا يمتاز في الواقع إلا بهدم حصن الباستيل وقتل حراسه القلائل والتمثيل بهم أشنع تمثيل وإخراج بضعة نفر من أقيمت المظلمة لاهم في العير ولاهم في النفير

أما في يوم ٤ أغسطس سنة ١٧٨٩ وإن شئت الدقة ففي مساء ذلك اليوم فقد نال الشعب الفرنسي ما كان يصبو اليه ويجهاد في سبيله وهو اعلان حقوق الانسان على أساس المبادئ التي نادى بها (جان جاك روسو) ومحو الامتيازات التي كانت للأشراف ورجال الدين الذين ظلموا أنقأوا كاهل الشعب ودفعوا به في قرار سحيق من الفقر المدقع والضر المفعج واليك البيان

في مثل يومنا هذا منذ قرن وأربعين سنة بالتمام كان الناس في باريس في هرج ومرج على أثر الظفر الذي عقد لهم لوائه بهدم الباستيل في (١٤ يوليو) من العام ذاته والفلاحون في الأقاليم يمعنون هدسا وسلبا في قصور الأشراف التي تمثل الباستيل بينهم حتى لا يكونوا وراء أهل باريس في ميدان المجد والفخار والبلاد من أقصاها الى أقصاها في ثورة صروعة انكمش أمامها رجال الادارة خشية أن يحل بهم ماحل بحاكم الباستيل وزادت الحالة سوءا حين امتنع التجار عن عرض مالههم من الأقوات خوفا من السلب والنهب ، واذ أدرك الغوغاء مقدار قوتهم صاروا يشورون لأقل شيء وينقضون على كل من توهموا فيه العداء لهم ، فتارة يصلبونهم وطورا يقطعونهم إربا وكانت سفليات النساء في الأسواق في مقدمة أولئك القتاك وأكثرهم شرا ، ووقف مجلس الأمة (وكان مؤلفا من الهيئات الثلاث الأشراف والقساوسة والعامة) يراقب الحوادث في حيرة ووجل خوف سوء العقبى وكل ما تبينه أعضاؤه من الموقف انه لا يرجي لذلك الحال من هدوء إلا اذا جرد الأشراف والكنيسة من امتيازاتهم ، على أن ذلك لم يكن محتمل الوقوع إذ وقف الملك لويس السادس عشر يشد أزر هؤلاء وينصاع اليهم بتأثير زوجه الملكة (ماري انتوانت) فظل خطر الموقف مسلطا فوق الرقاب جميعها الى أن كان يوم (٤) أغسطس سنة ١٧٨٩ واذا المهجرة تقع من تلقاء نفسها ، ففي مساء ذلك اليوم وقف في مجلس الأمة أحد الأشراف وكان فقيرا واقترح النزول عن امتيازات الأملاك ، فهاهي اللحظة حتى دب ديب الغيرة في النفوس وتبارى الناس في تنفيذ هذا الرأي ، وما انقضت الليلة حتى كان الأشراف قد نزلوا عن كل امتيازاتهم وكذلك أعلنت حقوق الانسان في تلك الليلة على أساس المبادئ التي نادى بها (روسو) ومجملها أن الناس ولدوا أحرارا متساوين في الحقوق وأن الغرض من الحكومات ضمان الحرية والأملاك الشخصية وصيانة الحقوق وحماية الأرواح ومنع المظالم وأن لكل أمة الحق في وضع القوانين وتقرير الضرائب ولها وحدها السلطة العليا في البلاد وليس لأحد أن يستعمل هذه السلطة إلا بإرادتها . وحين أعلنت هذه المبادئ أخذ الناس بها وجاءت الجمعية الأهلية بعدد فادخلتها في صلب الدستور وهكذا تقوضت مظالم العهد القديم وأشرف العالم على عصر جديد ملؤه العدل والحرية والمساواة

ذلك هو يوم (٤) أغسطس سنة ١٧٨٩ الذي يتم بانبلاج شمس هذا الصباح مرور ١٤٠ سنة عليه ، واذا

كانت أحداث كبرى وخطوب جليلة أتت بعده في إبان الثورة الفرنسية حتى شاهد القرن التاسع عشر أياما سوداء ملؤها الدم والسمار فان ذلك كله لا يحجب عن الناس نعمة ذلك اليوم المجيد انتهى

(قصة نوح عليه السلام)

قال تعالى (واثقنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما) وقد كان عمره ألفا وخمسين سنة بعث على رأس أربعين ولبث في قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة وفي ذكر الألف تخيل لطول المدة الى السامع لأن القصد من القصة تسليية النبي ﷺ وتثبيته ومجاهدته لما يكابده من الكفرة ، وإياك أن يصدك عن هذه القصة ماتراه من طول الأعمار التي لم نعهدها ولم يظهر في التاريخ المعروف نظيرها فان التاريخ القديم مجهول جهلا تاما ، وليس المقصود من مثل هذه أن نبهت في السنين كيف كانت وأمثال ذلك فانك اذا ظننت أن ذلك هو المقصود لم تنتفع بالقصة . إن الانسان اذا قرأ أن قوما قاسوا شدائد وطالت المدة عليهم وهو يعلم أن مدته قصيرة اطمأن وصبر وجاهد لينجو ويهلك عدوه كما هلك أعداء نوح (فأخذهم الطوفان وهم ظالمون) أى طوفان الماء وهو يطلق على كل ما طاف بكثرة من سيل أو ظلام وما أشبه ذلك فلتعتبر بهذا ولا تضع وقتك فتقول كما يقول البعض (إن السنة عبارة عن دورة الأرض حول الشمس مرة) فربما عبر هؤلاء في أيامهم بالسنين عن دورة القمر حول الأرض وهو شهر عندنا واذن يكون عمر نوح كالأعمار المعتادة التي لا تبلغ مائة سنة ، أقول لك لا تضع وقتك في هذا فانا نلجأ اليه عند القطع بعدم حصول ذلك والمقام ليس مقام تاريخ بل المقام مقام جهاد وصبر وأدب ولم ينل أحد السعادة إلا بالاجتهاد والجهاد ومقارعة الخصوم ، فاذا طالت المدة كان ذلك أدعى الى التأسى والاقتهاد (فأنجيناه وأصحاب السفينة) أى أنجينا نوحا ومن ركب السفينة معه (وجعلناها) أى السفينة أو الحادثة (آية للعالمين) يتعظون بها ويستدلون بها

(جوهرة في قصة نوح وسفينته)

اقرأ ما تقدم في (سورة هود) وفيه بيان أن الطوفان في القرآن جزئي لا كلي وهناك تقرأ المقام مفصلا على مقتضى الكشف الحديث ولكن اطلعت بعد ذلك على تفصيل أوفى في كتب حديثة مختلفة ، فمن ذلك ما جاء في بعض المجلات العلمية بتاريخ يوم الاثنين ١٥ صفر سنة ١٣٤٨ - ٢٢ يولييه سنة ١٩٢٩ وهذا ملخصه « يرى بعض العلماء اليوم أن قارة تسمى (ليجوريا) كانت في الاوقيانوس الجنوبي وتتصل بآسيا من جهة وبأفريقيا من جهة أخرى وان قارة أخرى تسمى (آتلانتس) كانت وراء جبل طارق وكانت قد أفرقيا وآسيا معا ثم غطاها ماء الاوقيانوس ففرقت . وأن قارة أخرى كانت في الاوقيانوس الباسفيكي على بعد ألفي ميل وأربعمائة ميل غربى سواحل أمريكا الجنوبية وقد أغرقها الماء وذهبت كأس الدابر ، فهذا طوفان أغرق قارات في أزمان قديمة لا يعيها التاريخ وهناك قصص للطوفان بعضها في التوراة وبعضها جاء في مجموعة (سجلات جلجميش) في النصوص البابلية وبعضها عن أهل الصين وبعضها عن أهل الهند ، أما قارة (ليجوريا) فهذا ملخص ما جاء عنها في هذا المقال بذلك التاريخ وهذا نصه

(جغرافية العالم القديم . القارات الضائعة وكيف اختفت . الحيوانات الباقية والمنقرضة)

تذهب الى (جزيرة مدغشقر) بعثة علمية لدرس حيوانات هذه الجزيرة وأحافيرها ولتعليل بعض الظواهر البيولوجية الغربية فيها ومن جللتها قلة الارتباط النسبي بين الحيوانات التي فيها والتي يختلف بعضها عن بعض الى حد مدهش ، ومع ان هذه الجزيرة لا تبعد عن سواحل أفريقيا أكثر من ثلثمائة ميل فان بينها وبين حيوانات القارة الافريقية بونا شاسعا ، من ذلك انها خلو من ذوات القوائم الأربعة الكبيرة الأجسام ماعدا

بقر الماء (فرس البحر) ولكنها موطن حيوانات كثيرة لم توجد في موضع آخر من العالم ، وليس ذلك فقط بل ان أحافير الجزيرة تدل على انها كانت في الأزمنة الغابرة موطن حيوانات وطيور وزحافات لاجود لها إلا في الخرافات ، من ذلك طير (ايورنيس) ولعله أكبر الطيور التي حلقت في جواء الكرة الأرضية وكان يضع بيضا هائل الحجم يبلغ طول محوره ثلاث عشرة بوصة ونحاتها عشر بوصات أى بحجم بطيخة كبيرة مستطيلة وكان هذا الطير أكبر كثيرا من النعامة ويشبه طير (الوا) من طيور نيوزيلندا المنقرضة ويزعم الكثيرون أن طير (ايورنيس) المذكور هو طير الرخ الذي ورد ذكره في روايات «ألف ليلة وليلة» وأن واضع تلك الروايات نقلا وصف الرخ عما سمعوه من العرب الذين ساحوا في أفريقيا ووصلوا الى (مدغشقر) ورأوا طير (ايورنيس) وفي مدغشقر أيضا طائفة من الزحافات الهائلة من فصيلة الضب أو العظاية وكان فيها قديما عظاما يبلغ طول كل منها ستين أو سبعين قدما وكان ذلك في الزمن الذي كانت فيه الزحافات سيدة جميع المخاوقات على الأرض ، ومن الظواهر البيولوجية الغريبة أنه مع قرب جزيرة مدغشقر من الساحل الأفريقي فان حيواناتها تختلف عن حيوانات أفريقيا كل الاختلاف حالة كونها تشبه حيوانات آسيا مع بعد الشقة بينهما ، وقد حاول بعضهم تعليل ذلك بقوله «انه كان في الحقب الغابرة قارة في الاوقيانوس الجنوبي تتصل بكلتا آسيا وأفريقيا وقد أطلقوا عليها اسم (ليموريا) أى بلاد الليمور وفيها نشأ هذا الحيوان ثم انتقل الى مدغشقر وبتماهى الأحقاب غارت (ليموريا) في قاع الاوقيانوس وبقيت فصيلة الليمور في جزيرة مدغشقر»

﴿ قارة أتلنتس وقارة أخرى كانت في الاوقيانوس الباسفيكي ﴾

وعلى ذكر هذه القارة المزعومة نقول إن كثيرين من الكتاب والمؤرخين يعتقدون أن جغرافية العالم القديم كانت تختلف عن جغرافية هذا الزمن وأنه كان ثمة غارات وبلاد ضاعت لأن مياه البحار طغت عليها ، من ذلك قارة (أتلنتس) وقد أشار اليها أفلاطون قديما وكان الأقدمون يقولون بوجودها وراء أعمدة هرقل (جبل طارق) ويزعمون أنها أكبر من آسيا وأفريقيا معا ولا يزال بعضهم يقول بوجودها قريبا حتى هذا اليوم ، بل إن بعض علماء الجغرافيا يزعمون انه كان في الاوقيانوس الباسفيكي أيضا قارة غارت بطفيان البحر عليها ، وهم يؤيدون زعمهم هذا بعدة براهين من جللتها وجود نقوش على بعض صخور (جزيرة بستر) وهي جزيرة من الاوقيانوس الباسفيكي على بعد ألفين وأربعمائة ميل غربى سواحل أمريكا الجنوبية ، وفي الواقع أن في هذه الجزيرة مئات من النقوش والتماثيل المتقنة الصنع ومعظمها تمثل رؤسا بشرية لا يفوقها في دقة الصنع أجمل تماثيل اليونان القدماء ، وفي تلك الجزيرة الصغيرة أيضا دلائل كثيرة على حضارة بائنة وأهالى هذه الجزيرة لا يجاوزون بضعة مئات يتناقلون قصة الطوفان أبا عن جد ، ومن المحتمل جدا أن تشير هذه القصة الى طفيان مياه الباسفيك على القارة المذكورة

وإذا أنكرنا قصتي (أتلنتس) والقارة الباسفيكية الضائعة كان لابد لنا من الالتجاء الى نظريات أخرى لتعليل بعض الظواهر البيولوجية غير المفهومة ، ومن جملة تلك النظريات ما يزعم بعض العلماء من أن القارات المعروفة في الوقت الحاضر هي عاتمة على وجه المياه وأن قارتي أفريقيا وأمريكا الجنوبية كانتا متصلتين معا في العصور الغابرة ، وفي الواقع اننا لو أمكننا زخخة هاتين القارتين ووصلهما معا لكان الاتصال تاما ومتينا من الوجه الطبوغرافى ، ولو أمكننا أيضا زخخة (مدغشقر) والهند وأستراليا ووصلهما معا لكان لنا منها قارة (ليموريا) التي سبقت الإشارة اليها ولحلت هذه النظرية كثيرا من المشاكل التي يصعب اليوم فهمها

وأما ما جاء في التوراة فهذا نصه «ورأى الرب أن شر الانسان قد كثرت في الأرض فخرن انه عمل الانسان في الأرض وتأسف في قلبه وقال «احو اعن وجه الأرض الانسان الذى خلقته ، الانسان والبهائم والطيور والحيوانات لأننى حزنت انى عملتهم» وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب فقال الرب لنوح نهاية كل بشر

أمامي لأن الأرض امتلأت ظلما منهم ، اصنع لنفسك فاسكا من خشب مساكن سفلية ومتوسطة وعلاوية
 نجعله فيها أنا آت بطوفان الماء على الأرض لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء ، كل ما في الأرض
 يموت ولكن أقيم عهدي معك فتدخل الفلك أنت وبنوك وامراتك ونساء بنيك ، من كل حي تدخل الى
 الفلك اثنين لاستبقائها ، ولما كان نوح ابن ستمائة سنة صار طوفان الماء على الأرض فدخل نوح ومن معه
 الفلك وانفجرت ينابيع الغمر العظيم وانفتحت طافات السماء وكان المطر على الأرض أربعين يوما وأربعين ليلة
 فكان الفلك يسير على وجه الماء ، وبعد مائة وخمسين يوما نقصت المياه واستقر الفلك على جبال اراراط ﴿

﴿ القصة البابلية والصينية والهندية ﴾

هذه هي القصة كما وردت في التوراة ، أما جبل اراراط فهو في الشمال الشرقي من أرمينيا فكان أعلى
 الجبال المعروفة في العالم اليهودي في ذلك العهد ، قصة الطوفان هذه لا يمكن أن تؤخذ بمعناها الحرفي والأرجح
 أن الطوفان الذي تشير اليه كان طوفانا محليا ، وإذا رجعنا الى علوم الأقدمين نجد عن الطوفان قصصا كثيرة
 أقر بها الى نص التوراة القصة البابلية كما وردت في مجموعة ﴿سجلات جلجميش﴾ فقد جاء فيها أن جلجميش
 (وهو من الجبابرة) زار أحد أسلافه ليسأله كيف نجا من الموت بالطوفان فأخبره سلفه بقصة بناء الفلك وهي
 القصة السومرية بعينها ويقال انها أقدم قصة في هذا الموضوع ، وقد اقتبسها البابليون وعندهم أخذها اليهود
 لما كانوا في الأسر ، ومن أشهر قصص الطوفان أيضا القصة الصينية والقصة الهندية وكلتا هاتين تشير الى طوفان
 محلي نشأ عن فيضان الأنهر وغطل الأمطار ، ولاشك أن القصة البابلية أيضا نشأت عن فيضان دجلة والفرات
 وغمرها البلاد المحيطة بهما ، وفي بلاد (اور) شمال العراق بعثة انجليزية تنقب عن الآثار وتبحث عما ثبت
 قصة الطوفان ، وقد كانت (اور) منذ أربعة آلاف سنة مركز حضارة راقية ، والأرجح أن مدينة (اور)
 نفسها (وهي مسقط رأس الخليل) بلغت أوج ثروتها ورخائها في سنة (٣٥٠٠) قبل التاريخ المسيحي وكان
 أهلها ماهرين في صناعة الادوات المعدنية ولاسيما الفضية والذهبية ، وتقلبت على (اور) أزمنة مختلفة
 فبعد أن بلغت أوج حضارتها ثار الطمع في قلوب حسادها فغزوها ونهبوا معابدها وهياكلها وبعد ذلك التهمتها
 النيران ثم أعيد بناؤها ثم أخرجها الغزاة مرة أخرى ثم أعيد بناؤها الى أن طغى عليها نهر الفرات فأغرقها
 وأهلك أهلها ، ومنذ ذلك الحين أصبحت (اور) قفرا يابا ، ومن المحتمل جدا أن الطوفان الذي أهلكها
 هو الطوفان الوارد قصته في التوراة . وما يجدر بالذكر أن بعثة الآثار التي تنقب اليوم في أنحاء المدينة قد
 استطاعت ازاحة التراب عن جانب كبير من خرائبها فظهر أن بيوتها كانت مبنية على هندسة تكاد تكون
 حديثة فقد كانت مبنية من الحجر والآجر (الطوب) ومعظمها ذو طبقتين واسكل منها حوش أوفناء ، كذلك
 كانت هندسة هذه المدينة في أيام ابراهيم الخليل وكانت كما سبق القول مسقط رأسه وفيها نشأ وترعرع

ويظهر أن جميع الأمم التي نشأت في وادي دجلة والفرات كانت تنقل قصة الطوفان على وجوه شتى ،
 وليس في ذلك ما يدهش اذا تذكرنا أن أولئك الناس كانوا يعيشون مهتدين دائما بخاطر طوفان النهرين
 العظيمين وقد كانت مخيلتهم تتكرر لهم دائما قصة بطل نجا من الطوفان بأعجوبة إما لفضيلة فيه أو لسبب آخر
 جلجميش عند البابليين ونوح عند اليهود و (مان) عند الهنود و (ايتان) عند غيرهم وهم جرا . انتهى ملخصا
 مع تغيير يسير جدا لتسهيل الفهم

أقول ، اعلم أن ما تأتي به الكتب السماوية ينزل لسلك أمة بحسب مزاجها وعقلها وما جاء في التوراة يقبله
 اليهود وما جاء في القرآن مقبول عندنا ، أما البحث العام فذلك يعوزه دراسة علوم كثيرة كالتاريخ والجغرافيا
 وعلم الآثار وعلم طبقات الأرض ، وكما ان الانسان ينظر الطعام ويشمه ويدوقه وقد يسمع حركته كما يفعل
 الناس اذا أرادوا معرفة البطيخة أهى ناضجة أم لا ، هكذا اذا زاولوا مسألة وجب بحثها من وجوه عدة ، فانظر

الى مسألة الطوفان كيف تعددت رواياتها ثم انظر الى علم طبقات الأرض اليوم ، ألا ترى انهم وجدوا خفا في الأقطار القطبية وقد تقدم في هذا التفسير حتى إن بعض المهندسين يريد أن يصنع هناك محطة للطائرات لأجل امدادها بالفحم من هناك وبسبب الفحم يمكن تكوين الكهرباء . إن مسألة القطبين وأن فيهما الفحم هذا أمر مجمع عليه وهل يكون الفحم إلا في أرض حارة . إذن كانت هذه خط استواء ثم تغيرت الحال في أزمان مجهولة فصارت قطبا ولما صارت قطبا دفنت فيها غاباتها وحيواناتها وطمرت وبقيت الى الآن . ومن المسلم به أيضا أن الأنهار وهي تجرى من اليابسة الى البحار تجرف معها مواد وتدفقها في البحر وهذه المواد تراكم جيلا فجيلا ثم يأتي زمن تصير قارة جديدة إذ يحصل هناك انقلاب عام فيصير البرّ بحرا والبحر برا بحادث جفائي عظيم لأن الأرض ملتهبة نارا في باطنها . وانظر ما جاء في كتاب ﴿ اخوان الصفا ﴾ تحت عنوان ﴿ الأدوار والأكوار ﴾

إذ ذكر أن البرّ يصير بحرا والبحر يصير برا في أزمان وعين لها نحو (٣٧) ألف سنة وأن ذلك تبع تقدم الاعتدالين ولكن أقول إن هذا ظنّ دليله ضعيف وإنما المعروف هو ما تقدمته لك . إذن هذه الأرض تتقلب كما يتقلب الليل والنهار وهذه القارات يوما ما تذهب ويحل محلها قارات أخرى تتخلق الآن في قاع البحر وستظهر بزلزلة عظيمة ، فقصّة نوح ونحوها ماهي إلا فتح باب لهذه المفاجآت العظيمة التي أعرب عنها الله بقوله - وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معدّبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا - ألا ترى رعاك الله أن البراكين اليوم (كما ستقرؤه في أول سورة فاطر عند قوله تعالى - يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها -) تأتي لنا من باطن الأرض بمادة بركانية تكون أصلح للزرع من جميع التربة فوق الأرض ، فكيف للبراكين والزلازل من منافع فإذا أتمت قارة عملها خسف بها الأرض هي وأهلها وأظهر قارة أخرى أحسن منها . فالقارات والمدن والأمم أشبه بالأشخاص لكل أجل محدود لمنافع هو يعلمها ولا يعلمها سواه ، وهلاك قارة أو أمة كهلاك فرد واحد لا فرق بين الفرد والأمة والقارة والمدينة اهـ

﴿ قصة ابراهيم عليه السلام ﴾

قال تعالى (و) اذ كر قصة (ابراهيم إذ قال لقومه) أي حين كمل عقله وتمّ نظره (اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم) مما أتم عليه (إن كنتم تعلمون) الخير والشر وتميزانهما (إنما تعبدون من دون الله آوثانا وتخلقون إفكا) أي تصنعون أصناما بأيديكم تسمونها آلهة (إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا) فكيف تعبدونهم إذن (فابتنوا عند الله الرزق) فانه المالك (واعبدوه واشكروا له) لأنه المنعم عليكم بالرزق والشكر يستلزم العلم بما يجب الشكر عليه والذي يشكر عليه كل مافي السموات والأرض مما خلق الله فيجب النظر فيه ومعرفة كل على مقدار طاقته وذلك هو قوله - أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده - الخ فذلك هو مفتاح الشكر الذي سيذكر بعد اتمام هذا المقام وهو قوله (اليه ترجعون) في الآخرة (وان تكذبوا) أي تكذبوني (فقد كذب أمم من قبلكم) من قبلي من الرسل فلم يضرهم تكذيبهم وإنما كان ضررهم على أنفسهم (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) الذي يزول معه الشك فأما كونه يصدق ويتبع فليس عليه ، ثم أخذ يشرح مبادئ الشكر الذي هو اخلاص القلب لاسرائ الناس وثناء باللسان على الله وصرف كل نعمة فيما خلقت له وتلك المبادئ هي المعرفة والعلم فقال (أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق) من مادة ومن غيرها (ثم يعيده) كما بدأه لأن من قدر على البدء فهو قادر على الاعادة (إن ذلك) أي الاعادة أو ما ذكر من الأمرين (على الله يسير) لأنه اذا قال للشيء كن فيكون (قل) يا محمد أو يا ابراهيم (سبروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) على اختلاف الأجناس والأحوال وسيأتى شرحه (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) بعد النشأة الأولى التي هي الابداء ومن عرف النشأة الأولى عرف أن الأخرى أهون (إن الله على

كل شيء قدير) والممكنات كلها تتعلق بها قدرته (يعذب من يشاء) تعذيبه (ويرحم من يشاء) رحمته على مقتضى درجته التي استحقها ، ولا معنى للعادل إلا وضع كل شيء في موضعه (واليه تقلبون) تردون (وما أنتم بمحجزين) ربكم عن أن يدرككم (في الأرض ولا في السماء) إن فرستم من قضائه بالتواري في الأرض أو التحصن في السماء أو التلّاع الذاهبة فيها لأنه خلقكم ليربيكم فيهما ويدير عليكم دوائر النجس والسعد والعذاب والنعيم . كل ذلك لتمحيصكم وترييتكم وتخليصكم من المادة ورجوعكم إلى عالم الأرواح فتلاقوه إن استحققتم وتردّون إلى العذاب إن نقصت تربييتكم فأين تذهبون إذن (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) فلاولي يمنعكم ولا نصير ينصركم من عذابي (والذين كفروا بآيات الله) دلائله الدالة عليه عقلية ونقلية (ولقائه) بالبعث (أولئك يؤسّوا من رحمتي) أي يؤسّوا منها في الدنيا لأنهم ظنوا أن الله خلق هذه الأرواح فأحيّاها ثم أماتها بلا فائدة ولا حياة بعد الموت وهذا عمل من لارحة عنده ولا رافة كما قال تعالى - قل لمن مافي السموات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه - فجعل من موجبات الرحمة التي كتبها على نفسه أنه يجمعنا يوم القيامة ويقول هنا إن هؤلاء يؤسّوا من رحمة الله فهذه هي الرحمة حقاً ، فأما خلق الناس ثم هدم بنيتهن هدماً تاماً وإعدام أرواحهم لارجمة لها فهذا لارحة فيه ، ولذلك تجد أكثر الآيات يقرن فيها ذكر الله بذكر اليوم الآخر ، وقوله (وأولئك لهم عذاب أليم) أي بكفرهم (فما كان جواب قومه) قوم إبراهيم له (إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه) أي قال الرؤساء ذلك ورضى به الأتباع فأسند إلى كلهم فقدفوه في النار (فأنجاه الله من النار) فصارت برداً وسلاماً (إن في ذلك) أي في انجائه منها (آيات) كحفظه من أذى النار وإخادها مع عظمها في زمان يسير وإنشاء روض مكانها (لقوم يؤمنون) لأنهم المنتفعون بها (وقال إنما اتخذتم من دون الله آئناً مودّة بينكم في الحياة الدنيا) أي اتخذتم آئناً سبب مودّة بينكم فتكون - مودّة بينكم - مفعولاً ثانياً بتقدير مضاف (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً) فيتناكر الأتباع والمتبوعون ويلعن بعضهم بعضاً شأن المصوص وقطاع الطرق إذا وقعوا في قبضة القضاء (وما أواكم النار) يعني العابدين والمعبودين (وما لكم من نصيرين) مانعين من العذاب (فآمن له لوط) وهو ابن أخيه وأول من آمن به لما رأى النار لم تحرقه (وقال إني مهاجر إلى ربي) من قومي إذ أمرني بذلك فهاجر من قرية « كوثي » وهي من سواد الكوفة مع لوط وامرأته سارة ابنة عمه إلى حران ثم منها إلى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم . ويقال انه هاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة (انه هو العزيز) الذي لا يغلب وهو الذي يعنى من أعدائي (الحكيم) الذي لا يأمرني إلا بمصلحة لي (وهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) يقال انه لم يبعث نبي بعد إبراهيم إلا من نسله (وآتيناه أجره في الدنيا) وهو الثناء الحسن فكل أهل الأديان يحبونه ويصاون عليه والنسب الطيبة والأنبياء من نسله ، هذا له في الدنيا (وانه في الآخرة لمن الصالحين) أي في زميرتهم مثل آدم ونوح وإدريس

﴿ قصة لوط عليه السلام ﴾

قال تعالى (و) أرسلنا (لوطاً) إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين) لم يفعلها أحد قبلكم وفسرها فقال (أنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل) وتعرضون للسبالة بالقتل وأخذ الأموال حتى انقطعت الطرق وكذلك تقطعون سبيل النسل بالأعراض عن مكان الحرث (وتأتون في ناديك المنكر) وذلك انهم كانوا يحرقون فيه وكانوا يستعملون الخذف والسخرية كما في حديث الترمذي ومعنى الحبق الضرب ومعنى الخذف بالمعجمة رمى الحصاة من طرف الأصبع (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اتقنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين) في استقباح ذلك وفي دعوة النبوة (قال رب انصرني على القوم المفسدين) بإشباع الفاحشة وسنها لمن بعدهم (ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشارة بالولد والنافلة

(قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية) قرية سدوم (إن أهلها كانوا ظالمين) بتأديهم في المعاصي وكفرهم بلوط (قال إئت فيها لوطا) فكيف تهلكونها فيها لك مع الهالكين (قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينهم وأهلها إلا امرأته كانت من الغابرين) الباقين في العذاب أو القرية (ولما أن جاءت رسلنا لوطا سمى بهم) جاءت المساء وانهم بسببهم مخافة أن يقصدتهم قومه بسوء (وضاق بهم ذرعا) وضاق بشأنهم وتدير أمرهم طاقته كما يقال ضاقت يده في مقابلة ربح ذرعه بكذا إذا كان مطيقا له لأن طويل الذراع ينال ما لا ينال قصير الذراع (وقالوا لا تخف ولا تحزن) علينا (إنا منجوك وأهلك) أي إنا مهلكوهم ومنجوك وأهلك وانصب أهل باضمار فعل (إلا امرأتك كانت من الغابرين) إنا منزلون على أهل هذه القرية رجلا من السماء) عذابا منها (بما كانوا يفسقون) بسبب فسقهم (ولقد تركنا منها آية بيّنة) وهي حكايتها المشهورة وآثار الدمار الخربة (لقوم يعقلون) أي يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار ، هذا واعلم أن الكلام على قرى قوم لوط وأين مقرها تقدم في المجلد الثالث عشر عند ذكر القصة في القرآن فارجع إليه إن شئت تجد هناك للكشف الحديث مجالا واسعا ﴿ قصة شعيب عليه السلام ﴾

قال تعالى (والى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر) افعلوا ما ترجون به ثوابه (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) فكذبوه فأخذتهم الرجفة) الزلزلة الشديدة وقيل صيحة جبريل (فأصبحوا في دارهم جاثمين) أي في دورهم باركين على الركب ميتين

﴿ قصة عاد وثمود إذ أرسل لهم هود وصالح عليهما السلام ﴾

قال تعالى (و) أهلكنا (عادا وثمودا) وقد تبين لكم من مساكنهم) يا أهل مكة إذا نظرتم إليها عند مروركم بها (وزين لهم الشيطان أعمالهم) وهي المعاصي وعبادة غير الله (فصدّهم عن السبيل) السوى (وكانوا مستبصرين) متمكنين من النظر والاستبصار ولم يعقلوا

﴿ قصة موسى عليه السلام ﴾

قال تعالى (و) أهلكنا (قارون وفرعون وهامان) ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين) أي فائتين بل أدركهم أمر الله (فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) وهم قوم لوط رموا بالحصاء وهي الحصا الصغار كما كانوا يرمونها بأصابعهم وهم يأتون في ناديتهم المنكر (ومنهم من أخذته الصيحة) يعني ثمود ومدين (ومنهم من خسفنا به الأرض) وهو قارون (ومنهم من أغرقنا) وهم قوم نوح وفرعون (وما كان الله ليظلمهم) ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) إذ تعرضوا للعذاب باستعداد نفوسهم له على مقتضى النظام الذي نظمناه في سر الخليفة ، انتهى التفسير اللفظي للقسم الأول من السورة

﴿ لطيفة في قوله تعالى - أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير ﴾

قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة - ﴿

لقد مضى الكلام على هذه الآية في ضمن الكلام على قوله تعالى - إن في خلق السموات والأرض - الخ (سورة البقرة) بطريق الاستطراد فلنفصل الكلام عليها تفصيلا الآن

يقول الله - أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق - الخ ثم يقول - قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق - وهذا أمر صريح يوجب علينا معاشر المسلمين التمشير والجدة والطلب الخيثة في معرفة كيف بدأ الله الخلق ، أمرنا الله بالسير في الأرض والسير ﴿ قسمان ﴾ سير جسمي وسير عقلي ، فالأول محتم على الجهلاء والتلاميذ ، والثاني محتم على العلماء والحكماء ولا يكون الثاني عادة إلا بعد الأول ولا معنى للسير الثاني إلا الدراسة فأما مجرد النظر الظاهري كنظر العائمة ونظر البهائم فهذا ليس بنظر وليس بسير

واعلم أيها الذكي اني في مبدأ امرى كنت أقول في نفسى هذا العالم إمامنظم واما مبعض لا نظام فيه ولا ترتيب فان كان الأول فله إله وان كان الثانى فلا إله له لأنها عبارة عن اجتماع واقتراق بلاضابط ولا رابط ولا نظام ، ولقد ذكرت هذه القصة في كتابى ﴿ التاج المرصع ﴾ وقلت ما معناه « انى توجهت الى مبدع هذا الوجود وطلبت منه أن يوقفنى على نظامه واطالبه سألته سبحانه فى الخلوات ودعوته فى الحقول وعلى شطوط الأنهار وبين الأشجار وفى الليالى والأسحار أن يفهمنى ذلك حتى يكون اليقين داخل نفسى لا يؤثر خارجى وأصبحت بهذه الفكرة مغرما وعليها معولا وكنت اذا نظرت الطيور فى وكناتها وهن يغردن طربات ويطرن فرحات ويرين أولادهن صبرات . أقول اذا كان صانع هذا العالم قد أعد للطير عدته وأبان له محبته أفلا يكون لهذا الانسان سبيل الى مايتغنيه وطريق الى ماله حاجة فيه وكان ذلك مبدأ فكرى فى هذه الدنيا وكنت اذا عثرت على شاطئ النهر على بعض حشرات ذات خطوط منظومات وذات زوايا مهندسة وأشكال بهجة أقول ياليتنى أرى هذه الدنيا كلها على هذا البظ فأقر بإله نظمها وحكيم أبدعها ولكنى أرى الجبل والقفر والبر والبحر والشجر والجبل والأرض والسماء لا نظام فيها مقبول ولا عمل فيها محسوب

أليست هذه المرأة تضع حب النرة فى الأرض التى شقها المحراث وزوجها واضع يده على قائمة ذلك المحراث يسوق دابتين فأين النظام ؟ بهائم ليست مستقيمت الرأس الى أعلى وانسان رأسه مشرئب الى العلا وماء يجرى فى الحقول وحب يبذر فى الطين ، أمور غير مضبوطة وأحوال ليس لها قانون ولا نظام مسنون ثم توجهت وتوجهت ودعوت ودعوت وقلت لو أن صانع هذا الكون علمنى نظامه لأودعت ذلك بطون الكتب وتركته لمن بعدى من الخائرين وخلفته للأذكياء المفكرين كيلا يشكوا كما شككت ولا يهنوا كما هنت ولا يضلوا كما ضلت ، ثم صنفت كتباً مختلفة المقاصد والحد لله إذ وفقنى لهذا التفسير . إن هذا غاية مطلبى من هذه الحياة ونهاية مأرئى من هذه الدنيا ، فهل تحب أن أريك جلال الوجود والنظام المشهود لتعرف قوله تعالى - قل سيروا فى الأرض فانظروا - ، فانظر ماأسأضعه بين يديك وأعجب من حكم عالية وجواهر غالية ووجوه باسمه وعيون ساحرة وشموس ساطعة وأنوار باهرة فهالك مبادئ الوجود وأوائل العالم المشهود ولنبدأ بالعالم العالوية ونقبه بالعوالم السفلية

(١) فترى أولا نظام الكواكب
(٢) ثم نظام العوالم الأربعة الانسان والحيوان والنبات والمعادن
(٣) ثم نظام العناصر
(٤) ثم بيان أن الانسان خاصة دعى الى معرفتها
(٥) وبيان ذلك فى أدعية الصلاة نفسها وكيف كان المسلم فى صلاته وأدعيته يكرر صابحا ومساء نفس هذه المبادئ ويتلوها وهو غافل عن معانيها وهو بتلك التلاوة وبتلك الأدعية مأمور أن يبحث فى هذا العالم وكيف بدأ الله الخلق

(٦) ثم تبيان أن الله ماترك الناس سدى بل أعطى الجهلاء ظلال هذا النظام وألقاه على ألسنتهم وفى أعمالهم بصورة مصغرة

ومتى قرأت هذه الصور اتضح لك العالم ورأيت كقلادة الحسنة أو كنزل نظمه بانيه وأحكم نظامه أو كحديقة غناء ربت أشجارها وانتظمت مزارعها ، أو كمدينة أحكمت طرقها ويونها أو كبيوت الشارنج انتظمت طولاً وعرضا وفيها أمهر اللاعبين وأذكي الحاسين

(١) نظام السموات ﴿

سأتلو عليك من نبأ السموات مايناسب المقام ولاؤفصحنه على قدر الامكان لتعرف كيف وضعت الكواكب

وضعا محكما بحيث كان بينها مسافات منتظمة وكان يكفيني أن أحيلك على ما كتبت لك في (سورة البقرة) وغيرها مثل (الأنعام) ولكن سأعيد هنا ما فيه الكفاية

إن في علم الحساب متواليات هندسية ومتواليات عددية ، فالأولى مثل قولك (١-٢-٤-٨-١٦) وهكذا (٣-٦-١٢-٢٤-٤٨ الخ) والثانية مثل (٢-٤-٦-٨-١٠ الخ) فانظر كيف وضع الله الكواكب وجعل نظامها بالنسبة للشمس على الطريقة الأولى بحيث إذا فرضنا بعد الزهرة (٣) يكون بعد الأرض (٦) والمريخ (١٢) وكوكب مهشم بقيت آثاره تجرى كما كان يجرى وقد كشفه العلماء (٢٤) والمشتري (٤٨) وزحل (٩٦) وأورانوس (١٩٢) ونبتون (٢٨٤)

هذا هو القانون الذي استخرجه العلماء في العصر الحاضر لأبعاد الكواكب السيارة عن الشمس بحيث يكون بعد كل كوكب ضعف بعد الكوكب الذي قبله ، فكأن هذه الكواكب مصاييح وضعها صاحب البيت على أوضاع لا خلل فيها ناطقة بلسان الحال - وما كنا عن الخلق غافلين - إنا كل شيء خلقناه بقدر - وكل شيء عنده بمقدار - وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - إن الله سريع الحساب -

أليس من السار للذيذ أني حبيت في هذه الدنيا حتى كتبت هذا ، اللهم اني أحمدك على نعمة العلم والحكمة أيها الذكي ، أنا لا أريد في هذا المقام كثرة العلم لأن المقام يقتضي الأمثلة السهلة المقبولة فكفي ما ذكرته في الفلك وأما تحققي تلك الأعداد فارجع اليه في نفس هذا التفسير في سورة البقرة والأنعام فان ما ذكرته أجال وهناك تفصيل ومساحة بالآلاف الآلاف من الأميال

(٢) نظام الانسان والحيوان والنبات والمعادن

هأنت ذا رأيت نظام الكواكب من حيث وضعها ، فهل نظام هذه الموالييد على الأرض كنظام الكواكب في الأبعاد . كلا . وإنما نظامها بحال مخالفة لتلك ، إن هذه الموالييد سلسلة واحدة متصل أعلاها بأدناها

- (١) التراب
- (٢) الجص . الزجاج . الشب . أدنى المعادن
- (٣) الذهب . الياقوت . والجواهر النفيسة كلها أعلى المعادن
- (٤) خضراء الهمن والسكماء وهي أدنى النبات
- (٥) النخل والكشوثي وهما من أعلى النبات
- (٦) أنبوبة تثبت على الصخور في سواحل البحار فيها دودة تخرج نصف شخصها من جوف تلك الأنبوبة الحلزونية . هذا أدنى الحيوان

- (٧) القرد . الحصان . الفيل . هذه متصلة بعالم الانسان
- (٨) أدنى الانسان سكان أطراف المعمورة لا معرفة لهم ولا علم
- (٩) أعلاه الأنبياء فالحكماء
- (١٠) الملائكة
- (١١) الله فوق الجميع

هذه هي السلسلة التي شرحها القدماء ولقد شرحها مرارا في هذا التفسير بطرق شتى ، فترى الجص والشب والزجاج معادن أقرب الى التراب ليست شريفة كالذهب ولا الياقوت ولا تزال المعادن في ارتقاء حتى تصل الى الفضة التي هي أرقى من النحاس ثم الذهب ، فهذا الأعلى من المعادن يابيه أدنى النبات وهو اللاصق بالأرض ينبت صباحا ويذبل فصحى يراه الناس كل يوم في الغدوات أيام الربيع ثم ينتهي فصحى وهكذا كل يوم ويرتقي النبات

الى أن يصل الى النخل والكشوفى ، أما النخل فقد امتاز الذكر فيه عن الأنثى كأنه حيوان ، وأما الكشوفى فهو نبات يعيش على غيره من النباتات ويمتص منه فكأنه حيوان ، فالنخل قارب الحيوان فى انفصال الذكر عن الأنثى والكشوفى فى استقلاله وعيشه عيشة حيوانية على النبات لاعلى التراب والماء والعناصر الأرضية ثم بلى ذلك دودة الحارون التى تكون على شاطئ النهر والبحر إذ لها حاسة اللمس وليس لها حاسة غيرها فهى قريبة من النبات . انه يحس بالضوء فيميل اليه باحساس ضعيف جدا ويرفع غصنه الى أعلى ويمد فروعه فى الأرض نحو المواضع الندية ويتجافى عن المواضع اليابسة ، فإذن بين النبات وبين أدنى الحيوان مناسبة والحيوان يرتقى من الأدنى الى الأعلى وهو الانسان وهو درجات من أدنى الى أعلى وأعلاه الأنبياء ومن نالوا حكمة وعلماء و بعد هؤلاء عالم الملائكة وفوق ذلك الله فهو منزّه عن هذه المادة والمخلوقات . فهنا إذن نسبة كاملة والعالم سلسلة منتظمة

(٣) النظر فى المعادن

إن المعادن كثيرة منها الاسفيذاج والاسرب والاسفندرى والتسكار والجص والتوتيا والذر والذهب والرصاص والرماد والزاج والزنجار والزئبق والزرنيج والزربرد والزنجفر والزمرد والشب والعقيق والعنبر والفضة والفيروزج والقيروالكبريت والكحل وملح الطعام والمرجان والمغنطيس والموميا والنورة والنوشادر والنحاس والنفط والياقوت * قال العلماء ﴿ إن من المعادن الألماس وهو لا يحترق بحسب من الأشجار المعدنية إلا هشمه إلا جنسا من الاسرب فانه يؤثر فيه ويكسره ويفتته مع رخاوته ولينه وتين رائحته ﴾ ومماثل تأثيره هذا الحجر الضعيف المهيمن فى هذا الجوهر الشريف إلا كمثل (البقرة) تساطت على الفيل القوى فآذته ، فالألماس قام فى المعادن مقام الحديد فى الخشب والياقوت مسلط على أكثر المعادن . ثم إن الألماس يتكوّن فى معدن الياقوت وتخرجه الرياح والسيول من معدنه وهو ضربان أبيض كالبلور ويسمى البورى وأبيض يخالط بياضه صفرة ومن خواصه انه يقطع كل حجر يمرّ عليه وإذا وضع على الحديد ودق بالمطرقة لم ينكسر وغاص فى وجه السندان والمطرقة . والياقوت لا تعمل فيه المبادر لشدة صلابته إلا الألماس والسفناذج بالحك فى الماء . والمغنطيس يجذب الحديد . فانظر كيف كان الياقوت يعمل فى أكثر المعادن وهو مسلط عليها والألماس مسلط على الياقوت وعلى سائر المعادن والاسرب الذى هو جنس من الرصاص ولكنه غير ناضج مسلط على الألماس المسلط على الياقوت وعلى سائر المعادن . ثم إن هذه المعادن تجمع من أقطار المسكونة فى أماكن مختلفة ومع ذلك تراها متحدة الوجهة بحيث تتحد على المنافع العامة ولها نظام فمنها الجاذب ومنها المندوب ومنها الحاكم على الجميع ومنها ما هو ماتحته . وهذا الحاكم وهو الألماس له مؤدب من رعيته وهو الاسرب وكأنه قاض يحكم على الملك وإذا رأينا العلماء والحكام فى الناس على مقدار الحاجة هكذا نرى المعادن لا يحكم فيها بالقطع إلا قليل على قدر الحاجة ونرى ما كان منها نافعا فى أكثر الأحوال يكثر كالجص والنوشادر وما كان متوسط النفع يكون متوسط الوجود كالنحاس والرصاص وما كان لازمة أو للتعامل كان وجوده أقل كالذهب وما كان لمجرد الزينة والجمال ندر وجوده كالألماس والياقوت . فهذا نظام يشبه نظام الكواكب فيما تقدم فتلك نظمت أوضاعها وكلوايد الثلاثة فانها متنسق نظامها متقارب وضعها . وهذه أيضا رتب على مقدار الحاجة اليها وهى وان دخلت فيما قبلها أردت أن أفضل الكلام فيها تفصيلا توطئة لما سيأتى فى القسم الرابع وهى

(٤) العناصر عند علماء العصر الحاضر

إنى أجد الله إذ وصلت الى هذا المقام فأريد أن أطلعك على نظام بديع فى العناصر التى عرفها علماء العصر الحاضر وهو فوق السبعين عدا . قد كان القدماء يقولون إن العناصر (٤) وهى الماء والتراب والنار والهواء ولكن علماء العصر حللوا هذه فأصبحت فوق السبعين وسأوضح بعضها ولكن ليس المقام مقام علم العناصر

ولامقام تحليلها وانما المقام مقام نظام وحساب . إن هذا الأمر أعجب ما رأيت في العلم ولكني لا أقدر أن أشرحه كما يجب . إن معرفة الدقة في الحساب والنظام بين العناصر والنسب بينها لا يعرفها إلا أكابر العلماء في هذا الفن وهم لم يعرفوها إلا بعد ما عرفوا الخواص الطبيعية والكيميائية وبعد تلك الخواص يعرفون النسبة والجمال فكيف يمكن أن نفهم ذلك ونحن في تفسير القرآن ونخرج عن جبال موضوعنا الى مجاهل مقفرة وطرق يضل فيها السارون . أقول إن الله يضرب الأمثال للناس فلا تقدم لك ضرب مثل يشرح صدرك وتعرف به هذا المقام الجليل ، تصوّر رجلا مثرى عنده نحو ثمانين رجلا يزرعون في حقوله فأقبل عليه علماء بلاده ضيوفا فأحب أن يريهم عجيبه فقال إن هؤلاء الرجال إذا أنا أوقفتهم صفوفًا في أماكن معينة من هذه الأرض بحيث يتكوّن منهم صفوف طويلة و صفوف عرضية فإن كل رجل أرتبه مع ما بعده بحسب الوزن فكل رجل يزيد عما قبله وقيتين في الصف الأول الأفقي وهكذا الصف الثاني والثالث الى الصف الرابع عشر وذلك من اليمين الى الشمال بحيث يكون آخر واحد أكثر من أول واحد بعدد الرجال مرتين من الوقيات ، وهنا يكون العجب العجيب تجد كل واحد من كل صف أفقي أعني من اليمين الى اليسار أكثر مما قبله وقيتين وأقل مما بعده وقيتين كما قلّمنا اجالا وأيضا يكون هو نفسه بالنسبة لمن هو فوقه أقل (١٩) وقية وبالنسبة لمن تحته أكبر (١٦) وقية في الخط الرأسى ومع هذا كله تجد كل صف أفقي قد اتحدت أفراده في ثمانية أشياء كالعرض والطول وطول الشعر بحسب الطبيعة ومقدار ما ياكلون بالوزن ومقدار ما يشربون كذلك والمرض يكون في وقت واحد والنوم في وقت واحد والفرح والحزن كذلك لا يختلفون البتة

هذا من جهة الصف الأفقي . أما من جهة الصف الرأسى فإن الرجل مع من خلفه ومن أمامه يتفقون في الصفات الباطنة فيعرف الصف الواحد علوما متفقة فتعرف واحد منهم علم النحو والصرف والفقه والتفسير والشعر والعروض والأدب وعلم الموسيقى تجد الصف كله يعرف تلك العلوم . إذن اسكل واحد خصال يشترك فيها مع الصف الأفقي وخصال يشترك فيها مع الصف الرأسى ، وإذا مات واحد من هؤلاء فإن صفاته معلومة لأن صفاته الجسمية بالنسبة للخط الأفقي وصفاته العقلية بالنسبة للخط الرأسى مفهومة معلومة فيمكننا أن نعرف صفاته ونوقن بأننا نجد في قريننا أطفالا يولدون بهذه الصفات فالومات ثلاثة من صفوف مختلفة فإنا نوقن أنه سيولد أطفال يحلون محل الذين ماتوا بشرط أن كل طفل يخلق متصفا بتلك الصفات المعروفة عندنا ويحل محل من مات بصفاته التي لاخلل فيها . ولقد مات عشرون رجلا وصفاتهم معروفة وهاتحن أولاء نرتقب المولودين حديدنا ونضع كل مولود في مرتبة ومتى كبر رأيناه بهذه الصفات في الأماكن الخالية . هذا هو المثل الذي أردت ضربه ليقرب لنا موضوع النظام في العناصر فصاحب الضيعة جعل رقعة من أرضها وقسمها مربعات وجعل المربعات صفوفًا منتظمة وأوقف كل رجل في مكان مرتين بترتيب الوزن من اليمين الى اليسار وهذا الترتيب بعده تظهر خواص عجيبة حتى ان كل رجل يشارك صفه الأفقي في صفات نحو ثمانية وهكذا هو مع من أمامه ومن خلفه تكون له صفات اخرى خلقية وكلما مات واحد يولد آخر ويكون له نفس تلك الصفات وإذا مات منهم عدد جاء بدله ويمكنهم أن يصفوا كل من يخلق قبل وجوده . فإذا رأينا وجودا على هذا النمط كان في غاية النظام . وإذا تصوّرنا أن هنا موجودات على هذه النسبة كما استراه الآن في العناصر فإن العقل يدعش لذلك أشدّ الدهش وتصبح هذه العناصر في أوزانها وأوصافها أشبه بالجدول الآتى في الصفحة التالية

١١	٢٤	٧	٢٠	٣
٤	١٢	٢٥	٨	١٦
١٧	٥	١٣	٢١	٩
١٠	١٨	١	١٤	٢٢
٢٣	٦	١٩	٢	١٥

فإذا صعب عليك التمثيل بالرجال في الضيقة فيما قدمناه فانظر هذا الجدول فهو يقرب لك المقام . فكل صف من صفوفه الرأسية و صفوفه الأفقية وهكذا القطران عدد (٦٥) فاجمع أى صف تجده على هذا النمط وهذه الأعداد من (١) الى (٢٥) وضعت على هذا النظام فكان هذا الاتحاد في الجمع . اذا عرفت هذا فقس عليه نظام العناصر الآتى ولكن هذا تقريبي إذ نظام العناصر الآتى يكون نسبة كل عنصر الى صفه الأفقى غير نسبه الى صفه الرأسى كما رأيت وأيضا الصفات هناك كثيرة ولكنها هنا في الجدول ليست متعددة ، ولقد أطلت ليسهل عليك ما سأذكره (انظر الجدول الآتى في الصفحة التالية) .

(الصفوف أو الخطوط الرأسية)

[illegible]

ههنا أن أن أشرح لك جدول العناصر السابق ، أشرحه لك لتعجب من عجائب هذه الدنيا البديعة الجميلة
ألست ترى أن الايدروجين وحدة يقاس عليه كما رأيت فوق الجدول وأن الهليوم زاد عليه اثنين تقريبا وهكذا
الليثيوم وجليسيوم و بوريون وكربون وأزوت واكسوجين فهذه مع الايدروجين ثمانية كان وزن آخرها وهو
الاكسوجين (١٦) فكان لكل واحد اثنان في الجملة وان اختلف بعض أفرادها وتجد أن وزن ذرة الكبريت
(٣٢) وكسروهي تمام الثمانية الثانية وعلى كل فالنسبة بين كل عنصرين اثنان ولكن هذا أمر تقريبي
قد يختلف ، ثم لننظر الى الصفوف الرأسية التي يسمونها الطوائف ، فالتا نجد أن الليثيوم في الصف الرأسى
(٦٩٤) والصوديوم تحته (٢٣) والفرق بينهما (١٦) ثم ان البوتاسيوم تحته (٣٩) فالفرق بينهما (١٦)

أنت أيها الذكي تتعجب من هذا النظام البديع ، كيف رتب العناصر اثنين اثنين عند وزنها بمعنى أن الایدروجين وهو أخفها جعل وحدة يقاس بها كما يقاس الناس بالذراع ، وهذه العناصر كلها أثقل منه بعدد (٢-٢-٢) الى آخرها ثم وجد بينها تناسب في الخطوط الرأسية ، إذن هي تفاوتت باثنين أفقياً وتفاوتت رأسياً بمضاعف اثنين وهو (١٦) وهو العدد المسمى بزواج الزوج الذي هو عدد الشطرنج المعروف وكان هذه رقعة شطرنج والله وضع العناصر فيها ورتبها ليربنا كيف بدأ الخلق بنظام ، وهل كان يدور بخلدك قبل هذا أن هذا العالم الذي خلقنا فيه قد جعلت أصوله التي يحل اليها الانسان والحيوان والنبات بينها تناسب في أوزانها كتناسب مسألة الشطرنج إذ أن الملك الهندي لما اخترع الفيلسوف الشطرنج طلب منه أن يمتن شيئاً ليكون كالمسكافة فقال اعطني قمحاً بحيث لو جعل في البيت الأول من الأربعة والستين بيتاً من الشطرنج حبة يكون في الثاني (٢) وفي الثالث (٤) وفي الرابع (٨) الى آخره فلما حسبه لم يكفه القمح الذي في الدنيا مئات السنين وقد كتبها في كتابي ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ وتقدم في سورة مريم . هذا نظام العناصر حسابياً

﴿ نظام العناصر الطبيعي والكيميائي ﴾

انك ترى أن كل صف رأسى تشترك أفراده في الخواص الطبيعية (١) كاللون (٢) والطعم (٣) والرائحة (٤) واللوان (٥) والانصهار (٦) والغليان (٧) والحرارة النوعية (٨) والكثافة فأما الصفوف الأفقية كالهليوم مع الليثيوم فانها تشترك في الصفات الكيميائية مثل (١) الاشتراق وكونه فلزاً أو غير فلز (٢) وهل يتفاعل مع الایدروجين (٣) والوزن الذرى (٤) والوزن المكافئ بالنسبة للأودروجين ومعنى ذلك أن يقال هذا العنصر اذا حل محل الایدروجين في التفاعل مع الأكسجين مثلاً فكم درهما تقوم مقام الایدروجين فتطرد الایدروجين وتحل محله (٦) ثم مع أى عنصر يركب (٧) وخواص المركبات وتركيبها (٨) وتأثيره في الأجاص ﴿ مثال ذلك ﴾ الألومنيوم تأمل نجد أن له نسبة عددية الى ما قبله وما بعده ونسبة هندسية الى ما فوقه وماتحته فهنا اجتمعت النسبة العددية والنسبة الهندسية وهذا هو عين الموسيقى والنغمات والشعر ، فهذا العالم كله موسيقى وشعر ونظم وتجده يشترك في خواصه الطبيعية المذكورة مع ما فوقه وهو البورون وماتحته وهوانسكلديوم وخواصه الكيميائية يشترك فيها مع ما قبله في الخط الأفقى وهو المغنيسيوم وما بعده فيه وهو السليكون فاذن تكون الصفات (١٨) صفة منها اثنتان عدديتان و (١٦) طبيعية وكيميائية ﴿ مجزات العلم في هذا الجدول وعجائب القرآن وفهم قوله تعالى - وكل شئ عنده بمقدار - وقوله - إن الله سريع الحساب - وهو كله معنى قوله - قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق - ﴾

إذن يسهل عليك أيها الذكي أن تفهم كيف أخبر (مندلييف الروسى) سنة ١٨٦٩ مخترع هذا الجدول بما سيحدث وهو أن الطبيعة تحتوى على معدن جاليوم وجرمانيوم ومعدن آخر رهين في هذا الجدول محلها الذي رأيته وذكر الخواص الطبيعية والكيميائية ونسبها الحسابية التي هي من الصفات الكيميائية أيضاً ثم جاء العلماء بعده فكشفوا هذه المعادن الثلاثة على وزن ما قرروا هو فتأمل وتعجب ، وعليه سيكشف الناس كل عنصر وضع في مربعه شرطه سوداء أو نقط في هذا الجدول وقد عينوا مواضعها وخواصها كالفعل (مندلييف) سنة ١٨٦٩ فهنا أحد وعشرون عنصراً قد عينها الناس متربعين كشفها في الزمان المستقبل والعناصر التي كشفت الى الآن (٨٦) والباقي المنتظر (٣٤) تقرىبا فتكون العناصر كلها (١٢٠)

ولعمري أى فرق إذن بين نظام السكواكب ونظام العناصر ، فهنا (مندلييف الروسى) أخبر بعناصر قبل وجودها وأبان أوصافها فكانت كما ذكرنا وكذلك في علم الفلك فانهم كشفوا أيضاً ان بعد كل كوكب سيار مضاعف لبعده ما قبله عن الشمس وبهذه الطريقة قالوا إن بين المريخ والمشتري فراغاً كان يجب أن يكون فيه سيار في المسافة (٢٤) لئلا تختل النسبة المحفوظة ، فانظر الجدول في (سورة البقرة) وقد ذكرناه في هذا

للقال اجالا قريبا ، وقد كشف العلماء كواكب كثيرة في نفس ذلك المسكان الذي عينه العلماء وهي عبارة عن قطع صغيرة من ذلك السكوكب الذي كان في ذلك العهد ثم جاء أجله وقامت قيامته فصار هشما وهامى السكواكب الصغيرة التي اشتقت منه تدور حول الشمس ولكن لا يعرفها إلا العلماء الرصد ومن أجزائه سيريس

﴿ الكلام على الروديوم وعلى الذهب وأمثالها ﴾

لقد عرفت كيف كانت العناصر منظمة تنظيما بديعا بهيجا وهذا النظم فيها أبدع وأبهج من نظام الجدول الخمس الذي رأيته آنفا وإنى أجد الله عز وجل إذ كنت أيام التعلم أبحث في هذا العالم عن نظامه وقد اطلعت على أوافق كذلك الوفاق الخمس فكنت أقول يا ليت شعري إن الله كان يقدر أن يجعل العالم منظما كنظام هذا الجدول ، إذن يكون هذا العالم بديعا ويستبدل الانسان به على ربه ، أما الآن فاني أقول إن هذا الترتيب أعجب وأبدع من ذلك الجدول الذي يجب منه المبتدئون ، ما كان ليخطر ببالي أن يكون هذا العالم على هذا النظام ، وما كان يخيل لي انه حق كما رأيته الآن ، يا عجب كل العجب ، كواكب منظمة أبعادها حيوانات ونباتات ومعادن سلسلة صفاتها منظمة متتالية عناصر مرصعة مرصوفة محسوبة منظومة ، هذا هو الشعر ، هذا هو النظم ، هذه هي القصائد ، هذه هي الأغاني ، لا ، بل هذه هي السعادة والنعمة وبهجة جنان الخلد ، إن أهل الجنة إذا لم يتعلموا يودون لو يعرفون هذا معرفة أجل من معرفتنا ، جلّ الله ، ما أبدع هذه الجواهر وأقرها للنواظر وأسرها للنخاطر وأشرحها لصدور الأكابر

﴿ نظام النفوس الانسانية والملائكة ﴾

إن في هذه الجواهر عجائب أخرى . ألا ترى الى الذهب والحديد والرصاص وأمثالها كيف نظمت كما قدّمناه في وجودها بحيث تسكر النافعة للعموم وتقل غيرها كما شرحناه في الكلام على المعادن . ألم يقل الذهب لأن فائدته يجب أن يكون هو على مقتضاها . ألم يكن الروديوم الذي قد كشف حديثا قد قلّ وجوده جدا جدا بحيث ان الذي كشف منه لا يصل إلا الى دراهم معدودة . ألم تر أن هذه القلة تناسبه حتما ، لماذا ؟ لأنه هو الحاكم على المعادن . انظر كيف كان الألماس فيما قدّمنا يحكم على المعادن ويسلط عليها ويكسرها أما هو فلا يحكم عليه إلا الأسرب كما علمت فأما هنا فان الروديوم تسلط أشعته على بعض المعادن فيحيلها الى البعض الآخر حتى أصبح الناس يرون أن العناصر من أصل واحد بسبب هذا التأثير . ألاست ترى أن هذه الأشعة قد أثرت في العلم تأثيرا كبيرا . ألاست ترى أن قلة هذا المعدن لا بد منها ولو كثرت لأحدث تغيرا في عالمنا الأرضي . ألاست ترى أن الذهب كالحكام والنحاس والحديد والأكسوجين والادروجين وغيرها بقية الناس . ألاست ترى أن هذا المقام هو الذي شرحه أفلاطون في جمهوريته إذ جعل الناس قسما كالذهب وقسما كالفضة وقسما كبقية المعادن وهم الحكام والجيش وبقية الأمة . ألاست ترى معي أن الأنبياء أشبه بالروديوم . ألاست ترى أن هذا هو قوله عليه الصلاة والسلام ﴿ الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام ﴾ ألاست ترى معي أن هذا النظام في العناصر يخيل للانسان أن هناك نظاما أدق منه في عالم الأرواح الانسانية وانها ربما كان بينها نظام كهذا النظام أو أدق بحيث لو بحث الناس في عقولهم المختلفة لوجدوا هناك نظاما تتفق وتختلف بنظام بحيث تقوم تلك القوى الكامنة بحاجة البشر . ألاست ترى أن الناس يحلمون نظام عقولهم وانهم لا يزالون أشقياء حتى يعرفوا نظام عقولهم . ألاست ترى أن نظام عقولهم يكون أدق من حيث نسبه من نظام النرات لأن الأرواح أرقى من المادة والأرقى تسكون فيه النسب أدق . ألاست ترى أن الناس سيبحثون عن هذه الغرائز في طباعهم ولكني لا أدري هل ينالونها في المستقبل على هذه الأرض أم ذلك مؤجل ليعرفوه بعد موتهم في العوالم التي سيعبرون بها في عوالم البرزخ وهناك يدرسون أنفسهم دراسة أدق من دراسة هذا الجدول . ألاست ترى أن هذا يناسب قوله تعالى — وما منّا إلا له مقام معلوم — وإذا كان المقام المعلوم بالنسبة

للذرات عجيبا فبالك بالمقام المعالوم لللائكة . أوليس هذا كله يناسب نظام الشمس والكواكب في شروقها وغروبها لأن لها جداول لا خال فيها . يا الله عجبت من صنعك وإبداعك وفهمنا على قدر طاقتنا قولك - أولم يروا كيف يسدى الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق - . هذا هو بدء الخلق وهو عجيب جد عجيب

﴿ اللطيفة الخامسة في أن حاجة الناس دفعتهم الى هذه العلوم ﴾

أيها الذكي ها أنت ذا اطلعت على نظام هذه العوالم وعلى بدء الخلق ورأيت كيف حض عليها القرآن أفلا تنظر معي كيف اتفق الشرع والحاجة ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ انظر كيف أمر الله بأن نعرف كيف بدأ الخلق ولم يكتف بذلك بل أحوج الانسان وحكم عليه أن يبحث في ذلك كله لأجل أموره المعاشية . انظر كيف ترى العالم الروسي يبحث عن نسبة العناصر وهو لم يبحث عنها إلا وهو محمّد في طلب علوم الدنيا لأجل الحياة الحاضرة والله يقول لنا أيضا انظروا ، ايه ، ما أجهل الانسان ، ما أجهل أمة الاسلام ، أبعد هذا يا أمة محمد ﷺ تنامون ، أمركم ربكم ودعت الحاجة الى معرفة حقائق الدنيا وأنتم نائمون ، أستم أنتم الذين وعدتم وأمركم أن تكونوا خير أمة أخرجت للناس وأن تكونوا رحمة للعالمين وتخرجوا الناس من الظلمات الى النور ، أنتم ورثة السلف الصالح . كلا . كلا . والله أنتم ورثتهم ولكن في تحمل الشريعة وستصبرون وورثتهم في هداية الأمم بعد ظهور هذه الحقائق في هذا التفسير وغيره وستقودون نوع الانسان بعد الآن . افاتكم أن هذه الحقائق والدقائق والنظم البديعة استخرجها الناس لأجل حياتهم الدنيا ولم يفعل الله ذلك معهم إلا لأن طباع أهل الأرض لا تتحرك إلا بحرك قاصر قاهر وهو الامور الحيوية ليدافعوا عن أنفسهم الأعداء ويحلبوا لأنفسهم الغداء ولعمري لم يجعل الله هذا فيهم إلا ليكمل نفوسهم بقدر الامكان فان علاج الصناعات وممارسة الزراعات والتجارات ونظم السياسات وما أشبه ذلك وكذلك أعمال الحرب كلها مما تدعو لرق العقول والاطلاع على العجائب ، وأهل الأرض لولا ما ابتلاهم الله به من ذلك ما اطلعوا فهم مقهورون مأمورون بالاطلاع والمسامح قد دعاهم دينهم للاطلاع فناموا لأنهم لم يعلموا أنهم مأمورون بالتدقيق لهذا الحد فعلمهم من الآن أن يبحثوا ويقرؤوا العلوم التي عرفها الناس ثم يسيطروا على سائر العلوم

﴿ ذكر البارود والعناصر التي ركب منها الأمم ﴾

قلنا إن الله حكم على الأمم بالحرب وغيره اتعرف دقائق العلوم وقلنا إن المسلمين جهلواها فعوقبوا بأن الفرنجة دخلوا بلادهم وأذلّوهم بالأسلحة والغازات الخائفة ، وأقول الآن إن النوع الانساني الذي خلقه الله على هذه الأرض ركب تركيبا مناسبا وليس يتحرك للمعارف غالبا إلا بآثار بلغة والمؤثرات كما قدمنا ﴿ قسما ﴾ دنيوية ودنيوية ، والدنيوية إما جلب رزق كالزراعة والتجارة والصناعة ومنها الطب والاجرام أن العناصر وتحليلها ومعرفة ذراتها ومعارفها لا بد منها للأدوية الطبية والزراعة والتجارة وهذا أمر معلوم ، فهذا جعل جلب المنفعة ماعدا العقاقير الطبيعية فاسها لدفع مضرة المرض . وأما لدفع ضرر وذلك أن علم صناعة الحرب تقدم تقديما عظيما ومعرفة العناصر ومقاديرها أمر واجب لذلك

انظر الى صنع البارود فهو مخلوط من ملح البارود والكبريت والفحم ، فن الأول (٧٥) ومن الثاني (١٢٥٠) ومن الثالث (١٢٥٠) وهذا عند الفرنسيين (٧٤) و(١٠) و(١٦) على هذا الترتيب عند الالمانيين و(٧٦) و(١٠) و(١٤) عند الانجليز على الترتيب ومن أراد تلوين السوارح بالبياض فليأت بنحو (١٦) من ملح البارود و(٤) من الكبريت و(٣) من البارود الناعم

(نيران زرقاء) كلورات بوتاسيوم (٢٦) كبريت (١) أو كوسى كلورور النحاس (١٤) وهناك مقادير

للنار الحمراء والبنفسجية

وللتيران الخضراء كلورات بوتاسيوم (٢٨) أزوتات باريوم (٣٥) أوكسى كاورور النحاس (١) صمغ لك

(١٠) كاورور الرصاص

للون الصفرة (٥) كلورات بوتاسيوم (١) صمغ لك (٢) أوكسالات صوديوم

هذه نبذة من التركيب وفوائده وكيف كان وزن العناصر أصبح ضروريا لنوع الانسان حتى في دفاعه عن نفسه وكيف استطاع أن يركب من الكبريت والفحم وملح البارود أنواعا ثم كيف قدر على التأوين بالخضرة والصفرة والحمرة وغيرها ، ذلك كله بوزن وحساب كما صنع الله عز وجل في نباته وحيوانه إذ استخرج من أجزاء معلومة ما لا يتناهى من أشكال بدیعة وصور عجیبة وبدائع وغرائب . إن الانسان خليفة الله في الأرض فتراه يسير على سنان حكمته وان لم يعلم . سلط الله الناس بعضهم على بعض بالقتال والحرب فاضطروا لمعرفة المادّة وتحليلها وحسابها كما اضطروا لذلك في أمور معاشهم ففهم مضطرون للعالم والتحليل والتركيب في الحالين حال جلب المنفعة وحال دفع المضرة . فهذه العلوم تقوى أجسامهم وترقى نفوسهم ويسرون في الأرض ويركبون السفن المطرية ويحاربون في الجوّ ويمزقون الأجسام فتنشط الأمم وتقوى الهمة وتدفن الرمم ويبقى الأحياء مجتدين . إن الله بالحرب والضرب يريح أرواحا من هذه الأرض فتخرج منها الى عالم البرزخ والأرواح الباقية تستفيد عبرة واختبارا . أيها الذكي لا تظن أني أبيع الحرب . كلا . وانما كلامي في الحكم الكونية التي فهمتها من عمل الله في الأرض . انه سلط بعضهم على بعض لأن هذه الأرض ليست محل إقامة بل هي دار صناعة وتعليم وتنشيط . جهلت هذه الأرواح الأرضية التي تمر بأرضنا علوما ومعارف فأنزلهما في الأرض وسلط عليها هذه الأخلاق وأرسل لها أنبياء وحكماء ثم قال افعلوا فكل ميسر لما خلق له ففتطاعونا وتضاربوا وتقاتلوا كل ذلك ليستيقظوا للنتيجة وهي أن تعرف نفوسهم نظام هذا العالم وتصل الى الجبال فاذا وصلوا الى الجبال وعرفوا الحقائق يدخلون في دار أخرى تكون العلوم فيها بالشوق لا بالحرب والضرب والفقر ومبادئ العلوم هناك ماتراه هنا من الجبال . ولعلك تقول أى جبال هنا

﴿ الجبال في هذا العالم ﴾

اعلم أن نهاية هذا العالم الجبال ولا يمكن ادراكه إلا بالحكمة والناس يفهمون الجبال العادى في الوجوه وجبال الوجوه في ﴿ أربعة أشياء ﴾ الخدين والعينين والأنف والفم . هذه الأربعة متى كانت منتظمة ساورة على النسب الصادقة فانها تكون جميلة ومتى تنافرت قبحت وظهرت مكروهة الطلعة . وليس في الأرض انسان إلا وهو يدرك هذا الجبال اجالا ولكنه لا يدرك سببه والسبب هو النسب التي قررها العلماء لأعضاء الانسان وليس هذا مقام بيانها ، ومرجع الجبال في الزهر والنبات والحيوان هو النسب العددية والهندسية ، وليس في الأرض ولا في السماء جمال إلا بهذه النسب ، وترى الناس يطربون للشعر والموسيقى وليس ذلك إلا للنسبة العددية والموسيقية والشعر والموسيقى من واد واحد فان السبب والوئد والفاصلة المشروحة في ذيك العالمين ترجع كلها الى حركة وسكون في علم الموسيقى وسرف ساكن وحرف متحرك في علم الشعر ، فالشعر والموسيقى يرجعان الى هذين ، فترى الأبحر الستة عشر التي جعل لها التحليل دوائر حسابية منتظمة لم تخرج عن النسبة الحسابية والهندسية وهكذا جميع الأغاني وضروب الموسيقى على هذا النمط كما نرى في الماخوري من علم الموسيقى مثل بحر البسيط من علم الشعر وكلاهما (٤٨) مابين ساكن ومتحرك ففي كل منهما (١٢) سببا و (٨) أوناد ومعلوم أن السبب متحرك وساكن والوئد متحرك وساكن فتكون الأسباب (٣٤) حروفا والأوناد (٣٤) وهناك تظهر النسب الهندسية والنسب العددية كما هو واضح في ذيك العالمين . إذن ظهرك أن الناس لا يفرحون بالجبال المحسوس إلا للحساب والنسبة وان كانوا لا يعلمون ذلك وكلما كان التناسب أتم كان السرور أعظم ،

هكذا في الجبال العـقلى الذى لامعنى له إلا تلك النسبة ، ومن وزن ماذ كرناء في الجبال الظاهرى وفي الشعر بما أبناء هناك في الجدول الذى اخترعه العالم الروسى يرى فرقاعظما ، يرى التناسب هناك أبدع ، إذ يرى الخواص الطبيعية والخواص الكيماوية مضافة الى الأوزان النثرية ، فالشعر والموسيقى والجبال الظاهرى لم يدخل فيها شئ سوى الحساب ، أما في أوزان الذرات فهناك (١٦) صفة تزيد على النسبة المذكورة ولذلك نرى لذة العلماء والحكماء أضعاف أضعاف لذة الجهلاء لأن الجاهل لا يعرف إلا ما أحس به والعالم ترقى وأدرك ما لا يفهمه الجاهلون - لمثل هذا فليعمل العاملون -

أقول وكأن هذا الجبال الذى يظهر في هذه الذرات وأمثالها هو مبدأ لنظام أجل تدركه النفوس اذا خرجت من هذا العالم والشوق هنا يؤهلها للرقى هناك ، لذلك تجد النفوس الانسانية مجتدة على الأرض في طاب العلم للجلب والدفع * والدليل على ذلك ما تراه في تعريف حكماء الشرق للتربية قديما وحديثا (١) قال ابن المقفع ﴿ ما نحن الى ما نتقوى به على حواسنا من المطعم والمشرب بأحوج منا الى الأدب الذى هو لقاح عقولنا ﴾

(٢) قال أفلاطون ﴿ افترض من التربية هو امداد كل من الجسم والعقل بما يمكن من الكمال والجبال ومن رآه أن يربى قليل من أبناء الخاصة لأجل نظام الحكومة ﴾

(٣) وقال ملتون ﴿ التربية الصحيحة السكاملة هى ما تؤهل المرء للقيام بأى عمل خاصا كان أو عاما بمهارة وإخلاص تام أثناء السلم والحرب ﴾ وهذا التعريف يقرب مما قرأناه

(٤) وقال جيمس مل ﴿ التربية تؤهل المرء لأن يكون عاملا من عوامل السعادة لنفسه أولا ولسائر مخلوقات الله ثانيا ﴾

(٥) وقال جون استوارت مل ﴿ التربية تشمل كل ما يفعله المرء أو يفعله غسيرة له لغرض تقر به من درجة الكمال ﴾

(٦) وقال هربرت سبنسر ﴿ مهمة التربية هى اعدادنا لحياة كاملة ﴾

(٧) وقال بعض علماء بروسيا ﴿ التربية لإماء جميع القوى الانسانية إنماء تتعادل فيه جميع القوى ولكن مبول البشر واستعدادهم مختلفات فقد يكون من الحكمة الاهتمام ببعض القوى فى انسان أكثر منه فى آخر ﴾ ولهذا زاد بعضهم على التعريف المتقدم فقال بطريقة مبنية على طبيعة العقل ﴿ فشكل قوى العقل يجب أن تفحص ثم تقوى وتمنى على حسب طبيعتها ﴾

(٨) « القرآن » ألت ترى أن هذه التعاريف كلها جاءت فى هذه الآية ، وهل ترى انى الآن أنقلها لغير فائدة التفسير ، انى نقلنا لأنها فى نفس الآية ، فقله تعالى - قل سبروا فى الأرض - والسير حركة وهى ترجع للقوة الجسمية ، وقوله - فانظروا - راجع للقوة العقلية فكأن الله بهذه الآية يأمرنا بنظام الجسم ونظام العقل وبهذا دخلت التعاريف السابقة كلها فى الآية والآية شمانها ، فالحركة للتجارة وللحج وللقتال واطلب العلم والسياسة كلها سير فى الأرض وكل حركة للتدوين وللأعمال الهامة تقرب من السير لأنها حركة على وجه العموم ، وكل صناعة فبدوها بالعلم ونهايتها بالعمل فهى مشتركة بين الجسم والعقل ، فصناعة البارود مثلا مبدؤها العقل فى المعامل والمدارس ونهايتها السير فى الأرض واطلاق النار ، فأولها عقل وآخرها عمل وجميع القوى العقلية تنمو بالنظر . إن الآية قرنت بين التمرين الجسمى والتمرين العقلى فهى تعطى الجسم حظه والعقل حظه وهذه كانت صفة نبينا ﷺ فانه كان فى أثناء الجهاد يوحى اليه ويعطى الناس ويعلمهم . فحركة العقل وحركة الجسم متقارنتان . ومتى تذكرت ماجاء فى (سورة التوبة) من أن كثيرا من آياتها أوحى بها فى سفره الى غزوة تبوك عرفت تفسير قوله تعالى - قل سبروا فى الأرض فانظروا - الخ وكذلك غزوة أحد

وغزوة بدر . فكان الجسم والعقل مشتركين في تنمية العقول . إن الاسلام لم يقف عند هذا الحد في تربية النفوس بل ان أدعية الصلاة مؤيدة لذلك

﴿ اللطيفة السادسة . مقاصد الصلاة في الاسلام والعلوم والحكم وارتقاء العقول بها ﴾

ذكرت لك أن ديننا يأمر بالعلوم وأن الفطر الانسانية والحاجة الدافعة اضطرت الناس الى العلوم وأذكر هنا أن الصلاة تبعث على العلوم ، فكما أن القرآن كله حث على النظر في هذه الدنيا نجد المؤمن في أقطار الأرض يقرأ كلمات تحثه على العلوم وأكثر الناس لا يعلمون ، انظر الى الفاتحة فهي مبدوءة بالحمد ثم الدعاء بالهداية الى الصراط المستقيم وتقدم هذا . وانظر الى الأدعية في الركوع والسجود والجلوس بين السجدين والشهد وأنواع الحمد والثناء ، إن الحمد عند الرفع من الركوع تحث على معرفة العوالم العالوية والسفلية عامة والحمد في الركوع والسجود تحث على علوم الطبيعة بأجمعها ، انظر الى هذه الخجائب في العبادات ، انظر الى دين جاء لأمر أرقى من الأمم الخاضرة . يا الله إنك أمرت المسلم أن يقول عند رفع رأسه من الركوع « سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد » وهل للحمد اللفظي معنى إلا بالعلم بالمحمود عليه وما المحمود عليه إلا هذه العوالم التي ذكرناها ودخلت في قوله تعالى هنا - فانظروا كيف بدأ الخلق - أي معنى للحمد بدون علم . إن المسلم يصلي ولا يعلم أن الصلاة تدعوه للعلوم . إن المسلم اذا صلى وقلبه غافل لاصلاة له واذا صلى وقلبه حاضر وعرف المعنى فلما أن يقف عند الألفاظ وهو متوجه لله فيشتاق اليه ثم يموت فيرجع اليه وهو عابد في درجة خاصة ولكنه لا يرتقي الى درجات رفيعة ، فأما اذا فهم المقصود من الصلاة فإنه يتفغل في العلوم إذ يعلم أن الصلاة تحث على الجد في معاني هذه الكلمات ومعانيها هي جميع العلوم . يرفع المسلم رأسه قائلاً « ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض الخ » فكأنه يشير الى علم الفلك وما تحاكيه وبقية العلوم اجالا ، أما في الركوع فإنه أولاً ينزه الله أن يكون كالمخلوق فيقول « سبحان ربى العظيم » فكأنه قبل أن يخاطبه ينزهه أن يكون كمن يخاطبهم ثم يقول « اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت » وهذا اقرار بالايمان وهي أول مرتبة ولكن الوقوف عندها جهالة وكسل ثم يقول « خشع لك سمعى وبصرى ونحى وعظمى وعصى وما استقلت به قدمى لله رب العالمين » وهذا عبارة عن علم التشريع وأن المسلم عليه أن يعرف شيئاً من التشريع حتى يدرك السمع والبصر والمنح الخ وقد تقدم بعض ذلك في هذا التفسير وكذا السمع والبصر في (سورة آل عمران) والمؤمنين ويقول في السجود بعد التسبيح « اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين » ففي السجود ذكر الايمان والتسليم كما في الركوع ولكن المصلى يتوغل هنا فيقول « سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره » فالتعبير بالخلق والتصوير وشق السمع والبصر يقتضى زيادة العلم بالتصوير وبجائبات طبقات العين وعجائب الأذن وغرائب المنح وذلك يدعو الى علم التشريع ويقرب منه معرفة أنواع الحيوان والنبات والعناصر التي خلقت هذه منها . ولست أقول ان المصلى اذا لم يدرس تكون صلاته باطلة ولا أخالف ما نص عليه الفقهاء - لا يكاف الله نفساً إلا وسعها - ولكن المقام مقام عزايا الاسلام في الترية ، فانظر كيف دعانا الى معرفة العوالم العالوية عند رفع رؤسنا الى أعلى ودعانا لمعرفة أجسامنا ويقاس عليها ما هو نظيرها في التقدي والتركيب وهو الحيوان والنبات وهكذا العناصر المركبة هي منها . ولما كان العبد وهو ساجد أقرب الى ربه كما في الحديث وكفى الآية كما قال تعالى - واسجد واقترب - رأينا الدعاء في السجود يوضح تشريح الجسم ويشير الى الجد في مسائل الجسم الانسانى . واذا ضممننا ذلك الى ذكر الحمد على جميع النعم في الصلاة ومبادئ النعم كلها ما ذكرناه في تفسير هذه الآية وكذلك قول المسلم في قنوت الصبح فإنه يدعو بطلب الهداية ويحمد الله ويشكره في آخر الدعاء . ولا معنى للحمد والالشكر إلا هذه العلوم وكذلك

الشاهد فان المسلم يقول « التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله » وهذا في معنى الحمد ويختم ذلك بقوله « إنك جيد مجيد » والحمد لامعنى له كما قلنا إلا بمعرفة العلوم المتقدمة والا كان حمدا ناقصا . أقول اذا ضمنا ذلك كله الى ما ذكرناه ظهر أن الصلاة في جميع أحوالها عبارة عن درس لهذه العلوم وحث عليها ومجرد أدعية الصلاة كاملة كافية لشوق المسلم الى هذه العلوم وان لم يسمع من القرآن حرفا ، وسيأتي في هذه الأمة من يعرف الناس مقاصد الصلاة ويعرف الناس مقاصد القرآن ويعرف الناس حكمة الله في خلق الناس على الأرض ويعرف الناس أن الله لم يدع وسيلة لتنمية العقول إلا وضعها في هذا العالم الأرضي وأن المسلمين لما جهلوا جلاله ونظامه ولم يعرفوا ما في القرآن وأن الرسول ﷺ شكوا من طائفة فقال - يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا - ولم يعرفوا ما ترى اليه الصلاة أرسل سبحانه الفرنجة ليكون هذا آخر سهم يرمى به المسلمين حتى يرجعوا الى رشدهم ويتعلموا وعسى أن يقوم فيهم من يفهمهم أن الاسلام أرقى مما أنتم عليه وأن هذه هي العلوم التي يرضاها الله فهي خير من ضياع الوقت في فروع فقهية ينقض الدهر ولا يسأل عنها أحد . اللهم إني نصحت وأفردت جهدي في النصيح ، وإني أسألك أن تلهم هذه الأمة الرشد وتسعد باهلها وتلهم الأذكىاء منها أن يرفعوا من شأنها ويسعوا لاصلاحها ويهدوها الصراط المستقيم

سيعلم الدعاة والمصلحون في الاسلام أن ما ذكرناه في هذا المقام ترمز اليه الصلاة على الترتيب الذي سطرناه . فالثناء في الرفع والاعتدال وفي الفاتحة والدعاء بالهداية فيها وفي القنوت وفي الجلوس بين السجدين موجه لعموم العلوم فإذا ابتدئ المتعلم بقراءة العلوم كما في المدارس الابتدائية والثانوية في الأمم الراقية ثم يأخذ في علوم التخصص حتى يتقن فنا خاصا كما قررناه مرارا . فالثناء في حال الرفع والاعتدال ومأمعه غير ما يذكر في الركوع وفي السجود من ذكر نوع خاص كالسمع والبصر والمخ والعصب فهذا خاص والمذكور في الاعتدال عام . فالصلاة نسخة من صفحات العلوم أوحى الله بها الى نبيه ليقرأها الناس صباحا ومساء وقد اهتدى بهذه الصيغة البيضاء قوم وسيهتدى به أكثر المسلمين في مستقبل الزمان

﴿ اللطيفة السابعة ﴾

اعلم أن الله عز وجل كما حث المسلمين في صلاتهم وفي دينهم وفي جميع أحوالهم على العلوم ثم سلط علينا الفرنجة لما سبق في علمه ، اننا جامدون حث الأمم الأخرى التي سبقتنا على ذلك فيما كانوا يتعبدون به لأنه ربحهم عام الجود . ولأذكر لك ما كان يصنعه قدماء المصريين للتقرب الى الكواكب التي كانت معظمة عندهم كما ذكره أستاذنا العلامة علي باشا مبارك في كتابه ﴿ خواص الأعداد ﴾ قال مالمخلصه « كان المصريون يعنون بالافاق وأخذ عنهم فيثاغورس وجاعته وسميت بالافاق لأنهم نسبوها الى الكواكب السبعة فانهم كانوا يجعلون الجداول المذكورة في صور مختلفة وكانوا ينقشونها على صفائح من المعدن الموافق للكواكب الذي يريدونه وكانوا يجعلون جدول الوفق المذكور على شكل كثير الأضلاع منتظم مرسوم داخل دائرة عدد أضلاعه بقدر ما يشتمل عليه ضلع المربع ومكتوب عليه أسماء الملائكة الموكلين بالكواكب المطلوب ومرسوم عليه أيضا فيما بين أضلاع الشكل ومحيط الدائرة اشارات منطقة فلك البروج وكانوا يزعمون أنه ينفع من يحمله معه . وكيفية انتساب تلك الجداول الى الكواكب هو انهم كانوا يجعلون لزحل المربع المنقسم الى تسع خانات جذر عددها (٣) ومجموع أعداد صفه (١٥) وإلى المشتري المربع المكوّن من (١٦) خانة جذرها (٤) ومجموع أعداد صفه (٣٤) وإلى المريخ المربع المركب من (٢٥) خانة وضلعه (٥) ومجموع أرقام صفه (٦٥) وقد تقمّ قريبا وإلى الشمس المربع المكوّن من (٣٦) خانة وضلعه (٦) ومجموع أعداد صفه (١١١) وإلى الزهرة المربع المشتمل على (٤٩) خانة وضلعه (٧) ومجموع أعداد صفه (١٧٥) وإلى عطارد المربع المشتمل على (٦٤) خانة وضلعه (٨) ومجموع أعداد صفه (٢٦٠) وإلى القمر المربع المشتمل على (٨١) خانة

وضلعه (٩) ومجموع أبعاده (٣٦٩) وكانوا يجعلون للمادة الأولى المربع المشتمل على (٤) خانات وضلعه (٢) والله الواحد الأحد المربع المشتمل على (١) خانة واحدة وضلعه (١) بحيث أنه لو ضرب في نفسه لا يتغير أبداً . وقد تقدم الوفاق الخمس . ولأرك شكلاً واحداً آخر وهو المسبع ثم أذكر الحكمة في وجود هذا في العالم الإنساني (المسبع)

٢٢	٤٧	١٦	٤١	١٠	٣٥	٤
٥	٢٣	٤٨	١٧	٤٢	١١	٢٩
٣٠	٦	٢٤	٤٩	١٨	٣٦	١٢
١٣	٣١	٧	٢٥	٤٣	١٩	٣٧
٣٨	١٤	٣٢	١	٢٦	٤٤	٢٠
٢١	٣٩	٨	٣٣	٢	٢٧	٤٥
٤٦	١٥	٤٠	٩	٣٤	٣	٢٨

ولأكتف بهذا المسبع وبالمخمس الذي ذكرته سابقاً وأشرح موضوع هذه الأوقات . إن هذه الأوقات كانوا يعتنون بها ويدعون أدعية للكواكب وكان ذلك على مقتضى ما عندهم من العلم . ولا جرم أن دين قدماء المصريين كان دخله التحريف فصاروا يتقربون بهذه الأوقات . والسرى في التقرب بها أن أعدادها منتظمة بخير فكر الذي يتلو العزيمة إذ يجد أعداداً منتظمة تحير العقل وتدهش القلب وتدخل في عقل الناظر للأعداد نوعاً من الحيرة وحب الاتقان فأصل وضعها كان لارشاد الشعب إلى حب الجبال وهو النظام وذلك يدعو للبحث في السموات والأرض على ذلك النظام في عالم السموات والأرض وربما كان ذلك من رجال الدين ثم تبادى الناس فيه فجعلوه لطلب قضاء الحاجات من الأصنام التي كانوا يزعمون أنها ملائكة للكواكب التي تحفظهم الملائكة لأن دين القدماء هكذا ﴿ الله خلق العالم . الملك موكل بالكوكب . الصنم سبيل للكوكب الأوقات تقرب العابد من الكوكب الذي هو يمثل الملك المقرب من الله ﴾ فهذه سلسلة طويلة أملاها عليهم رجال الدين تحصيل عند طول الأمد بعد نزول الأديان فيحصل الانقطاع إلى الأمور المادية ويترك الأصل الذي قصده الأولون فعكف الناس على الاستغناء والاستعانة بهذه الأوقات ونسوا ما لأجله وضعت الأوقات عند الكهنة ورجال الدين وإن كانوا هم أيضاً غير موقنين بتطاول الزمن عليهم فتطاول الزمن على رجال الدين وعلى العامة جعل تلك الأوقات أدعية للرزق والجاه والشهوات كما أن كثيراً من جهلة الأمة الإسلامية وبعض الخواص يجعلون القرآن في أكثر الأوقات لطلب أمور الدنيا لغرض الدنيا وهذا انتكاس على الرأس . والمقصود الأول من ديننا ارتقاء النفوس بالعمل والعلم فاتجه كثير من الناس إلى جعل الدين مفتاحاً لباب الشهوات . وأصل الأوقات عند قدماء المصريين تذكير النفوس بالعلم والحكمة وجعل الله فجعلها المتأخرون منهم باب مرتزق وتبعهم على ذلك جهلة المسلمين إلى الآن ، فانظر كيف جعل الله في القدماء قبلنا من وجهوا الهمم إلى معرفة حسن النظام في العالم بطريق الدين ثم نسيه أهله فذهبت دوابهم فأصبحوا خاسرين ، ذلك أن الله عز وجل لم ينس عباده ولم يترك أحداً من خلقه بل هو عليهم مهيم يذكركم كل حين ولا ينال العز إلا من سبقته له الحسنى . ومما ينبغي ذكره في هذا المقام أن (فيثاغورس) كان مغرماً بعلم العدد ويقول إن العالم مركب من العدد وهذا لشدة ولوعه بالله تعالى لأن هذه الأوقات التي نقلها عن المصريين قد قرأها وعرف أسرارها وراءها لإنعامها نحن ففني في الخالق واشترأت نفسه إلى ذلك الجبال الأسنى . وأن إلى ربك المنتهى -

ويقرب من ذلك جدول العناصر المتقدم بل هو مدهش ومدهش لأنه يعرف جمال الله في صنعه بأبلغ

حجة وأقطع برهان . واعلم أن قدماء المصريين لما جاهدوا المقصود من دينهم نسخوه الله هكذا المسمعون لما نسوا مقصود القرآن ساء الله عايينا الفرجة وسيجعل الله بعد عسر يسرا ويرتقى الاسلام - وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب - انتهى الكلام على القسم الأول من السورة

(الْقِسْمُ الثَّانِي)

مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ يَتًا وَإِنْ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبِثَتْ الْعَنْكَبُوتُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ * خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ * أَتُلُّ مَا أَوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ * وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ * وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأَزْتَابَ الْمُبْطِلُونَ * بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَتَنَبَّأُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ * وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * قُلْ كَفَى بِاللَّهِ يَمِينِي وَيَمِينُكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَخَبِيْطَةٌ بِالْكَافِرِينَ * يَوْمَ يَنْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ * كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ * وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ *

وَكَايْنٍ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ * اللَّهُ يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ تَرَالِ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَاهُ بِهِ الْأَرْضُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَمَبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكَ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَعِينًا وَيُخَفِّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ * وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْحُسَيْنِينَ *

التفسير اللفظي

قال تعالى (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء) أى الأصنام يتكلمون عليها في نصرهم (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) أى مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس إلى المؤمن الذي يعبد الله مثل العنكبوت تتخذ بيتا بالإضافة إلى رجل يبنى بيتا بآجر وحص أو ينسجه من صخر وكما إن أوهن البيوت إذا استقرت بها بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك أضف الأديان إذا استقرت بها ديننا ديننا عبادة الأوثان - لو كانوا يعلمون - أى لو كانوا يرجعون إلى علم لعلموا أن هذا مثلهم (إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء) هذا يؤكد للثل أى إن الله يعلم أن الأصنام التي يدعونها ليست شيئا فنانافية ومن زائدة وشئ المجرور عن الزائدة مفعول تدعون (وهو العزيز) الغالب الذي لا شريك له (الحكيم) فكيف يعبد الناس ما ليس شيئا ويدعون عبادة العزيز الحكيم (وتلك الأمثال) الأمثال بدل (نضربها) نبيها خبر (للناس) وإن ضحك من هذا المثل سفهاء قریش وقالوا محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت (وما يعقلها إلا العالمون) ورد « العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه » (خلق الله السموات والأرض بالحق) محققا غير قاصد به باطلا فان المقصود بالذات من خلقهما افاضة الخير واليحاد كل ممكن تعاق به العلم (إن في ذلك لآية للمؤمنين) لأنهم يستدلون بالآثار على مؤثرها (اتل ما أوحى إليك من الكتاب) تعبدوا وحفظا وفهما لمعانيه واستكشافا لغوامض ما فيه (وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وذلك لأنها حال الاشتغال بها تشغل المصلى عن الاشتغال بغيرها ، وأيضا تورث النفس خشية من الله * روى أن فتى من الأنصار كان يصلى مع رسول الله ﷺ ولا يدع شيئا من الفواحش إلا ركبته فوصف له فقال إن صلاته ستهناه فلم يلبث أن تاب (ولذكر الله أكبر) أى ولذكر الله إياكم برحمة أكبر من ذكركم إياه بطاعته أو والصلاة أكبر من غيرها من الطاعات وسميت ذكرا لأنها مشتملة على ذكره تعالى وهو العمد في كونها مفضلة على الحسنات (والله يعلم ما تصنعون) منه ومن سائر الطاعات فيجوز يك بها أحسن المجازاة (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن) بالخصلة التي هي أحسن كقبالة الخشونة باللين والغضب بالسكظم والمشغبة بالنصح (إلا

الذين ظلموا منهم) بالافراط في العناد كأن يقبضوا الولد أو يقولوا يد الله مغاولة أو يبنذوا العهد ، وإذا استعمل السيف في بعض الأحوال فذلك انه كالسكى آخر الدواء فللمدار في نشر الدين أصالة على إقامة الحجّة لاسما في هذا الزمان ، ثم أبان طرفا من تلك المجادلة فقال (وقولوا آمنا بالذي أنزل اليك وأنزل اليك وإلهكم واحد ونحن له مسلمون) مطيعون له خاصة وفيه تعريض بأنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله * وروى عن النبي ﷺ أنه قال ﴿ لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقلوا آمنا بالله وبكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم ﴾ وقوله (وكذلك أنزلنا اليك الكتاب) أى وكما أنزلنا الكتب الى من قبلك أنزلنا اليك الكتاب (فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به) كعبد الله بن سلام وأخزابه (ومن هؤلاء) ومن العرب وأهل مكة ومن في عهد النبي ﷺ من أهل الكتاب (من يؤمن به) بالقرآن (وما يمجّد بآياتنا) مع ظهورها وقيام الحجّة عليها (إلا الكافرون) أى المتوغلون في الكفر كاليهود عرفوه ﷺ وكفروا به وكفروهم هو عين الجحود إذ الجحود بعد المعرفة (وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك) فان ظهور كتاب جامع لهذه المزاي يستحيل أن يأتى به أى فإذن هي مهجزة (إذا لارتاب المبطلون) أى لو كنت تكتب أو تقرأ قبل الوحي اليك لارتاب أهل مكة واليهود فقال الأولون إنه يقرأ من كتب الأولين وقال الآخرون إن صفته في التوراة انه لا يقرأ (بل هو آيات بينات) أى القرآن (في صدور الذين أوتوا العلم) يحفظونه لا يقدر أحد على تحريفه (وما يمجّد بآياتنا إلا الظالمون) المتوغلون في الظلم المكابرون (وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه) مثل العصا وناقة صالح (قل إنما الآيات عند الله) ينزلها كما يشاء لست مالكها (وانما أنا نذير مبين) ليس من شأنى إلا الانذار (أولم يكنهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) فهو مهجزة دائمة على مدى الزمان وليست كالعصا لأنها لا تدوم ، وقد جاء في ﴿سورة طه﴾ أن أمثال هذه الآيات الحسية تلبس ولذلك كفر بنو اسرائيل لما رأوا عجل السامرى وقد تقدّم ايضاح هذا هناك (إن في ذلك) الكتاب الذى هو حجة دائمة (لرحمة) لنعمة (وذكرى) وتذكرة (لقوم يؤمنون) دون المتعنتين (قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا) يشهد لى أنى رسول الله ﷺ يشهد عليكم بالتكذيب وشهادة الله اثبات المهجزة له بانزال الكتاب عليه (يعلم ما فى السموات والأرض) فلا تخفى عليه حالى وحاسمكم (والذين آمنوا بالباطل) وهو ما يعبد من دون الله (وكفروا بالله) منكم (أولئك هم الخاسرون) المغبونون في صفقتهم لأنهم اشتروا الكفر بالايمان (ويستجلبونك بالعذاب) كالنضرين الحرث لما قال فامطر علينا حجارة من السماء (ولولا أجل مسمى) وهو ما وعدتك انى لا أعذب قومك ولا أستأصلهم (لجاءهم العذاب وليأتينهم) العذاب (بغثة وهم لا يشعرون) باتيانها (يستجلبونك بالعذاب) أعيدت الجملة تأكيداً (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) ستحيط بهم وتجمعهم جميعا (يوم يفشاهم العذاب) يصيبهم (من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون) أى جزاءه (يا عبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة فإياى فاعبدون) أى اذا لم تسهل لكم العبادة فى بلد ولم يمتش فيه أمر دينكم فلتهاجروا عنه الى بلد تكونون فيه أصح ديناً وأكثر عبادة * وعن سهل « اذا ظهرت المعاصى والبذع فى أرض فخرجوا منها الى أرض المطيعين » ويقال أيضا « إن لم تخلصوا العبادة لى فى أرض فأخلصوها فى غيرها » (كل نفس ذائقة الموت) يريد بذلك تهوين الهجرة من بلد المعاصى ويقول اذا كانت النفوس تجد مرارة الموت وكرهه فكيف يهجمها المهاجرة من الوطن (ثم اليك ترجعون) بعد الموت للثواب والعقاب (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لبوئتهم) لنزلتهم (من الجنة غرفا) علالى (تجربى من تحتها الأنهار) الذين فيها نعم أجز العالمين (أى أجرهم) (الذين صبروا) على أذية المشركين والهجرة للدين والمحن والمشاق (وعلى ربهم يتوكلون) فلا يتوكلون إلا على الله (وكأن من دابة لا تحمل رزقها) لا تطيق حمله لضعفها أولاندره فتصبح ولا تعيشه عندها (الله يرزقها واياكم) فأنتم مع قوتكم وهي مع

ضعفها سواء في أن الله يرزقكم جميعا فهو المسبب لها فلا تخافوا على رزقكم من الهجرة إذ قال بعضكم كيف تقدم على بلد ليس لنا فيها مرتزق (وهو السميع) لقولكم (العليم) بنياتكم (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر) أي ولئن سألت أهل مكة ذلك (ليقولن الله) لأن العوالم منتهية إليه (فأنى يؤفكون) فكيف يصرفون عن توحيدهم بعد إقرارهم بذلك (الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له) أي لمن يشاء أى يوسع ويضيق لواحد في وقتين مختلفين ويوسع لزيد ويضيق لعمرو (إن الله بكل شئ عليم) يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم * وروى « إن من عبادى من لا يصلح لإيمانه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك ، وإن من عبادى من لا يصلح لإيمانه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك » (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله) أى هم مقرّون بذلك (قل الحمد لله) على عصمتك من مثل هذه الضلالات وعلى تصديقك وإظهار حججك (بل أكثرهم لا يعقلون) فيتناقضون فانهم يقولون إنه خالق كل شئ ثم يشركون به سواء (وما هذه الحياة الدنيا) الإشارة للتحقير (إلا لهو) اشتغال بما لا يعنى وتمتع باللذات وفرح (ولعب) عبث وباطل لا يبقى (وإن الدار الآخرة هلى الحيوان) أى الحياة أى ليس فيها إلا حياة مستمرة دائمة لا موت فيها فكأنها في ذاتها حياة ، وأصل حيوان حيوان من حي على وزن غليان فقلبت الياء الثانية واوا (لو كانوا يعلمون) حقيقة الدارين ما اختاروا اللهو الفانى على الحيوان الباقي ثم قال إن هؤلاء دائبون على ما وصفوا به من الشرك (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) فهم والحالة هذه لا فرق بينهم وبين المؤمنين في صورة الاخلاص لله لعلمهم أنه لا يدفع الشدائد سواء (فلما نجحهم الى البر اذا هم يشركون) أى فاجزوا المعادة الى الشرك والمؤمنون ثابتون على إيمانهم (ليكفروا بما آتيناهم) أى يشركون حتى يكفروا بما آتيناهم من النعمة (وليتمتعوا) أى سيتمتعون بهذه العاجلة ولا نصيب لهم في الآخرة (فسوف يعلمون) عاقبة أمرهم وهذا تهديد ويصح أن تكون اللام للأمر في ليكفروا وليتمتعوا (أولم يروا) أى أهل مكة (أنا جعلنا حرمنا آمنا) أى جعلنا بلدهم ممنوعا مصونا بأمن داخله (ويتخطف الناس من حوهم) يستلبون قتل وسبيا (أفبالباطل يؤمنون) أى أبالشيطان والأصنام يؤمنون (وبنعمة الله) المذكورة الواضحة (يكفرون) * ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) بأن زعم أن له شريكا (أو كذب بالحق لما جاءه) يعنى الرسول أو الكتاب وفى التعبير بلما إيذان بسفاهتهم إذ سارعوا الى التكذيب بلاترو لمجرد السماع (أليس في جهنم مثوى للكافرين) أى أما لهذا الكافر المكذب مأوى في جهنم ، ولما كان أول هذه السورة مسوقا للجهاد العام كجهاد النفس والجهاد مع الوالدين والجهاد مع الأعداء ومع الأصحاب ختم السورة كما ابتدأها وبشرا المجاهدين بالهداية فقال (والذين جاهدوا فىنا) أى فى حقنا سواء أكان جهاد الأعداء الظاهرة أم الباطنة فيشمل سائر المعاصى حتى جهاد الكبر والحسد والحرص وكل مرض قلبى (لنهدىهم سبلنا) لأننا خلقنا السموات والأرض بالحق (وان الله مع المحسنين) بالنصرة والاعانة . انتهى التفسير اللفظى للقسم الثانى من السورة

﴿ لطائف هذا القسم ﴾

(اللطيفة الأولى فى قوله تعالى - وإن أوهن البيوت ليث العنكبوت -)

لأذكر لك ما كتبه فى كتابي ﴿ جبال العالم ﴾ من عجائب العنكبوت تحت العنوان الآتى ونصه

﴿ العنكبوت ﴾

خلق العنكبوت ذا ثمانية أرجل وعلمه الله بالإلهام من الصفر فى إبان حياته حتى انه ينسج بحيث تنساوى كبارها وصغارها والأمهات وأولادها فى الغزل والنسج ، فلا عنكبوت إلا وقد أوتى هذه الصنعة بلا تعلم

ولا تعليم ولا مدرسة كأتمهاتها ولا تخريج ولا درس ولا تنقيب كما فطرت صغار البط على العوم في الماء عقب كسر بيضها وهكذا جميع الطيور والحشرات ، ولما كان هذا التعليم غريزيا لم يدخله الغلط ولا السهو بخلاف النوع الانساني ولذلك احتجنا الى قول نبينا ﷺ « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان » فلا يقع من العنكبوت في نسيجه ولا غزله غلط بل تراه يحكمها باتقان مع التأتى والتثبت ، فتري خيوطا متينة وشبكاتها محكمة الوضع هندسية الشكل ، وقد قال علماء العصر الحاضر ﴿ لو اجتمع كل نساج وغزال في الدنيا وقوبلت صناعتهم بصناعات العنكبوت لفاق الثاني الأولين والآخرين وغلّب الحيوان الأنجم هذا الانسان - ماترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور * ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير -

﴿ العنكبوت البناء ﴾

كل عنكبوت في الدنيا غزال ونساج وبعض الأنواع بناء يبنى منازل يشاهدها الناس في أماكن كثيرة في حجم (الكسبان) يقلها من الداخل بقل لم يقف أحد من علماء الحشرات على كنهه حتى يأمن من دخول عدو مهاجم أو سارق فتأمل كيف أعطى قوة وحكمة عجز عنهما الانسان في البناء كما أوتي النحل في بناء مسكنه فوق الأرض وأحكم المنافذ للنور وأقفله عند الرطوبة أو البرد ، كل هذا يدلنا على أن هذا العالم يشمله تدبير عجيب من أدنى ذرة الى أكبر كوكب ، وما ألد النظاري هذه العوالم والعلوم ، وما أجل الحكمة وأبهجها - إن ربك هو الخلاق العليم - ألا فليتهج بهذا العالمون وليفرح الحكماء المدققون

﴿ عنكبوت البساتين ﴾

وهناك نوع يسكن البساتين وماشاها ، تراه مضطرا الى الانتقال من شجرة الى شجرة ومن غصن الى غصن ، فإذا يصنع ياترى ؟ أهمله الله أن يبنى قنطرة بين الشجرتين أو غصنين كما يصنع نوع من القروذ في أمريكا قنطرة كما تقدم ، ولكن طريقة العنكبوت في قنطرتها أعجب ، فذلك بالأجسام وهذه بخيط واحد يخرج من فمه مخلوقا من لعابه اذا لامس الهواء جمد فيمتد فيه بعد تثبيت أحد طرفيه ولا يزال الطرف الآخر يغدو ويحجى حتى يمسك بورقة أو غصن فتمر عليه العنكبوت ، وبهذه الطريقة نجا عنكبوت من الموت في حكاية واليك بيانها

حكى أنه وضع حيوان العنكبوت عنكبوت على عود في ماء قريب من شاطئ جزيرة فنزل من أعلى العود الى أسفله فوجد الماء محيطا به فرجع الى أعلى ثم أخذ يفكر في حيلة اهتدى بها الى أن غزل خيطا وأثبت أحد طرفيه في رأس العود ولازال الطرف يغدو وبروح حتى أمسك بغصن من الشاطئ الآخر فسار عليه حتى نجا سالما ، وهذا النوع البستاني ينسج على الأغصان والأوراق شبكة عجيبة يقتنص بها الذباب وغيره فيستخذ بها مركزا يقيم فيه وبعد خيوطه الى جميع الجوانب ، فشكل أطرافها محيط ذلك على الأوراق والأغصان وتلك الخيوط أقطارها والعنكبوت رسامها وغازلها وناسجها ومهندسها والصائد بها ، وما أشبه تلك الخيوط بأعمدة العجلة (البسكليت) فاذا أحكمت تلك الأعمدة بخيوطها المجدولة أخذت العنكبوت تجدل خيوطا أخرى فأدارتها على هذه وربطتها رباطا وثيقا محكما عليها مع التناسب في الوضع والاحكام والهندسة بحيث ترى بين كل خيطين من تلك الأعمدة وآخرين من الملف عليها مسافات متساويات هندسية ومنها تكون شبكة للصيد عجيبة الصنع جيلة الوضع - فتبارك الله أحسن الخالقين - وفي الأرض آيات للموقنين - وهذه الشبكة قلدها الانسان في صيد السمك للقوت وفي صنع زينة منسوجة من الحرير منقوشة بالذهب مرصعة بالخلي اهتدى لها الانسان المتمددين بعد الآلاف من الدهور والعصور والسنين فتفخر به القتيات الافرنجيات في اتقان الصنعة وحسنها فانظر كيف كانت نهاية الانسان بداية الحيوان . لعله يهولك غرائب العنكبوت اذا عاينت أثرها وانها تنسج ما تنسج بمؤخر أرجلها فلا تحتاج الى النظر بعينها ، فاذا قطعت خيطانها قبل الغروب ثم نظرت لها عند شروق

فيخيل للرأى انه خرج بالاحكامه فاذا انضمت الخيوط الى بعضها كوّنت خيطا والخيوط الأربعة أنتجت خيطا أكبر واجتماع الخيوط أنشأت بيتا وكان مسكنا ومحل صيد للعنكبوت ومع ذلك تسمع القرآن يقول - وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون - وصف بيت العنكبوت بأنه أوهن البيوت ثم أردفه بقوله - لو كانوا يعلمون - فانظر كيف ذكر العلم المقرون بلو بعد مسألة العنكبوت ، أفليس هذا الوهن قد ظهر في التحليل والتجزئة فقد جاوزت خيوط العنكبوت الحد المعروف في الدقة وتناهت في التجزئة ، فذكر الوهن هنا اشارة الى قبول التجزئة قبولا مطردا بحيث لا يمنع عنها وهو متماثل ، ذلك هو السر في قوله - لو كانوا يعلمون - فليس يدرك الناس تلك التجزئة التي أشار لها الوهن مجرد اشارة إلا بعلم الطبيعة ، ولا يدري المسلمون ما السر في تسمية سورة باسم العنكبوت إلا بالتفرغ لدراسة الحشرات واذن يعرفون لماذا سميت سورة في القرآن باسم العنكبوت وأخرى باسم النمل وأخرى باسم النحل وهى حشرات وسورة باسم البقرة وسورة باسم الأنعام وهذه من ذوات الأربع ، والذي أراه أن الجيل الحاضر ومن كانوا قبله من المسلمين في الأعصر المتأخرة انما خلقوا ليحفظوا القرآن والشريعة حتى يتفكر فيهما الأجيال المقبلة التي سيوقظها أمثال هذا التفسير ويخرج جيل اسلامي لم تحلم به العصور ولم تلده سوائف الدهور وهم خلفاء الله والنبي ﷺ وهذا سيكون وأنا به من المؤمنين

ومما مثل العنكبوت في ذلك النظام البديع إلا كمثل النحل إذ نظم بيوتا مستديرات ذات أضلاع متساوية متقنة ، ومن العجيب أن الأشكال المستديرة كل ضلع يساوى القطر المار ما بين ضلعين من أضلاعها كما قرره علماء الهندسة ، ولقد أبنا الحكمة في اختيار المستدس دون باقي الأشكال ولم يكن دائرة فيما كتبناه في كتبنا السابقة وأوضحنا عجائب هذه الحشرات وغيرها أيضا أتم وبياناً أكمل في كتابنا ﴿ جلال العالم ﴾ وكذا ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ وغيرها وهذا التفسير انما جعلناه تذكرة عامة للأمة الاسلامية ليستيقظوا من غفلتهم وليفقهوا من سباتهم وليعلموا أن الله عز وجل ما وصف هذه الحشرات ولا ذكر هذه الآيات ولا أخذ بصف الأنهار والجبال والكواكب والشمس والقمر والنجوم إلا ليسوقنا اليها وليحدثنا عليها فانظر مسألة النمل الذي تقدم الكلام عليها فانها فضلا عما فيها من بدائع الصنعة الالهية والحكمة الصمدانية دلالة على حكمة الخالق وإتقانه ونظامه وعجيب صنعه فان لها أثرا عظيما في الزراعة . إن تربية النحل في البساتين النضرة موجب للثروة بالعسل الكثير الذي يربو اذا كانت الخلايا في وسط الأزهار ويقل بل يموت النحل اذا كانت الأرض المحيطة به مقفرة ، ولها فوق ذلك شروط وأحوال خاصة يعرفها الدارسون لمستقراتها ومستودعها من علماء الزراعة الساهرين على مصالح الأمم الناظرين فيما جادت به يد الخالق من العجائب والبدائع

ولما كانت هذه الحشرات الضعيفة ربما غفل الناس عن أمرها وصغروا من شأنها وجهلوا صنعها سمي الله عز وجل سورا من القرآن باسمها فسمى النمل والنحل والعنكبوت . أفليس ذلك نبراسا يهتدى به المسلمون فيرقون صناعاتهم ويننون مجدهم ويدرسون كل مذهب وكل ماطر وكل حيوان ونبات - إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار - كما قررناه . انتهى ما جاء في كتابي ﴿ القرآن والعلوم العصرية ﴾ والحمد لله رب العالمين هذا ما أردته عند تأليف هذا التفسير ثم إنى وجدت بعد ذلك أثناء تقديمه للطبع في الكتب الفرنجية عجائب وبدائع في العنكبوت والذباب ونحوه فآثرت ذكرها هنا تبصرة وذكرى للمسلمين

مامن امرئ إلا رأى نسج العنكبوت . إن العنكبوت ليست من الحشرات وان كان ظاهرها يوهم أنها منها . إن نوع العنكبوت ونوع الحشرات يتفقان في أن كلا منهما له آلتان في مقدمه يستعملهما كما يستعمل نحن أصابعنا وهو بهما يتفاهم كما يتفاهم الأصم الأبكم من الناس بحاسة البصر ولكن العنكبوت لها ثمانية أرجل والحشرات جميعها لها ستة أرجل . إن الحشرات والعنكبوت كلاهما تضع بيضا وانما الفرق بينهما أن

الحشرات يتحوّل بيضها الى دودة والسودة تنقلب الى (فيلجة) أى شرنقة والشرنقة تنقلب حشرة تامة كما فى مسألة دودة القز ففيها هذه الصفات والنحل والنمل وأشباهها وقد تقدّم فى سورة النمل ، ومن الحشرات ما تعتنى بنسلها كالنمل والنحل ومنها ما لا تعرفه كحشرة أفى دقيق إذ تموت ولا ترى أولادها وهكذا الجراد ولكن هذا النوع يعتنى بوضع البيض فى مكان صالح بنسله . أما العنكبوت فثله كمثل الدجاج فان بيضها متى فقس خرج ولدها صورة طبق الأم كما فى السمك والضفادع

﴿ كيف تعيش العنكبوت ﴾

إن العناكب تعيش على الحشرات ، إنها نافعة جدا ومفيدة للفلاح ولصاحب البستان لأنها تقتل الآلاف من الحشرات اللاتي تفك بالزرع فى الأرض

﴿ نسج العنكبوت ﴾

إن العنكبوت تغزل خيوطا دقيقة حريرية آتية من (مقر الغزل) فى جسمها الذى فيه مسام دقيقة جدا وهذه المسام الدقيقة تخرج منها خيوط تجتمع وتكون خيطا والخيوط تجعلها العنكبوت نسيجاً . إن هذه الخيوط لزجة وأى ذبابة وصلت اليها تلتصق بها

﴿ أنواع المصنوعات العنكبوتية ﴾

إن العنكبوت لا تقتصر على جعل خيوطها أشبه بالخيمة : كلا . بل انها تجعلها قنطرة تمرّ عليها من مكان الى مكان وتارة تجعلها عشا تضع فيه بيضها ومسكنا نظيفا لها يسر الساكنين . إن من العنكبوت نوعا تغزل الخيوط الحريرية المذكورة وتجعلها أشبه بسحاب وتطير عليه فى الهواء . ويرى الناس مئات من هذا النوع طائرات فى الهواء على هذه الطريقة فى يوم ناثر الهواء . وهناك نوع من العناكب يجرى على سطح الماء ، وكيف ذلك ؟ انه يؤلف بعض الأوراق الجافة مع خيوط حريرية من جسمه ويجعلها (قاربا) يعوم فيه على وجه الماء ويسبح به وهو قير العين وهذا القارب جعله لاصيدفهما لاحت له ذبابة أسرع بقاربه اليها وأخذها الى فيه فأكلها

ولما وصلت الى هذا المقام جاء صاحبى العالم الذى حادثنى فى (سورة النمل) فاطلع على ما كتبت هنا فقال ، لقد قرأت كتبك كلها فسلنى كما تشاء فى ﴿ نظام العالم والآنم ﴾ وفى ﴿ النظام والاسلام ﴾ وفى ﴿ جواهر العلوم ﴾ وفى ﴿ ميزان الجواهر ﴾ وفى ﴿ جلال العالم ﴾ قرأتها وفهمتها وقرأت هذا التفسير الى هذه السورة فاسمح لى أن أسأل هنا ما عني لى فى قولك تغير لك أن أحاورك من أن أدع هذا لقرائك والمطالعين على هذا التفسير . فقلت ذلك يسرّنى . فقال أوضح الفرق بين الحشرات والعنكبوت ، ولماذا أراك تشرح هذه الحيوانات هنا حتى جعلتني أسألك المزيد ؟ وهل هذا يوافق مساق الآية ومساق الآية لا يقتضى هذا الشرح فقلت أما الفرق بين العنكبوت والحشرات فقد ذكرت بعضه الآن وهو تعداد الأرجل وطريقته نحو الذرية وأزيد عليه أن جسم العنكبوت مركب من ﴿ قسمين ﴾ وأجسام الحشرات مركبة من ﴿ ثلاثة أجزاء ﴾ كما تقدم فى (سورة النمل) وأيضا لغالب الحشرات أجنحة والعنكبوت لا أجنحة لها ، ثم ان القسم الأعلى من العنكبوت فيه العيون والفكان وهذان فى الرأس وفيه الأرجل الثمانية وهى فى الصدر ، أما القسم الأسفل ففيه البطن والمؤخر ، وأما أقسام جسم الحشرات فاقراها فى (سورة النمل) كما قلت لك . فقال النمل من الحشرات وهل لها أجنحة ؟ فقلت تخلق لها أجنحة ولكن عند ما تكبر وتزاول الأعمال تكسرهما لتفرغ للأعمال . قال فما تقول فى عدد العيون . فقلت عيون العنكبوت تختلف من زوج واحد الى ستة أزواج موضوعة مثنى فى مقدم الرأس وتتحركان من اليمين الى اليسار وبها يفترس الذباب ، أما الحشرات فانها لها أعين تقدم شرحها فى سورة النمل وأن بعضها قد بلغت العين الواحدة فيه (٢٧) ألف عين أى ان العين

الواحدة مكونة من عيون مستقلة تبلغ هذا المقدار ولولت واحدة منها لم تلتف البقية كما شره علماء النمسا وألمانيا في هذا القرن فاقراء هناك وانظر كيف ذكرت لك هناك أن أصدقائي أهل العلم في مدارسنا المصرية عارضوني في ذلك وفيهم من كانوا في أوروبا بل بعض الأطباء أنكره في أول الأمر ، ولما ألفت الرسالة التي تقدمت في (سورة النمل) أقرتوا وصدقوا ، والسبب في ذلك أن أمتنا المصرية قد كانت تعرف هذه العلوم قبل هذه الأيام في القرن التاسع عشر ثم لما دخل الفرنجة بلادنا حذفوا تلك العلوم الطبيعية من بلادنا فصار المتعلمون يكرهونها وكثير من ذهبوا إلى أوروبا لا يقرؤونها ، أما الآن وأنا أكتب هذا التفسير فإن هذه العلوم أخذت ترجع تدريجاً وصار الأطفال اليوم يقرؤون ما كان يجهله آباؤهم منذ خمس سنين وهذا يدل أن العلوم الطبيعية مرفقة للأمم ولولا ذلك ما حذفها الفرنج قبل استقلالنا الظاهري بمصر ، هذا ثم إن النملة كما قدمت العين الواحدة من عينيها مركبة من مائتي عين والذباب عينيها الواحدة مركبة من أربعة آلاف عين ، فقال صاحبي أربعة آلاف . قلت نعم . قال أنكر ذلك . قلت له هذا يدرس في جميع مدارس العالم ، وهل تريد أن تفعل معي ما فعله المدرسون منذ سنين كما أخبرتك ؟ قال لا ، قلت فدعني أتم لك الحديث ، فقال يا عجباً كل العجب ، أن تكون الذبابة أكثر عيوناً ويصطادها العنكبوت مع أن عيونه محدودة ، فقلت له لا تعجب وكيف تعجب من آية الله في الأرض ، فقال وأي آية ، قلت إن كثرة الآلات والقوى لا تمنع من الهلاك ، ألا ترى إلى قيصر الروس وغيره من ملوك الأرض فانهم مع كثرة جيوشهم وعددهم وآلاتهم قد سلط الله عليهم من طردوهم من ملكهم بل قتلوا بعضهم ، وهو قيصر الروس الذي أثار الحرب الكبرى في زماننا واتحد مع انكليترا وفرنسا ، قام للحرب بعد أن دبر المكائد فإذا جرى ؟ كانت هذه الحرب شؤماً عليه ويتبعه نحو (١١٠) مليون من الناس ومن هؤلاء (٢٠) مليوناً يعملون في حقوله ، فهذا كان من ضحايا الحرب فعزل ثم قتل . إذن كثرة العدد والآلات لا تدل على البقاء ، فهذا الذباب كثرت عيونه التي تعد بالآلاف ولكن نوع العنكبوت الذي لا يزيد عيونه على ستة أزواج قام فافترس الذباب على كثرة عيونه

إن الله حكيم في صنعه ، ألا ترى أن هذا الذباب (وإن كان ينظف جوفاً بابتلاعه الرطوبات التي فيها أنواع الحيوانات الذرية الصغيرة الفاتكة بنا القاتلة بأنواع الحيات والوباء) يرجع هو نفسه مهلكاً لنا فينقل الأمراض ويأتي بالوباء ، فهو نفسه لما تغذى من المواد الضارة بنا ليصلح جوفاً أصبح هو ضراً لنا ، فخلق الله العنكبوت لتصطاده وتصطاد غيره من الحشرات الفاتكات بنا وبزرعنا ، فالذباب بأحداث العدوى وغيره الذباب بأكل الزرع ، فجعل الله هذه العناكب مساعدة لنا فمن جهل بعض المسلمين أنهم لا يعلمون أن هذا مساعدهم ونافع لزرعهم وحافظ لهم ولقوتهم

يعيش المسلم ويموت وهو لا يعلم أن الله أنعم عليه بالعنكبوت ، يعيش المسلم ويموت وهو لا يعلم أن الطيور من القنابر والعصافير والغربان وأبى قردان والبوم تساعد في أكل السود والحشرات الفاتكات بزرعه وقد أوضحت أكثر هذا في هذا التفسير فراجع بعضه في (سورة المائدة)

انه ليحزنني والله أن تكون أمتنا أجهل الأمم بهذه العلوم التي تمتعت بها أوروبا ونحن عنها غافلون ، أذكر أنني وأنا مدرس بدار العلوم كنت أرقب نسج العنكبوت في حديقة المدرسة وأنظر له كل يوم فلحظ ذلك وكيل المدرسة وهو من المعلمين فقال ما هذا الذي تحافظ عليه قلت إن هذا النسج فيه عجائب فهو نسج محكم يدل على حكمة بالغة أبدعها صانع هذا العالم فتبسم ضاحكاً وقال لقيمة له وهذا لأن المعلمين لا يشوقون التلاميذ إلى الجمال وهذه أكبر مصيبة في الاسلام وقد ابتدأت تزول وهذا التفسير من دلائل النهضة ومن أوائلها

فقال صاحبي كم عدد الحشرات على وجه الأرض ، فقلت إن الحشرات التي من بعضها غذاء العنكبوت قد بلغت في أعداد أنواعها أكثر مما بلغته سائر الحيوانات ، وإذا كانت الخنافس وحدها تبلغ (٨٠٠٠٠٠)

نوع فإياك بغيرها من الحشرات وأنواع الحشرات المعروفة (٢٠٠٠٠) ويتوقعون أنها تبلغ ألف فقال هذا مدهش ، إني قرأت في كلام أسلافنا أن في البحر (٤٠٠٠) أمة وفي البر كذلك . فقلت له الأمر فوق ما قالوا والله يقول - ويخلق ما لا تعلمون - ويقول - سريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق - وآيات الله في الآفاق وفي الأنفس ابتداء ظهورها الآن وهذا التفسير من المنهات لها وأن المسلمين بعدنا لا ينصبون ولا يتعبون في تحصيل العلم وسيقوم فيهم هداية ومصلحون ينشرون هذه العلوم بين الناس فلا يكون فيهم من يقاسى ما قاسيت مما ذكرته في كتابي ﴿ التاج المرصع ﴾ فاني ذكرت هناك اني كنت أقرأ في كلام (الامام الغزالي) أن عجائب الله تعالى في نسيج العنكبوت وأعمال النمل لا تتناهي . فأما عجائب النمل فقد كانت واضحة لي وأما العنكبوت فقد كنت أود أن أرى شكلا منظما في الكتب لأرى حسن النسق والنظام فيه فلم أوفق لذلك حتى قرأت الكتب الانجليزية فوجدت الرسم فيها فحجبت كل العجب من أمة نائمة لا تعرف نعمة الله ولا تسير على خطوات علمائها ، فلا جال الله أدركوا ولا آراء علمائهم اتبعوا

﴿ هل يجوز رسم الحيوان في التفسير ﴾

فقال لي صاحبي ، ههنا قامت عليك الحجة ، فقلت وأي حجة ، فقال أذكرك بأنك في سورة النمل وعدت أن ترسم أشكال الحيوان الذي يحتاج للإيضاح ، فلم لا ترسم لنا العنكبوت حتى نطلع على الوصف الذي وصفته ولم لم ترسم لنا النملة التي وصفتها هناك ولم ترسمها ، ألم تقل أن رسم ذلك ليس مباحا فقط بل هو واجب لأن التعليم واجب ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ ان هذا التأليف واجب عليك وجوبا عينيا ويجب قراءة هذا على من احتاج اليه وهو قادر إما شكر الله وإما لزيادة التوحيد ، وقد يجب وجوبا كفايا كما أوضحته أنت في سورة المائدة عند مسألة الغراب وفي غيرها . فقلت له سأرسم شكل نسيج العنكبوت . فقال لا يكفي لابد من رسم نفس العنكبوت ونفس النملة والاعتد هذا منك خوفا من صغار العلماء . فقلت لا أقدر أن أرسم ذلك إلا بعد شرح المقام في السنة حتى يوقن كل مطلع على التفسير أن النبي ﷺ يحبر ذلك . فقال يا عجباً . إن التصوير الشمسي لم يرد تحريمه في كتاب ولا في سنة وما ورد في التصوير من تحريم أو تحليل راجع لفعل الانسان إما مجسما وإما غير مجسم بالرسم المعروف . قلت هذا حق . قال وإذا كان حقا فلماذا تريد أن تطيل المقام أو تراوغ فلا ترسم هذه الأشكال ، واني أذكرك بأنك في كتاب ﴿ جال العالم ﴾ قلت مامعنا ان العنكبوت لها ستة أرجل كسائر الحشرات مع ان العنكبوت غير الحشرات ولها ثمانية أرجل ، فإذا رسمت الصورة لم يحصل هذا اللبس . فقلت فلنورد الأحاديث حتى لا يقع لبس في المقام وتنقطع المعاذير وهالك بيانها

(١) روى قتادة قال كنا عند ابن عباس رضي الله عنه وهم يسألونه ولم يذكر النبي ﷺ حتى سئل فقال سمعت محمدا ﷺ يقول « من صور صورة في الدنيا كف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ » اهـ

(٢) روى الأعمش عن مسلم قال كنا مع مسروق في دار يسار بن غير فرأى في صفته (بتشديد الفاء) تمثيل قال سمعت عبد الله قال سمعت النبي ﷺ يقول « إن أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون » (٣) روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال « الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم أحيوا ما خلقتم » هذه الأحاديث ونحوها وردت في فعل التصوير بمعنى إيجاد الصورة ، أما ما كانت رقيا في ثوب أو ورق فهناك ما ورد فيها

(١) روى زيد بن خالد رضي الله عنه أن أبا طلحة حدثه أن النبي ﷺ قال « لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة » قال بسر فرض زيد بن خالد فعدها فإذا نحن في بيته يسترفيه تصاوير فقات لعبد الله الخولاني ألم يحدثنا في التصاوير فقال انه قال إلا رقيا في ثوب أو ورق فذكره اهـ

(٢) روى الترمذى بسنده عن عتبة انه دخل على أنى طلحة الأنصارى يعودده فوجد عنده سهل بن حنيف قال فدعا أبو طلحة انسانا ينزع غطاء ثمته فقال له سهل لم تنزعه قال لأن فيه تصاوير وقال النبي ﷺ ما قد علمت قال سهل أولم ينزل « إلا ما كان رقيا في ثوب » فقال بلى واسكنه أطيب لنفسى ، وقال الترمذى حسن صحيح

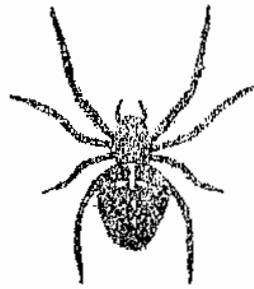
(٣) روى أنس رضى الله عنه « كان قرام لعائشة رضى الله عنها سترت به جانب بيتها فقال ﷺ أميطى عنى فإنه لا تزال تصاويره تعرض لى فى صلاتى » اهـ

هذه الأحاديث تدل على إباحة الرقم ، فأما الفوتوغراف فشى آخر وانما هو صور جاءت من ضوء الشمس وضوء الشمس ماهو إلا تصوير الله ومن ذا يقدر أن يحرم تصوير الله * وقال الخطابى « إن المصور الذى يصور شكل الحيوان فأنى أرجو ألا يدخل فى هذا الوعيد لأنه ليس إلا رقيا » فتبين بهذا أن رسم الصور بيد الانسان ليس محرما بنفس نص الحديث الحسن الصحيح وكلامنا أيضا ليس فيه بل إن الصور الشمسية كلها من تصوير الله ، فاذا رأيت دورا فى هذا التفسير فانها كصور الشمس والقمر والكواكب والحيوان والنبات

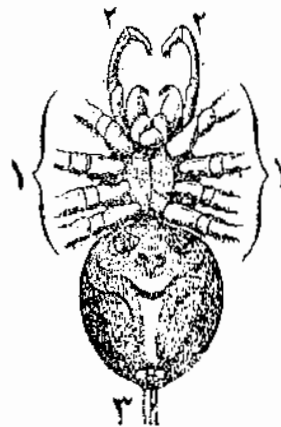
فلما سمع ذلك صاحبي قال هذا حسن جدا وواضح لجميع المسلمين وانما سقط المسلمون فى مثل هذا للجهل الذى غشى على العقول فبدل أن يسيروا فى رقى الأئمة رجعوا القهقري وفتحوا باب الكفر والنوم والجهل وأقفوا أبواب جلال الله تعالى ومعرفة عجائبه التى لا نهاية لها جهلوا علوم الكائنات ولما أردتم إيضاحها ختم من الجهلاء فأوردتم الأحاديث خيفة أن يقفوا أبواب العلم فى وجوه القارئین

(تذكرة)

ثم إن هذا الموضوع قد كتبته أثناء التأليف ولكن أثناء الطبع كتبت ما هو أجل هناك من هذا فى (سورة يونس) فاقرأه (انظر الأشكال الآتية)



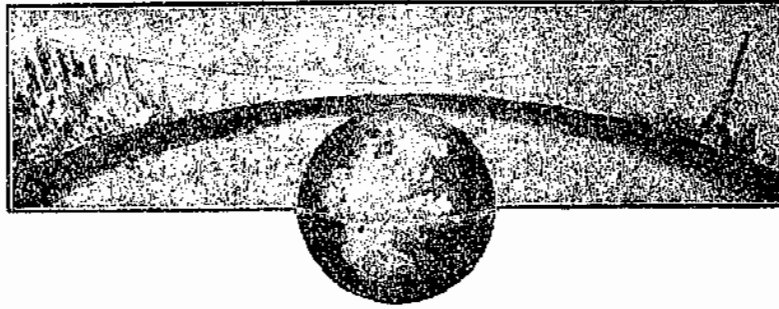
(شكل ٦ - صورة العنكبوت واضحة)



(شكل ٧ - صورة أصول الأرجل والفكين ومخرج النسيج)

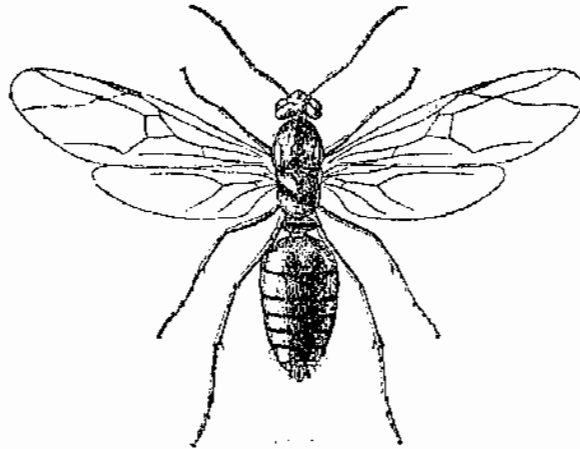


(شكل ٨ - صورة جهاز الغزل)

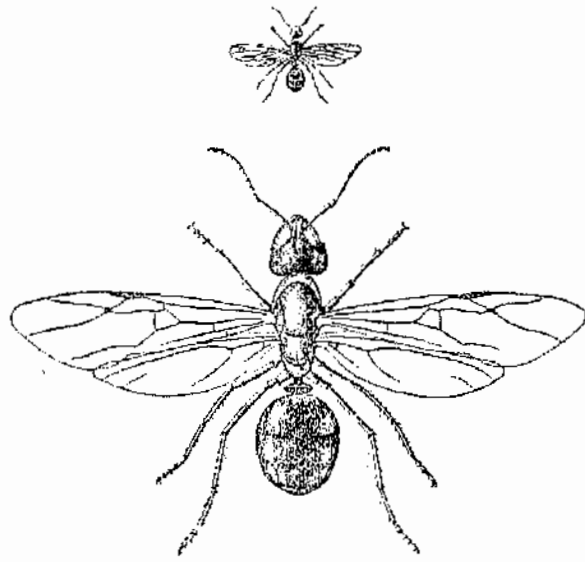


(شكل ٩ - صورة نسج العنكبوت مع بيان حسن لها)

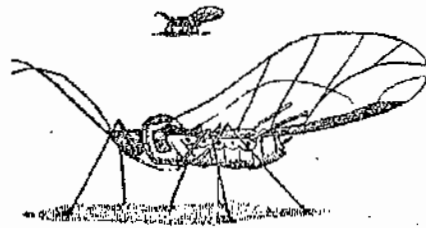
(يفرز العنكبوت مادة سائلة تجف بمجرد ظهورها في الهواء وتكون على شكل خيوط رفيعة ويستعملها العنكبوت كجباله لاقتناص فريسته من الذباب أو غيره من الحشرات الصغيرة ولينزل بواسطتها من المحال المرتفعة كي لا يسقط فيتأثر بالسقوط ، ومادة هذه الخيوط خفيفة للغاية من حيث الوزن حتى ان ما يبلغ وزنه أوقية واحدة من هذه الخيوط يمكن أن يصل بين نيويورك في أمريكا وباريس في أوروبا أى بين عمارة ولورث في الأولى وبرج ايفل في الثانية ، واذا أخذ من خيوط العنكبوت ما يزن رطلاً أمكن أن تطوق به الكرة الأرضية مرتين)



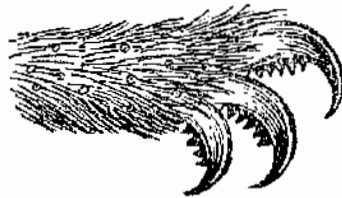
(شكل ١٠ - صورة ذكر النحل الحقيقي . صورته مكبرة جداً لموازنتها بصورة العنكبوت)



(شكل ١١ - صورة أنثى النمل . صورة الأنثى على حقيقتها . صورتها مكبرة)



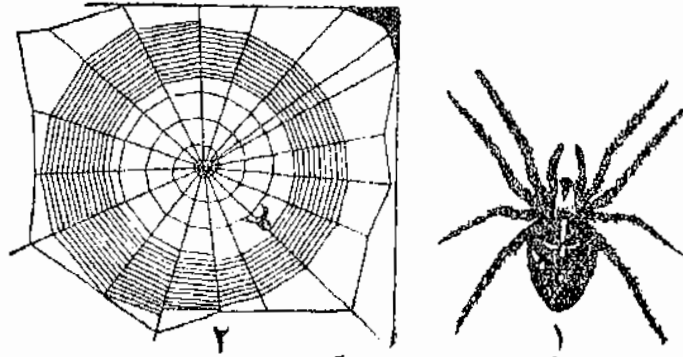
(شكل ١٢ - صورة بقرة النمل المسمى « أفيز »)



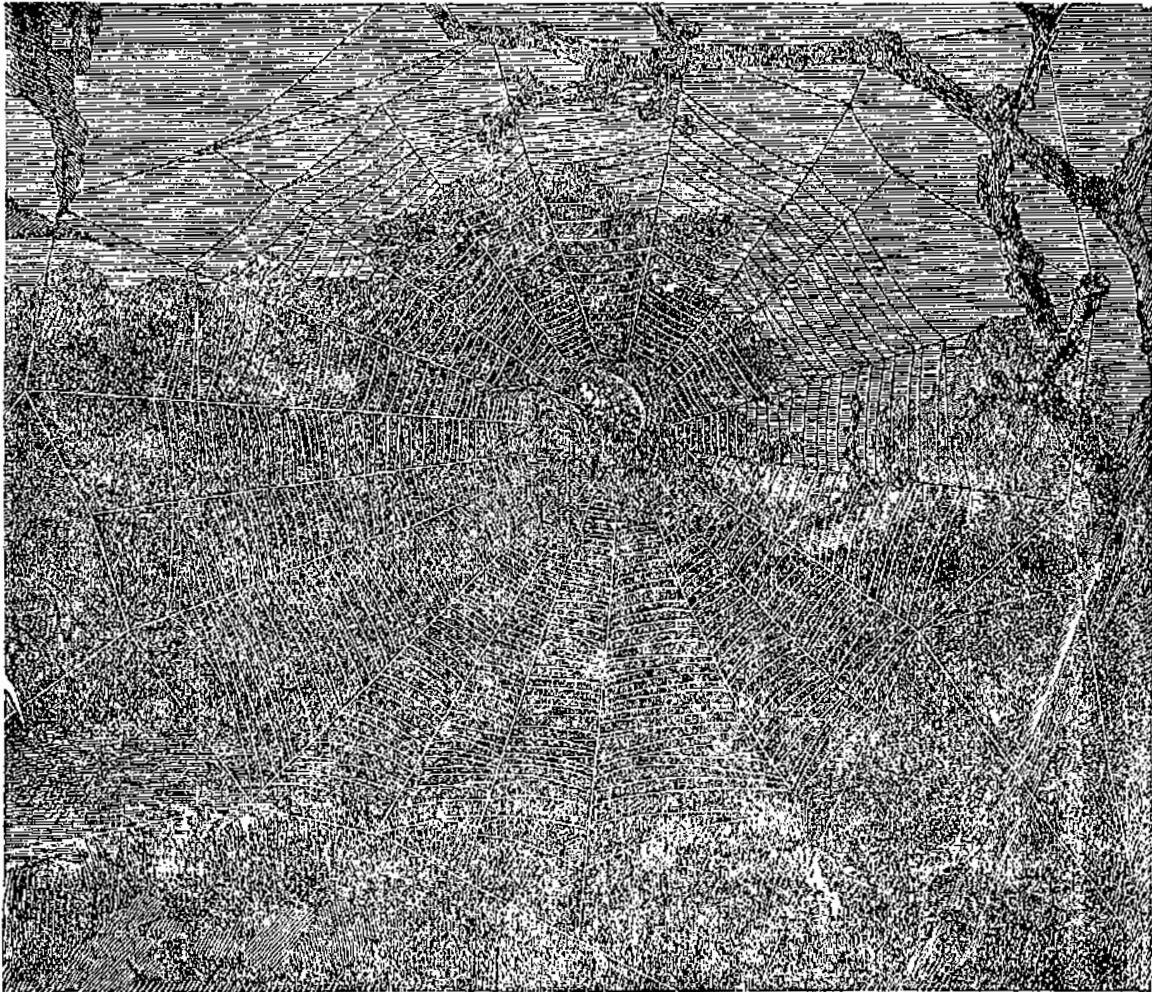
(شكل ١٣ - صورة مخالب العنكبوت)



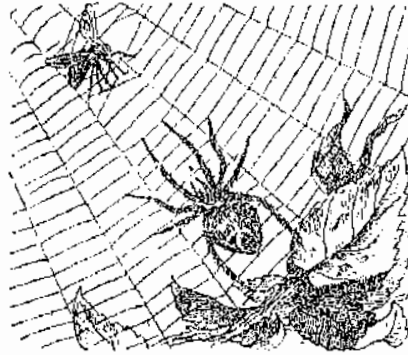
(شكل ١٤ - صورة اجتماع الحيط)



(شكل ١٥ - صورة عنكبوت الحديقة وبينها)



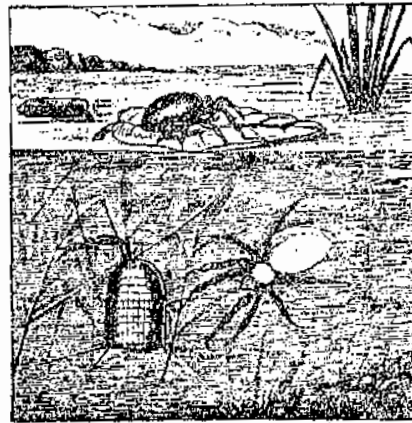
(شكل ١٦ - صورة أكبريات للعنكبوت)



(شكل ١٧ - صورة عنكبوت الخديقة صائدة)



(شكل ١٨ - صورة عنكبوت المنازل)



(شكل ١٩ - صورة العنكبوت المائى)

فلما اطلع صاحبي على هذه الأشكال سرَّ غاية السرور وانشرح صدره وقال لقد قت بما وجب عليك وهذا أصلح ما وقع في كتبك من الخطأ فانك ذكرت عن المتقدمين أن ريق العنكبوت اذا لامس الهواء صار خيطا فظهر الآن أن السكشاف الحديث أبان أن هناك غدة ظهرت في الشكل أخرجت لنا هذا النسيج الذي صارتارة طيارة كطيارات الناس في هذا العصر وتارة سفينة في بحر جلى وتارة تكون عشا ومنزلا وشبكة صيد فهذه القوة المرسومة أماننا منبع عجيب جدا لاسفن العنكبوتية ومنارها ومهد أولادها وشبكات صيدها وسفنها وطياراتها وقناطرها التي تعبر عليها واذا كانت هذه حال العنكبوت التي يبنيها أضعف البيوت فكيف

استعصت حال المسلمين اليوم من القوة الى الضعف فجهاوا كل شئ ونسوا نعمة ربهم في صغيرات الامور وكبارها
﴿ لطيفة ﴾

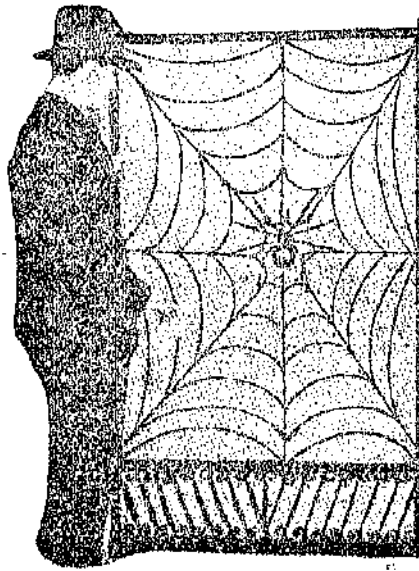
لما اطلع على هذا أحد النضلاء قال . لقد مررت على الأمم الاسلامية قرون وقرون ولم يظفروا في تعاليمهم
بأمثال هذه الصور ولكن هذا الزمان هو الذي ظهرت فيه العلوم وتقدمت الفنون فساعدت على ظهور هذا
التفسير بهيئة جديدة ولكن ليس معنى هذه الصور انها تصدنا عن المباحث العامة . فقلت سل ما بدا لك .
فقال إن الله ضرب العنكبوت مثلاً لما يعبد الكافرون من الأصنام وقرر أن أوهن البيوت بيت العنكبوت
فكيف يكون بيت العنكبوت أوهن البيوت وقد رأينا من الاتقان فيه والابداع مالا حد له ؟ فهذا عجب كيف
اجتمع نهاية الابداع مع نهاية الوهن ، إن الوهن لا يجتمع الاتقان . فقلت اذا كان بيت العنكبوت أوهن
البيوت مع انه عجب الصنع بديع الاتقان فان هذا هو المعروف في هذا العالم ، فأنت ترى فيما تقدم في آخو سورة
النمل في تفسير قوله تعالى - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - أن مقدار الماء الذي يملأ ملعقة الشاي
يحتوي على مقدار من الهيدروجين وهذا المقدار فيه كهرباء لو استخرجها العلماء في المستقبل لأصبح عندنا
منه مائة ألف كيلو من السكر بائنة وقوتها تساوي (١٣٣) ألف حصان وما هذا كله إلا من الهيدروجين الذي
في ملعقة الشاي ، ما هو الهيدروجين في تلك الملعقة ؟ إن هو إلا جزء من (٩) من الماء وذلك أن الماء مركب
من الأكسجين والادروجين والادروجين في الوزن لا يساوي أكثر من واحد من (٩) من الأكسجين
إذن تسع ملعقة الشاي هو الذي يعطينا قوة (١٣٣) ألف حصان ، فهذا الماء في الملعقة شئ لا يؤبه له فضلاً
عن جزء من تسعة من هذا المقدار . إذن الله أتقن القليل وأدهشنا من اتقانه ، واذا كان هذا عمله في القليل
فما بالك بالكثير ؟ وهذا قوله تعالى - الذي أحسن كل شئ خلقه - فالعلة لا تمنع الاتقان لأن القدرة والعلم
لا حد لهما وهذا على حد قول الشاعر

له همس لا منتهى لكبارها * وهمته الصغرى أجل من الدهر

فما قاله الشاعر في مدححه يقال هنا إن جميع البيوت في العالم سواء أكانت انسانية كبيوتنا أم كانت
للحيوان والطيروا من أقوى من بيت العنكبوت ، ألا ترى منازل الناس وأحجار الضب والغزال والذئب وأضرابها
ثم الى أعشاش الطيور التي تبنيها في الأشجار ، فهذه كلها أقوى من بيت العنكبوت ، فهكذا الأصنام وان
كانت ماثلة أمام الناس يرونها بأعينهم لا قوة ولا عمل لها ونسبة الأصنام من حيث عبادتها الى خالق العالم
الحكيم كنسبة بيت العنكبوت الى بيوت الانسان ونحوه ، فبيت العنكبوت اذا نسبناه الى بيوتنا وبيوت
حيوانا كان أوهن البيوت هكذا عبادة الأصنام يتوهم الناس أنها تنفعهم وما هي بنافعة وانما يتخيل عبادها
برهمهم نفعها لهم ، فهذا التخيل الذي لا يرى أشبه ببيت العنكبوت من حيث ضعفه لا من حيث حسن اتقانه
فهذا مقام وذلك مقام آخر بل اذا تمادينا في الفهم ونظرنا بعين الحقيقة رأينا هذه الدنيا كلها أشبه بالأصنام
بل المعبود حقيقة عند كثير من الناس انما هو الهوى ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ الناس يحبون الدنيا كاللذات والولد
حباً جاً وهذا الحب هو العبادة الحقيقية ، واذا كانت الدنيا لا ثبات لها بل هي زائلة بل ظهر كما تقدم في سورة
النور عند قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - أن قطرة الماء فيها جواهر صغيرة تكاد تصل في العتد
نجوم السماء التي عرفت في الكشف الحديث ، ومع هذا كله نرى هذا العدد لا يملأ من فراغ تلك القطرة إلا
جزءاً واحداً من مئات آلاف آلاف وبناء عليه أصبح هذا العالم عند العلماء عالماً أجوف والمادة فيه تكاد
تسكون متوهمة . إذن هذا العالم عالم الوهم فليس الحكم على المادة بأنها كبيت العنكبوت خاصة بالأصنام
بل هذا الحكم يعم المادة كلها والحياة فيها وهذا هو قوله تعالى - وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو - وقوله تعالى
وان الدار الآخرة هي الحيوان - وقوله - كل شئ هالك إلا وجهه -

وأهم ما تقدم أن يبت العنكبوت من حيث اتقانه له حكم غيره من حيث ضعفه فضرب المثل به جاء من حيث ضعفه لا من حيث اتقانه وهذا الضعف له نظير في المادّة كلها وفي الأصنام قلّ المادّة أشبه بالوهم والتخيل كما وضّح في قطرة الماء في (سورة النور) ولا جرم أن هذا الإيضاح ليس يعقله جميع الناس بل يعوزه علم وحكمة لهذا قال تعالى - لو كانوا يعلمون - وقال - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - فالجاهل يظن أن ضرب المثل بالعنكبوت أمر سهل لأنه مفهوم والعالم يدرسه دراسة نائمة ويفهم ما كتبناه فقال لقد أجبت بما شفى صدري ولكنني أريد أن أسألك سؤالاً آخر ، هل قلد الناس نسيج العنكبوت لجاله وإبداعه واتقانه وهندسته . فقلت نعم فقد جاء في مجلّة « كل شيء » مانصه (شكل ٢٠)

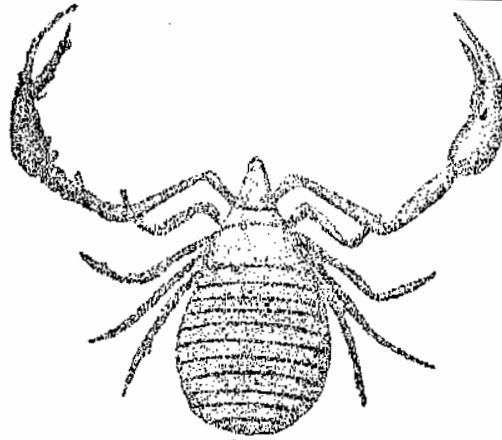
﴿ محاكاة الطبيعة ﴾



(شكل ٢٠ - باب من حديد مصنوع بهيئة نسيج العنكبوت)
« كل منا يعرف نسيج العنكبوت ويحجب به كما أننا نضرب المثل به في الضعف والوهن ولكن أحد الصناع الانجليز رأى أن يقلده فصنع باباً من الحديد بهيئة نسيج العنكبوت وعرضه حديثاً في لندن فقال اعجاب كل من رآه »

﴿ لطيفة ﴾

لقد تقدّم في (سورة الفرقان) عند قوله تعالى - وخلق كل شيء فقدره تقديراً - أن العنكبوت تأكل الذباب وهذا يحاول الجوّ للإنسان والحيوان . إذن العنكبوت نافع للزراعة لأنه آكل الحشرات ذباباً وغيره فاقراً هذا الموضوع هناك ، وإنّي أزيد المقام حكمة بما رأيت اليوم من أن العقارب التي شاركت العنكبوت في أرجلها الثمانية وفي الهيئة شاركتها أيضاً في قتل الحشرات فانظر (شكل ٢١ في الصفحة التالية)



(شكل ٢١ - صورة عقرب تأكل العث والسوس)

« هذه عقرب صغيرة تعيش بين الأوراق والكتب والأخشاب في البيوت القديمة وتقتات بالعث والسوس وسائر الحشرات التي تأكل الثياب والأفشة والأوراق لها ثمانية أرجل مثل سائر العقارب ولها كلابتان اذا قبضت بهما على الحشرة أزهدتها ، وهي تبيض نحو (٢٠) بيضة تحملها في طية من طيات بطنها حتى ينقف البيض وتخرج الصغار - إن ربي لطيف بما يشاء إنه هو العليم الحكيم - »

والى هنا انتهى القول في السؤال الأول وما ترتب عليه من الشروح في الحشرات والعنكبوت فقد اكتفيت أما جوابي لك أيها الأخ عن السؤال الثاني وهو لماذا أراك تشرح هذه الحيوانات هنا وهل هذا بوافق مساق الآية ؟ فإني أقول لك ما الذي دعاك الى هذا السؤال ؟ فقال غبرني عليك لأنني رأيت أن هذه العلوم أنت مغرم بها ومساق الآية لا يعطى ذلك ، انما مساقها لدم عباد الأصنام وأن عقولهم وقفت عند أمر ضعيف كضعف نسج العنكبوت ، ومما شك في هذا إلا كما جاء في ﴿ الاتقان في علوم القرآن ﴾ للعلامة السيوطي أن العلامة الرازي غلب عليه أقوال الفلاسفة فأكثر منها وقال أبو حيان في ﴿ البحر ﴾ جع الرازي كل شيء إلا التفسير وهكذا أبو حيان نفسه وقع فيما وقع فيه الرازي فقد غلب عليه قواعد النحو ومساائله فأكثر من ذلك كالواحد في البسيط والزجاج ، ثم إن الثعلبي غلبت عليه الأخبار ، والنفق يكد يجعل القرآن كله للفقهاء كالقرطبي ، فإني أخاف أن تفسيرك يكون بحسب ما غلب عليك واشتهر عنك في كتبك . فقلت له أما من ذكرت من الشيوخ فهم أساتذتنا ولولا هم ما علمت شيئا . وأما قولك ان تفسيرى خارج عن مساق الآية فهذا هو الذى أجيبك عنه وسأعلم أن هذا زمان ظهور الحقائق القرآنية ، فاعلم أيذك الله أن مساق الآية كما ذكرت أنت انما هو تشبيه هؤلاء الكفار من حيث انهم اتخذوا غير الله إلهًا بالعنكبوت اتخذت بيتا ، ولا جرم أن بيت العنكبوت بالنسبة لبيوتنا كعدم لوجود له ، ومما مثل العنكبوت بالنسبة للنازل في القرى والمدن أولادهم بمصر الذى يقارع الأجيال وهو باق على كراهة الوجود إلا كنسبة العدم للوجود ، واذا كان نور الشمس لما وزناه في سورة الأنعام بنور أضعف الكواكب بلغ مئات ألوف ألوف الألوف فهكذا هنا نسبة الهرم الى بيت العنكبوت أبعد وأبعد جدا ، إذن عقول هؤلاء الكافرين بعبادتهم الأصنام أصبحت نسبتها الى من يعرف الله ويدرك مصنوعاته كنسبة بيوت العنكبوت الى أهرام الجيزة بمصر ﴿ وبعبارة أوضح ﴾ ان عقول الكفار لما وقفت عند المحسوسات وانحصرت فيها وعبدت الأجسام وانحصرت وانحصرت في صور محدودة وهياكل معدودة كانت نسبتها الى عقول الأنبياء والحكماء والأولياء كنسبة بيوت العنكبوت الى أقوى الأبنية أو كنسبة أضعف كوكب الى ضوء الشمس الذى شبه به الرسول ﷺ فقليل في القرآن - وسراجا منيرا - فإذا ن تكون المسألة راجعة الى قوله تعالى في سورة أخرى - أتعبدون ما تضحون والله خلقكم وما تعملون - فأول الآية يمثل انحصار العقول وغفلتها بالوقوف على ما تحته الناس وآثرها يمثل انطلاق العقول الى باحات الجبال واشراقها بأدراك سر هذا

الوجود بتدبير الطاقة البشرية . إذن أصبح هذا التمثيل داعياً الى انطلاق العقول وعدم حبسها في أشياء خاصة بل يراد بذلك درس هذه الموجودات لمعرفة مبدعها وارتقاء العقول في هذه الدنيا ونظام المدن ، فاذن هذا المثل حوى ﴿ أمرين ﴾ - صنع الله الذي أتقن كل شيء - وصنع المخلوق الضعيف ، فصنع الله هو الذي يجب البحث فيه ووقوف العقل عند حد مخصوص هو الذي يذم ، فالنفوس التي وقفت عند عبادة الأصنام نفوس ضعيفة فأرواها أشبه بيت العنكبوت بالنسبة لأقوى الأبنية فهي لاحالة واهية ذاهبة * والدليل على ذلك أن كفار مكة لما جاء الاسلام خضعوا له طوعاً لقليتهم وكرهاً لأكثرهم فهم اتخذوا ما يشبه بيت العنكبوت فلم يحفظهم بل غلبهم المسلمون في الحرب وهكذا يوم القيامة يعذبون ، وهكذا ترى المسلمين في الأعصر المتأخرة ناموا وعكفوا وجهلوا كل شيء في الدين فعلمهم الفرنجة في السياسة وفي الحروب

والحاصل أن كل من وقفت عقولهم وجدوا فاتهم لاحالة مقهورون فلما دار على العلم في كل موطن في الدين والدنيا ، فاذا رأينا العلوم في هذا الزمان قد جعلت الناس وأبستهم وأطعمتهم فن ترك ذلك فهو كالعنكبوت اتخذت بيتاً ، واذا رأينا المسلم يقرأ في علم التوحيد كلمات جدلية ويقتصر على الفقه ويترك مواهبه وعقله وتفكيره ونعمته ربه في سمواته وأرضه وحيوانه وحشراته وعنكبوته وهوائه ومائه وهو يرى الأمم تحيط به وتعلم هذا كله ثم هو لا يفكر قلنا إن مثله كمثل العنكبوت وهو آثم لأنه ترك ما يجب عليه إما وجوباً عينياً أو وجوباً كفائياً إن هذا المثل عجيب جداً وكيف لا يكون عجيباً وهو قد ذكر بيت العنكبوت والعنكبوت فبيت العنكبوت شبه به الأصنام المعبودة والعنكبوت نفسها من صنع الله وصنع الله يطلب النظر فيه شكر الله وتوحيده له ، ومن أعجب وأبدع ما صنع الله خلق العنكبوت ، فانظر فها أنت ذا رأيت عجائبها ، رأيت مراكبها وطياراتها ومساكنها وقناطرها فكيف كان هذا الحيوان الضعيف قد أتم الله خلقه وأكمل صنعه وجعله آية للعالمين وكيف كان أعجوبة الدهر ومثال الجمال والكمال وكيف اخترق الآفاق في الهواء بصناعاته وأبدع منسوجاً خيوطه خارجات من جسمه بالإرشاد مرشدين ولا تعلم معلمين فساح في الهواء وجرى على الماء وبنى القناطر وربى النرية وطارد الخيوش الجرارة من الحشرات فاقتنصها وأراح منها زرعا اللهم اشهد

إني أسجل على المسلمين جهاهم بهذه المصنوعات التي صنعتها والمجائب التي أبدعتها والطرق التي لنا أهديتها . اللهم إنك أنت الجليل الذي أبدعت الجبال وأظهرته في هذه الحشرة التي أتقنت الصنعة وأحكمها والمسلمون لا يعلمون . اللهم إني أذكر بهذا التفسير كل من اطلع عليه أن يبين للمسلمين حكمة ربهم وصنعه ويفهمهم انه لا معنى لشكر الله ولا حب الله ولا للاهتمام بآيات الله إلا بهذه العلوم ومعرفتها

انظر كيف كان المثل مضروباً لسخافة عقول الكافرين المحصورة بخفاء فيه الأمران بيت العنكبوت ونفس العنكبوت . ولما كان النظر في أمر العنكبوت نفسها لا يخطر بالبال بل يقول الانسان إنه خارج عن الموضوع أفاد ذلك فقال - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - بكسر اللام ، فهو يقول إن العلماء هم الذين يفهمون هذه الأمثال ، ومعنى هذا أن العلماء بهذه العلوم كالحشرات مع ما ينضم إليها هم الذين يعقلون هذا المثل والافلام إذا يأتي بهذه الجلة بعدمسألة العنكبوت ، ولماذا يختص هذا المكان بأن هذا لا يعقله إلا العالمون (بكسر اللام)

اللهم إن المثل من حيث انه يراد به أن الأصنام كبيت العنكبوت واضح للصبيان والمجانز لا يحتاج الى علماء ولا حكماء ، ثم زاده إيضاحاً فقال - خلق الله السموات والأرض بالحق - وأتبعه بذكر انه آية للمؤمنين ثم تلاه بأمره بتلاوة القرآن وبالصلاة لماذا يصل لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والمفسر يمنع القلب من معرفته جمال هذه المصنوعات الإلهية وأعقبه بقوله - ولذكر الله أكبر - ومعلوم أن التفكير في الصنعة أشرف الذكر وهو الذي رمز له بالعنكبوت ونسجه

هنا تبين الأمر وظهور فكأنه يقول هذه الأصنام المعبودة تشبه بيت العنكبوت لاثبات لها والذي ينفع الناس هو النظر في السموات والأرض ويمثل ذلك كله نفس الحشرة ، فالحشرة العنكبوتية في المثل من أبدع ما خلق الله في السموات والأرض ودقة نسجها ومعجائب صيدها وقنصها واتقان الغدالتى في جسمها حتى تخرج خيوطا وغير ذلك دال على جلال الصانع وحكمته ، فالمثل فيه ضعف الصنعة واتقانها ، ضعفها من حيث مقارنتها ببيت الناس واتقانها وقوتها من حيث نظام الله العام ، ولا جرم أن هذا لا يعقله إلا العلماء والجهلاء يكتفون بظواهر القول

الله أكبر ، الله أكبر ، جلّ العلم الذى أروانا أن هذه الحشرة خلقت لتأكل الحشرات الضارة بزرعنا وهى تكون نموذجاً لما يفعل الله في الأمم ، إن الأمم التى تقلّ فائدتها في الوجود وإن كثرت سلاحها وصحت أجسامها لا بد من سقوطها كدولة الرومان وكدولة الأندلس الإسلامية التى غاب عنها عقلها وعلمها وعشقت الشهر وحده وكان الرومان قد شرهوا وقتلهم الترف والبطنة فأخذتهم الأمم وإن كانت عندهم الأسلحة وافرة وهانحن أولاء نرى الأمة العربية كيف فتحت مصر بألاف تعدت على الأصابع مع قلة العدد والعدد وقد كان في مصر مائة ألف من الجند الرومانى فضلا عن جنود القبط بمصر مع وفرة العدد ، إن الله جعل الأمم التى يقلّ نفعها أشبه بالذباب فهى مهما كثرت جيوشها وعددها مقهورة مصروعة مخدولة بأمر أقلّ منها سلاحا كما ترى في العنكبوت الذى قات عيونه وفي الذباب الذى تعدت عيونه بألاف

فلما سمع صاحبى هذا قال الحمد لله الذى بنعمته تم الصالحات ، أما أنا الآن فاقى أعتقد أن هذا من أسرار القرآن التى كانت مخبوءة لهذا الزمان و يظهر لى أن هناك ما لا يتناهى وقد حجب عنا لقوم بعدنا ، لقد ذكرنى هذا ما فى ﴿ كتاب الاتقان ﴾ للسيوطى الذى حدثتكم عنه آنفا فانه جاء فيه ما يأتى في النوع الرابع والستين « إن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى سالم عن المعارضة وهى إما حسية وإما عقلية وأكثر معجزات بنى اسرائيل كانت حسية لقلة بصيرتهم وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لأن هذه الشريعة باقية نخصت بالمعجزة العقلية ليراها ذور البصائر كما قال ﷺ ﴿ ما من نبيّ إلا أعطى ما أمثله آمن عليه البشر وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله الىّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا ﴾ أخرجه البخارى * قيل ان معناه أن معجزات الأنبياء انقضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها إلا من حضرها ومعجزة القرآن مستمرة الى يوم القيامة وخرقه العادة في أسلوبه وبلاغته وأخباره بالمعجزات فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شئ مما أخبر به أنه سيكون يدل على صحة دعواه » انتهى من كتاب الاتقان

قل صاحبى بعد أن قصّ ما تقدم ، فأنا أرى أن ما ذكره أنت في التفسير من الذى لم يظهر إلا في العصر الحاضر ، كيف لا ونحن نرى أن مثل العنكبوت ما كان ليحتمل هذا كله ويدخل في أبواب العلوم والزراعة والسياسة وفوق ذلك . يستبين في هذا التفسير أن المثل مقصود به ذلك بدليل انه قال - وما يعقلها إلا العالمون - بكسر اللام وهذا بلا شك يفيدنا أن ما ذكرته أنت من العلم في تفسير الآية كله مقصود القرآن ، فقلت الحمد لله الذى بنعمته تم الصالحات اهـ

﴿ اللطيفة الثانية في قوله تعالى - إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر - ﴾

قد مرّ الكلام عليها في (سورة البقرة) عند قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى - ولكن أذكر هنا جوهره وهى

﴿ جوهره في قوله تعالى - وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر - وفي حكم

خطرت لى في الصلاة صباحا يوم السبت ، ٢٠ يوليو سنة ١٩٢٩ ﴾

إن هيئة الصلاة في ديننا الإسلامى موافقة أئمة موافقة لهذه الدنيا فاننا نرى ليلا ونهارا وشرقا وغربا

فاذا كان النهار سعى الناس لمعاشهم وترددوا في مهامهم ، واذا كان الليل استراحت أجسامهم وسكنت حركاتهم فهكذا في الصلاة يقول المصلي - إياك نعبد وإياك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم - الخ إذن المصلي بعد ويستغث بربه في كل شيء فهكذا أشبه به أثناء النهار وهكذا يقول ﴿ رب اغفر لي وارحمني الخ ﴾ وذلك بين السجدين فهو في هاتين الحالتين عامل كعامل الناس نهارا وليلتك تسمعه يقول في الرفع والاعتدال ﴿ اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا أراد لما قضيته ، ولا ينفق ذا الجدة منك الجدة ﴾ ويقول في الركوع ﴿ خشع لك سمعي وبصري الخ ﴾ وفي السجود ﴿ سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ فهو في هاتين الحالتين مابين واصف للنظام الجليل في جسمه وساكن خاشع لاطلب له ولاعمل ، ففي الأحوال الثلاثة للمصلي قد سكن لعمل ربه في سمواته وأرضه وفي أعضاء جسمه ، إذن هو مستغرق في ذلك الجلال فهو يلاحظ الفاعل في فعله فان رفع رأسه من الركوع تذكر النعم العامة في السموات والأرض فنطق بالجد عليها وقال ﴿ لك الحمد ملء السموات وملء الأرض الخ ﴾ وليس ينطق بهذا إلا بعد أن بهره جماله فلم يبق بعد ذلك إلا أن يغيب عن شهود نفسه ويشهد صانع هذه العوالم فيقول ﴿ لا مانع لما أعطيت الخ ﴾ ذلك لأنني لما رأيت أن جسمي ماهو إلا ذرة من السموات والأرض ونعمك قد شملتنيما سكنت اليك لأنك تربني في الدنيا تربية ألهمت المرأة نظيرها في تربية ولدها والاستاذ كذلك في تعليم تلميذه فبينما المرأة تعلم ولدها الجلوس تارة والقيام أخرى اذا هي تلقمه ثديها تارة وتنيمة في المهدة أخرى . وهكذا الاستاذ بينما هو يعطي التلميذ دروسه ويلقنها له من تلقاء نفسه اذا به يقول له فسكرفيا لفتك واكتب عليه موضوعا انشائيا . إن نظام الله واحد نهار وليل وحركات الطفل بتعليم أمه ثم انامته وراحته وعمل التلميذ بنفسه في التعلم ثم إلقاء المعلم له الدرس وعقب الدرس هكذا في الصلاة تسليم لله في الرفع والاعتدال ودش من نظام السموات والأرض وهكذا تعجب من نظام الجسم في الركوع والسجود واستغرق في ذلك الجلال ثم الاجتهاد في العبادة وطلب الهداية وطلب المغفرة والرحمة في حالي القيام وفي الجلوس بين السجدين وملخص هذا كله أن هذه التربية في الصلاة موافقة كل الموافقة لنظام هذا العالم ولنظام التعليم في مدارس العالم قاطبة فربية الانسان في صلاته كالترية المدرسية ، فليجعل المسلمون الدروس منتظمة وقتا للجد ووقتا للراحة كما تفعل الأمم وكما يفعل المصلي إذ يستغرق تارة في جلال الله وتارة يفكر بنفسه ويطلب منه الاعانة ، فاذا وجدنا رجلا ترك العمل وقال اني مستغرق في حب الله وجب تأديبه لأن هذا ينافي التربية ، واذا وجدنا آخر لا يفكر في نظام هذه الدنيا وجمال خالقها بل أصبح مكبا على عمله قلنا له قد أخطأت ان هنا ليلا وان هنا نهارا وأنت جعلت حياتك كلها نهارا وقد خالفت نظام الصلاة الذي يجعلك تارة مستغرقا في نظام السموات والأرض ونظام جسمك ، وآونة تستفيق فتطلب المعونة والهداية تارة والمغفرة تارة أخرى ، وهذه نفسها حال رسول الله ﷺ ونظام القرآن ، فكان ﷺ يعمل جميع الأعمال ويكمل نتائج العمل لله ، هكذا فليفكر المسلمون وليجدوا في أعمالهم على شريطة ألا يذروا عاها ولا نظاما ولا كمالا إلا أتقنوه ثم يطمثون لما تجرى به المقادير ، وهذا هو التوكل بعينه عمل تام واطمئنان قلب لسكل ما تأتي به المقادير انتهى والحمد لله رب العالمين

﴿ ابضاح الكلام على الصلاة وانها تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾

اعلم أن العلم الذي ينزله الله على القلوب كالماء الذي ينزل من السماء على الأرض فكما أن الماء لا تظهر أنواع تصرفاته ولا فنون أعاجيبه إلا باختلاطه بأجسام النبات والحيوان ونحوهما ، فهكذا الوحي الحق الذي ينزل على الأنبياء لا تظهر فنون أعاجيبه ولا صنوف حكمه إلا بأن تناوله عقول العقلاء وتفكر في معانيه . إذن تظهر أعاجيبه وتبتهج بها القلوب . ومسألة الصلاة في الآية وانها تنهى عن الفحشاء والمنكر يعوزها البحث والتنقيب في آراء حكماء الأمم المختلفة من اليونانيين والاوروبيين وحكماء الهند وحكماء الاسلام . فاذا درسنا

ماقاله هؤلاء في هذا الموضوع استخرجنا منها خلاصة انتفعنا بها في فهم هذه الآية . ومتى تم ذلك لنا أدركنا سرّ نهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر لأن القرآن آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم . وعليه تكون آراء الفلاسفة في جميع الأمم أشبه بتفسير للقرآن لأنه آيات بينات في صدورهم . وعليه يجب على المسلمين أن يفوقوا الأمم في الفلسفة حتى يظهر سرّ هذا الدين الذي لا تظهر غمركه حتى ظهورها إلا بدراسة علوم الأمم المعبر عنها بالآيات البينات في صدور الذين أوتوا العلم واذن فلنبدا بدراسة حكماء اليونان فنقول . اقرأ ماتقدم في (سورة الشعراء) عند قوله تعالى - وإذا مرضت فهو يشفين - إذ ذكرت هناك عن طماوس الحكيم أمراض البدن وأمراض النفس وأن الثانية تابعة للأولى وأن أمراض النفس (ثلاثة أقسام) فمنها ما يتبع إفراط اللذة وما يتبع إفراط الألم وما يتبع إفراط الأخلاط كالحرارة والبارغ لأنها تعطل سريان النفس في البدن فيكون ذلك سببا للتهور والجبن وجود القريحة والنسيان وهكذا

وملخص كلامه أن الشر غير اختياري وله (علتان) فساد المزاج وسوء التأديب ولا سبيل للخروج من هذه المازق إلا بحفظ النفس والبدن معا وذلك برياضتهما معا ورياضة البدن بالحركات البدنية ورياضة النفس بالموسيقى . هذا ملخصه فاقرأ هناك

وإذ أشرت إلى آراء علماء اليونان فلا تتبعه بآراء علماء أوروبا وهو ماتقدم في (سورة البقرة) عند قوله تعالى - ولا تقر بوهن حتى يظهرن - وهذا نص ما ذكره العلامة (بن تميم) الانجليزى في أصول الشرائع (ان هناك علاقة بين نظافة الجسم واعتدال الملكات النفسية وهذا الارتباط لاحظته كثير من المؤلفين فان النظافة تبع الكسل وتحمل المرء على التحرز في أفعاله والتمسك بالوقار في أطواره والرابطة بين نظافة الجسم وطهارة النفس شديدة جدا حتى إن شرائع المسلمين حثت عليها حثا كبيرا وجعلتها من الواجبات الأولية وقد ذكر في نفس كتابه أن هذا من محاسن الدين الاسلامي وقد رتب على هذا (أمرين) وجوب نظافة المسجونين وجوب وضعهم في عمل من الأعمال لأن المذنبين عنده هم القنرون أجساما الذين لا عمل لهم ، ففى نظفوا وعملوا قلت جرائمهم . انتهى ما نقلته عن بن تميم الانجليزى

وأما ماقاله علماء الهند فذلك انى قرأت في كتاب (راجا يوقا) المترجم من الهندية الى الانجليزية سنة ١٨٩٥ وسنة ١٨٩٦ أن الانسان يجب عليه أن تكون له رياضة خيالية بحيث يتذكر في كثير من الأوقات الصور الجيلة التي لا تثير شهوة يريد بذلك الأزهار والكواكب وجمال الابداع والنظام وأن ذلك يقوى النفس ويرقيها . وأما ماقاله علماء الاسلام فهو ما ذكره العلامة ابن سينا في أواخر كتاب الاشارات أن الذى يرقى بالنفس الى معاليها الصوت اللطيف والعشق العفيف والعبادة مع الفكر ، ومعنى العشق العفيف عشق الصفات والكمال والأخلاق لعشق الصور . هذا ما أردت نقله لأشرحه فأقول

تبين من هذه الأقوال أن هذه النفس مع الجسم لا يتركان سدى ، ذلك انهما تتجا من عوالم كلها متحركة فاللائكة المحركات للعوالم العالوية لا تفر لحظة والسموات المرسلات أنوارها لاتنام والعالم كله حركة ونظام ، فهنا نفس وهنا جسم يطلبان كمالهما ، فأولا لابد من النظافة كما قال (بن تميم) وهذه النظافة قد أصبحت ركنا في تربية الأمم وتعليم المسجونين لتدفع عنهم الكسل وسوء الخلق وبها تقل الجرائم والذنوب وهذا السر ظهر في قوله تعالى - إن الله يحب المتطهرين - لأن بين التوبة والطهارة علاقة متينة كما تقدم ، ثم إن الصلاة أقوال وأفعال مفتوحة بالتكبير مختتمة بالتسليم وهذه الأفعال حركات وهذه الأقوال دالة على معان . فهنا رياضتان لطيفتان رياضة جسمية ورياضة عقلية . وإذا وضعت قول ابن سينا مع قول طماوس الحكيم نتج لنا أن رياضة النفس لا تقتصر على الموسيقى كما قاله طماوس بل تشمل الفكر الذى تحويه العبادة كما قاله ابن سينا وتشمل الصور البهجة السماوية كما قاله علماء الهند وعليه تكون الصلاة مبدءا

﴿لأمرين﴾ رياضة البدن ورياضة النفس فشكل منهما لا بد له من حركات والصلاة اشتملت على مبادئهما فإذا أتم المسلم الصلاة فليتمهم رياضة الجسم بكسب المعاش أو فليمش نحو ساعتين كل يوم كما يقول الأطباء في زماننا . فإذا كان الطبيب يأمرنا بالمشي الذي لا تعقل فيه فهذه هي هذه الصلاة اجتمع فيها حركة الفكر وحركة الجسم وهذا أفضل . ألا ترى إلى ما يقوله علماء الطب وقد تقدم في هذا التفسير أن التمارين الجسمية والألعاب الرياضية التي شاعت في الأمم الآن أدنى مراتب الرياضة البدنية لأنها لا فسر معها . فأما العمل في البساتين والحقول فإنه أعظم الرياضات ويليه المشي وأسفل الجميع تلك الألعاب

إذن ظهر أن الصلاة أعطتنا ﴿درسين﴾ درس رياضة الجسم ودرس رياضة النفس ومتى انتظم هذان الأمران أصبح الإنسان قليل الذنوب قليل الشرور فإن الشرور لا تنجم إلا من قذر الأجسام والطهارة في الصلاة تمنع ذلك ومن عدم الرياضة البدنية والرياضة النفسية كما قاله طيماوس وهاتان الرياضتان اشتملت عليهما الصلاة بحركات الجسم وحركات النفس إذ يقف المصلي فيفكر في السموات والأرض حين يقرأ - وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض - الخ فهنا تحضر في نفسه تلك العوالم الجميلة فتقوى روحه وتشرح صدره وهكذا يفكر في العوالم العلية والسفلية عند آية - الحمد لله رب العالمين - ويتعجب من الرحمة الواسعة عند قوله - الرحمن الرحيم - وهذه الرحمة لا حد لها في كل حشرة وطير وأنعام . وهكذا يفكر في خلق جسمه وأعضائه وسمعه وبصره عند الذكر في الركوع والسجود إذ يقول ﴿خشع لك سمعي وبصري الخ﴾ ويقول ﴿سجد وجهي للخالق﴾ فإذا أتم المسلم صلاته اتجه للأعمال في حياته الدنيوية فتكون على منوال ما في الصلاة وتنصرف نفسه للعمل الجسمي والعمل العقلي وهنالك تنصرف عن الشر إلى الخير

﴿بهجة هذا المقال﴾

اعلم أن أفلاطون في جمهوريته يقول ﴿إن حكام الجمهورية لا يكونون عادلين إلا إذا انفتحت عيون بصائرهم ولا يتم ذلك إلا بعشق العلوم والمعارف لأن النفوس مفرمة بالشهوات البدنية أولاً وبالذات كالطعام والملابس والمشارب والشهوات الغضبية كالفتك بالأعداء ، فهاتان القوتان هما المسيطرتان على نفوس الناس فإذا لم يفتح للحكام باب اللذة العقلية بعشق العلوم فانهم لا محالة ينصرفون إلى اللذتين السابقتين فيشاركون المحكومين لهم في أعراضهم وأموالهم ، ولا يخرج للحكام من ذلك الظلم إلا بتلك الخلة الشريفة﴾ هذا ملخص كلامه في جمهوريته

وأنا أقول ﴿إن ملخص الصلاة مفتاح لجميع العلوم فاقراء فيما كتبنا في (سورة آل عمران) فإن المسلم في الرفع والاعتدال يذكر السموات فيقول «ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما الخ» وعند الركوع والسجود يفكر في أمر جسمه وتشريحه . فإذا كان المسلم في كل يوم يتذكر هذه العوالم فليس لهذا معنى إلا حب البحث فيها وهذا هو الذي يخرج نفسه من حبس الشهواتين إلى حب العلم وهو صفة القوة العاقلة كما يقوله أفلاطون الله أكبر . ظهر سر هذه الآية الآن . فالنظافة تمنع الذنوب وأذكر الصلاة تفتح أبواب العلم المانعة من الشهوة والغضب وهكذا ، فظهر إذن قوله تعالى - إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر - أي بنظافتها وحركاتها الجسمية وحركاتها العقلية

﴿تطبيق على ما تقدم﴾

(سبب اسلام الاستاذ عبد الله كويلم الانجليزى)

لقد كان لإسلامه تاريخ وضعه هو في كتاب وقد ذكر لي بعض الأصحاب ملخص ذلك الكتاب . قال «لقد اعتراني مرض فعرضت نفسي على الأطباء فقالوا لي لا بد من أنك تسافر إلى أقطار حارة كبلاد الجزائر فتوجه إليها وخالط أهلها فوجدتهم يتوضؤون ويصاؤون فسألهم ما هذا ؟ فقالوا هذا أمر واجب شرعا فترك العاتية

وأخذ يسأل العلماء عما يفعل المسلمون فعلموه قواعد الدين الاسلامي فدهش وقال يا عجبا ، إن هذا الوضوء خمس مرات في اليوم إنما هو نصف اغتسال لأنه غسل أطراف الجسم ولم يبق من الانسان الا غسل إلا الجذع هنالك أخذ يدرس هذا الدين وقال ان هذه النفاقة هي الصفة بعينها وسلامة الجسم بعينه والأطباء يجعّلون هذا أول علامة على قوة الأجسام وسلامة العقول ، وما كاد يرجع الى بلاده حتى أخبر زوجته وأفهمها حقيقة الاسلام و بين لها فوائد الاغتسال والوضوء والصلاة والزكاة والصوم والحج وقال ان هذا صالح لرفق الانسانية فجاء فأسمعت معه ، ثم قال لها لتعرض هذا الرأي على فلان وفلانة من أصحابهما فعرضه عليهما فقبلا وهكذا اجتمع له من أصحابه طائفة وأعلنوا اسلامهم ، فلما سمع بهم الجيران سطا عليهم الغوغاء وصاروا يقذفونهم بالحجارة ويعبرونهم بأنهم مسلمون ، ولما كان هو من رجال القانون المشهورين رفع دعوى على الملكة فكتوريا يقول فيها أنت ملكة انكلترا ، فهل ملكك خاص بالنصارى أم هو شامل لأهل جميع الأديان ؟ فما كادت الدعوى ترفع في المحكمة ويصل الخبر الى الحكومة حتى بادرت الشرطة خافظوا عليه وعلى أصحابه ومنعوا الغوغاء عنهم »

ثم قال « و بعد ذلك سمع بنا أم الاسلام فأخذوا يرموننا بالنفاق والرياء وانما أسلمنا لنففس المسلمين باسلامنا فندخلهم تحت حكم دولتنا ، قال فقلنا لهم ، أيها المسلمون . نحن لم ندخلكم تحت حكمنا بنفاقنا بل حكمنا كم مدافعنا وجيوشنا »

هذا ما عرفته من ملخص سيرة الاستاذ (عبد الله كويلم) الذي يعتبره الناس شيخ الاسلام في بلاد الانجليز وقد كان اسلامه قبل اسلام صديقنا (اللورد هيدلي) الذي كان سبب اسلامه انه قرأ الاسلام والديانات فراه خيرا فأسلم ونشر اسلامه في أوروبا ودعاها الى الاسلام . وقد نقلت من كتابه قطعة في سورة مريم قد ذكر فيها أن الألمان كشفوا سنة ١٩٠٣ كتابة في بلاد العراق ملخصها أن الكشف الحديث أثبت أن الصلب وابن الله المبكر وأمثال ذلك ماهي إلا خرافات سرت للأئمة المسيحية من ديانات كانت في العراق وهكذا فاقرأه هناك والحمد لله رب العالمين . انتهى صباح يوم الأحد ٢١ يوليو سنة ١٩٢٩

(الصلاة اليوم في بلاد الاسلام)

لأقص اليوم أيها الذكي عليك قصص ما علمته من الصلاة في بلاد الاسلام وسأجعل ذلك فصلا وهاك بيانها

- (١) فأولا أذكر مدار من الحديث بيني وبين التلاميذ بالمدرسة الخديوية
- (٢) أذكر ما كتبه كاتب انجليزى أيام النهضة المصرية ومطالبة البلاد المصرية بالدستور أيام الخديوى السابق عباس حلمي باشا

(٣) وحكاية معلم ولّى عهد البلاد المصرية أيام كانت تحت حكم الخديويين

(٤) وما قصه على أستاذى الشيخ حسن الطويل

(٥) حديث عن أهل سيلان

(٦) وما ذكره (هنرى الفرنسى)

(٧) وصدق العلم في الجامع الأزهر ومخالفة العادات في بلادنا لهذا الدين

(٨) وطريقة الوهابية ببلاد نجد والحجاز

الفصل الأول في ذكر مدار من الحديث عن الصلاة بيني وبين تلاميذ المدرسة الخديوية وأنا مدرّس لهم)
ذلك أنى يوما ما سمعت أن وزير المعارف جمع المدرسين وأخذ يكلمهم في أمور عامة علمية فتصادف أن أحد المدرسين قام ليصلى المغرب إذ كان وقت صلاة المغرب فقال ما هذا ؟ أريد أيها الاستاذ أن تظهر أنك أنت

المتدين ونحن لادين لنا ، ما هذا ؟ ولماذا لا تؤخرها . وقال في مجلس آخر « إن الصالحين في الاسلام يسهرون الليل ليصاوموا وهو مخالف للصحة » فلما سمعت هذا القول خطرتلى أن أحداث التلاميذ في هذا الموضوع فقلت « أيها الأبناء اننا اليوم أرقى من قبلنا فالحمد لله الذي رفع عنا الاصر وأزال عنا الضر فأصبحنا بفضل المدينة الحاضرة أعلى كهبا في المدينة وأعز ناصرا وأكثر عددا ومالا وولدا ، كيف لا ونحن نحافظ على صحتنا وننام طول الليل كما يقتضيه علم الصحة ، أما تلك الطائفة القديمة من أمم الاسلام فانهم كانوا لا يحافظون على صحتهم ويسهرون طول الليل تعبدا وبأكون ما خشن من الطعام ولا يسعدون سعادتنا التي نلناها على يد الاوروبيين المتمدينين أولئك الذين فتحوا لنا المطاعم والمشارب وأنواع اللذات فأكلنا وشربنا وتمتعنا بكل لذة وأصبح النابغون وغير النابغين في بلادنا يكرعون الجرنهارا جهارا وهم في فرح وسرور ولا ينهي أحد أحدا ولا ينجبل الشارب ولا الزاني ولا غيرهما ، كل ذلك للحرية الواسعة النطاق بفضل هذه المدنية المباركة »

كل هذا وهم سكوت كأنما على رؤسهم الطير ، ثم قلت واسكن عندي مسألة واحدة وهي كيف نكون نحن على هذا المقام من العظمة والأبهة ونرى اننا عبيد لكل الأمم فان جميع أوروا بها امتيازات عندنا ومن قتل منا لاديه له لأن محاكمهم هي التي تحكم ولا راد لحكمها لضعفنا وقوة تلك الأمم ، أما هؤلاء فقد حكموا أكثر تلك الأمم وهابها الجميع . أما أنا الآن فاني متحير في المسألة . أما الرقي فنحن والحمد لله راقون وأما الذل فهو نصيبنا والعز نصيبهم . ههنا يا أبنائي حار فكري . نحن لا نتقيد بقيد من شرع ولادين ثم نذل وهم لا يتمتعون مثلنا ولكنهم أعزاء فما قولكم ؟ فقام شاب فيهم يسمى (بهنساوي) فقال إنك قد فتحت هذا الباب وقد أثرت في نفوسنا تأثيرا عظيما ولكن هل تظن أن مجلسا واحدا كهذا يغير أخلاقا وعادات ورتناها عن الآباء والأمهات والمدرسين ونظار المدارس . نحن تعلمنا في الابتدائي ولا صلاة هناك ثم تعلمنا في التجهيزي الآن وهانحن أولاء معك ولا صلاة أيضا . وكيف نصلي والصلاة عندنا عار . إن التلميذ الذي يصلي يسخر منه اخوانه ألا وان النساء في المنازل يفعلن ما نفعل تماما . فالمرأة المصلية يعدونها أقلهن كالا وشرفا لانتسابها للدين هنالك نظر اليه التلاميذ جميعا نظرا الشز ورددوا عليه وقالوا اسكت لقد كذبت في قولك . فقال لهم وهل تظنون أن الاستاذ لا يعلم ذلك ؟ ألم يرهو المصلي هنا وقت الظهر لا يصلي فيها عدد الأصابع من التلاميذ والمدرسة فيها مئات ومئات . فقلت دعوه فقد نطق بالواقع ومقاله هو الذي أعرفه في بلادي

هذا ماجرى بيني وبين التلاميذ بالمدرسة الخديوية في حصة يسمونها المحادثة (أو الانشاء الشفهية) الذي يذكر الاستاذ موضوعا يجعله حديثا بينه وبينهم . وبهذا تعرف أيها الذكي حال بلادنا المصرية في هذا الزمان ولقد كان هذا قبل كتابة هذه الأسطر بنحو (١٤) سنة . أما الآن فقد تحولت الحال قليلا حتى ان الشبان جعلوا لهم ناديا سموه « جمعية الشبان المسلمين » وانتشرت هذه الفكرة من مصر الى بلاد الاسلام وأنا والحمد لله صليت معهم وقد أصبح رقيبها بمصر من أحد تلاميذى بالمدرسة الخديوية . ومن عجب انه موقن بالاسلام ومحب للصالح ويصلي بالليل والناس نيام وله حكم عجيبة واسمه (يحيى الدردير) وقد مكث في ألمانيا (١٢) سنة يكرع من موارد العلم ورجع مغرما بالاسلام غراما لاحد له . انتهى الفصل الأول

﴿ الفصل الثاني فيما كتبه كاتب انجليزى أيام مطالبة بلادنا المصرية بالدستور ﴾

ذلك أن البلاد من أقصاها الى أقصاها في أول القرن العشرين تحركت لطلب الحرية الداخلية وأخذت الجرائد في انكثار تنقل عن جرائدنا ما يقوله المصريون فكتب كاتب انجليزى يقول « لا يصح للانجليز أن يخرجوا من مصر إلا اذا أصبح الخاصة والسياسيون وأهل الرأي في البلاد في الأخلاق والعواطف كالفلاحين انى جبت هذه البلاد فرأيت طبقة الفلاحين والجهلاء والخدم عندهم عطف على الأرحام والمساكين وذوى الحاجة وبوقنون بالعقيدة ويخافون ربهم ، أما هذه الطبقة المتعلمة بمصر فانها تذر الدين وتتركه والتلاميذ

دائماً يقادون أساتذتهم والأساتذة ﴿ قسبان ﴾ قسم من شيوخ دارالعلوم ، وقسم من متعلمي المدارس الأخرى أما الشيوخ فانهم حين يلقون الدرس الديني لا يلتفت اليهم التلاميذ لأنهم يرون ناظر المدرسة لا يبالى بهذه الامور والعبادات ويضرب بها عرض الحائط وهو لها من الكارهين فكيف نسلم البلاد لأقوام لا خلق لهم ولا كمال « أقول وهذا مغالطة فان هذا التحول عن الفضائل انما جاء لمجاراتهم واتباع نصائحهم وكيف يصلى الوزير أو الأمير أمام حاكم اذا رآه كذلك حقره وأضرمرله سوء طول الحياة . انتهى الفصل الثاني

﴿ الفصل الثالث فى ذكر ماقصه على والد أحد المعلمين لولى عهد الخديوى عباس ﴾

قال إن ولدى قد اختاره الخديوى مريباً لولى العهد وقد قصّ على حديثاً فقال « كنت يوماً جالساً مع فيلسوف بوذى عند ناظر مدرسة فرنسي فقدم لنا ذلك الفرنسي القهوة فلم أشرب فسأني ناظر المدرسة قائلاً لماذا ؟ فقلت لأنى صائم . فقال وهل أتم لا تزالون خاضعين لهذه الأوهام . أى صيام وأى صلاة . دعوا هذه الأوهام ليرتقى الشرق والشرقيون وما أضّر أهل الشرق إلا الأديان ومثلك راق مهذب فعليك أن تنصح أهل بلادك بهذه الترهات وانظروا الى أوروبا تركت الدين فلكم رقاب العالمين . فلما أراد القيام قال له الفيلسوف البوذى قابلى ياسيد أفندى يوم الأحد عند كنيسة كندا . فلما قابله يوم الأحد دخل الكنيسة فرأى قوما يصلون وبقياً هناك نحو ساعة فلما خرجا معا قال له الفيلسوف البوذى قد لاحظت هنا شيئاً فقال من أى وجه قال ألم تر ناظر المدرسة يصلى مع المصلين فقال إى وربى إنه لحق فقال أليس هو القائل لك دعوا هذه الخرافات فقال السيد أفندى له نعم فقال أتدري لم قال لك ذلك قال من فك أحلى فقال إن هؤلاء القوم يريدون أن يذموا لنا أديان الشرق لتركها ومنى تركناها انحلت قوانا وذهبت رابطتنا وحينئذ يحتلون بلادنا فهؤلاء القوم عقدوا الخناصر على هذا فهم له أبداً ساعون . انتهى الفصل الثالث

﴿ الفصل الرابع فيما قصه على أستاذى الشيخ حسن الطويل فى هذا المقام ﴾

وقبل أن أذكر حديثه رحمه الله تعالى أقدم مقدمة فأقول إن البلاد المصرية قد حكمها المرحوم محمد على باشا ولم يكن فى البلاد أكثر من ثلاث ملايين وهؤلاء كانوا يصلون ويصومون وكانت المدارس كلها أستاذاً أو تلميذاً قائمين بشعائر الدين فى بلادنا وفى أوروبا وأمكنته بهذا العدد القليل أن يملك بلاد الحجاز ونجد وأكثر بلاد العرب وهكذا بلاد السودان وزحف بجيوشه على بلاد الترك لولا توسط أوروبا ، فلما مات المرحوم محمد على باشا وإبراهيم ابنه ملك البلاد بعده بعض عقبه فغيروا الأوضاع وترك بعضهم الصلاة واتبعوا الشهوات فانتقلت العصبية وكان هذا تمهيداً لاحتلال الانجليز هذه البلاد . فانظروا حدثنى به أستاذى الشيخ حسن الطويل

قال رحمه الله تعالى ﴿ لقد كانوا أدخلوني فى زمرة الجند وارتقيت الى جاريش وقد كان أستاذى بالأزهر علمنى دعاء أدعوه لتفريج الكرب ، قال فلما كنت بالجيش فى الاسكندرية أخذت أقرأ هذا الدعاء وأدعو الله أن يخرجنى من زمرة هذا الجيش ، قال وكانت هناك أوامر من الخديوى أن كل من صلى أو أظهر العبادة يعاقب فلما علموا بأنى أدعو الله بهذا الدعاء أزلوني درجة وعاقبوني بأن أحل سلاحى وعنادى وأرجع من الاسكندرية الى مصر ثم رفقونى ، قال رحمه الله وقد جهل هؤلاء أن هذا الرفق هو مطلوب الدعاء الذى كنت أدعوه ﴾

أقول هذه حال الجيش وحال المصريين بعد أيام المرحوم محمد على باشا فكان ذلك توطئة لما نحن فيه الآن وقد كانت هذه الفكرة آتية لهم من أهل فرنسا إذ قالوا لهم إن الديانات تؤخر الأمم - وحق بهم ما كانوا به يستهزئون - انتهى الفصل الرابع

﴿ الفصل الخامس في حديث محمد بك عرابي نجل المرحوم أحد عرابي باشا عن أهل سيلان ﴾
لما رجع المرحوم أحد عرابي باشا إلى مصر بعد النفي وقد هرع إليه الناس يسألون عليه فأبلى ابنه ودار
الحديث بيننا على أهل سيلان فقال ﴿ إن صلاة الجماعة أمر حتم على كل مسلم والرئيس الديني هناك يتفقد
كل مسلم في صلاة الجماعة فإذا تأخر شاب عن الصلاة أحضره أكابر البلد وأنذروه أول مرة فإن عادوا
إلى الانذار فإذا كانت الثالثة حكموا عليه بالأعدام . قلت وهل ينفذ . قال نعم . قلت وماذا يفعل الانجليز ؟
قال لو دخل عند (الملكة فكتوريا) واحتجى بها لأخرجوه وقتلوه ولا يردون أمر الشرع ﴾ فهجيت وكنت
أظن أن بلادنا إذا تركت الصلاة فما هو إلا محاربة للأوربيين واذن تمثلت بقول من قال
دواؤك فيسك وما تشعر * ودواؤك منك وما تبصر

﴿ الفصل السادس فيما قرأته في كتاب « خواطر وسوانح في الاسلام » للعلامة (هنري
الفرنسي) الذي ترجمه المرحوم الاستاذ فتحى باشا زغالول ﴾

قال كنت ضابطاً على جنود من أهل الجزائر وكنا يوماً مسافرين لأعمال الدولة ، قال فيدينا الجنود راكبون
وهم يغنون غناء عربياً ويشيرون نحوى بالمحبة والاحلال في أثناء النعمات اذا أنا بالعصر قد حضرت صلاته
فخرجوا عن خيولهم ونزلوا واستقبلوا القبلة وقالوا بلسان واحد ﴿ الله أكبر ﴾ فسمعت كأن الخيل والجبال
والأودية والأنهار والرمال كلها تقول ﴿ الله أكبر ﴾ واعتراى الخيل أن أسمع قوما كهؤلاء يعظمون الله
ويقولون في أنفسهم اننى كافر بالله فكذبت أنطق وأقول لهم يا قوم أنا أيضاً أعبد الله . قال وهنالك تغيرت حالى
وأخذت أبحث في دين الاسلام وتوجهت الى المساجد فوجدت عليها نورا وبهجة وجمالاً وبسطة تشرح الصدر
فأخذت أدرس هذا الدين فراعنى جماله وبهجته ، ولولا ضيق المقام لقلت منه فصولاً نليق بالمقام ولكن عسى
أن أذكره في مقام آخر . انتهى الفصل السادس

﴿ الفصل السابع والثامن في صدق العلم في الجامع الأزهر ومخالفة العادات لحقائق الدين في
زماننا وفي طريقة الوهاية ببلاد الحجاز وبعض بلاد الاسلام ﴾

اعلم أن ماسمعه الآن عن بلاد (سيلان) له نظير في بلاد (بلوستان) فلقد قرأت في بعض الجرائد
عن سائح ألماني قال ﴿ لم أجده سعادة أوفى ، ولا عزاً أبهى ، ولا كلاً أرفع ، ولا راحة أعظم ، مما رأيته في
بلاد (بلوستان) قال فهوؤلاء يعبدون الله على مذهب الامام الشافعى ، فإذا كانت صلاة الصبح حضر الرجال
والنساء والصبيان الصلاة وأخذ الاستاذ يلقي النصح الدينية ثم اذا طلعت الشمس رجعوا وهم مستبشرون ﴾
قال ﴿ والمرأة هناك مكبة على عملها قائمة بالواجب عليها بيتها نظيف وعرضها نظيف وزوجها عفيف ولم نسمع
بالزنا في بلادهم سنين وسنين بخلافنا نحن فقد يجد الرجل منا أن ابنه يشبه جاره ولا يقدر أن ينبس بنت
شقة . وأقول ثم إن الوهايين بنجد والحجاز اليوم يقيمون الصلاة في أوقاتها وهم بالدين موقنون ، واعلم أن هذه
كلها تدرس في الجامع الأزهر الشريف ، واسكن الطالب الذى يقرأ هذا في درسه يخرج فيجد عادات بلاده
تخالفها في زماننا فلا يقدر على تغيير الأحوال فيصبح على طبع أهل بلاده ﴾

هذا ما أردت ذكره في هذا المقام تبصرة وذكرى لأولى الألباب والحمد لله رب العالمين . انتهى يوم

الخميس ٢٥ يوليو سنة ١٩٢٩

(الأحاديث النبوية في فضائل الصلاة)

جاء في كتاب « إحياء علوم الدين » للإمام العزالي مانعه

﴿ فضيلة المكتوبة ﴾

قال الله تعالى - إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوناً - وقال ﷺ ﴿ خمس صلوات كتبتن

الله على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة ﴿ وقال ﷺ ﴾ مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقى من درنه قالوا لا شيء قال ﷺ فان الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن ﴿ وقال ﷺ ﴾ إن الصلوات كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر ﴿ وقال ﷺ ﴾ بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما ﴿ وقال ﷺ ﴾ من لقي الله وهو مضيق للصلاة لم يعبا الله بشيء من حسناته ﴿ وقال ﷺ ﴾ الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين ﴿ وسئل ﷺ أي الأعمال أفضل فقال الصلاة لوقاتها * وقال ﷺ ﴾ من حافظ على الخمس بكامل طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهان يوم القيامة ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان ﴿ وقال ﷺ ﴾ مفتاح الجنة الصلاة ﴿ وقال ﷺ ﴾ ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب إليه من الصلاة ولو كان شيء أحب إليه منها لتعبد به ملائكته فمنهم راكم ومنهم ساجد ومنهم قائم وقاعد ﴿ وقال النبي ﷺ ﴾ من ترك صلاة متعمدا فقد كفر ﴿ أي قارب أن ينحط عن الإيمان بالتحلل عروته وسقوط عماده كما يقال لمن قارب البلدة أنه بلغها ودخلها * وقال ﷺ ﴾ من ترك صلاة متعمدا فقد برئ من ذمة محمد عليه السلام ﴿ وقال أبوهريرة رضي الله عنه « من توضأ فأحسن وضوءه ثم خرج عامدا إلى الصلاة فانه في صلاة ما كان يعمد إلى الصلاة وانه يكتب له بأحدى خطوتيهِ حسنة وتمحى عنه بالأخرى سيئة ، فاذا سمع أحدكم الإقامة فلا ينبغي له أن يتأخر فإن أعظمكم أجرا أبعدهم دارا ، قالوا لم يا أبا هريرة قال من أجل كثرة الخطأ » * ويروي أن أول ما ينظر فيه من عمل العبد يوم القيامة الصلاة فان وجدت تامة قبلت منه وسائر عمله وان وجدت ناقصة ردت عليه وسائر عمله * وقال ﷺ يا أبا هريرة صرأهلك بالصلاة فان الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحسب * وقال بعض العلماء مثل المصلي مثل التاجر الذي لا يحصل له الربح حتى يخلص له رأس المال وكذلك المصلي لا تقبل له نافلة حتى يؤدي الفريضة * وكان أبو بكر رضي الله عنه يقول « اذا حضرت الصلاة قوموا إلى ناركم التي أوقدتموها فاطفئوها »

﴿ فضيلة إتمام الأركان ﴾

قال ﷺ ﴿ مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى ﴾ وقال يزيد الرقاشي « كانت صلاة رسول الله ﷺ مستوية كأنها موزونة » وقال ﷺ ﴿ إن الرجلين من أتى ليقومان إلى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وان ما بين صلاتيهما ما بين السماء والأرض وأشار إلى الخشوع * وقال ﷺ ﴿ لا ينظر الله يوم القيامة إلى العبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده ﴾ وقال ﷺ ﴿ أما يخاف الذي يحول وجهه في الصلاة أن يحول الله وجهه وجه حمار ﴾ وقال ﷺ ﴿ من صلى صلاة لوقتها وأسبغ وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني ، ومن صلى لغير وقتها ولم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهي سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتني حتى اذا كانت حيث شاء الله أفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه ﴾ وقال ﷺ ﴿ أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته ﴾ * وقال ابن مسعود رضي الله عنه وسلمان رضي الله عنه « الصلاة مكيال فمن أوفى استوفى ومن طفف فقد علم ما قال الله في المطففين »

﴿ فضيلة الجماعة ﴾

قال ﷺ ﴿ صلاة الجماعة تفضل صلاة ألف ب سبع وعشرين درجة ﴾ وروي أبوهريرة أنه ﷺ فقد ناسا في بعض الصلوات فقال لقد هممت أن آمر رجلا يصلي بالناس ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فأحرق عليهم بيوتهم * وفي رواية أخرى ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فأمر بهم فتمحرق عليهم بيوتهم ثم يحزم

الخطب ولو علم أحدهم أنه يجد عظما سمينا أو صرمانين لشهدها يعني صلاة العشاء * وقال عثمان رضي الله عنه مرفوعا ﴿ من شهد العشاء فكأنما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكأنما قام ليلة ﴾ وقال عليه السلام ﴿ من صلى صلاة في جماعة فقد ملأ نحره عبادة ﴾ * وقال سعيد بن المسيب ما أذن مؤذن منذ عشرين سنة إلا وأنا في المسجد * وقال محمد بن واسع ﴿ ما أشتهى من الدنيا إلا ثلاثة ، أنا إن تهوَّجت قومي ، وقوتا من الرزق عفووا بغير تبعة ، وصلاة في جماعة يرفع عنى سهوها ويكتب لي فضلها ﴾ * وروى أن أبا عبيدة بن الجراح أمّ قوما مرة فلما انصرف قال مازال الشيطان بي آنفا حتى أريت أن لي فضلا على غيره لأؤم أبدا * وقال الحسن ﴿ لاتصلوا خلف رجل لا يختلف إلى العلماء ﴾ وقال النخعي ﴿ مثل الذي يؤم الناس بغير علم مثل الذي يكيل الماء في البحر لا يدري زيادته من نقصانه ﴾ وقال حاتم الأصم « فأنني الصلاة في الجماعة فعزّاني أبو اسحق البخاري وحده ولومات لي ولد لعزّاني أكثر من عشرة آلاف لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا » وقال ابن عباس رضي الله عنهما « من سمع المنادي فلم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به خير » وقال أبو هريرة رضي الله عنه « لأن تملأ أذن ابن آدم رصاصا مذايا خيرا من أن يسمع النداء ثم لا يجيب » * وروى أن ميمون بن مهران أتى المسجد فقيل له إن الناس قد انصرفوا فقال - إنا لله وإنا إليه راجعون - لفضل هذه الصلاة أحبّ إلى من ولاية العراق * وقال عليه السلام ﴿ من صلى أربعين يوما الصلوات في جماعة لاتقوته فيها تكبيرة الاحرام كتب الله له براءتين براءة من النفاق وبراءة من النار ﴾ ويقال انه اذا كان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالسكوك الدرّ فيقول لهم الملائكة ما كانت أعمالكم ؟ فيقولون كنا اذا سمعنا الأذان قمنا الى الطهارة لا يشغلنا غيرها ، ثم تحشر طائفة وجوههم كالأقمار فيقولون بعد السؤال كنا نتوضأ قبل الوقت ، ثم تحشر طائفة وجوههم كالشمس فيقولون كنا نسمع الأذان في المسجد * وروى أن السلف الصالح كانوا يعزّون أنفسهم ثلاثة أيام اذا فاتتهم التكبيرة الأولى ويعزّون سبعا اذا فاتتهم الجماعة

﴿ فضيلة السجود ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما تقرب العبد الى الله بشئ أفضل من سجود خفي » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحطّ عنه بها سيئة » وروى أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك وأن يرزقني مرافقتك في الجنة فقال صلى الله عليه وسلم أعني بكثرة السجود * وقيل ﴿ أقرب ما يكون العبد من الله تعالى أن يكون ساجدا ﴾ وهو معنى قوله عزّ وجل - واسجد واقترب - وقال عزّ وجل - سيماهم في وجوههم من أثر السجود - فقيل هو ما يلتصق بوجوههم من الأرض عند السجود * وقيل هو نور الخشوع فانه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الأصح * وقيل هي الفرر التي تكون في وجوههم يوم القيامة من أثر الوضوء * وقال صلى الله عليه وسلم « اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويلاه أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت أنا بالسجود فعصيت فلي النار » وروى عن عليّ بن عبد الله بن عباس أنه كان يسجد في كل يوم ألف سجدة وكانوا يسمونه السجادة * وروى أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان لا يسجد إلا على التراب ، وكان يوسف بن اسباط يقول ﴿ يامعشر الشباب بادروا بالصحة قبل المرض فابقي أحد أحسده إلا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بيني وبين ذلك ﴾ * وقال سعيد بن جبيرة ما أتى على شيء من الدنيا إلا على السجود * وقال عتبة بن مسلم ﴿ مامن خصلة في العبد أحبّ الى الله عزّ وجل من رجل يحب لقاء الله عزّ وجل ، ومامن ساعة العبد فيها أقرب الى الله عزّ وجل منه حيث يخرّ ساجدا ﴾ وقال أبو هريرة رضي الله عنه ﴿ أقرب ما يكون العبد الى الله عزّ وجل اذا سجد فأكثروا الدعاء عند ذلك ﴾

هذا نص ما جاء في ﴿الإحياء﴾ ومعلوم أن في الإحياء أحاديث ضعيفة ولكن أجاز العلماء إيراد الضعيف في فضائل الأعمال اهـ

﴿الفاتحة وعلوم الحكمة﴾

(سائكة يوم السبت ٢٧ يوليو سنة ١٩٣٩ هـ)

لم يكن ليخيل إلى يوم ما أن تصبح الفاتحة بالنسبة للقرآن وعلوم أهل الأرض أشبه بفن المقولات بالنسبة لعلوم الحكمة ولكن هذا الخطر فجأني اليوم مفاجأة بهجوم عقلي أوجب عليّ أن أشرحه فأقول
إني لأعلم أن النادر من قراء هذا التفسير يرفون المقولات لأن المقولات إنما جاءت في الفلسفة القديمة والفلسفة القديمة مهجورة بل الذين درسوها من المسلمين ينظرون للمقولات المذكورة نظراً إلى مستصعب الأمور فهي غامضة المعنى ولكنني قد شرحتها في كتابي المسمى ﴿بهجة العلوم﴾ في الفلسفة العربية وموازنتها بالعلوم الحديثة وهذا الكتاب تحت الطبع الآن ، وليس هذا المقام مقام الأطناب فيها ولكنني سأريها لك الآن بطريق سهل ثم أقفي بهدها بمقاصد الفاتحة وهناك يتجلى لك أن الفاتحة لها حظ من اسمها فهي فاتحة القرآن والعلوم وهكذا المقولات فيها ملخص علوم الحكمة باجتماع - كماء الشرق والغرب وهي الآن تدرس في جميع أنحاء أوروبا وللخواص هناك بلغاتهم المختلفة - المقولات هي كلمات عشر وتلك الكلمات العشر يرجع إليها كل علم من علوم الرياضة والطبيعة وسائر العلوم وهي الجوهر والكم والكيف والاضافة والمكان والزمان والوضع والملك والفعل والانفعال

(١) فالجوهر يشمل كل ما نراه من المادة كالإنسان والحيوان والجماد والكواكب وهكذا
(٢) والكم يشمل علوم المقادير من الحساب والهندسة والجبر والفلك وعلوم المساحة وهكذا كما أن الجوهر يشمل العلوم الطبيعية جميعها ، فعلم المعدن والنبات والحيوان وطبقات الأرض كلها ترجع للجوهر
(٣) والكيف يرجع إلى كل ما نحسه بحواسنا الخمس من الألوان والأصوات والمذوقات والمشتمومات والملموسات وهكذا كل ما نحس به في نفوسنا من الجوع والشبع والحزن والفرح والعلم والجهل والأخلاق الفاضلة والأخلاق النازلة وهكذا

(٤) والاضافة كل شئين يلزم أحدهما الآخر كالابوة والنبوة وهكذا
(٥) و(٦) والمكان والزمان يشملان علوم الجغرافيا وحساب السنين والأشهر والدهور
(٧) والوضع مثل هيئة الإنسان في جلوسه ونومه وهيئة الهواء والضوء والماء والأرض وانتساب كل واحد منها إلى الآخر بهيئة خاصة

(٨) والملك مثل كل ما يملكه الإنسان
(٩ - ١٠) والفعل يشمل كل مؤثر في غيره كاحراق النار وتبريد الثلج الماء وهكذا والانفعال كاحتراق الخشب وبرودة الماء وهكذا

هذه هي المقولات التي شرحت معناها شرحاً وجيزاً وقد علمت أنهم أجمعوا أنه لا علم من العلوم إلا وهو مندرج فيها ويقولون إنها أشبه بالرياض الزاهرات ذات الفصوص والأزهار والأثمار
كلمات عشر عبر بها الحكماء عن جميع العلوم حتى إن الصناعات كلها ترجع إلى مقولة الفعل والأمراض والفرح والحزن ترجع إلى مقولة الانفعال وهكذا ، فهذه المقولات العشر نظيرها سورة الفاتحة ، وأنت خير أن معاني الفاتحة قد تقدمت عند تفسيرها ، وهناك قد دخلت كل علوم الأمم مثل ان (العالمين) يشمل العالم العلوي والسفلي ولفظ (رب) من - رب العالمين - يشمل كل علوم التربة في العالم كله وهكذا فارجع إلى تفسيرها هناك فانك تجد الفاتحة أشمل لجميع العلوم من فن المقولات ، وعليه أصبح المسلم يتلو صباحاً ومساءً كلمات هي

مفاتيح العلوم . المسلم في قراءته الفاتحة تعبداً وهو غافل عن علومها أو بعضها خير ممن يقرأ المقولات العشر ويقول في كل وقت من الأوقات ﴿ جوهر . كم . كيف . الخ ﴾ وهو لا يعقل معناها ، ولو أن رجلاً أخذ يتلو هذه الكلمات العشر صباحاً ومساءً على مسمع من الناس لعتوه قليل العقل لأنها غير معقولة ولا مفهومة إلا للنادر من الناس . أما الفاتحة فمعناها الظاهر يكفي العابد في عبادته بل توجهه لله بها وإن كان لا يدري معناها كاف في العبادة ، والحكماء حين يتلون الفاتحة يحضر لهم أجمال العلوم كما تحضر العلوم كلها في المقولات العشر . إذن وضع الفاتحة أرقى في جمع العلوم من وضع الفلاسفة . الفلاسفة يضعونها في كلمات لا يعقلها إلا الخواص والفاتحة تفيد العامة عبادة والخاصة تذكرة للعلوم كلها والحمد لله رب العالمين

﴿ لطيفة في قوله تعالى - ولاتجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن - الخ ﴾

تقدم في (سورة النحل) عند قوله تعالى - ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن - أن الناس ﴿ ثلاثة أصناف ﴾ صنف هم العامة وهؤلاء لا ينجع فيهم إلا الوعظ وذلك بما يرغب ويرقق القلوب ويفرحها بضرب الأمثال وذكر الحوادث والمشوقات والخيفات من الجن والنيران وما في معناها وصنف هم العقلاء وأرباب الفكر وهؤلاء لا تسكفهم المواعظ بل لا مندوحة من إعطائهم البراهين القولية والأقوال الحكمية حتى يستقر إيمانهم ويثبت يقينهم ، وصنف هم قوم لا هم مع العامة ولا مع العقلاء والحكماء وهم أهل الجدل كأهل الكتاب فانهم قوم مثلدون لا مفكرون لأن كل من نشأ على دين يعسر عليه الاقتلاع عنه فهؤلاء لا تنفعهم المواعظ ولا تنقام لهم الحجج وإنما يكون القول معهم باستنباط الأدلة من كتابهم لأنهم عليه يقولون وبه يقولون فيقال لهم ان النبي ﷺ مثلاً ورد ذكره في كتابكم فإياه كذا وكذا فهذا هو الجدل فهو حجة لاهي يقينية ولاهي وعظمية بل هي اقناعية تستند لما يعتقدوه الخصم غالباً ، واعلم أن القائمين بأمر الأمم ﴿ أربعة أقسام ﴾ أنبياء ووعاظ وحكام وأمرء ، وبيانه أن الوعاظ هم الذين لا حكم ولا سلطان لهم إلا على قلوب الجهال والعامة كخطباء المساجد والوعاظ وعلماء الدين المعتادين في الأمم ، فهؤلاء جميعاً لا يؤثرون إلا على قلوب العامة لأنهم يقومون بتذكيرهم بآيات الله بحسب ظواهر الكتاب والسنة والخبار بدون كثير بحث ولا تدقيق والعامة لهم مصغون وعلى قولهم معولون

﴿ الأمرء ﴾

وبعكس هؤلاء الوعاظ الأمرء ، فإذا رأينا الوعاظ قد خلب قلب العامي وخضع لقوله واتعظ وليس لهذا الواعظ من قوة جسمية تخيفه بل قوته روحية فاننا نرى الملوك والأمرء ورجال الإدارات في الحكومات من قاض وحاكم وجندي فكل هؤلاء لا سلطان لهم إلا على أجسام الناس وظواهرهم لا على عقولهم وأحلامهم ألا ترى رعاك الله أن فرنسا تحكم في تونس والجزائر ومراكش وإيطاليا في طرابلس والآنجليز لهم بعض السلطان في مصر ، ومع هذا ترى هذه الأمم لا تتبع هؤلاء الفاتحين إلا من خوف العقاب ، أما القلوب فانها مع هؤلاء الوعاظ . إذن هنا جسم يحكمه الأمرء وعقل يحكمه الوعاظ

﴿ الحكماء ﴾

فأما قسم الحكماء فهؤلاء قوم خصهم الله عز وجل بنور البصائر وازدياد الفهم وقوة الإدراك وسرعة الخاطر فهم لا يصلحون لتعليم العامة والجهلاء ولا سطوة لهم على الناس فيحكمون أجسامهم بل سلطانهم يختص بالعلماء والوعاظ ، فكما خضع العامة للوعاظ بعقولهم وللامرء بأجسامهم وظواهرهم هكذا يخضع العلماء والوعاظ للحكماء وهم أولئك الذين امتازوا بسمو المدارك فهؤلاء يقودون بواطن العلماء ويذكرونهم بما نقصهم من العلم ، وهذه الطائفة إن لم يخلقهم الله في أمة فذلك عنوان على ضياعها وهلاكها ، ولقد قام في أمنا الإسلامية من هؤلاء كثير وأذكر منهم العلامة الغزالي بالشرق وابن رشد في بلاد الأندلس فاذا هما المسامون وأحق

قوم كتب الامام الغزالي و بصق آخرون في وجه ابن رشد وكفروه . فهذان وأمثالهما انما خلقا لارشاد العلماء فلما آذتهما الأمة وقامت في وجههما أذهبا الله وعوقبت قرونا وقرونا ودخل التتار من الشرق غفروا الدولة العباسية وذهب محمد العرب ودخل أهل أسبانيا الأندلس فأذلوا الأمم العربية وأهلكوهم وفر منهم من فر ومن بقي تنصروا وهم في نظر القوم مرتدون مذنبون ، ذلك مثل المسلمين السابقين

﴿ الأنبياء ﴾

أما الأنبياء فهم يعطون العامة كالوعاظ والخاصة كالحكام ويحكمون على أجسامهم بالحبس والقتل وغيرهما كالملوك والأمراء . ألا ترى أنه ﷺ أمر أن يعظ كالوعاظ وأمر أن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة وهذا شأن الحكماء وأمر أن يحكم بين الناس بالعدل وهذا شأن الأمراء والملوك . كتب ليلة الأربعاء ٢١ أغسطس سنة ١٩٢٩ قبيل الفجر

﴿ جوهرة في قوله تعالى - وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به -

وفي قوله تعالى - بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم - الخ ﴾

سبحانك اللهم وبحمدك أنت الذي أنزلت القرآن ، وأنت الذي خلقت أمم الشرق والغرب ، وأنت الذي جعلت هذا القرآن آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ووعدت بأن الذين أوتوا الكتاب يؤمنون به ، اللهم إنك أنت أنزلت بصائر الأمم الخاضعة المعاصرة لنا وأبرزت في أوروبا أناسا برعوا في العلم وحذقوا ودرسوا الديانات وهم من الذين أوتوا الكتاب الذين ذكرتهم وبعد ذلك أيقنوا بأن القرآن حق وصدق كما وعدت في كتابك ، اللهم إن هذا وحده برهان ، اللهم إنك قد تكفلت بحفظ هذا العالم ونظامه وتكفلت بحفظ القرآن وتكفلت باظهار علماء من أمم أهل الكتاب يؤمنون به ، اللهم إن ظهور ذلك في زماننا أتم لكثرة العلم وانتشار الحكمة ، إذن يجب علينا نحن الذين خلقنا في هذا الزمان أن نذكر المسلمين في أمثال هذا التفسير بمادجه بعض أولئك العلماء من أوروبا بمصادقا للقرآن ، فمنهم صديقنا (اللورد هيدلي) الانجليزى الذي ذكرته سابقا في هذا التفسير مرارا ، ومنهم (الكونت هنرى ديكاستري) ومنهم العلامة (توماس كارليل) فلا تقتصر على نقل نبذ من أقوالهم ، فهؤلاء منهم مؤمنون ومنهم علماء أيقنوا بالقرآن لأنه آيات بينات في صدورهم وليكن ذلك في ﴿ ثلاثة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾

في الكلام على صديقنا (اللورد هيدلي) الانجليزى رئيس الجمعية البريطانية الاسلامية في كتابه المسعى (ايقظ الغرب للإسلام) الذي لقب بحضرة (سيف الرحمن رجة الله فاروق) وقد ترجمه اسماعيل أفندى حلمي البارودى العضو بالجمعية البريطانية الاسلامية وهذا نصه

﴿ مقدمة ﴾

لكي أقدم الصحائف المقبلة الى القراء لا أجدا خيرا من إعادة نشرى هنا لمقالة صغيرة من قلمى ظهرت في إحدى جرائد (لوندرا) الأسبوعية في نوفمبر سنة ١٩١٣ وهذا نصها

ظهرت في جرائد عديدة قطع تشرح معتقدي الدينى وانه لييهجنى أن أرى أن كل ماوجه الى من الانتقاد لغاية الآن لم يكن إلا بلطف متناه ، انه لاينتظر أن تخرج خطوة معلومة عن خط سير ماألوف دون أن تستلفت النظر . ورد لى فى أحد الأيام خطاب من أحد المسيحيين المتدينين يخبرنى فيه بأن الدين الاسلامى انما هو دين لذة وأن النبى ﷺ كانت له زوجات عديدات وأن ذلك قاعدة فى الاسلام فما أغرب هذه الفكرة عن الاسلام إلا انها فكرة راسخة فى عقول تسعة وتسعين فى المائة من البريطانيين الذين لم يعنوا ببحث الحقائق الواضحة لديانة ماينوف عن مائة مليون من رعاياهم ولودرسوا تلك الديانة لتبين لهم أن نبي بلاد العرب ﷺ

كان مشهورا في كبح النفس عن الهوى وردّها عن الشهوات وكان مخلصا لزوجته الوحيدة (السيدة خديجة) التي هي أكبر منه بخمس عشرة سنة والتي كانت أول من آمن برسالة السماوية وبعد وفاتها تزوج بالسيدة (عائشة) وقد تزوج أيضا ببعض أياحي متبعيه الذين استشهدوا في إعلاء كلمة الله وذلك لادفاع الشهوة بل لكي يعولهم ويمسحهم مساكن وينزلهم منزلة ما كن ليحصلن عليها لولاه (يقول مؤلف هذا التفسير وسيوضح لك هذا المقام في سورة الأحزاب)

نحن معشر البريطانيين نحب بأننا نحب العدل والانصاف ، ولكن ماذا أعظم جورا وحيفا من الحكم الذي يصدره كثير منا على الدين الاسلامي دون أن يجتهد أو يحاول أن يعرف ولو بجمل بسيط من عقائده حتى انهم لا يفقهون معنى كلمة الاسلام

إنه من المحتمل أن يظن بعض من أصدقائي أنني قد غلبت على أمرى أو تسيطر على المسلمون إلا إن ذلك ليس بحقيقي لأن اعتقاداتي الحالية ماهي إلا نتيجة بحث سنوات عديدة وإن كانت مناقشاتي الحقيقية مع متعلمي المسلمين في موضوع الديانة لم تبدئ إلا منذ زمن قريب ، واني لاحتاج الى القول بأنه قد غمرني الفرح عندما وجدت أن كل نظرياتي واستنتاجاتي كانت مطابقة مطابقة تامة للاسلام . إن أخى خواجا كمال الدين لم يحاول بتاتا أن يتسلط على فؤادي ولو قليلا فانه كان دائما مثال الأمانة والصدق إذ قد شرح لي في ترجمة القرآن الكريم الذي ما استطعت أن أفهم معناه من الترجمة المشوهة المنتشرة بين المسيحيين فأنا من هذه الوجهة المحجة الواضحة التي تسير فيها (جمعية التبشير الاسلامية) فاهما احتالت ولا خدعت أحدا قط فلهذا جاء في القرآن الشريف يجب أن تكون بمحض الرغبة والاختيار ومن تلقاء النفس ، لذا لم يرتكب خواجا كمال الدين أى صفة من صفات الاحتيال والخديعة ، وقد أراد عيسى نفس تلك الصفة عند ما قال لحوارييه « وكل من لا يقبلكم ولا يسمع لكم فخرجوا من هناك وانفضوا التراب الذي تحت أرجلكم شهادة عليهم »

وقد علمت أمثلة كثيرة جدا من (البروتستانت) المتعصبين الذين ظنوا أن من واجباتهم أن يغشوا بيوت الرومان الكاثوليك فيحتالوا على من يقطنها لنقله الى دينهم ، ومثل هذا العمل المثير الذي لا يليق بكرامة جار هو طبعاً عمل كرهه جدا أدى الى اثاره العواطف وإيجاد النزاع الذي جرّ عليهم الازدراء والاحتقار واني لأنألم جدّ الألم عند ما يعرض لفكرى أن أولئك المبشرين المسيحيين حاولوا ذلك مع المسلمين أيضا وإن كان لا يوجد هناك باعث يدعوهم الى هداية هؤلاء الذين هم أصبح منهم مسيحية وأفضل منهم أنفسهم في مسيحييتهم وقد عجزت تماما عن أن أعرف لم فعلوا ذلك ، اننى لم أقل أصبح منهم مسيحية جزافا بل بعد اعمال العقل والروية لأن المحبة والألفة والتسامح في الدين الاسلامي أقرب جدا لما أفى به المسيح مما عليه رجال المسيحية في الكنائس المتنوعة ، خذ مثلا العقيدة (الانانسيانية) التي تختص بالتالوث بحالة مشوشة لا يقبلها العقل تر أنه من الواضح جليا أن هذه العقيدة المهمة عندهم للغاية والتي تعتبر إحدى العقائد الرئيسية للكنيسة تمثل المذهب الكاثوليكي وانا اذا لم نعتقد انها هلاك كالأبدى وهكذا نؤمر بوجود اعتقاد التالوث إن أردنا الخلاص أو بطريقة أخرى نقول إن الله رحيم وقادر على كل شئ وفي الوقت نفسه ننهم بالظلم والقساوة اللذين لا نستطيع ولا نرضى أن ننسبهم الى أظف سفاكي الدماء من الظلمة الآدميين كأن الله الذي هو أمام الجميع وفوق الجميع يتغلب عليه اعتقاد مخلوق ضعيف فان في التالوث

هنا مثل آخر يدل على عدم وجود الحسنى لديهم ، وصلني خطاب لمناسبة اتجاهاي نحو الاسلام أخبرني فيه كاتبه بأننى اذا لم أعتقد ألوهية المسيح لا يمكننى الخلاص . إن مسألة ألوهية المسيح ما ظهرت لي قط انها مهمة ، هل أرسل المسيح رسلا من البشر برسالات إلهية ؟ لو كان عندى الآن أى شك في تلك النقطة الأخيرة لآلئى ذلك جدا إلا اننى أشكر الله سبحانه وتعالى لعدم وجود هذا الشك وأنعمش أن يكون اعتقادى في المسيح وتعاليمه ثابتا

جدا كاعتقاد أى مسلم أو مسيحي حقيقى آخر لآنى سبق لى أن قلت مرارا أن الديانة الاسلامية والديانة المسيحية كما علمت بالمسيح نفسه هما أختان ولم يفصلهما عن بعضهما إلا المذاهب والاصطلاحات المسيحية فقط التى يمكن الاستغناء عنها بكل سهولة وارتياح .

يميل الناس فى هذه الأيام الحاضرة الى الكفر والإلحاد عند ما يطلب منهم أن يعتقدوا هذه المذاهب والعقائد التى لا تفهم وهناك بلا شك رغبة واشتياح الى ديانة تقبلها العقول والميول ، فمن سمع بمسلم ارتد الى الكفر والإلحاد ؟ ربما كانت هناك حالات من هذه إلا اننى أشك جدا فيها . إننى أعتقد أن هناك آلافا من الرجال والنساء أيضا مسلمين قلبا ولكن يمنعهم خوف الانتقاد والرغبة فى الابتعاد عن التعيب الناشئ من التعبير تأمرا على منهم من اظهار معتقداتهم . اننى خطوت هذه الخطوة ولواننى أعلم علم اليقين أن كثيرا من اخوانى وأقاربى ينظرون الى الآن كروح ضالة ويصلون من أجلي ، إلا انى لست فى الحقيقة فى اعتقادى اليوم إلا كما كنت منذ عشرين سنة تماما ولكن صراحتى فى القول هى التى حرمتنى حسن ظنهم بى

الآن وقد شرحت بعضا من الأسباب التى جعلتنى أتبع الدين الاسلامى وقلت إننى أعتبر نفسى الآن إنى أصبحت باسلامى مسيحيا أفضل مسيحية مما كنت عليه من قبل ، فأتمنى أن يتبع الآخرون مثلى ويعتقدون أحقية الاسلام الذى أقر بكل شهامة ونفرا أنه أصبح الأديان وأنه ستصل السعادة لأى امرئ ينظر الى هذه الخطوة كخطوة متقدمة لا كخطوة مضادة للمسيحية الحقبة بأى وجه

﴿ سلم الاسلام ﴾

ينظر فى هذا العصر للديانة كأنها شئ مزيج والناس إما ملحدون وإما متبعون أتباعا أعجمى لصفوف عقائد من الأفكار التى لا تقبلها عقولهم وتقاومها ، إلا أنهم يعترفون بها ظاهرا لأنهم يظنون أن ذلك هو خير لهم وأنه يؤدى المطلوب . أكاد لى رجل من أحسن الرجال الذين عرفتهم (زوج فاضل ووالد) أنه ملحد ولا ينظر لشيئ غير فناء الخليقة ومع ذلك كان سعيدا جدا ولم أجد بوسعى شيئا أستطيع أن أعمله معه ويكون له أقل تأثير فى تغيير معتقده الفظيع . وسمعت برجل آخر أخذ الديانة بروح فرحة جدا وكان غنيا للغاية ، ناقشه صديق له يوما من الأيام فى أسلوب حياته المحلول وسأله ألم يفكر قط فى الحالة المستقبلية وفيما ستكون عليه نفسه فى الحياة الثانية فأجاب كلام لم أتعجب نفسى وراء هاتيك الأشياء ؟ اننى أدفع لطبيبى كذا فى السنة ليعتنى بصحتى الطبيعية وأعطى الكاهن نحو ستائة جنيه فى السنة ليعتنى باحتياجاتى الروحية ، فلم إذن أصدع رأسى ، وهذا الرجل كان مسرورا أيضا بطريقته وتوفى لأن يدفع مبلغا معينا سنويا لينجوا من التفكير ومن كل ما يشغل رأسه أو يتعبه . اذا كان يمكننا فقط أن نجد فكرا قويا خاليا من العقائد لى يتخلى لنا الدين الحق الذى يجب أن نلعبه تكون تلك خطوة عظيمة جدا نحو الاتجاه الصواب . اننا اذا ذهبنا الى القسس والرهبان أو غيرهم ممن يقدمون أقوالا توافق مشاربهم لا نجد لديهم أى مساعدة لأن العقائد أو المذاهب المتعددة تناقض بعضها على خط مستقيم . خذ مثلا الكنيسة المسيحية فقط نجد بها أن الارشادات السامرية التى تدهش وتحير العقول تختلف عن كنيسة انكلترا وكنيسة روما وهما مختلفتان أيضا حتى اننا نخرج من ذلك بلا فائدة أصلا . إذن فكل ما نرغبه هو مساعدة بعض المتفرجين خارجا عن هؤلاء وهؤلاء ومن الغير متمسكين الذين عندهم فرص وقدرة على التأمل والتفكير الذين ليس لهم أى صالح أوريح من وراء إبداء رأيهم بصراحة وشرف . كل ما نريده فى الواقع هو دين يعرف ويؤيد قوانين المملكة لأنه فى هذه الأيام أصبحت القوانين مما يحب السخرية والضحك وهناك فى الخارج شعور وبيل مبك من كل أشكال المظالم والجرائم تقريرا . ضعوا هناك عدلا تاما فى السياسة لأن سبالة المملكة الفقيرة لانت من وضعها فى هذا التظاهر بالشفقة والحنو الذى لاهو انسانى بأى حال ولا هو خليف بآن يرقى أخلاق الأمة . فالرجة إلى سفك دماء عند ما نكون سببا فى العفو عن القتل ، يطبق ذلك على هذا الميل

لارتكاب الآثام ، واننا وان كنا نشعر بحزن عميق من أجل الجرم الذي جعلته تريته والبيئة الحظيرة التي نشأ فيها يسبب لنا التعب والشغب إلا انه يجب علينا أن نعاقبه لنمنع الآخرين ولنمنعه من العودة . انه لمن أفظع الأعمال أن نديره الخلد الآخر ، نعم إن ذلك لمربع جدا لأنه يشجع الشريرين على السير في تيار جرائمهم بينما يتألم باقي أعضاء المجتمع من سوء استعمالنا للرجة ، اذا لم ألك محظنا فالعدل اللين الممزوج بالماء (المغشوش) الذي يوزع في هذه الأيام في هذه المملكة مسؤول عن نصف الشرور التي نشكونها بمرارة زائدة وانه يغير لنا أن نرجع الى (قانون الثارات) القديم عن أن نسير فيما نفعله الآن

لا يمكننا بتاتا أن ننظر للمسيح كمشترع أو واضع قانون فانه لم يستأن للعالم إلا سننا ونواميس ودبعة ظريفة حالة أن ابليس الذي يمشى اليوم لا يمكن قنه بأجوبة ناعمة وإدارة الخلد الآخر له فيجب إذن أن نتخذ أشد الاجراآت مع كل رسل الشر

كان موسى مشترعا وواضع قانون ، وكان محمد مشترعا وواضع قانون ونحن الآن في احتياج شديد الى بعض من العدل المطلق الثابت للنبي المقتس (محمد) . انه أى القانون والتشريع الاسلامي شديد إلا انه خال جميعه من توحش انتقام العهد القديم

تعاقب الحكومات الحزبية التي عملت لازدياد القوة لاصالح الأمة أوقعنا في هذا المأزق الذي لا يمكننا فيه ولو أن نعنتى ونحفظ نظام نسائنا ، حقا انها لحالة مفعجة لنسل سادة البحار ووطني أعظم امبراطورية رؤيت في العالم . قوانيننا حسنة إن هي نفذت وعمل بها . الخضوع الى الرذيلة يقود الى أكبر منها . لا نريد الرجوع الى طرق التعذيب من أى صنف أو القضاة ، ولا نريد أن نريق نقطة واحدة من الدماء لشكره الناس على قبول آرائنا في الدين أو السياسة بل نرغب أن نرى القوانين مطاعة والعدل مكيلا للجميع

اننى لأعتقد اعتقادا راسخا بأنه لو اتبعت الشريعة الحميدة التي أتت في القرآن بعناية تامة ودقة لأصبح من السهل جدا حكم الشعب ولا يكون ذلك غريبا ما دام أكثر من نصف رعايا جلالته في ملكه السامع هم من المسلمين . مرة العصر الذي كان يمكن أن يجتهد فيه لاقامة أى دين بقوة الأسلحة . إننى لمأكد من أن المسلمين أولئك القوم المتشبعون بالاخلاص والوفاء ماحولوا قط أن يقيموا الدين الاسلامي بالطرق العنيفة . الفتنة والتبرد يجرهما القرآن ولا إكراه في الدين في إحدى مبادئ الدين الاسلامي

لفت الأذهان واصغاء الأذان هو كل ما يرغبه المسلمون وإنى لمأكد من أنه اذا فهم رجال انكثرا تماما المعنى الحقيقي للاسلام (العقل والتمييز والاتجاه الى النهى والشعور) لسعوا في أن يخفوا سوء فهمهم الخجل السائد في الوقت الحاضر

ينظر الارو بيون دائما الى الاسلام كأنه وحشية وهمجية فلو علموا كل ما فعله محمد ﷺ لازالة التوحش والهمجية التي لقيها داخل بلاد العرب لغيروا تلك الأفكار حالا . انهم هم المبشرون المسيحيون الذين لم يبدخوا وسعا في تحريف الديانة الاسلامية وان هذا لأعظم الكذب الذي يخزيهم وان كانوا ليطنوا أن ما يفعلونه حسن ، فما أعظم الفرق بين الطمس التعمدى للحقيقة وبين الحالة التي يسير عليها المبشر المسلم في عمله

كثيرا ما أرعجت الهيئات الحاكمة في هذه المملكة لقبول طلبات الهيئات الدينية ، فكنيسة البطاركة وكنيسته الرومان الكاثوليك وحزب المعارضين وكثير غيرهم معتبرون جدا لأنهم ذوو نفوذ عظيم ولازال السكل يقولون هل من مزيد ، ولكن ليست هناك (بأقصى ما يمكن للانسان أن ينظر) أى فصيلة دينية من الفصائل الحميدة تطلب أى سلطة دينية إذ عظمة الاسلام أرفع من أن تسيطر عليها مثل هذه الاعتبارات الدينية ، وكل متبع اتباعا حقيقيا للنبي العظيم يتطلع الى جزاء أرقى بكثير من الغنى والفوائد الدنيوية كرقى ضوء الشمس عن ضوء الفوسفور . ليس هناك باباوات ولأساقف ولا رهبان ولا قسوس يطلبون هبات أو أرباها لأن الله نفسه هورأس

هاتيك الفصائل الروحية . أنبا التاريخ أن الكنائس المسيحية تطالب دائما بشدة أن يكون لها سلطة دنيوية ويمكننا هنا أن نشير الى بيع المغفرة وتوزيع المعاشات الدسمة بدون جور أو حيف كي نبين فظاعة الأحوال المريعة التي كان يجب أن تكون أفضل ما تطمح اليه النفس ، وكيف اختلطت باعتبارات المكاسب دنيوية محضة سافلة . إننا لاندعج بعيدا اذا قلنا بأن القسط الأوفر من هؤلاء الذين يزعمون بأنهم مسيحيون يعتبرون أن الديانة هي محض نظام أيام آحاد محترمة وحسنة لأنها تقدم لهم فرصا استثنائية لعرض أحسن ملابسهم وأزيائهم والتكلم عن جيرانهم ، وهذا الدين العجيب ينوى أخذهم الى بعض من الجنة ، ويتوقف مركزهم في هذه الجنة على المبلغ المدفوع على نظام دخول الناس دور التمثيل تماما ، يجلسون بأجرة معينة في الأرواح والطابق الأول وبأجرة أخرى في الصالات والكراسي الخ

معظم ديانة الغرب ماهي في الواقع إلا نتيجة خرافات القرون الوسطى وبقايا العصور المظلمة ولا تتفق مع تعاليم موسى أو المسيح ، ففي تلك الأوقات المظلمة المكفهرّة بين القرن الثالث والقرن الخامس وبعد ذلك عند ما كانت أوروبا ميدانا شاسعا للمعاركات يتبارى فيه الرجال المتوحشون ومن طبعوا على حب القتال مع بعضهم ونشروا الرعب والدمار في كل الجوانب وكان الحكام العظام للمالك كبارونات ولوردات انكثرتا رجالا مشهورين بالمهارة في استعمال السيف وبلطة الحرب واحكام الدفاع عن أملاكهم وعقارهم وبيوتهم أكثر من شهرتهم في التعليم والتهذيب وكانوا لأجل أن يحفظوا ادارة ونظام شؤونهم الداخلية يستخدمون الكتبة والا كابروس الذين كانوا بتعليمهم العالي قادرين على أن يجعلوا لهم نوعا من الوكالة على هذه الممتلكات وأن يحفظوا سجلات الحوادث الجارية الخ

أصبح هؤلاء الا كابروس بعد مضي مدة من اللوازم الضرورية التي لا يمكن لهذه الممتلكات الشاسعة أن تستغنى عنها وأصبح لهم سلطة عظيمة وسلطان قوى وسنحت لهم في ذلك الوقت فرص زادت سلطتهم باستعمالهم أسرار المجهول لدى البارونات أو اللوردات كتركز عتلة وضعوا عليه عتلات طويلة وتلك العتلات هي الرعب من جهنم والخوف من العقاب المستقبل ، نقل تلك المزعومات بينهم بمهارة فائقة أحدث في عقول السذج شعورا لا يمكن ازالته من الهمع الذي كان مع ذلك يلفظ ويخفف بالتأكيدات من أنه باعتراف شكل معين من الدين وابتلاع بعض عقائد وضعت بذكر زائد ينال الخلاص ولكنه اخترع بوجهه ما أن الطمأنينة الثابتة بخصوص النجاة والمركز العالي في الآخرة لا ينال إلا بالعطايا الفاخرة جدا للكنيسة وهذه العطايا أخذت شكل منح واسعة من الأراضي والتصور والبرشيات وهبات عظيمة ، ومن هنا نرى أن ولادة وابتداء الكهنوتية والقسوسية وطلب السلطة الدنيوية المقصودة قد عرف من ذلك الوقت ، فنجىء محمد بعد المسيح بستائة سنة تقريرا كشف عن عدم صحة مثل هذه الأفكار كالتفكير والتوسط الكهنوتي والتوسل الى القديسين وكل هذه الطرق الملبكة المحتوى عليها التقرب من المولى جلّ وعلا

مهما كانت عظيمة الشرائع الموسوية ، ومهما كانت طرافة ورقة تلك المبادئ الصفوحة التي أتت بها نبى الناصرة (عيسى عليه السلام) يجب أن يعرف أن الشريعة المحمدية التي احتوت على الرسالة السامية تتقلب بتدليلها كل العقبات التي تقف في طريق السالك الى الله

هناك آيات في القرآن لا تترك شكاً في معناها وتطبق على جميع هؤلاء الذين يدخلون في دائرة السيادة الكهنوتية ويتخذون مخلوقات بشرية لارشادهم - اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون - وقال - يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله - ديانة المسيح ليست تعالما ، ديانة (سانت پولس) الذي أضاف إليها وغيرها فاحشا وقد ترجمت هيئات

مختلفة هاتيك التعاليم وغسرت فيها من وقت لآخر ، وليس هناك في الحقيقة تناسق في تلك المسيحية المزعومة ولكننا نجد في الاسلام ما يكفي رغبات المخلوقات من الاتصال بالخالق مباشرة ، الله الموجود أبدا القادر على كل شئ والحافظ لجميع المخلوقات ، ليس هناك في الاسلام إلا إله واحد نعبد ونتبعه ، إنه أمام الجميع وفوق الجميع وليس هناك قدوس آخر نشركه معه ، انه لمن المدهش حقا أن تكون المخلوقات البشرية ذوات العقول والألباب على هذا القدر من الغباوة فيسمعون للمعتقدات والحيل الكهنوتية أن تحجب عن نظرهم رؤية السماء ورؤية أيهم القهار المتصل دوما بكل مخلوقاته سواء كانوا عادين أو أولياء مقدسين ، مفتاح السماء موجود دائما في مكانه ، ويمكن إدارته بأذن وأقل المخلوقات دون أى مساعدة من نبي أو كاهن أو ملك ، انه كالمهواه الذي نستشقه مجنا لكل خلق الله ، أما هؤلاء الذين يجعلون الناس يفهمون غير ذلك مادعاهم الى هذا العمل إلا حب الفائدة كالرواتب ومعاشات القسس أو بعض فوائد دينوية أخرى ، ليس غرضي الرئيسي أن أهاجم أى فرع معين من فروع الديانة المسيحية لأبين جلال وسلاسة الديانة الاسلامية التي هي خالية في نظر الكتاب الضعيف من العوائق الظاهرة جليا في كثير من الديانات الأخرى

إن الدين مسؤول عن كثير من الآلام والفظائع وسفك الدماء وتلك حقا حقيقة مبكية ، أيمكن إذن أن يوجد دين يمكن العالم الانساني من أن يجمع أمره على عبادة الله الواحد الحقيقي الذي هو فوق الجميع وامام الجميع بطريقة سهلة خالية من الحشو والتلبيك ؟

فكر لحظة وذلك التفكير لازم لكمال البشر في الحقيقة ، انه اذا أصبح كل فرد في الأمبراطورية الانكليزية تمجدا حقيقيا بقلبه وروحه أصبحت ادارة الأحكام أسهل من ذلك لأن الناس سيقادون بدين حقيقي ولن تبقى هناك جمعيات كنائسية ولا منشقون كي يوفق بينهم ولا ضرائب ثقيلة تدفع للبرور في الطريق الموصل الى الفردوس . إن الديانة كما جاء بها موسى والمسيح ومحمد سهلة جدا إلا أن الخلط الذي أتاها من الآخرين الذين سعوا في أن يحسنوا الوحي الإلهي جعلها معقدة يرتك ويأس منها من يستعمل عقله في السعي وراء الحقيقة بجهد ونشاط . استفز صنف من أصناف هذا الدين الحروب الصليبية التي ضحى فيها أسلافنا عشرات الآلاف من الأرواح البشرية ، فلم ذلك ؟ معركة معيبة نشبت من أجل ضريح يعتقد أن المسيح وضع فيه مدة وجيزة ، هل كان يستحق ذلك أى اهتمام ؟ وصنف آخر من أصناف هذا الدين علمنا أن نغضب كل من يخالفنا ولو على أقل نقطة من نقط هذا الدين وأن نحرقهم أحياء ، هل يستحق ذلك أى اهتمام ؟

وهناك صنف آخر من أصناف هذا الدين وهو شائع ومعلوم للجميع ، ذلك بأن هؤلاء المتعصبين الشديدي التعصب (القسس) يحكمون على تابعيهم بالهلاك الأبدى اذا لم يتبعوا آراء مذهبية معينة ، فهل يستحق ذلك أى اهتمام ؟ أتريدون أن تتصفوا بحسد الاحسان الذي هو أبغض شئ عند الله رب الرحمة والذي يلعبه كل من المسيح ومحمد الى حد ايسر له نهاية * قال الجنرال غوردون ﴿ لم أر طبقة فرسيين بين المسلمين الذين لا يتخذون كل ما يتخيلونه أو يمرر بباطهم كما يفعل فرسيوننا من الحكم على زيد أو عمرو بأن نصيبه النار ، إنك لا ترى منهم أبدا عدم الأنس والبشر للذين تراهما من فرسيينا ﴾

إن (غوردون) عاش طويلا في الشرق ولم يفلت جلال الشريعة الاسلامية من ملاحظته الدقيقة ، ولا شك في أنه عند ما كتب ما تقدم كان يشعر حقيقة بأن هناك إحسانا مسيحيا حقيقيا عند المسلمين أكثر مما هو عند المسيحيين أنفسهم في بلادهم ، وكتب (غوردون) أيضا بنفس هذه الروح ما يلي

« ليست هناك ساوى في العالم أوراحة تعادل تلك التي يملكها من لا يعرف غير الله مدة بقائه ولا يؤمن بالأقوال بل يؤمن بالحقائق وأن كل الأشياء دبرت لتحدث ولا بد من حدوثها ووقوعها واسكن كل هؤلاء الذين كانوا يعتقدون هذا الاعتقاد قد ماتوا وتخاصوا من هذه الحياة المتعبة »

واجابة على ما تقدم يمكن أن يقال بأن الأفكار الشرقية لاتتحد مع الآراء الغربية ، ولا يمكن أن يقال أن بينهم أى امتزاج وأن محاولة حكم الشعوب الشرقية للشعوب الغربية حينما اعترف بديانة شرقية وتسيطر هذه الديانة على عقول الرجال وأفعالهم لم تكن لاثقة وكانت خارجة عن المقصود ، والمؤلف يريد أن يشير الى أنه مضى ألفا سنة تقريبا وكل مملكة فى أوروبا محكومة بديانة الشرق أى اليهودية والنصرانية . روح الاسلام تخلق فوق أشياء أرقى وأرفع من تلك الأطماع الدنيئة والاختلافات الجنسية فى الشرق والغرب ، وإذا كانت المسيحية الشرقية التى علمت بنبي الناصرة العظيم قد سارت سيرا حثيثا فى إضاءة طريق العالم الانساني ، فلماذا لا يستمر الدين الاسلامى الأوسع والأسهل (كما أتى به النبي العربي الكريم) فى أعماله الحسنة ، مادام ليس هناك سبب جوهري يمنع ذلك .

هناك شبه عظيم بين أخلاق الأنبياء كما يتضح لكل باحث فى حياة محمد كما ان دراسة دقيقة للقرآن تظهر أنه حقا ليس فى الاسلام شئ يتعارض مع الديانات السابقة وارشادات وشرائع محمد كما جاءت فى الكتاب تقوى وتعزز تعاليم الانجيل تعزيزا تاما وتوسعها حتى تلائم حاجات الزمن الحاضر . إنه لمن الجور أن تحكم على رجل لاتعرف عنه شئ كما انه من الظلم أن تفعل ما يفعله تسعة وتسعون من المائة من المسيحيين الذين يحكمون على الدين المحمدى دون أن يبحثوا حتى ولوعن معنى كلمة (اسلام) فتاعده ترك الامور تأخذ مجراها هي شعار هؤلاء الذين لا يريدون أن تنار عقولهم لأن إنارة عقولهم معناها عندهم تعب وازعاج فيفضاون أن يظلوا يتخبطون فى ديجور العمى والظلام عن أن يمدوا أيديهم ليفتحوا الباب الموصل الى النور . ما حصلت عليه فيه السكفاة لى لا أريد أن أنظر لشيء آخر . ذلك ما يقولونه رافضين أن يبذلوا أى مسعى ليستقدموا حتى ولوفى معرفة الله ورسالاته للجنس البشرى

من عدة سنين خلت كان أحد أفكارى الرئيسية هو « كيف يمكن الاسلام أن يتغرب (يصبح غربيا) حتى يمارس بالأهم الأوروبية ؟ » أو « بعبارة أخرى » كيف يمكننا نحن معشر الغربيين أن نعد أنفسنا لنكتسب ونفقه معنى الاسلام الحقيقى ؟ ثم تلا ذلك فكر آخر وهو « كيف اتنا لم نشك من جنسية المسيح الذى نعتقد انه كان أسويا محضا ؟ كانت أمه العذراء مريم أسويه وكان موسى وكل الأنبياء الموحى اليهم شرقيين وكان النبي الكريم محمد ﷺ شرقيا مثل الآخرين وأنزات عليه الشريعة من الله ، فالقرآن هو من كلام الله عز وجل كما كان الانجيل وباقي الكتب المنزلة الأخرى وهو القرآن يثبت ويحق الكتب المقدسة الأخرى والوحى السابق . القرآن يضيف تعاليم أخرى تؤكد أهمية تلك التعاليم الماضية وفوق ذلك فهو يحترم كل أنواع العبادة الوثنية وروح الوحى هي أن لا يقرن اسم الله القوى العليم الرحيم بأى اسم آخر

روح الشكر هي خلاصة الدين الاسلامى والابتهال أصل فى طلب القيادة والارشاد من الله . انه وان كان شكري لله على كرمه وعنايته كان متأصلا فى من صغرى وأيام حداثى إلا أنني لأستطيع أن أشاهد ذلك من خلال السنين القليلة الماضية التى قرع فيها الدين الاسلامى لى حقا وتملك رشدى صدقا وأقنعنى نقاؤه وأصبح حقيقة راسخة فى عقلى وفؤادى إذ التقيت بسعادة وطما أئنة مارأيتهما قط من قبل ونجوت من العقائد الغربية المتعلقة بسائر فروع الكنيسة المسيحية المختلفة واستنشقت تلك النجاة كما أستنشق هواء البحر الخالص النقي ويتحقق من سلاسة وضياء وعظمة الاسلام ومجده أصبحت كرجل قفز من سرداب مظلم الى فسيح من الأرض تضيئه شمس النهار

عند ما قررت نهائيا أنه لا يمكن الحصول على أى راحة من التعليمات السكهنوتية أتتى الفكرة بأنه من المؤكد أن الله يلاحظ ويدير كل ارادة وكل حركة وعمل . انه يفعل ذلك حقا إلا أن التعليمات المجموعة من صحائف القرآن مكنتنى من أن أفقه معنى تلك الفكرة المريحة راحة عجيبة بطريقة كانت تستحيل على سابقا

إذا كانت كل حركة في الحياة لا تحركها إلا القوة الإلهية تكون هناك راحة حقيقية لا هؤلاء ، المتألمين والمعاقين عن السير في هذه الحياة فقط بل وهؤلاء الذين ذهبوا أنفسهم حشرات على أعمالهم العديدة الشيطانية والجنونية . كل هؤلاء الذين أتوا أعمالاً سيئة يجب أن يؤملوا في أن الله بحكمته غير المحدودة وجلاله سبحانه سيخلصهم مثلاً للآخرين كي يبرهم ما يجب أن يقلعوا عنه . إنه لفكر مخيف إلا أن المؤمن الحق يقابل بوجه كل محنة وخزي وانحطاط في الدرجة في سبيل المولى عز وجل

روح الاسلام تشير الى خلاص البائسين والتعساء والشريرين إن تبنا وأطعنا وتركنا الشرور والآثام وسعينا في مساعدة المحلقات بكل ما في وسعنا حتى بين الآلام العظيمة يجب علينا أن نكون مسرورين جداً بأن جعلنا الله واسطة للارشادات السماوية

دمر التعصب الديني الأعمى الكنائس المسيحية في تنافسها إلا أن ذلك لا يمكن أن يقال عن الاسلام الذي هو كتلة متحدة ، فما أحسن ذلك إذا كنا نحن معشر الغربيين نهجر في هذا الوقت تلك الأصناف الدينية الملبكة وتتخذ الدين الاسلامي

منذ سنين مضت وجد عند حكم إحدى الأمم المتنورة جداً في الشرق الأقصى شك كبير فيما إذا كانت طريقة الدين التي يدعوها صحيحة أم لا ، لذا عينوا رجالاً عقلاء مخصوصين ليدرسوا كل الديانات الرئيسية في العالم ويضعوا تقريراً عنها ، ففكر الرجال الحكماء وتساؤروا وفعّلوا كل ما يلزم ثم وضعوا النتيجة بأن ديانتهم هي حستة كباقي الديانات الأخرى ، لذا ليس لديهم أي ميل لينصحوها بتغييرها

انني لأعتقد اعتقاداً راسخاً أنه إذا اتبع هذا الرأي وكلف أحسن الأذهان وأنبه العقول الأوروبية بالبحث عن دين مبنى على الاعتبار الدنيوية والعقلية ولا يخرج عن الوحي السماوي الذي أتى به الأنبياء ما وجدوا باجتماع الآراء غير الاسلام ديناً فسهواته وعظمت مما لا يختلف فيه اثنان

أليست هذه من أعظم النعم أن تسنح لك الفرص بأن تعتق ديناً يتفق والحجج وبرضى القواد والضمير ورغبات المرء الداخلية كما أنه حال في نفس الوقت من القسوسية والكهنوتية وباقي التليكات الأخرى ؟

لا زال يعيش على ظهر هذه البسيطة في كلا الشرق والغرب هؤلاء الذين اتضح لهم الوحي المؤسس لحقيقة الدين الاسلامي وتعاليمه بأوضح وأجلى معانيه ، وربما كان الوقت الذي يريد الله أن يتضح الوحي فيه وينجلي لكل عباده الموجودين في هذا العالم ليس بعيد إلا أن ذلك يختص بهداية المولى سبحانه وتعالى لأنه لا يوجد من يعرف الميعاد . الكنائس المسيحية الكثيرة تناقض إحداها الأخرى مناقضة عظيمة ومعالمها لا هويتها (كهنيتها) وضعوا عقدة التعاليم المسيحية التي لا تحل ووضعوا تلك العقائد التي تدهش العقول دهشة عظيمة حتى أن العقول السليمة الصافية والقلوب المبصرة تنوق الى دين مفهوم مقنع وسهل غير معقد

مذاهب الكنيسة المسيحية سواء كانت رومية كاثوليكية أو بروتستانتية طردتني منذ طفولتي وانني لأعرف إذا ما كانت عدم ثقتي وأنا غلام صغير بهذه العقيدة كما وضعت بسانت اثناسيوس أقل قوة من ازدرائي واحتقاري اليوم لهذا الرجل الذي يضع القوانين من أعلى منصة الخطابة ويحكم على الملايين من الرجال بالهلاك الأبدي لأنهم لا يوافقونه ، وقد ظهر لي دوماً أنه من المهم جداً أن السادة الأشراف المتعلمين إذا أرادوا أن يدخلوا الكنيسة يجب عليهم أن يشتركوا بسرور وابتهاج في التسع والثلاثين مقالة الخيفة وهم يعلمون في قلوبهم أنهم لا يستطيعون أن يصدقوا نصف ما يضعون أسماءهم تحته

فكرت وصليت أربعين سنة كي أصل الى حل صحيح والرأي السائد عندي هو أن كل تراكيب هذا الدين المزعوم هي من عمل الانسان لا من عمل الله ويجب على أن أعترف أيضاً أن زيارتي للشرق ملائني احتراماً عظيماً للدين المحمدي السلس الذي يجعل الانسان يعبد الله حقيقة طول مدة الحياة لاني أيام الآحاد فقط

الاسلام دين السهولة العظيمة ، انه يرضى أشرف رغبات النفس ولا يناقض بأى حال من الأحوال تعاليم موسى أو المسيح عليهما السلام . انتهى الكلام على الفصل الأول

﴿ الفصل الثانى فيما ذكره العلامة الكونت هنرى دى كاسترى ﴾

(مقدمة)

كنت ذات يوم أجوب جوف الصحارى فى ولاية (حوران) بين زرقوم وسجير وخلفى ثلاثون فارسا كريما من أولاد يعقوب يمشون جماعات جماعات لأن حدة الخيل كانت تمنع من انتظامها وتجعل بعضهم اذا مسه التالى يصل صهيل الفيظ ثم يلفت وجهه الى الوراء ويضرب بأرجله فى الهواء وعمما قليل تسكن ثورته وتعود الجياد الى خطاها مطمئنة يسير أمام السكل حاد على فرس عظيمة بيضاء لا يهدأ لمراها ساكن الجياد وهو يترنم بما ينعش الجع من كلام أغلبه مدح فى كاتب هذه السطور فكنت فيهم كسلطان يتسابق كل واحد من حاشيته الى ارضائه باستعمال ما حفظ الشرق من أسرار الانحطاط النفسى فى مثل تلك المعاملات وكنت أصغى الى أشعارهم ساعات متتابعة بغير ملل وقد وعيت البعض منها وكلها أراجيز محبوكة الأطراف غير تامة المعنى بذاتها فلا تميز بين المادح والمدح والمخاطب والمتكلم بحيث يصعب علينا معشر الغربى إدراك مراميها ، وكنت أبلغ الخامسة والعشرين من العمر والفصل فصل الشتاء ويومنا يوم جيل تنشط الأبدان حرارته وبلغ ضوءه حد البهاء وروائحته تنعش السالكين وتجعل المستنشق شاعرا بتمام الحياة يتخالجنى مع ذلك إحساس آخر هو شعفى بتلك الممدوحة التى كان اسمها يروح ويغدو فى أقوال أولئك الشجعان ، وبينما نحن سائرون على هذه الحالة إذ سكنت الشاعر والتفت قائلا بصوت خشن « سيدى الآن وقت العصر » هنالك تجلت الفرسان واصطفوا لصلاة العصر مع الجماعة وصلاة الجماعة مفضلة عند الله فى اعتقاد المسلمين كما هى كذلك عند المسيحيين ، أما أنا فقد ابتعدت عنهم وكنت أودّ لو انشقت الأرض فابتلعتنى ، وجعلت أشاهد البرانس العريضة تنثنى وتنفرج بحركات المصلين وأسمعهم يكررون بصوت مرتفع ﴿ الله أكبر . الله أكبر ﴾ فكان هذا الاسم الالهى يأخذ من ذهنى مأخذاً لم يوجد فيه درس الموحدين ومطالعة كتب المتكلمين ، وكنت أشعر بحرج لست أجد لفظاً يعبر عنه سببه الحياة والانفعال ، أحسّ بأن أولئك الفرسان الذين كانوا يتدانون أمامى قبيل هذه اللحظة يشعرون فى صلاتهم بأنهم أرفع منى مقاماً وأعزّ نفساً ، ولوانى أطعت نفسى لصحت فيهم « أنا أيضاً أعتقد بالله وأعترف الصلاة وكيف أعبد » فما أجل منظر أولئك القوم فى نظامهم اصلاتهم بملايسهم وحيادهم بحاجتهم أرسالها على الأرض وهى هادئة كأنها خاشعة للصلاة ، تلك هى الخيل التى كان يحبها النبي ﷺ حبا ذهب به الى انه كان يسمح خياشيمها بطرف إزاره عملاً بوصية جبريل عليه السلام ، وكنت أرى نفسى وحيدا فى عرض هذه الصحراء على ما أنا به من اللباس العسكرى الضيق الذى يرم فيه الجسم الانسانى بغير احتشام تلوح على سمات عدم الإيمان فى مكان هو مسقط رأس الديانات كأنتى من الحجر أو من الكلاب أمام أولئك القوم الذين يكررون الى ربهم صلوات خاشعة تصدر عن قلوب ملئت صدقا وإيمانا ، وبينما أنا كذلك إذ جال بخاطرى ماورد فى التوراة من أن الله يسكن خيمة سام ويكثر من أولاد يافث ، وقد كان الفريقان مجتمعين فى ذلك المكان أولئك المصلون الذين هم من ولد سام محبون بدينهم وعبادة ربهم ورب آبائهم ، الله الذى دخل خيمة ابراهيم وأنا ابن يافث الذى يمتدّ ذكره بالحرب والفتوح ، ولما انتهى بنا الطريق ورجعت الى مكان راحتى جعلت أكتب ما علق بذهنى من الأفكار فأحسست اننى منجذب بحلاوة الاسلام كأنها أول مرة شاهدت فى الصحراء قوما يعبدون خالق الأكوان وذكرت خيام النصارى حيث لا تمجد فيها غير النساء وأخذنى الغضب من كفر أبناء العرب وقلة إيمانهم كنت فى سنّ يستسهل العقل فيه حل المشكلات وتأخذ الأشياء من ظواهرها ويحل الخيال فيه محل النقد والتعقيب ويعتقد المرء فى الامور بغير قيد وهو سقّ لو أنصف أهلوه لما كتبوا وألقوا وكنت أرى أن جبال الدين

أصدق شاهد على أنه الدين الحق وصرت أكتب في الاسلام غير شاعر بما يخطه القلم طوع الفؤاد
ولواني اتبعت مجرد الفواهر وقضيت على الامور بغير تأمل وتدقيق لجاء كتابي مذموما ورماني المستشرقون
بالخفة والطيش كما يرمون بحق بعض مؤلفي الجزائر من الاورباويين ، ذلك ان المشتغلين بالاسلام في هذه
الأيام (فريقان) المستشرقون الذين هم من أفاضل العلماء ومستعربو الجزائر من الافرنج أيضا ، ومما لاشبهه
فيه أن القسم الأول قد أفاد العلم أكثر من القسم الثاني فان أعمالهم أتتحت كثيرا من العناصر والمواد التي
يسهل بها اليوم وضع تاريخ للاسلام لأن ذلك التاريخ لا يزال مع ما تقدم في عالم الغيب وبعدهم يأتي مستعربو
الجزائر على نسبة الفرق بين غزارة المادة في العلم وسلامة النظر في الموجودات وهم يعيشون مع المسلمين
ويقهون غور أفسكارهم ويعلمون حقيقة معيشتهم وكنه دياتهم معرفة لا تحصل لأحد في غير تلك البلاد ،
وبهذا يرون أن لهم الحق في أن يكتبوا عن الاسلام كالمستشرقين ، نعم انهم لم يقفوا على جميع مآلفه المسلمين
في الحكمة وعلم الكلام ولكني لا أرى ذلك نقصا كبيرا إذ معرفة حقيقة الاسلام في هذا العصر لا تحتاج الى
سعة اطلاع ديني ، على أن مطالعة جميع الكتب التي وضعت في مبدأ ظهور هذا الدين انما تجب على المؤرخ
أكثر من غيره لأن علم الكلام وحب الخوض فيه قد اندثر منذ القرن الثاني عشر حيث أصبح الدين الاسلامي
قويا متينا لا تؤثر فيه مناقشة الباحثين وتخاصم المنتقدين كما أودت ياصول الديانات الأخرى فمن ذلك الحين صار
كل مسلم من عالم وجاهل ومن أمير وحقير مؤمنا إيمانا لا احتياج لتحكيم العقل في تحصيله بل هو إيمان
وجداني بسيط قوي في النفس متمكن من القلوب ، وذلك لا يشاهد في الأمم المسيحية إلا عند الفقهاء
ولقد رأيت من الواجب أن أبين الصفات التي تحولني حق الكتابة عن الاسلام قبل أن أنشر كتابي هذا ،
أنا عاشرت العرب أزمانا طويلا واشتغلت كثيرا بمعرفة حقيقة طباع الشرقيين ومذهبي مذهب مستعربو الجزائر
ولذلك أسأل المستشرقين ذوي الاعتبار عفوا ولينا وأطلب منهم قبل كل شيء أن لا يجمعوا بيني وبين أولئك
الذين يميلون الى العرب فيكتبون عن الاسلام ما تافهوه أثناء سياحة قصيرة بجاء قولهم قولا شمر يا حتى إن
الموسيو (لوازون) لم ينج من هذه السقطلة بل طاش قلمه وجذبه التخيلات فكان ممن يرى كل شيء في الشرق
جيلا وجاء رأيه في الاسلام رأى قوال لا رأى باحث حكيم ، وعليه فلست أقصد بكتابي هذا أن أجدد الاسلام
ولكني لما رأيت انه صار من المسائل الكبرى التي اشتغلت بها أذهان الباحثين في العصر الحاضر وأسست
من أجله مجلة علمية في باريس نال بها المسلمون نجاحا أدى الى أن المسيحيين ومنهم أولاد الصليبيين يساعدونهم
بالمال على إقامة مسجد يعبدون الله فيه انتهزت فرصة هذا الميل وأردت التنبيه الى بعض أغلاط علفت بالأفكار
عندنا من حيث النبي العربي ردينه الاسلامي وهو عمل شاق وموقف حرج إذ من المعلوم كما قيل انه لا يرسخ
في الاعتقاد أكثر من خطأ الاعتقاد كذلك أرى انه لا يكفي لأمة مسيحية متعدينة أن تحترم دين المسلمين
من رعاياها بل يجب عليها أن تسعى الى معرفة ذلك الدين كما ينبغي فنحن نضعك اشفاقا من سماع الأقاصيص
التي نقرأها عن بعض المسلمين للمسيحيين ونقول أولئك قوم جهلة متعصبون وانهم في بعضهم لنا مخطئون
إلا ان المسيحيين هم كذلك في بعضهم للمسلمين لا يعدلون وأشد الأوهام رسوخا عندنا بالنظر الى الديانة الاسلامية
ما اختص منها بشخص النبي ولذلك قصدت أن يكون عني أولا في تحقيق شخصيته وتقرير حقيقة الأدبية
عائني أجد في هذا البحث دليلا جديدا على صدقه وأمانته المتفق تقريرا عليها بين جميع مؤرخي الديانات

وأكبر المشيعين للدين المسيحي

(صدق سيدنا محمد ﷺ — محمد والأغاني المعروفة بأغاني الاشارات — محمد والتاريخ — أصل الاعتقاد)
(الوحي بالقرآن — ليس محمد مبتدعا — هل كان على الدوام صديقا — وفاته)

كنت كلما بحثت في الديانات مع صاحب لي من طلبية العلم في (تلمسان) وأراد الهرب من الجدال يحيني

« هم يقولون إن لله ولدا وإن محمدا ابن الساجين » إجابة لما ورد بالاحتقار كما يجيب المعتقدا قنادا ويدا أن يشفق عليه وذلك مع مبالغة في احتراي وحسن الصلات بيننا ، وكان يرى أن التثليث خرافة فادحة كسحر محمد وأن المسيحيين الذين اخترعوا البدعتين قوم لا ينفى الجدل معهم واست أدري ما الذي يقوله المسلمون لو علموا أقاصيص القرون الوسطى وفهموا ما كان يأتي في أغاني القوال من المسيحيين فجميع أغانينا حتى التي ظهرت قبل القرن الثاني عشر صادرة عن فكر واحد كان السبب في الحرب الصليبية وكلها محشوة بالحقد على المسلمين لأجهل السكلى بدياتهم وقد نتج عن تلك الأناشيد تثبيت هاتيك القصص في العقول ضد ذلك الدين ورسوخ تلك الأغلاط في الأذهان ولا يزال بعضها راسخا إلى هذه الأيام فكل ناشد كان يعد المسلمين مشركين غير مؤمنين وعبداء أوثان مارقين ، وقد جعلوا لهم ثلاثة آلهة هم على ترتيب درجاتهم (ماهوم) ويقال ماهوم وبافوميد وماهوميد وهو محمد ﷺ ثم (أبلين) ثم (ترفالجان) وذهبوا إلى أن محمدا وضع دينه بأدعائه الألوهية ومن المستغربات قولهم إن محمدا الذي هو عدو الأصنام ومبهد الأوثان كان يدعو الناس لعبادته في صورة وثن من ذهب كما كان يعتقد (الكرلوفنجيون) وأن المسلمين لما غلبهم الأفرنج وصنبرهم إلى أسوار (سرقسطه) عادوا إلى أصنامهم فخطموها كما طنطن به أحد منشدي ذلك العصر حيث قال ﴿ وكان أبلين إلههم في مغارة هناك فتراموا عليه وأوسعوه شتا وسبا وصلبوه من يديه في أحد العمدان وجعلوا يدوسونه بأقدامهم ويوجعونه ضربا بالعصى حتى هشموه ، وأما (ماهوم) فقد رموه في حفرة وتركوا السكالب والخنازير تهش وتمشي عليه وتلك إهانة لم تصب إلهة قبله ﴾ ويظهر أن المسلمين لم يلبثوا أن تابوا من ذنوبهم واستغفروا آلهتهم وأصلحوا ما أثلفوه منها ولذلك أمر الإمبراطور (كارلوس) بإبادتها لما دخل (سرقسطه) كما جاء في قول ذلك الشاعر وقد أمر الأمبراطور الفرنسيين فطافوا جميع أنحاء المدينة ودخلوا المساجد والجوامع وبأيديهم مطارق من حديد فكسروا بها (ماهوميد) وجميع الأوثان والأصنام ، وكذلك يقول (ريشار) في أناشيده وهي جميلة ﴿ لاشئ من الخراف فيها إلا أنها زور وبهتان حيث يطلب من الله أن يوقع الفشل العميم بين أولئك الذين يعبدون بصورة ماهوم ﴾ ثم جعل يحرض الأشراف على الحرب المقدسة وينصحهم أن ينكسوا أصنام المسلمين ﴿ قوموا ونكسوا صنم ماهوميد وترفالجان وصوبوهم على النار وقدموهم إلى ربكم ﴾ وذهبوا إلى أن صورة (ماهوم) كانت تصنع من أنفس الأحجار والمعادن بأحكم صنع وأدق اتقان . ومن قرأ وصفه في أناشيد رولان كاد يحلف أن ذلك الشاعر إنما يصف عن خبر وعيان . يقول وكانت كلها من الذهب والفضة لو شاهدتها لأيقنت بأنه لا يمكن للعقل أن يتصور أجمل منها ، عظيمة الشكل ، لطيفة الصنع ، تلوح على وجهها سمات الشهامة . كان (ماهوم) من ذهب وفضة يأخذ بريقها بالأبصار وقد وضع فوق فيل على جلسة من أجل المصنوعات خلوايا من جوفه فبرى الضوء من خلاله مرصعا بنفائس الأحجار المضيئة ، يرى الناظر باطنه من الظاهر وهو صنع عز عن المثال والنظير ، ولما كانت الآلهة تنزل الوحي وقت الشدائد وانهمزم المسلمون في إحدى غزواتهم بعث قائدهم إلى مكة يطلب ربه ، قال الراويون لجاء الإله محمد في موكب عظيم يضرب بالطبل والزماير ضربا يسمع له دوى قاصف وبعضهم يغني بالمزمار والآخر بصفارة من الفضة والسكرل حوهم يرقصون ويغنون بأعلى أصواتهم وأقبلوا به فرحين حيث المجلس معقود والخليفة الديني في انتظاره فلما رآه قام يعبد به بخشوع وخشوع ثم أخذ (ريشار) بعد ذلك يقص كيفية مناجاة أولئك الوثنيين لذلك الصنم الذي وصفه بالتجويف وأن لاشئ في باطنه إلا ويرى من الخارج فقال ﴿ وقد وضعوا في جوفه عفرينا استحضره السحرة وصار ينظر ويعربد ثم أخذ يكلم المسلمين وهم يسمعون ﴾ واقد زاد بغضهم لذلك الصنم حتى جعلوه علامة على الدين الاسلامي كما جعلوا الصليب علامة للدين المسيحي ، فروى (بودوان) في نشيده على الكون نفسه (بونتيو) لما أرادت أن تعتنق الاسلام أمام صلاح الدين أنها قالت ﴿ أريد أن أعبد محمدا فاتتوني به فلما صار بين يديها خرت ساجدة

اليه) ويأخذ القارئ من نشيد آخر يظهر أنه وضع تقة لأناشيد (بودوان) وجود إلهين للمسلمين غير الذين سبق ذكرهم وهما (بارتوان) و (جوين) إلا ان الثلاثة الأولين هم الرؤساء ، ولما ردت أحد قواد المسيحيين جيش المسلمين الذي خرج من مكة أخذ الشاعر يصف اضطراب المسلمين فقال ﴿ وقد جعل الوثنيون يصيخون ويصرخون ويموجون بينهم ويهرجون وينادون بأعلى أصواتهم يترفجان يماهوم ومع ذلك يوجد نشيد من أناشيد القرون الوسطى لا يرى فيه القارئ رمزا الى محمد بالصنم وهولقسيس (اسكندروديون) ألفه سنة ١٢٥٨ ميلادية أخذا عن مسلم تنصر من ذوي الاعتبار وعد الناس تلك القصة تاريخا صحيحا عن ذلك النبي وقد جاء فيها ﴿ انه من المعلوم أن محمدا كان عالما بطرق المكر والخيانة والخداع ﴾ ثم شبهه بأحد الأمراء المحاط بأتباعه ينشر دينه على أبسط حال حتى اعتقده الناس أكثر مما اعتقدوا جبر روة

ولقد أطلنا القول في تلك الأضاليل لأن تاريخ اسكندر المذكور لم يزلها ولأنها تركت أثرا في الأذهان وصل الى أهل هذه الأيام ونشبت به أفسكارهم في النبي وكتابه

ولو سأل سائل هل كان أولئك المنشدون يعتقدون صحة ما يقولون لأجبناه جواب أهل (نومعدة) لا ونعم إذ من المحقق أن الاختلاط بين المسيحيين والمسلمين سهل للمنشدين معرفة الدين المحمدي على حقيقته ولكنهم ما كانوا يقصدون الحقائق التاريخية في أناشيدهم بل حفظ روح البغضاء في نفوس قومهم فاحتاجوا في ذلك الى وصف المسلمين ونبههم بالأوصاف التي تؤثر في نفوس المنشود لهم على حسب معارفهم وأمياهم وإذا انتقلنا من شعراء القرون الوسطى الى من جاء بعدهم من المؤرخين والمتكلمين الباحثين في علم التوحيد الذين يظهرون كتبهم في ذلك الزمن أنهم مبالغون الى الاعتدال وجدنا مؤلفاتهم محشوة بتلك الأفاقيص الخرافية مماوعة بالظلم والشتائم في نبي المسلمين وكان المصاحفون (هم البروتستان أيام دعوتهم لاصلاح الدين المسيحي) أشد تعصبا ضده من غيرهم فقد اعتنى (ببلياندر) بتشبيه محمد بالشیطان وعاملوا كتابه وشرعه كما عاملوه ولنا نقيم برهانا على ما نقول غير توجيه نظر القارئ الى مطالعة ما جاء في مقدمة كتاب (ريلان) الذي ألفه سنة ١٧٢١ تحت عنوان ﴿ ما هو السبب في أن الناس عامة لا يعرفون من الديانة المحمدية إلا شيئا يسيرا ؟ ﴾ حيث يقول ﴿ لو أراد الباحثون أن يصموا مذهبا أو طريقة بوصمة الخزي والعار نسبوها الى محمد فقالوا مذهب محمدي أو طريقة محمدية وهكذا ﴾

وألف القس (دون مارتينو الفرنسويقالدو) كتابا سماه ﴿ سراج الكنيسة المقدسة الذهبية ﴾ جاء فيه أن كتاب محمد لا تلزم قراءته بل يجب أن يسخر به وأن يحتقر ويرى في النار أنى وجد ، ولا يليق أن يحفظه الناس لأنه عمل بهيمى ، وبعضهم كان لا يقول بحرقه ولكنه يرى من العبث أن يجهد الانسان نفسه ويزيد أيلامها بحفظ هزليات وأمور تافهة منشؤها خيالات شخص اختل عقله واضطربت قواه

وأما المسلمون فمن أسمائهم في تلك الكتب البلدة والكسالى والحير والحير الوحشية والمعقوتون الذين يملئون المنزل بالنساء في الليل ويطلقونهن في النهار ، ولو أردت الاطلاع على جعبية الشتائم والسباب فعليك بكتاب ألفه أحد اليسوعيين وهو (بروشار) وسماه مرشد السياحة وقده الى الأمير (فيليب روقالو) سنة ١٣٣٢ وذكر فيه الأسباب التي تجعله على الدعوى الى حرب صليبية فقال ﴿ من ذا الذي لا يدرك عبرات الدمع عند ما يعلم أى الرجال هم القابضون اليوم على تلك البقاع التي هي ميراثنا ، أولئك قوم لارب لهم ولادين يهدبهم ولا شرع يرجعون اليه ولا عهد ولا حنان ، أولئك قوم أخساء أدنياء وهم أعداء لكل حقيقة في الوجود وكل صفاء وكل خير وكل عدل أولئك هم أعداء الصائب الكافرون بالله المضطهدون للمسيحيين المفرطون في نسايتهم ، الفاسقون بالأطفال ، الظالمون للجسم الحيوانات ، المخالفون لطباع البشر ، القتالون للفضائل ، المميئون للأخلاق . الفارقون في القبائح والخطايا . أولئك هم أولياء الشيطان . رانصار الدنيا . ذوو حقد وبغض .

ذو أفكار سافلة . وأعمال ضعيفة . وعيشة دنيتة . وأقوال بذيتة . وعشرة سوء معدية . لا تنصرف أرواحهم ولا تتجه همهم إلا إلى اللذائذ البهيمية والمعيشة الطمعية ، أولئك هم القوم الذين أبعدونا عن تلك البقاع وآذونا في هذه البقعة الصغيرة التي نحن فيها مستهزئين بنا وساخرين بديننا أولئك هم الذين خربوا بيت الله وملكوا المدينة المقدسة التي هي مهبط شرعنا ولوثوا أماكنها المقدسة المطهرة

ولم يزل هذا الروح سائدا عند المسيحيين حتى أن المستشرق (بريدو) الانكليزي ألف سنة ١٧٣٣ كتابا في سيرة النبي عنوانه ﴿ حياة ذي البدع محمد ﴾ وترجمه بعضهم إلى لغتنا وجعل له مقدمة بين فيها مقصد المؤلف فقال ﴿ إن غرض واضع هذا الكتاب هو خدمة المقصد المسيحي الحكيم بذكر حياة ذلك الرجل الشرير محمد ﴾ أولئك كتاب ما قصدوا التاريخ ولكنهم أرادوا خدمة المقصد المسيحي الحكيم كما يقولون وكان سلاحهم الوحيد في تأييد سواقط حججهم أن يشبهوا خصمهم سبا وشتما وأن يحرفوا في النقل مهما استطاعوا وأراد (داماسين) أن يخالفهم في التأليف لكونه تربي في دمشق الشام وكان مقربا عند الخلفاء فجعل يرد منهج الاسلام من غير تعصب لذلك عده بدعة في الديانة المسيحية تقرب من بدعة (أريوس) ومع ذلك فلم تؤثر عبارته في رأي الغربيين بل ظالوا يعتقدون الخرافات في النبي وقرآنه وكان رؤساؤهم الروحانيون يجتهدون دائما في تأييدها وتمكينها من الأذهان وهي سياسة جعلت الناس عندهنا يهزؤون بالدين الاسلامي وأغنت الباباوات عن حربه حربا صحيحا فقد كانت الكنيسة اللاتينية في القرن الثامن مشغولة بأمور أخرى لأن الكنيسة الشرقية كانت واقعة بين عاملين ، ضارين هما أحزاب النفس الواحدة في جسدتين وأحزاب النفس في جسم واحد . ولم يبدأ في البحث عن الاسلام بغير تعصب ولا تشيع إلا في زمننا هذا ، ففي القرن التاسع عشر أخذ الباحثون ينظرون إلى المسألة نظر الناقد البصير وكان من وراء ذلك أن افترق الناس في القرآن إلى معجب به وطاعن فيه ومع ذلك لا يزال نرى في لسان هذا القسم الأخير ما تشم منه رائحة تأثرهم بالأفكار الماضية قال المسيو (دروختي) في سياحته في بلاد العرب التي نشرها سنة ١٨٧٨ عن النبي (انه عربي خاشع دنيء) وقد نسي أن هذه الألفاظ التي يشتمل منها السامع لم تعد تصلح اليوم حجة على صحة الدعوى . وأول ما دار البحث فيه مسألة صدق النبي في رسالته وقد قلنا ان ذلك متفق عليه بين المستشرقين والمتكلمين على التقريب ، ومعلوم أنه لا ارتباط بين هذه المسألة وبين كون القرآن كتابا منزلا ، ولنا نحتاج في إثبات صدق النبي إلى أكثر من اثبات انه كان مقتنعا بصحة رسالته وحقيقة نبوته ، أما الغرض من تلك الرسالة في الأصل فهو إقامة إله واحد مقام عبادة الأوثان التي كانت عليها قبيلته مدة ظهوره . وبيان ذلك أن اسماعيل لما حققت عليه (سارة) وطرده من عائلة أبيه توجه إلى بلاد العرب ونقل إليها ديانة أبيه ابراهيم إلا انه لم يبق بين العرب من تلك الديانة سوى شيء قليل يشبه الخيال إذ لم يكن عندهم من يذكرهم على الدوام بأن رب ابراهيم هو رب عزير لا يقبل له شريكا كما حصل ذلك لابني اسرائيل ولا يزال هذا الاعتقاد يزول شيئا فشيئا وتحل محله عبادة الآلهة التي كانت معروفة في أمم أخرى حتى تنوسى دين اسماعيل تماما ثم دخلت اليهودية في بعض القبائل المجاورة لبلاد الشام ولكن الديانة المسيحية لم تعلق في تلك البقاع حتى ان (تيت) قس البصرة اعترف في القرن الرابع بأن معيشة العرب الرحالة النقلة تمنع من انتشار تلك الديانة في بحيث جزيرة العرب إلى أن قال ثبت إذن مما تقدم أن محمدا ﷺ لم يقرأ كتابا مقدسا ولم يسترشد في دينه بمذهب متقدم عليه خلافا لما ذهب إليه (اسكندر ديون) حيث يقول ﴿ انه كان يعرف في دين اليسوع قراءة وكتابة ﴾ نعم إن البحث عن معرفة المصادر التي عساه يكون تلقى عنها بالمشافهة ديانة المسيح أو الديانة اليهودية أو ديانة عباد الكواكب قد يكون مفيدا لمعرفة الموافقات التي جاءت بين القرآن وبين التوراة إلا أنه بحث ثانوي إذ لو فرض وكان القرآن قد نقل بعضا من الكتب المقدسة الأخرى لبقى الأمر مشكلا كما كان عليه في معرفة حقيقة ما اختلج

بروحه الديني وكيف وجد فيها ذلك الاعتقاد الثابت بوحدانية الله حتى استولى عليه روحا وجسما ولقد نعلم انه مرّ بمتاعب كثيرة وقاسى آلاما نفسية كبرى قبل أن يخبر برسالاته فقد خلقه الله ذا نفس تمحصت للدين ، ومن أجل ذلك احتاج الى العزلة عن الناس لكي يهرب من عبادة الأوثان ومذهب تعدد الآلهة الذي ابتدعه المسيحيون وكان بفضهما متمكنا من قلبه وكان وجود هذين المذهبيين أشبه بآبرة في جسمه ﷺ والسكى ينفرد بما نزل فيه من الفكر العظيم وهو وحدانية الله تعالى اعتكف في جبل حراء وأرسخ العنان لفكره يحول في بحار التأملات عابدا متهجدا ومضت عليه بهذه الحالة ليال من ليالى هاتيك البقاع التي تملأ النفس انشراحا حتى جاء عنها في لسان العامة أن الملائكة تسأل ربها لوأذن لهم فيهبطوا من السماء لقضاء ليلهم على الأرض اعجابا بحمال الليل فيها وشوقا الى صفاته وجلاله

ولعمري فيم كان يفكر ذلك الرجل الذي بلغ الأربعين وهو في ريعان الذكاء ، ومن أولئك الشرقيين الذين امتازوا في العقل بحدة التحيل وقوة الادراك لا بوضوح المقدمات وتعليق النتائج عليها ما كان إلا أن يقول صارا ويعيد تكرار هذه الكلمات ﴿ الله أحد . الله أحد ﴾ كلمات رددها المسامون أجعون من بهيمه وغاب عنا معشر المسيحيين مفزاها لبعدها عن فكرة التوحيد ولم يزل عقله مشتغلا حتى ظهر هذا الفكر في كلامه على صور مختلفة جاءت في القرآن - لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد - وكانت مترادفات للغة العربية تساعده بمعانيها الرقيقة على تردد ذلك الفكر السامي الذي دلّ عليه ، ومن تلك الأفكار وتلك العبادة تولدت كلمة الاسلام ﴿ لا إله إلا الله ﴾

ذلك هو أصل الاعتقاد بإله فرد ورب صمد منزّه عن النقائص يكاد العقل يتصوره وهو اعتقاد قوى يؤمن به المسلمون على الدوام ويمتازون به على غيرهم من القبائل والشعوب ، أولئك حقا هم المؤمنون كما يسمون أنفسهم بأسمائهم ، ولقد يستحيل أن يكون هذا الاعتقاد وصل الى النبي ﷺ من مطالعته التوراة والانجيل إذ لو قرأ تلك الكتب لردّها لاحتوائها على مذهب التثليث وهو مناقض لفطرته مخالف لوجدانه منذ خلقته فظهر هذا الاعتقاد بواسطته دفعة واحدة هو أعظم مظهر في حياته وهو بذاته أكبر دليل على صدقه في رسالته وأمانته في نبوته

وأما مسألة الوحي بالقرآن فهي أكثر اشكالا وأكبر تعقيدا لأن الباحثين لم يهتدوا الى حلها أحلامرضيا والعقل يحار كيف يتأتى أن تصدر تلك الآيات عن رجل أمي وقد اعترف الشرق قاطبة بأنها آيات يجهز فكر بني الانسان عن الايمان بمثلها لفظا ومعنى ، آيات لما سمعها عقبة بن ربيعة حار في جأطها وكفى رفيع عباراتها لا قناع عمر ابن الخطاب فآمن برب قائمها ، وفاضت أعين نجاشي الحبشة بالدموع لما تلا عليه جعفر بن أبي طالب (سورة آل عمران) وما جاء في ولادة يحيى وصاح القنسس ﴿ إن هذا الكلام وارد من موارد كلام عيسى ﴾ قال ناقل هذه الرواية (كوزان دي يرسوفال) فلما كان اليوم الثاني طلب النجاشي جعفرا وأشار اليه بتلاوة ما في القرآن عن المسيح ففعل واستغرب الملك لما سمع أن المسيح عبد الله ورسوله وروح منه نزل في أمه مريم ثم تناول قضيبا دقيقا كان أمامه وقال لجعفر ﴿ إن الفرق بين ما سمعناه منك الآن عن عيسى وبين ما تقول دياننا عنه لا يزيد عن سمك هذا التضييب وقد قوى ذلك التضييب فنعج الحبشة من الاسلام وجعلها مسيحية الى الآن لكن نحن معشر الغر بين لا يسعنا أن نفقه معاني القرآن كلهمي لمخالفته لأفكارنا ومغاييرته لما ربيت عليه الأمم عندنا غير أنه لا ينبغي أن يكون ذلك سببا في معارضة تأثيره في عقول العرب ﴾ ولقد أصاب (جان جاك روسو) حيث يقول ﴿ من الناس من يتعلم قليلا من العربية ثم يقرأ القرآن ويضحك منه ولوانه سمع محمدا ﷺ عليه على الناس بتلك اللغة الفصحى الرقيقة وصوته المتقنع المشبع الذي يطرب الآذان ويؤثر في القلوب والنفث الى انه كلما بدت أحكامه أيدها بقوة البيان وما أوتيته من بلاغة اللسان نخرت ساجدا على الأرض وناداه أبها

النبي رسول الله خذ بيدنا الى مواقف الشرف والفخار أو مواقع التهلكة والاحطار فنحن من أجاك نود الموت أو الانتصار * قال (بولاتيلير) * (إني لأعترف بأنه من الصعب أن ينطق الإنسان ولا يجير في أمره أن قوة الفصاحة الانسانية تؤثر ذلك التأثير خصوصا انها تصدر عالياً فيضعف أبداً وتتجدد رفعة معجزة إذ تقتصر دون تمثيلها رجال الأرض وملائكة السماء * وقد أشار المؤلف في كتابه الى الآية الآتية - أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات واشعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين * فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو -

إذن ليس محمد من المبتدعين ولا من المنتحيين كتابهم وليس هو بنبي سلاب كما يقول المسيو (سايرس) نعم قد نرى تشابهاً بين القرآن والتوراة في بعض المواضع إلا أن سببه ليس من المعرفة ، ذلك أن محمداً كان يلصق ديانته الاسلام بالديانتين المسيحية واليهودية فالبحث مباح فيما إذا كان مذهبه صحيحاً أو موضوعاً اتخذهُ ليؤيد به الحقيقة الدينية من حيث هي ولكن لا نسلم انكار هذه الحقيقة وحينئذ لا عجب إذا تشابهت تلك الكتب في بعض المواضع خصوصاً إذا لاحظنا أن القرآن جاء ليتممها كما أن النبي ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين والآن نلخص لك مذهب نبي المسلمين في الديانات الثلاث فنقول * (إن دين الأنبياء كان كله واحداً فهم متحدون في المذهب منذ آدم الى محمد وقد نزلت * ثلاث كتب * سماوية وهي الزبور والتوراة والقرآن والقرآن بالنسبة الى التوراة كالنوراة بالنسبة الى الزبور أو أن محمداً بالنظر الى عيسى كعيسى بالنظر الى موسى ولكن الأمر الذي تهتم معرفته هو أن القرآن آخر كتاب سماوي ينزل للناس وصاحبه خاتم الرسل فلا كتاب بعد القرآن ولا نبي بعد محمد ﷺ ولن تجد بعده لأكلمات الله تبديلاً ، إذا تقرر هذا لم يعد هنالك وجه للاستعراب من وجود بعض التشابه بين القرآن والتوراة فمحمد كعيسى قال انه بعث ليتم رسالة من قبله لا ليبدلها فلم يكن من أمره الابتعاد عمن تقدمه ولذلك كان يصريح على الدوام بأنه يعيد على الناس ما نزل على الأنبياء من قبله وكان يسمع صوتاً من السماء يقول له - إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والأنبياء من بعده وأوحينا الى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآية داود زبوراً * ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً * رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكماً - وقال تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون - وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون بالبينات والزبر وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون - على أن بعض المشابهات لا تحتاج الى مثل هذا التفسير إذ نفس محمد كانت متأثرة بما تأثرت به نفوس الأنبياء من بني اسرائيل وكان يعبد الله الذي عبده فلاحجب إن تشابهت ألفاظ التضرعات وتجانست أنواع الدعاء ، إذن لا يمكن أن ننكر على محمد ﷺ في الدور الأول من حياته كمال إيمانه واخلاص صدقه ، فأما الإيمان فلم يترزع مثقال ذرة من قلبه في الدور الثاني وما أوتيته من النصر كان من شأنه أن يقويه على الإيمان لولا أن الاعتقاد كله قد بلغ منه مبلغاً لا محل لازيادة فيه ولم يكن فيه عيب بل ان مانسبوه اليه من هذا القليل لا يؤثر بشئ على سيرته الطاهرة فما كان يعيل الى الزخارف ولم يكن شحيحاً بل كان كما قال أبو الفداء يستدر اللبن من نعاجه بنفسه ويجلس على التراب ويراق ثيابه ونعاله بيده ويلبسها مرقعة مرقعة وكان قنوعاً خرج من هذا الباب كما رواه أبو هريرة ولم يشبع من خبز الشعير مرة في حياته

هذا هو النبي الذي قال عنه المنشدون من النصارى * (إنه كان منهما يأتي المغيبات في الخانات * تجرد من الطمع وتمسك من نوال المقام الأعلى في بلاد العرب ولكنه لم يجنح الى الاستبداد فيها فلم يكن له حاشية ولم يتخذ وزيراً ولا حشماً وقد حاز الرفعة والمعالى وبلغ من السلطان منتهاه

ومهما اجتهدنا في ادراك كل معنى من معانيه فانا به جاهلون فلقد وعد ملاك بني اسرائيل أن يرسل المسيح من أصلهم ورأينا أن عيسى ولد على غير ما عهدوا . على أن محمدا ﷺ كان يقول عن نفسه انه ينشى العذاب ويسأل الله التفران ، وكمن مرة شوهدت على وجهه علائم الطلع ومابه من هول رسالته عندما كان يتلو على الناس آيات الفزع الأكبر

هذا ما كان من صدقه وأمانته في السنين الأولى من بعثته حتى سماه معاصروه بالأمين . وأما حاله في بقية مدته بعد أن صار رئيسا سياسيا فالاستدلال عليه أدق وأدعى الى طول البحث والتفتيش * قال رينارد دوزي (يكاد أن يكون من المستحيل الجزم بأن محمدا كان في آخر حياته يعتقد بصديق رسالته . أما في الدور الأول فاعتقاده وصدقه لاشك فيهما والأدلة كثيرة من الجانبين ووضع المسألة على هذه السكيفية هو الذي فرق بين الباحثين وانصر كل حزب من المتطفلين لرأى وحجة تبع أمياله وما يشتهي إلا ان الناقد المنصف لا يصح له عليه أن يرجح قولاً على آخر بدون ملاحظة القرائن التي تتبع الاثنين ، ولكن الناس كما وصفهم المسيو (مونور) محتاجون الى الايقان والاعتقاد وهم في احتياجهم هذا يميلون الى من يلقى عليهم المسائل كلها كأنها حقيقة ثابتة ويمقتون من ينههم عن الاعتقاد بشئ أو نفيه مطلقا بغير تثبت ولادليل ولست ممن يدعى الترفع عن هذا التقرير غير انني أقول انه بفرض صحة المذهبين وان صدق النبي في آخر حياته وعدمه سيان في الوضوح والدليل فلا يزال عندنا سبيل آخر للوصول الى الحقيقة أو القرب منها ألا وهو علم النفس وحركاتها وهذا العلم وان لم يبلغ بعد الدرجة التي تزيل كل شبهة علق بالافكار لاسكنه مع ذلك يوصلنا الى الايقان بأن من الأنبياء من لا يتيسر للباحثين أن يجزموا بشئ في أمرهم كأن يؤكدوا أنهم صادقون أو أنهم جروا في أعمالهم على ما يخالف الواقع وهم يعملون كما يفعل السياسيون ، ومامن كاتب ولا باحث يستطيع أن يجزم بأن الأمبراطور (كونستنتان) الذي رفعه القسس مكانا عليا في المعابد واختصوه بالمواهب الإلهية كان صادقا بعد انتصاره في قنطرة (ميلفيوس) ولكن محمدا قاوم الوثنية بعزم واحد طول الحياة ولم يتردد لحظة واحدة بينها وبين عبادة الواحد الأحد كما فعل الملك الروماني وإيمانه كان حقا ثابتا على السوام ، لذلك لم تتغير حياته ولم تفرغ عزيمته فقد انتهى كما بدأ ولوانه جال بفكره ساعة من زمانه شك في صدق رسالته لكفى بنصره الدائم منيلا لهذه الغمة ومؤيداه في صحة صوته وصدق رسالته ﴿

وفي الصدق درجات فليتيقنها الباحثون وليفقهوها قبل أن يحكموا بالبدع وهم مخطئون ، ولقد عانى محمدا ﷺ كثيرا مع بني قومه إذ كانوا منكبين ولم يأخذهم على غرة منهم بعد أن صاروا مؤمنين ، نحن لانصدق بما يقولون بل نرى أن قومه كانوا في استعمال أمانته من المتطرفين ، ولئن أعجم لهم القول حيناً في مخاطبتهم فذلك لأنه يعز وجود من يحب الحق ولا تلجئه الحوادث الى الاعجاب طلبا لتقريره في ذهن قوم جامدين . إن الذين ينكرون صدق محمدا في آخر حياته لا يستطيعون أن ينكروا عليه انه بقي الى آخر لحظة منها نبيا رسولا شديد التمسك بمذهبه وانه فارق الدنيا موقنا بأداء رسالته فلقد اتفق مؤرخو العرب طرا على الحوادث التي تخللت أيامه الأخيرة وأورثونا عنهم ما كان من حركاته وسكناته بقول واحد ومعنى لا يتغير مما يبرهن على صدق حديثهم وأماتهم في نقلهم ، ولولا زيف المنشدين من النصارى وكثرة تخيلهم لما قالوا ﴿ إن محمدا قد مات تهش الخنازير إذ وجدوه نشوان وليس عنده معين ولا نصير ﴿ تلك جريئة لا تغفر ، ومما يستغرب له المطالع أن يجد حكاية هذا الموت الفاضح في تاريخ الحرب الصليبية الأولى مؤلفه (جيبيردى نوجان) وهو عدد من المؤرخين الذين لا يميلون الى التخريف غير انه أتى بهذه الأكذوبة وزاد عليها أن المساعين كرهوا لحم الخنزير من ذلك التاريخ فلنسدل ثوب النسيان على هذه الأقاصيص المحزنة ولنقرأ كيفية وفاة النبي في كتب المؤرخين الصادقين لما قربت المنية خارت قواه وخرج الى الحج بمكة في شهر مارس سنة (٦٣٢) ميلادية وهي حجة الوداع

وخطب في الناس على منبر المسجد المقدس فقال ﴿ رب انى أدت رسالتى وبلغت أمانتى اليوم قال الله تعالى - اليوم ينس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون ﴾ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً - ثم رجع الى المدينة وأقام بيت عائشة زوجته المصطفاة برضا من زوجاته ، ولما أحس بقرب الأجل ذكر الفقراء فانه لم يرغب طول حياته فى المال بل كان كلما جمع اليه شيئاً منه أنفقه فى الصدقات ، وكان قد أعطى عائشة مقداراً يسيراً اتحفه فلما حضره المرض أمر بانفاقه على المعوزين لساعته وغاب فى ستة ولما أفق سألها عما اذا كانت أنفدت أمره أم لا فأجابه . كلاًه فأمر بالنقود وأشار الى العائلات المعوزات فوزع عليهم وقال الآن استراح قلبى فانى كنت أخشى أن ألقى ربى وأنا أملك هذا المال ، وكان فى مرضه يخرج كل يوم ليصلى الظهر بالناس وآخر يوم خرج فيه هو الثامن من شهر يونيه سنة ٦٣٢ وكانت مشيته مضطربة فتوكل على الفضل بن العباس وعلى بن أبى طالب وقصد منبر الخطابة الذى كان يعظ الناس عليه قبل الصلاة وحمد الله وأثنى عليه ثم خطب فى المسلمين بصوت رفيع سمعه من كان خارج المسجد فقال « أيها الذين تسمعون قولى إن كنت ضربت أحدكم على ظهره فدونته ظهري فليضربه ، وإن كنت أسأت سمعة أحد فلينتقم من سمعتى ، وإن كنت سلبت أحداً ماله فاليه مالى فليقتص منه وهو فى حل من غضبي فان الغل بعيد عن قلبى » ثم نزل من المنبر وصلى بالجماعة ، ولما أراد الانصراف أمسك به رجل من إزاره وطلب منه ثلاثة دراهم ديناً له فأذاها على الفور قائلاً « نخزى الدنيا أهون من خزى الآخرة » ثم دعا لمن حارب معه فى (أحد) وسأل الله لهم الرحمة والغفران ، وكان مشهد النبى بين المؤمنين فى ذلك اليوم مشهد جلال ووقار والناس يلمحون على وجهه تأثير الاسم الذى شربه من يد يهودية خبير وقلوبهم منفطرة من الوجد عليه ، ذلك انه لما كان فى واقعة خيبر قدمت اليه يهودية اسمها (زينب) شاة مشوية أضافت اليها سمها فأخذ منه النبى ﷺ قطعة واحدة بين شفتيه وأحس بأنها مسمومة فألقاها ، ثم لما حضرته الرفاة بعد حين كان يقول « مازالت تعاودنى أسكة خيبر » وكانت أبو بكر نفسه يبكى ويقول للرسول « هلا افتدينا روحك بارواحنا » ثم أوصله الصحابة الى بيت عائشة واضطجع تعباً مهزولاً وصار المرض يشتد عليه فتخلف عن الصلاة بالمسلمين وقيل له قد جاء وقت الظهر فأشار الى أبى بكر ليصلى بالناس فكان من وراء هذه الإشارة خلافة أبى بكر بعد النبى ﷺ وأخبرت عائشة رضى الله عنها عن حالة الاحتضار فقالت كانت رأس رسول الله ﷺ مسندة الى صدرى وبقربه قدراء وكان يقوم ليضع فيها يده ويمسح بجبينه ويقول « رب أعنى على تحمل سكرات الموت أدن منى يا جبريل ، رب اغفر لى واجمع بينى وبين أصدقائى فى السماء » ثم ثقلت رأسه ومال ثانية الى صدرى

أما مخلفاته فبیت بناء بيده و بضع نياق أكلت الى بيت المال لأنه عليه الصلاة والسلام قال « نحن معاشر الأنبياء لانورث » والى هنا نقصر القول عن ذات النبى فما أردنا أن نطيل فيها إلا لنعرف حقيقة تلك النفس المتشعبة بالدين إذ الدين يدعو الى الدين وكان من الواجب دقة البحث عن اعتقاده ﷺ قبل أن نتبع دينه كيف انتشر ولا يزال ينتشر فى الوجود

﴿ الاسلام فى زمن الفتح ومدة حكم العرب ﴾

قال القديس (بولس) يطلب اليهود معجزات ليصدقوا واليونان أدلة ليؤمنوا ، وأما العرب فاهمهم آمنوا بغير معجزات ولا أدلة إذ النبى كان يقول جلسائه على الدوام انه آدمى مثلهم وانه مرسل اليهم وانه مجرد عن كل سلطان فى المعجزات - قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما إلهكم إله واحد - قل لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون - وأما البراهين فنحن نعلم مقدار بعد عقله عن التخيلات الذهنية كالآمة التى بعث فيها الا اننا رأينا الاسلام

في واقعة بدر سنة ٦٢٤ ميلادية وليس له من الأنصار إلا ثلثائة وأربعة عشر نفرا فلم يحض عليه قرن واحد حتى اجتاز جبال (الالب) وتوسط البسلاد الفرنسية ، وقد أسلمت الشام والحجج ومصر وبلاد الغرب من مراكش الى الجزائر الى تونس الى طرابلس ، نعم قد سبق هذا الانتشار العظيم عناء شديد واضطراب في العمل كثير واضطهاد للناس كبير شأن كل ديانة عامة في مبدئ ظهورها ولكن الاسلام لم يلبث أن تغلب على أكبر العثرات فهدم الصعاب حتى صار لا يعرف حاجزا ولا مانعا

وما أشبه الدين في انتشاره بامتداد السائلات الطبيعية فهو نتيجة ﴿ مؤثرين ﴾ مؤثر داخلي يسمى المقاوم ومؤثر خارجي وهو المحرك والأول خفي لا يظهر أثره وان كان هو الذي يلتقط جميع الحرارة الواصلة الى الجسم فعمله الوحيد التغلب على مقاومة العناصر فاذا انحلت جاء المؤثر الخارجي فنشأ عنه مع اختلاف يسير تمدد الجسم العظيم الذي يسمى تبخرا وقد احتاج الاسلام في الانتشار الى التغلب على قوة العوائد والتقاليد التي وجدها وهو مانع يصادف كل دين جديد إلا انه كان قويا للغاية عند العرب لتمسكهم بعاداتهم وإعجابهم برسوم قبائلهم العربية القديمة وكان من الصعب جدا أن يعتنقوا ديناً يرى آباءهم غير مطهرين ، ومن الموانع التي قوت العرب في استعصائهم على الاسلام ما اشتمل عليه من مبدئ قهر النفوس وتذليلها للواحد المعبود ، فالقول بالمساواة بين الناس طرا أمامه كان ثقيلاً على آذان العرب مخالفاً لتقاليدهم الأولية حتى يدنوا اليه بغير عناء ولذلك فإن الاسلام سنة ٦٢٣ ميلادية أيام وفاة النبي لم يكند يبلغ حدود جزيرة العرب إلا انه كان بين المسلمين الأولين رجال من العظماء اعترف بفضلهم الأب (بروغلي) حيث قال ﴿ إن الذين آمنوا بمحمد كانوا قوما صادقين ذوي دراية وذكاء منهم أبو بكر وعمر رجلا نوليا زمام مملكة فسيحة الأرجاء فأحسننا سياستها وكنا ذوي ثبات وعدل وقناعة وفضل وشدة عزيمته وكنا أرفع قدرا وأبعد صرمي من القياصرة والحكام الذين حاربوها ﴾ ومن الغريب أن الدين الاسلامي لم يلق في طريقه من المقاومات إلا ما قابل به العرب الوثنيون فانهم كما قدمنا كانوا مدفوعين الى المقاومة بسبب تمسكهم بعواظهم وشعائرهم القديمة وحبهم لحريتهم واستقلالهم فكان جميع تلك القبائل المنشورة وهم رحل في الوديان غيرون على اطلاقهم في الفلوات ، لا يعرفون من الحكم إلا سواق المشاة على المرعى ومحاربة بعضهم في كل آن وتكوين أمة واحدة منهم أكبر عقبة قامت في وجه النبي ﷺ ولولا قوة الدين الجديد لما بقيت تلك الوحدة زمنا طويلا إلا أنها لم تدم إلا وقتا وعادت بعد ذلك الى التفرق والانقسام ، غير أن القبائل بعد تفرق وحدتها لا تزال متمسكة بدينها الجديد وصار الاسم العربي ذا المقام الأول بين الأسماء في جميع أطراف المسكونة وصار كل ينتسب الى عائلة من عائلات الجزيرة خصوصا عائلة قريش ذات المجد الباذخ والشرف الرفيع ، وهذا هو السبب في اطلاق اسم العرب في التاريخ على أمور كثيرة فقالوا عائلة كذا عربية وأمة كذا عربية وتمتد كذا عربي مع انه لا جامعة بينها وبين بلاد العرب سوى الاسلام . انتهى الكلام على الفصل الثاني

﴿ الفصل الثالث فيما ذكره العلامة توماس كارليل ﴾

لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متمدين من أبناء هذا العصر أن يصل الى ما يظن من أن دين الاسلام كذب وأن محمدا خداع مزور وأن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المحجلة فان الرسالة التي أذاها ذلك الرسول ما زالت السراج المذير مدة اثني عشر قرنا لنجوم اثني مليون من الناس أمثالنا خلقهم الله الذي خلقنا ، أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفاتنة الحصر والاحصاء كذوبة وخدعة ؟ أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبدا وإذا كان الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج ويصادفان منهم مثل ذلك التصديق والقبول ، فما الناس إلا بله ومجانين وما الحياة إلا سخط وعبت وأضلولة كان الأولى بها أن لا تخلق

فوا أسفاه ما أسوأ مثل هذا الزعم وما أضغف أهله وأحقهم بالرباء والمرجة (و بعد) فتلى من أراد أن يبلغ منزلة ما في علوم الكائنات أن لا يصدق شيئا البتة من أقوال أولئك السفهاء فانها نتائج جيل كفر وعصر تجرود والحاد وهي دليل على خبث القلوب وفساد الضمائر وموت الأرواح في حياة الأبدان . ولعل العالم لم يرق قط رأيا أكفر من هذا والآن ، وهل رأيتم قط معشر الاخوان أن رجلا كاذبا يستطيع أن يوجد ديناً ويذكره ، عجباً والله إن الرجل الكاذب لا يقدر أن يبني بيتاً من الطوب ، فهو اذا لم يكن علماً بخصائص الخبز والجلص والتراب وما شا كل ذلك فما ذلك الذي يدينه بيت وانما هو قتل من الانقراض وكثيب من أخلاط المواد ، نعم وليس جديراً أن يبقى على دعائه اثني عشر قرناً يسكنه مائة مليون من الأنفس ولكنه جدير أن تنهار أركانه فيهدم فكأنه لم يكن ، وإنى لأعلم انه على المرء أن يسير في جميع أمره طبق قوانين الطبيعة والا أبت أن تجيب طلبته وتعطيه بغيته ، كذب والله ما يذيعه أولئك الكفار وان زخرفوه حتى خياله حقا وزور وباطل وان زينوه حتى أوهموه صدقا ومحبة والله ومصاب أن يستخدع الناس شعوبا وأممها بهذه الأضاليل وتسود الكذبة وتقود بهائلك الأباطيل وانما هو كما ذكرت لكم من قبيل الأوراق المالية المزورة يحتال بها الكذاب حتى يخرجها من كفه الأثيمة ويحقق مصابها بالغير لا به ، وأي مصاب وأيكم ؟ مصاب كصاحب الثورة الفرنسية وأشباهاها من الفتن والمحن تصيح بل أفواهاها « هذه الأوراق كاذبة »

أما الرجل الكبير خاصة فاني أقول عنه يقينا انه من المحال أن يكون كاذبا فاني أرى الصدق أساسه وأساس كل ماله من فضل ومحمدة ، وعندى أنه ما من رجل كبير (ميرابو) أو (نابليون) أو (بارنز) أو (كرويل) كفاء للقيام بعمل ما إلا وكان الصدق والاخلاص وحب الخير أول باعثاته على محاولة ما يحاول أعني انه رجل صادق النية جاد مخلص قبل كل شيء بل أقول إن الاخلاص (الاخلاص الحرا العميق الكبير) هو أول خواص الرجل العظيم كيفما كان ، لا أريد اخلاص ذلك الرجل الذي لا يبرح يفتخر للناس باخلاصه . كلا . فان هذا حقير جدا وأيم الله ، هذا اخلاص سطحى وقبح وهو في الغالب غرور وفتنة انما اخلاص الرجل الكبير هو ما لا يستطيع أن يتحدث به صاحبه . كلا . ولا يشعر به بل لأحسب انه ربما شعر من نفسه بعدم الاخلاص إذ أين ذاك الذي يستطيع أن يلزم منهج الحق يوما واحدا ؟ نعم إن الرجل الكبير لا يفخر باخلاصه قط بل هو لا يسأل نفسه أهى مخلصه (أو بعارة أخرى) أقول ان اخلاصه غير متوقف على ارادته فهو مخلص على الرغم من نفسه سواء أراد أم لم يرد ، هو يرى الوجود حقيقة كبرى ترعوه وتهوله ، حقيقة لا يستطيع أن يهرب من جلالها الباهر مهما حاول ، هكذا خلق الله ذهنه ، وخلقه ذهنه على هذه الصورة هو أول أسباب عظمته ، هو يرى الكون مدهشا ومخيفا وحقا كالموت وحقا كالحياة وهذه الحقيقة لا تفارقه أبدا وان فارقت معظم الناس فساروا على غير هدى وخطوا في غياهب الضلال والعماية بل تظل هذه الحقيقة كل لحظة بين جنبه ونصب عينيه كأنها مكتوبة بحروف من الذهب لاشك فيها ولا ريب ها هي ها هي

فاعرفوا هذا كم الله أن هذه هي أول صفات العظمى وهذا حدّه الجوهرى وتعريفه وقد توجد هذه في الرجل الصغير فهي جديرة أن توجد في نفس كل انسان خلقه الله واسكنها من لوازم الرجل العظيم ولا يكون الرجل عظيما إلا بها

مثل هذا الرجل هو ما نسميه رجلا أصلياً في الجوهر كرم العنصر فهو رسول مبعوث من الأبدية المجردة برسالة الينا ، ثم قال بعد ذلك بكلام هذا نصه بالحرف الواحد كالذى قبله نحن نعلم أن قوله ليس بماخوذ من رجل غيره ولكنه صادر من لباب حقائق الأشياء ، نعم هو يرى باطن كل شيء لا يوجب عنه ذلك باطل الاصطلاحات وكاذب الاعتبارات والعادات والمعتقدات وسخيف الأوهام والآراء ، وكيف وان الحقيقة استطاع لعينه حتى يكاد يغشى لنورها ، ثم اذا نظرت الى كلمات العظيم شاعرا كان أو فيلسوفا أو نبيا أو فارسا أو ملكا ، ألتراها ضربا

من الوحى والرجل العظيم فى نظرى مخاوف من فؤاد الدنيا وأحشاء الكون فهو جزء من الحقائق الجوهرية للأشياء ، وقد دل الله على وجوده بعدة آيات أرى أن أحدثها وأجدها هو الرجل العظيم الذى علمه الله العلم والحكمة فوجب علينا أن نصفى إليه قبل كل شئ . وعلى ذلك فلسنا نعت محمدًا هذا قط رجلاً كاذباً متصفاً بتدريج بالحيل والوسائل الى بغية أو يطمح الى درجة ملك أو سلطان أو غير ذلك من الحقائق والصغائر وما الرسالة التى أذاها إلا حقاً صراحاً ، وما كلمته إلا صوتاً صادقاً صادراً من العالم المجهول . كلا . ما محمد بالكاذب ولا الملقق وإنما هو قطعة من الحياة قد تفرغ عنها قلب الطبيعة فإذا هى شهاب قد أضاء العالم أجمع ، ذلك أمر الله وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وهذه حقيقة تدمغ كل باطل وتدهض حجة القوم الكافرين كانت عرب الجاهلية أمة كريمة تسكن بلاداً كريمة وكأنما خلق الله البلاد وأهلها على تمام وفاق فكانت شبه قريش بين وعمورة جبالها وعمورة أخلاقهم وبين جفاء منظرها وجفاء طباعهم وكان يلفظ من قسوة قلوبهم مزاج من اللبن والدماء كما كان يسقط من عبوس وجوه البلاد رياض خضراء وقيعان ذات أمواه وأكلاء وكان الاعراب صامتين لا يتكلم إلا فيما يعنيه إذ كان يسكن أرضاً فقراً يباباً خرساء تحاها بحراً من الرمل يصطلى جرة النهار طوله ويكافح بحر وجهه نفحات القمر ليله

رأت رجلاً ما إذا الشمس عارضت * فيضجى وأما بالعشى فيخصر

ولأحسب أناساً شأنهم الانفراد وسط البيد والقفار يحادثون ظواهر الطبيعة ويناجون أسرارها إلا أنهم يكونون أذكياء القلوب حداد الخواطر خفاف الحركة ثاقبي النظر وإذا صح أن الفرس هم فرنسويو المشرق فالعرب لاشك طليانه ، والحق أقول لقد كان أولئك العرب قوماً أقوياء النفوس كأن أخلاقهم سيول دافقة لها من شدة حزمهم وقوة ادارتهم أحسن سور وأمنع حاجز ، وهذه وأبيكم أم الفضائل وذروة الشرف الباذخ ، وقد كان أحدهم يضيفه ألد أعدائه فيكرم مثواه وينحله فاذا أزمع الرحيل خلع عليه وحله وشيعه ثم هو بعد كل ذلك لا يجمع أن يقاتله متى عادت به اليه الفرص ، وكان العربى أغلب وقته صامتاً فاذا قال أفصح ، ويزعم أن العرب من عنصر اليهود والحقيقة أنهم شاركوا اليهود فى صرامة الجد وخالفوهم فى حلاوة الشمالك ورقة الظرف وفى ألمعية القريحة وأريحية القلب ، وكان لهم قبل زمن محمد عليه السلام منافسات فى الشعر يجرونها بسوق مكافى فى جنوب البلاد حيث كانت تقام أسواق التجارة فاذا انتهت الأسواق تنشد الشعراء القصائد ابتغاء جائزة تجعل للأجود قريضاً والأحكم قافية فكان الأعراب الجفاة ذوو الطباع الوحشية الوعة يرتاحون لنغمات القصيد ويحذون لرناتها أى لذة فينهافتون على المنشد كالفرش ويتهاككون

وأرى لهؤلاء العرب صفة من صفات الاسرائيليين وانحة فيهم وأحسبها ثمرة الفضائل جميعها والمحمد بحذاقها ألوهى الدين فانهم مذ كانوا مبرحوا شديدي التمسك بدينهم كيفما كان وكانوا يعبدون الكواكب وكثيراً من السكائنات الطبيعية يرونها مظاهر للخالق ودلائل على عظمته . فهذا وإن يك خطأ فليس من جميع وجوهه فإن مصنوعات الله مبرحت بوجه ما رموزاً له ودلائل عليه . ألسنا كما قدّمت نعتها مفخرة للشاعر وفضيلة أن يكون يدرك ما بالسكائنات من أسرار الجمال والجلال أو أسرار الجمال الشعري كما اصطلاح الناس على تسميته . وقد كان لهؤلاء العرب عدة أنبياء كلهم أستاذ قبيلته ومرشدها حسبما يقتضيه مبلغ علمه ورأيه . ثم أليس لدينا من البراهين الساطعة ما يثبت لنا أى حكمة بليغة ورأى مستد . وأى تقوى وإخلاص قد كان لهؤلاء البدو المفكرين . وقد اتفق النقاد أن (سفرأيوب) أحد أجزاء التوراة كتابنا المقدس قد كتب فى بلاد العرب ورأى فى هذا الكتاب فضلاً عن كل ما كتب عنه انه من أشرف ما سطر يراع ودوّنت يد كاتب . ولا يكاد المرء يصدق انه من آثار العبرانيين لما فيه من عمومية الأفكار مع شرفها وسموها عمومية تخالف التعصب والتحيز وكان بين هؤلاء العرب التى تلك عالم أن ولد النبي محمد عليه السلام عام (٥٨٠) ميلادية وكان من أسرة

هاشم من قبيلة قریش وقدمات أبوه عقب مولده . ولما بلغ عمره ستة أعوام توفيت أمه وكان لها شهرة بالجمال والفضل والعقل فقام عليه جدّه شيخ كان قد ناهز المائة من عمره وكان صالحا باراً ، وكان ابنه عبدالله أحب أولاده اليه فأبصرت عينه الهرمة في محمد صورة عبد الله فأحبّ اليتيم الصغير على قلبه ، وكان يقول ينبغي أن يحسن القيام على ذلك الصبي الجليل الذي قدفاق سائر الأسرّة والقبيلة حسناً وفضلاً ، ولما حضرت الشيخ الوفاة والغلام لم يتجاوز العامين عهد به الى أبي طالب أكبر أعمامه رأس الأسرّة بعده فرأه عمه (وكان رجلاً عاقلاً كما يشهد بذلك كل دليل) على أحسن نظام عربيّ

ولما شبّ محمد وترعرع صار يصحب عمه في أسفار تجارية وما شبه ، وفي الثامنة عشرة من عمره نراه فارساً مقاتلاً يتبع عمه في الحروب ، غير أن أهمّ أسفاره ربما كان ذلك الذي حدث قبل هذا التاريخ ببضع سنين (رحلة الى مشارف الشام إذ وجد الفتى نفسه هنالك في عالم جديد إزاء مسألة أجنبية عظيمة الأهمية جدا في نظره) أعنى الديانة المسيحية . واني لست أدري ماذا أقول عن ذلك الراهب سرجياس (بحيرا) الذي يزعم أن أبا طالب ومحمداً سكنا معه في دار ، ولماذا عساه يتعلمه غلام في هذه السن الصغيرة من أي راهب ما فإن محمداً لم يكن يتجاوز إذ ذاك الرابعة عشرة ولم يكن يعرف إلا لغته ، ولا شك أن كثيراً من أحوال الشام ومشاهدها لم يك في نظره إلا خليطاً مشوشاً من أشياء يتكرها ولا يفهمها ولكن الغلام كان له عينان ناقبتان ولا بد من أن يكون قد انطبع على لوح فؤاده أمور وشؤون فأقامت في ثنايا ضميره ولو غير مفهومة ريثما ينضجها له كثر الغداة وصر العشيّ وتحلها له يد الزمن يوماً ما فتخرج منها آراء وعقائد ونظرات نافذات . فاعمل هذه الرحل الشامية كانت لمحمد أوائل خير كثير وفوائد جمة

ثم لا ننسى شيئاً آخر وهو أنه لم يتلق دروساً على أستاذ أبداً وكانت صناعة الخط حديثة العهد إذ ذاك في بلاد العرب ويظهر لي أن الحقيقة هي أن محمداً لم يكن يعرف الخط والقراءة وكل ما تعلم هو عيشة الصحراء وأحوالها وكل ما وفق الى معرفته هو ما أمكنه أن يشاهد بعينه ويتلقى بفؤاده من هذا الكون العديم النهاية . وعجيب وأيم الله أمة محمد . نعم انه لم يعرف من العالم ولا من عاومه إلا ما تيسر له أن يبصره بنفسه أو يصل الى سمعه في ظلمات صحراء العرب ولم يضره ولم يزر به انه لم يعرف علوم العالم لا قديمها ولا حديثها لأنه كان بنفسه غنياً عن كل ذلك ولم يقتبس محمد من نور أي انسان آخر ولم يعترف من مناهل غيره ولم يك في جميع أشباهه من الأنبياء والعظماء (أولئك الذين أشبههم بالمصاييح الهادئة في ظلمات الدهور) من كان بين محمد وبينه أدنى صلة وانما نشأ وعاش وحده في أحشاء الصحراء ونما هنالك وحده بين الطبيعة وبين أفكاره

ولوحظ عليه منذ فتائه انه كان شاباً مفكراً وقد سماه رفاقه (الأمين) رجل الصدق والوفاء . الصدق في أفعاله وأقواله وأفكاره . وقد لاحظوا انه ما من كلمة تخرج من فيه إلا وفيها حكمة بليغة . واني لأعرف عنه انه كان كثير الصمت . يسكت حيث لا موجب للكلام فاذا نطق فما شئت من لب وفضل وإخلاص وحكمة . لا يتناول غرضاً فيتركه إلا وقد أنار شهبته وكشف ظلمته وأبان حجته واستنارد فينته وهكذا يكون الكلام والأفلا . وقد رأينا طول حياته رجلاً راسخ المبدأ صارم العزم بعيد الهمّ كريماً براراً وفاتحاً فاضلاً حراً . رجلاً شديد الجِدِّ مخلصاً وهو مع ذلك سهل الجانب لين العريكة جم البشر والطلاقة جيد العشرة حاول الانس با لربما مازح وداعب . وكان على العموم تضيء وجهه ابتسامة مشرقة من فؤاد صادق لأن من الناس من تكون ابتسامته كاذبة ككذب أعماله وأحواله . هؤلاء لا يستطيعون أن يتسموا . وكان محمد جميل الوجه وضىّ الطلعة حسن القامة زاهي اللون له عينان سوداوان تتلألآن . واني لأحبّ في جبينه ذلك العرق الذي كان يتفخ ويسود في حال غضبه (كالعرق المقوس الوارد في قصة التفازة الجراء لوالترسكوت) وكان هذا العرق خصيصة في بني هاشم ولكنه كان أبيين في محمد وأظهر . نعم لقد كان هذا النبي حاد الطبع ناري المزاج ولكنه كان عادلاً

عادلا صادق النية ، كان ذكي القلب شهيم الفؤاد

لو ذعيا كأنما بين جنديين* مصاييح كل ليل بهم

تمتلكنا نارا ونورا ، رجلا عظيما بنظرته لم تثقه مدرسة ولا هذبه معلم وهو غني عن ذلك كالشوكة استغنت عن التنقيح فأدّى عمده في الحياة وحده في أعماق الصحراء

الى أن قال : وزعم المتعصبون من النصارى والملاحدون أن محمدا لم يكن يريد بقيامه إلا الشهرة الشخصية ومفاخر الجاه والسلطان . كلا . وأيم الله لقد كان في فؤاد ذلك الرجل الكبير (ابن القفار والقلوات المتوقد المقلتين العظيم النفس المأودجة وخيرا وحنانا وبراً وسكمة وحجى وإربة ونهى) أفسكار غير الطمع الدنيوى ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه ، وكيف وتلك نفس صامئة كبيرة ورجل من الذين لا يمكنهم إلا أن يكونوا مخلصين جادين ، فبينما ترى آخرين يرضون بالاصطلاحات الكاذبة ويسرون طبق الاعتبار الباطلة إذ ترى محمدا لم يرض أن يلتفت بمألف الأكاذيب ويتوشع بمتبع الأباطيل لقد كان منفردا بنفسه العظيمة وبحقائق الامور والكائنات ، لقد كان سر الوجود يسطع اعينيه كما قلت بأهواله ومخاوفه ورواقه ومباهره لم يك هنالك من الأباطيل ما يحجب ذلك عنه فكأن لسان حال ذلك السراهلائل يناجيه « هاأنذا » فخل هذا الاخلاص لا يخلو من معنى إلهي مقدس ، وما كلة مثل هذا الرجل إلا صوت خارج من صميم قلب الطبيعة ، فاذا تكلم فشكل الأذان برغمها صاغية وكل القلوب واعية وكل كلام ماعدا ذلك هباء وكل قول جفاء وما زال منذ الأعوام الطوال منذ أيام رحله وأسفاره يحول بخاطره آلاف من الأفكار ، ماذا أنا ؟ وما ذلك الشيء العديم النهاية الذى أعيش فيه والذى يسميه الناس كونا ؟ وماهى الحياة ؟ وما هو الموت ؟ وماذا أعتقد ؟ وماذا أفعل ؟ فهل اجابته عن ذلك صخور جبل حراء أو شماريح طود الطور أو تلك القفار والقلوات . كلا . ولا قبة الفلك الدوار واختلاف الليل والنهار ولا النجوم الزاهرة والأنواء الماطرة لم يجبه لاهذا ولاذاك وما للجواب عن ذلك إلا روح الرجل والا ما أودع الله فيه من سره ، وهذا ما ينبغي لسكل انسان أن يسأل عنه نفسه فقد أحس ذلك الرجل الفقرى أن هذه هى كبرى المسائل وأهم الامور وكل شئ عديم الأهمية فى جانبها ، وكان اذا بحث عن الجواب فى فرق اليونان الجدلية أو فى روايات اليهود المهمة أو نظام وثنية العرب الفاسد لم يجده . وقد قلت إن أهم خصائص البطل وأول صفاته وآخرها هى أن ينظر من خلال الظواهر الى البواطن . فأما العادات والاستعمالات والاعتبارات والاصطلاحات فينبذها جيدة كانت أو رديئة وكان يقول فى نفسه « هذه الأوثان التى يعبدها القوم لابد من أن يكون وراءها ودونها شئ ماهى إلا رمز له وإشارة اليه والافهى باطل وزور وقطع من الخشب لا تضر ولا تنفع » وما لهذا الرجل والأصنام وأنى تؤثر فى مثله أوثان ولورصعت بالنجوم لا بالذهب ولوعبدها بالحجاج من عدنان والأقيال من حير . أى خير له فى هذه ولوعبدها الناس كافة ؟ انه فى واد وهم فى واد . هم يعمهون فى ضلالهم وهو مائل بين يدى الطبيعة قد سطعت لعينه الحقيقة الهائلة فيما أن يجيها والا فقد حبط سعيه وكان من الخاسرين . فلتعجبها يا محمد . أجب لادم من أن توجد الجواب . أيزعم الكاذبون انه الطمع وحب الدنيا هو الذى أقام محمدا وأثاره . حق وأيم الله وسخافة وهوس . أى فائدة لمثل هذا الرجل فى جميع بلاد العرب وفى تاج قيصر وصولجان كسرى وجميع ما بالارض من تيجان وصوالمجة وأين تصير الممالك والتيجان والدول جميعها بعد حين من الدهر ؟ أى مشيخة مكة وقضيب مفضض الطرف أوفى ملك كسرى وتاج ذهبي الذؤابة منجاة للرب ومظفرة . كلا . إذن فلنضرب صفحا عن مذهب الجائرين القائل ان محمدا كاذب ونعد موافقهم عارا وسبة وسخافة وحقا فلنر بأ بنفوسنا عنه ولنترفع . وكان من شأن محمد أن يعتزل الناس شهر رمضان فينقطع الى السكون والوحدة دأب العرب وعادتهم ونعمت العادة ما أجل وأنفع ولا سيما لرجل كمحمد لقد كان يخلو الى نفسه فيناجى ضميره صامتا بين الجبال الصامئة متفحفا صدره لأصوات الكون الغامضة الخفية .

أجل حبذا تلك عادة ونعمت . فلما كان في الأر بعين من عمره وقد خلا الى نفسه في غار يجبل (حراء) قرب مكة شهر رمضان ليفكر في تلك المسائل الكبرى اذا هو قد خرج الى (خديجة) ذات يوم وكان قد استصحبها ذلك العام وأنزلها قريبا من مكان خلوته فقال لها انه بفضل الله قد استجلى غامض السر واستثار كامن الأمر وأنه قد أنارت الشبهة وانجلي الشك وبرح الخفاء وأن جميع هذه الأصنام محال وليست إلا أخشابا حقيرة وأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فهو الحق وكل ما سواه باطل، خلقنا ويرزقنا وما نحن وسائر الخلق والسكانات إلا ظل له واستار يحجب النور الأبدى والرواقى السرمدى ، الله أكبر ولله الحمد ثم الاسلام وهو أن نسل الأمر لله ونذعن له ونسكن اليه ونتوكل عليه وأن القوة كل القوة هي في الاستئانة لحكمه والخضوع لحكمته والرضا بقسمته ، أية كانت في هذه الدنيا وفي الآخرة ومهما يصيبنا به الله ولو كان الموت الزؤام فلتلقه بوجه باسم ونفس معتبلة راضية ونعلم أنه الخير وأن لا خير إلا هو ، ولقد قال شاعر الألمان وأعظم عظمائهم (جايتي) « اذا كان ذلك هو الاسلام فكنا إذن مسلمون ، نعم كل من كان فاضلا شريف الخلق فهو مسلم » وقدمائيل « إن منتهى العقل والحكمة ابس في مجرد الاذعان للضرورة (فإن الضرورة تخضع المرء برغم أنفه ولا فضل فيما يأتيه الانسان مكرها) بل في اليقين بأن الضرورة الأليمة المرّة هي خير ما يقع للانسان وأفضل ما يناله وأن لله في ذلك حكمة تلتف عن الأفهام وتدق عن الأذهان ، وأنه من الاقن والسخف أن يجعل الانسان من دماغه الضئيل ميزانا لذلك العالم وأحراله بل عليه أن يعتقد أن الكون قانونا عادلا وان غاب عن ادراكه وأن الخير هو أساس الكون والصالح روح الوجود والنفع لباب الحياة ، نعم عليه أن يعرف ذلك ويعتقده ويتبعه في سكوت وتقوى »

الى أن قال « وجعل يذكر رسالته لهذا ولذاك فما كان بصادف إلا جودا وسخوة حتى انه لم يؤمن به في خلال ثلاثة أعوام إلا ثلاثة عشر رجلا وذلك منتهى البطء وبؤس التشجيع ولكنه المنتظر في مثل هذه الحال وبعد هذه السنين الثلاث أدب مادية لأر بعين من قرابته ثم قام بينهم خطيباً فذكر دعوته وأنه يريد أن يذيعها في سائر أنحاء الكون وانها المسألة الكبرى بل المسألة الوحيدة فأبهم يمد اليه يده ويأخذ بناصره وبينما القوم صامتون حيرة ودهشة وثب على وكان غلاما في السادسة عشرة وكان قد غاظه سكوت الجماعة فصاح في أحد لحظة انه ذاك النصير والظهير . ولا يحتمل أن القوم كانوا منابذين محمدا ومعادينه وكلهم قرابته وفيهم أبوطالب عم محمد وأبو علي ولكن رؤية رجل كهل أمي يعينه غلام في السادسة عشرة يقومان في وجه العالم بأجمع كانت مما يدعو الى العجب المضحك فانفض القوم ضاحكين ولسكن الأمر لم يك بالمضحك بل كان نهاية في الجد والخطر أما على فلا يسعنا إلا أن نحبه ونتعشقه فانه فتى شريف القدر كبير النفس يفيض وجدانه رحمة وبراً ويتلظى فؤاده نجدة وحاسة وكان أشجع من ليث ولكنها شجاعة ممزوجة برقة ولطف ورأفة وحنان جدير بها فرسان الصليب في القرون الوسطى وقد قتل بالكوفة غيلة وانما جنى ذلك على نفسه بشدة عدله حتى حسب كل انسان عادلا مثله وقال قبل موته حينما أومر في قتاله « إن أعش فالأمر اليّ وان أمت فالأمر لكم فان آثرتم أن تقتصوا فضربة بضربة وان تعفوا أقرب لتقوى »

الى أن قال « فلما كان العام الثالث عشر من رسالته وقد وجد أعداءه متألبين عليه جميعا وكانوا أر بعين رجلا كل من قبيلة اثمروا به ليقتلوه وألفى المقام بمكة مستحيلا هاجر الى (يثرب) حيث التف به الأنصار والبلدة تسمى الآن (المدينة) أى مدينة النبي ﷺ وهي من مكة على (٢٠٠) ميل تقوم وسط صحور وقفار ومن هذه الهجرة يبتدىء التاريخ في المشرق والسنة الأولى من الهجرة توافق (٦٢٢) ميلادية وهي السنة الخامسة والخمسون من عمر محمد فترون انه كان قد أصبح إذ ذاك شيخا كبيرا وكان أصحابه يموتون واحدا بعد ويخلون أمامه مسلكا وعرا وسبيلا قفرا وخطة نكراء موحشة فاذا هو لم يجد من ذات نفسه مشجعا ومحركا ويفجر

بعزمه ينبوع أمل بين جنبيه فهيهات أن يجد بارقات الأمل فيما يصدق به من عوالم الخطوب ويحيط به من كالحات المحن والملمات وهكذا شأن كل انسان في مثل هذه الأحوال وكانت نية محمد حتى الآن أن ينشر دينه بالحكمة والموعظة الحسنة فقط فلما وجد أن القوم الظالمين لم يكتفوا برفض رسالته السماوية وعدم الاصغاء الى صوت ضميره وصيحة ليه حتى أرادوا أن يسكتوه فلا ينطق بالرسالة عزم ابن الصحراء على أن يدافع عن نفسه دفاع رجل ثم دفاع عربي ولسان حاله يقول « وأما وقد أبت قریش إلا الحرب فلينظروا أى فتيات هيجاء نحن » وحقا رأى فان أولئك القوم أغلقوا آذانهم عن كلمة الحق وشرعية الصدق وأبوا إلا تماديا في ضلالهم يستبيحون الحريم ويهتكون الحرمات ويسلبون وينهبون ويقتلون النفس التي حرم الله قتلها ويأتون كل إثم ومنكر وقد جاءهم محمد من طريق الرفق والناة فأبوا إلا اعتوا وطغيانا ، فليجعل الأمر إذن الى الحسام المهند والوشيج القوم والى كل مسرودة حصداء وسابحة جرداء وكذلك قضى محمد بقية عمره وهي عشرين سنين أخرى في حرب وجهاد لم يسترح غمضة عين ولا مدر فواق وكانت النتيجة ما تعلمون ﴿

﴿ ولقد قيل كثيرا في شأن نشر محمد دينه بالسيف فاذا جعل الناس ذلك دليلا على كذبه فشد ما أخطأوا وجاروا فهم يقولون « ما كان الدين لينتشر لولا السيف » ولكن ما هو الذي أوجد السيف ؟ هو قوة ذلك الدين وانه حق والرأى الجديد أول ما ينشأ يكون في رأس رجل واحد ، فالذى يعتقده هو فرد ، فرد ضد العالم أجمع ، فاذا تناول هذا الفرد سيفا وقام في وجه الدنيا فقلما والله يضيع ، وأرى على العموم أن الحق ينشر نفسه بأية طريقة حسبما تقتضيه الحال ، أولم تروا أن النصرانية كانت لا تأنف أن تستخدم السيف أحيانا وحسبكم ما فعل (شارلمان) بقبائل السكسون ، وأنا لا أحفل أكان انتشار الحق بالسيف أم باللسان أم بأية آلة أخرى فلندع الحقائق لنشر سلطانها بالخطابة أو بالصحافة أو بالنار ، اندعها تكافح وتجاهد بأيديها وأرجلها وأظافرها فانها لن تهزم إلا ما كان يستحق أن يهزم وليس في طاقتها قط أن تقضى ما هو خير منها بل ما هو أخط وأدنى فانها حرب لاحكم فيها إلا الطبيعة ذاتها ونعم الحكم ما أعديل وما أقسط وما كان أعظم جذرا في الحق وأذهب اعراقا في الطبيعة فذلك هو الذى ترونه بعد الهرج والمرج والضرائب والجلبة ناميا زاكيا وحده ﴿

الى أن قال ﴿ نحن سمينا الاسلام ضربا من النصرانية ولونظرنا الى ما كان من سرعته الى القلوب وشدة امتزاجه بالنفوس واختلاطه بالدماء في العروق لأيقنا انه كان خيرا من تلك النصرانية التي كانت إذ ذاك في الشام واليونان وسائر تلك الأقطار والبلدان ، تلك النصرانية التي كانت تصدع الرأس بضوضائها الكاذبة وترك القلب ببطالنها قفرا ميتا ، على انه قد كان فيها عنصر من الحق ولكنه ضئيل جدا وبفضله فقط آمن الناس بها وحقا انها كانت ضربا كاذبا من النصرانية كالدعى بين الاصلاء ولكنها ضرب حتى على كل حال ذو حياة قلبية ولبست مجرد قضايا قفوة ميتة ، ونظر محمد من وراء أصنام العرب الكاذبة ومن وراء مذاهب اليونان واليهود ورواياتهم وبراهينهم ومزاعمهم وقضاياهم ، نظرا بن القفار والصحارى بقلبه البصير الصادق وعينه المتوقدة الجلية الى لباب الأمر وصميمه فقال في نفسه « الوثنية باطل وهذه الأصنام التي تصقلونها بالزيت والدهن فيقع عليها الذباب أخشاب لا تنضج ولا تنفع وهي منكر وفظيع وكفر لوتعلمون ، انما الحق أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خلقتنا وبيده حياتكم وموتكم وهو أرف بكم منكم وما أصابكم من شئ فهو خير لكم لو كنتم تفقهون »

وأن دينا آمن به أولئك العرب الوثنيون وأمسكوه بقلوبهم النارية لجدير أن يكون حقا وجدير أن يصدق به وان ما أودع هذا الدين من القواعد هو الشئ الوحيد الذى للانسان أن يؤمن به وهذا الشئ هو روح جميع الأديان ، روح تلبس أثوابا مختلفة وأثوابا متعددة وهي في الحقيقة شئ واحد ، واتباع هذه الروح يصبح الانسان إماما كبيرا لهذا المعبد الأكبر (الكون) جاريا على قواعد الخالق تابعا لقوانينه لا محاولا عبثا أن يقاومها ويدافعها ولم أعرف قط تعريفا للواجب أحسن من هذا ، والصواب كل الصواب في السير على منهاج

الدنيا فان الفلاح في ذلك (اذا كان منهاج الدنيا هو طريق الذلح) وجاء محمد وشيعه النصارى تقيم أسواق الجدال وتتخاطب بالتحجج الجائرة وماذا أفاد ذلك وماذا أثمر . أما انه الأهم ليس صحة ترتيب القضايا المنطقية وحسن انتاجها وانما هو أن خلق الله وأبناء آدم يعتقدون تلك الحقائق الكبرى . لقد جاء الاسلام على تلك الملل المكاذبة والنحل الباطلة فابتلعها وحقق له أن يبتلعها لأنه حقيقة خارجة من قلب الطبيعة . وما كاد يظهر الاسلام حتى احترقت فيه وثنيات العرب وجدليات النصرانية وكل ما لم يكن بحق فانها حطبت ميت أكلته ناز الاسلام فذهب والنار لم يذهب

أما القرآن فان فرط إعجاب المسلمين به وقولهم بإعجازه هو أكبر دليل على اختلاف الأذواق في الأمم المختلفة هذا وإن الترجمة تذهب بأكثر رجال الصنعة وحسن الصياغة ولذلك لا عجب اذا قلت ان الأوروبي يجد قراءة القرآن أكبر عناء فهو بقروءه كما يقرأ الجرائد لا يزال يقطع في صفحاتها قفارا من القول الملل المتعب ويشتمل على ذهنه هضابا وجبالا من الكلام السكى يعثر في خلال ذلك على كلمة مفيدة . أما العرب فيرونه على عكس ذلك لما بين آياته وبين أذواقهم من الملاممة ولأنه لا ترجمة ذهبت بحسنه ورواقه فلذلك رآه العرب من المعجزات وأعطوه من التبجيل ما لم يعطه أتقى النصارى لا يجبلهم ، وما برح في كل زمان ومكان قاعدة التشريع والعمل والقانون المتبع في شؤون الحياة ومسائلها والوحي المنزل من السماء هدى للناس وسراجا منيرا يضيء لهم سبل العيش ويهديهم صراطا مستقيما ومصدر أحكام القضاة والدرس الواجب على كل مسلم حفظه والاستنارة به في غياهب الحياة وفي بلاد المسلمين مساجد يتلى فيها القرآن جميعه كل يوم مرة يتقاسمه ثلاثون قارئاً على التوالي وكذلك ما برح هذا الكتاب يرت صوتيه في آذان الآلاف من خلق الله وفي قلوبهم اثني عشر قرناً في كل آن ولحظة * ويقال ان من الفقهاء من قرأه سبعين ألف مرة . اذا خرجت الكلمة من اللسان لم تتجاوز الآذان واذا خرجت من القلب نفذت الى القلب والقرآن خارج من فؤاد محمد فهو جدير أن يصل الى أفئدة سامعيه وقاريه . وقد زعم (براديه) وأمثاله انه طائفة من الأخاديع والتراويق لفقها محمد لتكون أعذارا له عما كان يرتكب ويقترب وذرائع لبائغ مطامعه وغاياته ولكنه قد أن لنا أن نرفض جميع هذه الأقوال فاني لأمت كل من يرى محمداً بمثل هذه الأكاذيب ، وما كان ذو نظر صادق يرى قط في القرآن مثل ذلك الرأي الباطل ، والقرآن لو تبصرون ما هو الاجرات ذاكيات قد ذفت بها نفس رجل كبير النفس بعد أن أوقدتها الأفكار الطوال في الخلوات الصامتات وكانت الخواطر تتراكم عليه بأسرع من لمح البصر وتتراحم في صدره حتى لا تكاد تجد مخرجاً وقل مانطق به في جانب ما كان يجيش بنفسه العظيمة القوية

هذا وقد كان تدفع الوقائع وتدفع الخطوب يعجله عن روية القول وتميق الكلام ، وباطها من خطوب كانت تطيح به وتطير فقد كان في هذه السنين الثلاث والعشرين قطبا لرحى حوادث متلاطمات متصادمات وعالم كله هرج ومرج وقتل ومحن ، حروب مع قريش والكفار ومخاضات بين أصحابه وهياج نفسه وثورانها ، كل ذلك جعله في نصب دائم وعناء مستمر فلم تذق نفسه الراحة بعد قيامه بالرسالة قط ، وقد أتخيل روح محمد الحادة النارية وهي تتعامل طول الليل الساهر يطفو بها الوجد ويرسب وتدور بها دوامات الفكر حتى اذا أسفرت لها بارقة رأى حسبه نورا هبط عليها من السماء وكل عزم مقدس يهزم به يخاله جبريل ووحيه (كذا) . يزعم الأفاكون الجهلة انه مشعوذ ومحتال . كلا . ثم كلا . ما كان قط ذلك القلب المحتدم الجائش كأنه تنور ففكر يفور ويتأجج ليكون قلب محتال ومشعوذ . لقد كانت حياته في نظره حقا وهذا الكون حقيقة رائعة كبيرة . والاخلاص المحض الصراح يظهر لي انه فضيلة القرآن التي حبيته الى العربي المتوحش وهي أول فضائل الكتاب أيا كان وآخرها وهي منشأ فضائل غيرها بل لا شئ غيرها يمكنه أن يعث للكتاب فضائل أخرى . ومن العجب أن نرى في القرآن عرقاً من الشعر (١) يجري فيه من بدايته الى نهايته ثم يتخلله نظرات نافذات . نظرات نبى وحكيم .

أجل لقد كان لحمد في شؤون الحياة عين بصيرة ثم له قدرة عظيمة على أن يوقع في أذهاننا كل ما أبصره ذهنه .
أنا لا أحفل كثيرا بما جاء في القرآن من الصلوات والتحميد والتجيد لأنني أرى لها في الانجيل شها ولكني
شديد الإعجاب بالنظر الذي ينفذ إلى أسرار الأمور فهذا أعظم ما يلذني ويهيجني وهو ما أجده في القرآن وذلك
كما قلت فضل الله يؤتيه من يشاء

وكان محمد ﷺ إذا سئل أن يأتي بمجزة قال « حسبكم بالكون مجزة ، انظروا إلى هذه الأرض
أليست من عجائب صنع الله وآية على وجوده وعظمته ، هذه الأرض التي خلق الله لكم ونهج لكم فيها سبلا
تسهون في منابها وتأكون من رزقه وهذا السبيل المسير في الآفاق لا يدري من أين جاء وهو مسخر في
السماء كل سحابة كارد أسود ثم يسبح بمائه ويهبط ليحيي أرضا مواتا ويخرج منها نباتا ونجيلا وأعنايا أليس
ذلك آية ؟ والأنعام خلقها لكم تحوّل السكّاء لبنا وهي غفر لكم ، والسفن (وكثيرا ما يذكر السفن) كالجبال
العظيمة المتحركة تنشر أجنحتها وتحفز في سماء اليم لها حاد من الريح ، وبيننا تسير إذا هي قد وقفت بغتة
وقد قبض الله الريح ، معجزات والله كل هذه ، وأي معجزات بعدها تريدون . أستم أتم معجزات ؟ لقد
كنتم صغارا وقبل ذلك لم تكونوا أبدا ثم لكم جمال وقوة وعقل ثم وهبكم الرحمة أشرف الصفات وتهرمون
ويأتيكم المشيب وتضعفون وتمن عظامكم وتموتون فتصبحون غير موجودين ثم وهبكم الرحمة ، لقد أدهشني جدا
هذه الجلة فإن الله ربما كان خلق الناس بالرحمة فإذا كان يكون أمرهم ؟ » هذه من محمد نظرة نافذة إلى
لباب الحقيقة ، وكذلك أرى في محمد دلائل شاعرية كبيرة وآيات على أشرف المحامد وأكرم الخصال وأبين
فيه عقلا راجحا عظيما وعينا بصيرة وفؤادا صادقا ورجلا قويا عبقريا ، لو شاء لكان شاعرا فخلا أوفارسا بطلا
أو ملكا جليلا أو أي صنف من أصناف البطل . نعم لقد كان العالم في نظره معجزة أي معجزة ، وكان يرى فيه
كل ما كانت يراه أعظم المفكرين حتى أم الشمال المتوجشة وهو أن هذا الكون الصلب المادي إنما هو في
الحقيقة لاشئ . إنما هو آية على وجود الله ، منظورة ملموسة . وهو ظلّ علقه الله على صدر الفضاء لا غير .
وكان يقول « هذه الجبال الشاخات ستحل وتنبو مثل السحاب وتفتي » وكان يقول « الجبال أوتاد الأرض
وانها ستفتي كذلك يوم القيامة وأن الأرض في ذلك اليوم العظيم تنصدع وتتفتت وتذهب في الفضاء هباء مشورا
فتتعدم وكان لا يزال واضحا لعينه سلطان الله على كل شئ وامتلأ كل مكان بقوة مجهولة وروني باهر وهول
عظيم هو القوة الصادقة والجوهر والحقيقة » وهذا ما يسميه علماء العصر (القوى والمادة) ولا يرونه شئ مقدسا
بل لا يرونه شئ واحدا وانما أشياء تباع بالدرهم وتوزن بالمشقال وتستعمل في تسير السفن البخارية فسرعان
ما تنسينا الكماليات والحسابيات ما يكمن في الكائنات من سرّ الله وما أخفى ذلك النسيان عارا وأكبر هذه
الغفلة إنما ؟ وإذا نسينا ذلك فأى الأمور يستحق الذكر . إذن فعظم العلوم أشياء مينة خاوية بالية بقلة ذابلة .
نعم وما أحسب العلوم لولا ذلك إلا خشبا يابس ميتا وليس هو بالشجرة النامية ولا بالغابة السكيفة المتلفة التي لا تبرح
تمدك بالخشب أثر الخشب فيما تمّدك وتعطيك . ولن يجد المرء السبيل إلى العلم حتى يجده أولا إلى العبادة أعني
انه لا علم إلا لمن عبد والافا العلم لإشقة كاذبة وبقلة كما قلت ذابلة

إلى أن قال « وما كان محمد أبا شهوات برغم ما ألهم به ظاهرا وعدوانا . وشد ما تجور ونخطئ إذا حسبناه
رجلا شهويا لا هم له إلا قضاء ما ربه من الملاذ . كلا . فما أبعد ما سكن بينه وبين الملاذ أية كانت . لقد
كان زاهدا متقشفا في مسكنه ومأكله ومشربه وملبسه وسائر أموره وأحواله . وكان طعامه عادة الخبز والماء
وربما تتابعته الشهور ولم توقد بداره نار . وانهم ليندكروا ونعم ما يذكرون انه كان يصلح ويرفو ثوبه بيده
فهو بعد ذلك مكرمة ومفخرة ؟ فبذا محمد من رجل خشن اللباس خشن الطعام مجتهد في الله قائم النهار
ساهر الليل دأبا في نشر دين الله غير طامع إلى ما يطمح إليه أصغر الرجال من رتبة أودولة أو سلطان غير متطلع

الى ذكرو شهرة كيفما كانت . رجل عظيم وربكم والا فسا كان ملاقيا من أولئك العرب الفاظ توقيرا واحتراما
واكبارا واعظاما وما كان يمكنه أن يقودهم ويعاشرهم معظم أوقاته ثلاثا وعشرين حجة وهم ملتفون به
يقاتلون بين يديه ويجاهدون حوله ، لقد كان في هؤلاء العرب جفاء وغلظة وبادرة وعجرفة وكانوا حماة
الأنوف ، أباة الضيم ، وعزل قادة ، مصعب الشكيمة ، فن قدر على رياضتهم وتذليل جانبهم حتى رضخوا له
واستقادوا فذلسم وأيم الله بطل كبير ، ولولا ما أبصروا فيه من آيات النبل والفضل لما خضعوا له ولا أذعنوا ،
وكيف وقد كانوا أطوع له من بنائه ، وظنى انه لو كان أتيح لهم بدل محمد قيصر من القياصرة بتاجه وصولجانه
لما كان مصيبا من طاعتهم مقدار ماناله محمد في ثوبه المرقع بيده ، فكذلك تكون العظمة وهكذا تكون
الأبطال ، وكانت آخر كلاته تسبيحا وصلاة ، صوت فؤادهم بين الرجاء والخوف أن يصعد الى ربه ولا تحسب
أن شدة تدينه أزلت بفضل له . كلا . بل زادته فضلا . وقد يروى عنه مكررات عالية منها قوله حين رزى
غلامه « العين تدمع . والقلب يوجع . ولا نقول ما يستخط الرب » ولما استشهد مولاه زيد (ابن حارثة) في
في غزوة (مؤتة) قال محمد « لقد جاهد زيد في الله حق جهاده وقد اتي الله اليوم فلا بأس عليه » ولكن ابنة
زيد وجدته بعد ذلك يبكي على جثة أبيها . وجدت الرجل السكهل الذي دب في رأسه المشيب يذوب قلبه
دمعا فقالت ماذا أرى ؟ قال صديقا يبكي صديقه

مثل هذه الأقوال وهذه الأفعال ترينا في محمد أبا الانسانية الرحيم . أبا جميعا الرؤف الشفيق وابن أمنا
الأولى وأبينا الأول . واني لأحب محمدا لبراءة طبعه من الرياء والتصنع . ولقد كان ابن الفقار هذا رجلا مستقل
الرأى لا يعول إلا على نفسه ولا يدعى ماليس فيه . ولم يك متكبرا ولكنه لم يكن ذليلا ضرعا فهو قائم في ثوبه
المرقع كما أوجده الله وكما أراد . يخاطب بقوله الحر المين قياصرة الروم وأكاسرة الهجم يرشدهم الى ما يجب
عليهم لهذه الحياة وللحياة الآخرة . وكان يعرف لنفسه قدرها . ولم تخل الحروب الشديدة التي وقعت له مع
الأعراب من مشاهد قسوة ولكنها لم تخل كذلك من دلائل رجة وكرم وغفران . وكان محمد لا يعتذر من
الأولى ولا يفتخر بالثانية إذ كان يراها من وحى وجدانه وأوامر شعوره ولم يكن وجدانه لديه بالتمهم ولا شعوره
بالظنين . وكان رجلا ماضى العزم لا يؤخر عمل اليوم الى غده . وطالما كان يذكر (يوم تبوك) إذ أبى رجاله
السير الى موطن القتال واحتجوا بأنه أوان الحصيد والبحر فقال لهم الحصيد انه لا يلبث إلا يوما فإذا ترو دون
للآخرة والحر ؟ نعم انه حر ولكن جهنم أشد حرا (ور بما خرج بعض كلامه تهكما وسخرية) إذ يقول للكفار
ستجزون يوم القيامة عن أعمالكم ويوزن لكم الجزاء ثم لا تبخسون مثقال ذرة

وما كان محمد يعايب قط ولا شاب شيئا من قوله شائبة لعب وهو بل كان الأمر عنده أمر خسران وفلاح
ومسألة فناء وبقاء ولم يك منه إزاءها إلا الاخلاص الشديد واجدة المر . فأما التلاعب بالأقوال والقضايا المنطقية
والعبث بالحقائق فما كان من شأنه قط . وذلك عندي أفظع الجرائم إذ ليس هو إلا رقدة القلب ووسن العين
عن الحق وعيشة المرء في مظاهر كاذبة . وليس كل ما يستكر من مثل هذا الانسان هو أن جميع أقواله وأعماله
أ كاذب بل انه هو نفسه أ كذوبة . وأرى خصلة المروءة والشرف (شعاع الله) متضائلا في مثل ذلك الرجل
مضطربا بين عوامل الحياة والموت فهو رجل كاذب لا أنكر انه مصقول اللسان مهذب حواشي الكلام محترم
في بعض الأزمان والأمكنة . لا تؤذيك بأدركه لين المس رفيق الملمس كحمض السكر بون تراه على لطفه سما
تقيا وموتاد زرها . وفي الاسلام خلة أراها من أشرف الخلال وأجلها وهي التسوية بين الناس وهذا يدل على
أصديق النظر وأصوب الرأى . فنفس المؤمن راجحة بجميع دول الأرض والناس في الاسلام سواء والاسلام
لا يكتفى بجعل الصدقة سنة محبوبة بل يجعلها فرضا حتما على كل مسلم وقاعدة من قواعد الاسلام ثم يقدرها
بالنسبة الى ثروة الرجل فتكون جزأ من أربعين من الثروة تعطى الى الفقراء والمساكين والمسكويين . جيل والله

كل هذا وما هو إلا صوت الانسانية . صوت الرحمة والإيحاء والمساواة يصبح من فؤاد ذلك الرجل (ابن القفار والصحره) . وينكر البعض تغلب الحسية والمادية على جنة محمد وناره فأقول : إيت العيب في ذلك على الشراح والمفسرين لاعلى ما جاء في الكتاب فإن القرآن قد أقلّ جدا من اسناد الحسيات والماديات الى الجنة والنار ، وكل ما فيه عن هذا الشأن إيحاء وتلميح وإنما المفسرون والشراح هم الذين لم يتركوا لذة حسية ولا متعة شهوية حتى أطلقوها بالجنة ، ولا عذابا بدنيا ، ولما جئنا حتى أسندوه الى النار ، ثم لاتنسوا أن القرآن جعل أكبر ملاذ الجنة روحانيا إذ قال - وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبع فادخلوها خالدين - فالسلام والامن هما في نظر كل عاقل أقصى أمانى المرء وأعظم الملاذ قاطبة والثنى الذي عبثا يتلعه الانسان في الحياة الدنيا . وقال أيضا - ونزعنا ما في صدورهم من غل - إخوانا على سرر متقابلين - وأى رذيلة أخبت من الغل مصدر الحزن والمصائب والنقم والآفات ، وأى شئ أهنأ من التالف والتصافي ، وأى دليل أشهر ببراءة الاسلام من الميل الى الملاذ من شهر رمضان الذي تلجم فيه الشهوات وتزجر النفس عن غاياتها وتقعد عن ما ربها . وهذا هو منتهى العقل والحزم فإن مباشرة الذات ليس بالمنكر وإنما المنكر هو أن تذلل النفس لجبار الشهوات وتتقاد لحادى الأوطار والرغبات ، ولعلّ أجمد الخصال وأشرف المسكارم هو أن يكون للمرء من نفسه على نفسه سلطان وأن لا يجعل من لذاته سلاسل وأغلالا تعيه وتعتاص عليه اذاهم أن يصدها بل حليا وزخارف متى شاء فلا أهون عليه من خلعهها ولأسهل من نزعها وكذلك أمر رمضان سواء كان مقصودا من تجميعنا أو كان وحى الغريزة وإلهامها فطريا فهو والله نعم الأمر . ويمكننا القول على كل حال أن الجنة والنار هاتين همار من الحقيقة أبدية لم تصادف من حسن الذكر قط مثل ما صادفت في القرآن ، وماذا ترون تلك الجنة وملاذها وهاته النار وعذابها وقيام الساعة التى يقول عنها - يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى - ماذا ترون كل هذه الإطلاقات في خيال ذلك النبى الشاعر للحقيقة الروحانية الكبرى رأس الحقائق أعنى الواجب وجسامته أمره ، لقد كان هذا الذى يرى الحياة أمرا جسيما ويرى لسكل عمل انساني ههما حقر خطارة كبرى ، فما كان من سىء فله من السوء نتيجة أبدية وما كان صالحا فله من الصلاح ثمرة سرمدية وأن المرء قد يسمو بصالحاته الى أعلى عليين ويهبط بمو بقاته الى أسفل سافلين وأن على عمره القصير تقوم دعائم أبدية هائلة خفية . كل ذلك كان يلتهب في روح ذلك الرجل القفرى كأنما قد نقش نمت بأحرف النار . وكل ذلك قد حاول فى أشد اخلاص وأحد جد أن يخرج للناس وبصوره لهم فأخرجه وصوره فى صورة تلكم النار والجنة . وأى ثوب لبسته هذه الحقيقة ، وأى قالب صبب فيه فلا تزال أولى الحقائق مقدسة فى أى أسلوب وأى صورة . وعلى كل حال فهذا الدين فيه للبصرين أشرف معانى الروحانية وأعلاها فاعرفوا له قدره ولا تبخسوه حقه . ولقد مضى عليه مئتان وألف عام وهو الدين القويم والصراط المستقيم لخمس العالم ومازال فوق ذلك دينا يؤمن به أهله من حبات أفئدتهم . ولا أحسب أن أمة من النصارى اعتصموا بدينهم اعتصام المسلمين باسلامهم إذ يوقنون به كل اليقين ويواجهون به الدهر والأبد . وسينادى الحارس الليلية فى شوارع القاهرة أحد المارة (من السائر؟) فيجيبه السائر (لا إله إلا الله) وأن كلمة التوحيد والتكبير والتهليل لترن آناء الليل وأطراف النهار فى أرواح تلك الملايين الكشيقة وأن الفقهاء ذوى الغيرة فى الله والتفانى فى حبه ليأتون شعوب الوثنية بالهند والصين والمالاي فيهدمون أضرابهم ويشيدون مكانها قواعد الاسلام ونعم ما يفعلون . ولقد أخرج الله العرب بالاسلام من الظلمات الى النور وأحيا بدم من العرب أمة هامة وأرضاهمده وهل كانت إلا فئة من جؤالة الأعراب خاملة فقيرة تجوب الفلاة منذ بدء العالم لا يسمع لها صوت ولا تحس منها حركة فأرسل الله لهم نبيا بكامة من لسنه ورسالة من قبله فاذا الخول قد استحالت شهرة والغموض نباهة والضعفة رفعة والضعف قوة والشمرة حريقا . وسع نوره الأنحاء وعم ضوءه الأرجاء وعقد شعاعه الشمال بالجنوب

والمشرق بالمغرب . وما هو إلا قرن بعد هذا الحادث حتى أصبح لدولة العرب رجل في الهند ورجل في الأندلس وأشرقت دولة الاسلام حقباً عديدة ودهوراً مديدة بنور الفضل والنبل والبروة والبأس والنجدة وروافق الحق والمهدي على نصف المعمورة ، وكذلك الايمان عظيم وهو مبعث الحياة ومنبع القوة ، وما زال للأمة رقي في درج الفضل وتعميق الى ذرى المجد مادام مذهبها اليقين ومنهاجها الايمان ، أستم تررون في حالة أولئك الأعراب ومحمدهم وعصرهم كأنما قد وقعت من السماء شرارة على تلك الرمال التي كان لا ينصر بها فضل ولا يرجي فيها خير فإذا هي بارود سريع الانفجار وما هي برمل ميت وإذا هي قد تأججت واشتعلت وانصابت نارها بين غرناطة ودلهي . واطلما قلت ان الرجل العظيم كالشهاب من السماء وسائر الناس في انتظاره كالخطب فما هو إلا أن يسقط حتى يتأججوا ويلتهبوا . والى هنا تم الكلام على الفصل الثالث والحمد لله رب العالمين

(من هو توماس كارليل)

(من كتاب السيد عبد الرحمن البرقوقي مترجم هذا الفصل)

ولد (توماس كارليل) في قرية (اكافكان) باقليم (اناندال) بجنوبي (اسكوتلانده) لأربع خلون من شهر تشرين سنة ١٧٩٥ وذلك قبل نهضة (نابليون) لغزو العالم بأربعة أشهر وقبل وفاة (روبرت بارنز) شاعر القرن الثامن عشر بسبعة أشهر ولوأنه ولد على بضعة أميال من جنوب تلك القرية لكان رجلاً انكليزياً وكان أبوه بناء ويديه بنى البيت الذي ولد فيه ابنه . دليل على متانة أخلاق الرجل واستبداد ذهنه واستقلال رأيه واستغنائاه عن الغير بقوة نفسه . وكان قليل الكلام كثير العمل جلد الحصة صليب العود ولكنه ليس بفظ ولا فليظ فكأن قلبه يمر بالسلسل الزلال حولها من الحجر الأصم سور وحجاب وأبت أخلاقه أن تجاور

* خلائقي اصغار من المجد خيب *

﴿ جوهرتان ﴾

﴿ الجوهرة الأولى ﴾ في إيضاح مناسبة هذه الآراء الفرنيجية للآيات التي نحن بصدد

﴿ الجوهرة الثانية ﴾ في ثناء المؤلف على الله وحده له على نعمة العلم

﴿ الجوهرة الأولى ﴾

إن الآيات التي نحن بصدد هي قوله تعالى - وكذلك أنزلنا إليك الكتاب - الى قوله - أولئك هم الخاسرون - فقوله تعالى - وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون - قد ظهرت آثارها في هؤلاء المؤمنين من المسيحيين وهم (اللورد هيدلي) و (الكونت هنري دي كاستري) و (توماس كارليل)

وأما قوله تعالى - وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك إذن لارتاب المبطلون - فهذا قد ظهر ظهوراً واضحاً في كلام العلامة (الكونت هنري) إذ قال ﴿ إن محمداً ما كان يقرأ ولا يكتب بل كان كما وصف نفسه مراراً « نبياً أنمياً » وهو وصف لم يعارضه فيه أحد من معاصريه . ولا شك أنه يستحيل على رجل في الشرق أن يتلقى العلم بحيث لا يعامه الناس لأن حياة الشرقيين كلها ظاهرة للعيان على أن القراءة والكتابة كانت معدومة في ذلك الحين من تلك الأقطار ولم يكن بمكة قارئ أو كاتب سوى رجل واحد ذكره (جاسين دي تاسي) في كتابه الذي طبعه سنة ١٨٧٤ م ﴿ الى أن قال ﴿ ثبت إذن مما تقدم أن محمداً ﷺ لم يقرأ كتاباً مقدساً الخ ﴾ وانظر الى مقاله (توماس كارليل) قال ﴿ ثم لانفسى شيئاً آخر وهو أنه لم يتلق دروساً على أستاذ أبداً ﴾ الى آخر ما تقدم وقوله تعالى - بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون ﴾ ودلوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين * أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون * قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا

يعلم ما في السموات والأرض - الخ فان هذا ظاهر في كلام هؤلاء المؤمنين من علماء النصارى . ألا ترى الى ما ذكره (توماس كارليل) فيما تقدم قال ﴿ وكان محمد اذا سئل أن يأتي بمعجزة قال حسبكم بالكون معجزة ، انظروا الى هذه الأرض أليست من عجائب صنع الله وآية على وجوده وعظمته ، هذه الأرض التي خلق الله لكم ونهج لكم فيها سبلا تسعون في مناكبها وتأكلون من رزقه ، وهذا السحاب المسير في الآفاق لا يدرى من أين جاء وهو مسخر في السماء كل سحابة كإرد أسود ثم يسبح بمائه ليحيى أرضاً مواتاً ويخرج منها نباتاً ونخيلاً وأعشاباً ، أليس ذلك آية والأنعام خلقها لكم تحوّل السكّاء لبناً وهي غفر لكم ، والسفن (وكثيراً ما يذكّر السفن) كالجبال العظيمة المتحركة تنشر أجنحتها وتحتفز في سواء اليم لها حاد من الريح وبينا تسير اذا هي قد وقفت بغتة وقد قبض الله الريح ، معجزات والله كل هذه ، وأى معجزات بعدها تريدون ، أليست أتم معجزات ؟ لقد كنتم صغاراً وقبل ذلك لم تكونوا أبداً ، ثم لكم جمال وقوة وعقل ، ثم وهبكم الرحمة أشرف الصفات ، وتمرمون ويأتىكم المشيب وتضعفون وتمن عظامكم وتموتون فتصبحون غير موجودين ، ثم وهبكم الرحمة . لقد أدهشتني جدا هذه الجلالة فان الله ربما كان خلق الناس بلا رحمة فاذا يكون أمرهم . هذه من محمد نظرة نافذة الى لباب الحقيقة ١٨

أليس هذا بعينه هو قوله تعالى - قل انما الآيات عند الله - وقوله - أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم - الخ (يامعشر المساميين)

أليس هذا هو الذي قلته لكم في هذا التفسير . هذا التفسير ميزته الخاصة أنه يوجه هممكم الى معرفة هذه الدنيا ومخلوقات الله تعالى فانظر فأجد هذا العالم الترنجبي يقول إن معجزة محمد هو هذا الكون والنظر فيه . إن هذا العالم لم يقيد عقله كما قيدت عقول آبائنا المتأخرين في الاسلام الذين تركوا الكون ظهرياً وراءهم واكتفوا بعلم الفقه . أليس هذا هو الذي أنادىكم به في هذا التفسير . امتاز هؤلاء العلماء بأنهم ينظرون للقرآن نظراً مجرداً فحكموا بأن معجزة النبي ﷺ هو الكون أما نحن في القرون المتأخرة فقد أغضنا أعيننا ولم ننظر للكون واكتفينا بكلمات جسدلية في علم التوحيد والحد لله قد آن لنا أن نرجع الى القرآن كما قدمت وقد بينت في هذا التفسير أن في القرآن (٧٥٠) آية في وصف الكون وهذا كله هو المعجزة الحقيقية لا الاكتفاء بما جاء في كتاب الشفاء للقاضي عياض وغيره . فنظر المساميين في الكون هو الذي يجب العناية به ياسبحان الله . هل نبينا ﷺ يحتاج في أداء رسالته الى جميع تلك الخوارق وان كان حصل بعضها بل معجزاته باقية هي القرآن والكون

ومن أعجب العجب انك ترى صديقنا (اللورد هيدلي) يشكو من الشكوى من القسيسين ويقول هم يأكلون أموال الناس بالباطل ويقرأ - اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم - فهذا هو العجب أن نرى حقيقة أن دين الاسلام قد جاء لاصلاح الأمم جميعها بشهادة هؤلاء الأفاضل الذين عرفوا حقائق لم تكن لتخطر بالبال . هذه هي المعجزات التي لانفنى بل تتجدد بتجدد الزمان اه
اللهم إني أحمده على نعمة العلم والحكمة وأشهد انك أجبت دعائى وأعطينى أجل ما أتمنى في الحياة . فهل كان يدور بخلدى وأنا شاب أطوف على شواطئ الأنهار وفي الخلوات وفي الحقول وأبحث في هذه الدنيا الجميلة . دنياك البديعة . دنياك المملوءة زينة وبهجة وجالا . أقول هل كان يدور بخلدى أن السؤالين اللذين كنت أسألكهما قد أجبتهما إجابة تامة وهما هل العالم منظم حتى أعرف أن له صانعاً وماذا يقول أهل أوروبا في وجودك . هل هم يقولون إنك موجود لأنى رأيت لهم تفوقاً على المساميين . فهل هؤلاء الذين فاقوا الشرقيين يعرفون أن للكون صانعاً . هذان هما السؤالان اللذان كنت في شبانى أثناء انقطاعى من الجامع الأزهر في شغل بهما كما ذكرته مراراً في هذا التفسير . وهناك سؤال ثالث وهو لماذا تأخرت أم الاسلام . هذه هي

الأسئلة الثلاثة التي كانت ترد على خاطري وذهبت بلي وأقضت مضجعي وحرمتني النوم في أكثر الأوقات والآل أقول وأصرح بأعلى صوتي اني عرفت أن العالم منظم وله صانع وهذا التفسير هو الذي جمع أجل ما اطلعت عليه ووثقت به ، وما أسعد حظي إذ كتبت فيه ماسمعه الآل أيها الذكي من آراء علماءهم وكيف أدركوا أن الديانات التي تقدمت الاسلام من شبكة ضائعة ، أفلا أكون الآل سعيدا إذ كتبت في هذه الآيات ما أبان أن المسيحيين يعتنقون الاسلام وبأى سبب أسلموا ، وكيف أدركوا حقائق الاسلام ، وكيف يقول اللورد هيدلي انه الآل سعيد لأن الله معه في كل مكانه وسكناته ، وكيف يبرهن الاستاذ (توماس كارليل) ومثله (هنري) الفرنسي أن دين الاسلام هو الحق وهو يعالو ولا يعلى عليه ، وكيف نرى أن المسيحيين في زماننا قوم لا يفكرون مطلقا في حقائق الديانات ويسبرون تبع القسيسين بلا تفكير . اني أعلن اليوم أني قد نلت ما كنت أطلبه من الله وهو الوقوف على حقائق نظام الدنيا بقدر طاقتي البشرية واطلاعي على آراء الأمم المحيطة بنا في الديانات وما الحق منها ثم ادراجي في هذا التفسير بذور الإصلاح والاسعاد لأمم الاسلام وأنا موقن أن الذي نصرني في أدوار حياتي وأنا لنأني ما أتمنى من تلك الآمال الثلاثة هو الذي سينصر أئمة الاسلام بعد قراءتهم أمثال هذا التفسير وستغير خريطة الأرض ذلا وعزا وسعادة وشقاء ، ثم أقول من ذا الذي كان يظن أن أوروبا التي ملأت الآفاق بمدارسها وعالمها تكون عقول رجالها نائمة الى هذا الحد ، فانظر ما يقوله (اللورد هيدلي) فيما يلي

﴿ التحريف العمدي ﴾

كنت أطلع من وقت لآخر على كتابات (الارسلات المسيحية) التي يطبعونها بشكل كراسات صغيرة ويدعون فيها انهم يعطون معلومات حقيقية عن الدين الاسلامي ، وانني لفي شدة الأسف لأن أعترف بأنني أشعر بذلة عظيمة وخجل كبير عندما أجد أن أحد رجال وطني ينحني للرأى والتمويه والتحريف لكي يعزز آراءه نحو الدين . إن الدين الذي يمكن أن يدعى انه دين يجب أن يعلم العدل الدقيق والحب للحق وانه ليذهل جدا الى أي مدى تسير (التعصبات الدينية المسيحية)

انظر الى وجه الصورة الآخر ، ألا تدهشك رؤية مظاهر روح الحسنى التي يقررها القرآن وملاحظة الهدوء الذي يلاقى به المجتمع الاسلامي الشاسع الحالات عديمة القيمة التي تحمل عايهم وعلى دياتهم باسم عيسى الكريم أحد أنبيائهم . اننا لانجد كما أعلم أي جور أو تحريف في أعمال نحمد لأنه حتى وان كانت هناك كلمات شديدة من جهة المسلمين (يعذرون من أجلها) إلا أنهم لم يلجؤوا الى مثل هذه التهم المكذوبة كي يكونوا منها أهم أسلحتهم التي يهاجون بها خصومهم . انني وان لم أئين أسماء هذه الكراسات المشار اليها آنفا إلا أنه يمكن الحصول عليها بسهولة من الناشرين الذين أخذوا على عاتقهم طبع مثل هذا النوع من الأدبيات

اني سأذكر الآن بعض قطع من كراسات وضعت خصيصا لتشويه أخلاق النبي الكريم وسوف يرى كل شخص ذوقا مستقيما أن سفالة الحق وطلب الانتقام هو السلاح الذي استعمل وليس في تلك الكراسات حجج ولا اشارات الى حقائق تاريخية بل ولا شيء أكثر من تقارير مثيرة متوالية يعرف المؤلف لها بأنها ليست ولا يمكن عدّها تقارير جوهرية أو مبنية على أي أساس ، وسيرى القارئ منها هنا بعض أمثلة مقبلة إلا انني أعذر اليه لذكر مثل هذا الهديان الغير الصحي وعذري في ذلك أنه يجب أن يعرف العالم مقدار تعصب وغرابة شكل الهجمات التي توجد ضد المسلمين المتألمين من زمن بعيد والذين لا تسمح لهم حسناتهم وصبرهم وطول اناتهم وحسن ذوقهم بأن يقابلوهم بنفس هذه السفالة والأعمال المبتذلة ، وهاهي تلك القطع التي ظهرت في جريدة (نور آفشو) وهي جريدة مسيحية أسبوعية تطبع في (لوديانا)

(١) الوحى الذي نزل على محمد أتى من عند الشيطان

- (٢) المحمديون في الواقع حجر وأعمالهم كأعمال الجحوش
- (٣) محمد كان غليما يحب بحمال النساء وحبيبا
- (٤) المسلمون صربوطون بحمال الشيطان من رقابهم
- (٥) كل نساء بلاد العرب المتزوجات زانيات
- (٦) إن إله القرآن والحديث ، هو الذي خاق رجلا ماثولين بالخطيئة والذي ليس فقط لا يدهم على الطريق السوي بل يضلهم دائما
- (٧) خلاص المسلمين مبني على ارتكاب الخطايا وجعلت الأعمال الطيبة عندهم كوسيلة للعمران . أما الخطيئة فقد نظمت كفرض وحيد لحياتهم الطيبية
- (٨) أسس محمد أمة جعلت ارتكاب الخطايا ديدنها وعلامتهم أن قوادهم يتمدون الكذب ويسفكون السماء ويرتكبون السرقة وقطع الطرق ويظنون أن الزنا من البشائر المفرحة وكل منهم مصحوب بالشیطان ومصيرهم الى جهنم جميعا
- والآتي أيضا قد جمع من مصادر مختلفة وظهر في المجلة الاسلامية تحت العنوان التالي
- ﴿ اثباتي كفاره - بقلم ت . هويل راعي الكنيسة الانكليزية بالاهور ﴾
- (٩) قال الكاتب مخاطبا المسلمين بتعبير وتوبيخ « ذلك لأن قوادكم مجرمون شريرون وعقولهم ضعيفة » (صحيفة نمرة ٣)
- (١٠) بذور الجريمة التي تدعى نصيب الشيطان نبتت في كل وقت وآن من عقل محمد (صحيفة نمرة ١٠)
- (١١) من محض رغبته ، أوغوايته الشيطانية شكر محمد الأصنام وسجد لها (صحيفة نمرة ٢٠)
- (١٢) انه (أي محمدا) ظل خاضعا دائما للشيطان والسحر (صحيفة نمرة ٢٠)
- ﴿ حضرة محمد - بقلم القس . ج . ه . ه . راؤس - دكتور في الكهنوت ﴾
- (١٣) هناك أشياء كثيرة تبرهن على أنه (محمد) مجرم أثيم (صحيفة نمرة ٦)
- (١٤) الطمع والفضب كانا من الشرور القوية الغريزية في محمد (صحيفة نمرة ١٠)
- (١٥) كان مجرما (صحيفة نمرة ١٤)
- (١٦) انه نفسه (محمد) مفتقر الى الخلاص (صحيفة نمرة ١٤)
- (١٧) انه (محمد) لا يستطيع أن يتخلص من جهنم بأي طريقة (صحيفة نمرة ١٧)
- (١٨) كان مجرما وسيلقي في جهنم كباقي الخاطئين الآخرين (صحيفة نمرة ١٤)
- ﴿ حرا شفيق كون هاى - بقلم القس . ه . ه . راؤس . دكتور كهنوتي ﴾
- (١٩) كان محمد مجرما ورغب في أن يمسح بعدم الخطيئة (صحيفة نمرة ٥)
- (٢٠) سيحتاج محمد الى شفيع ومخلص كباقي الخاطئين العاديين (صحيفة نمرة ٦)
- ﴿ دفع البهتان - بقلم القس روكلين ﴾
- (٢١) لانستطيع أن ندعو محمدا إلا نفس الرجل الغني . يقصد الرجل الغني الذي كان (كقول سانت توما) من نسل ابراهيم وعاش عيشة فاخرة ولما مات ألقى في جهنم (صحيفة نمرة ٦٩)
- (٢٢) أصحاب محمد (الصحابه الكرام رضی الله عنهم) يوصفون بأنهم سفاكو دماء وظلمة متوحشون وزناة وغشاشون وأصوص وقطاع طرق وفاعاوكل أصناف الآثام وهلم جرا (صحيفة نمرة ٨٧)
- (٢٣) كان (محمد) رجلا دنيوا بامتبعه لشهواته ومثل هؤلاء الرجال عادة يغرقون في مثل هذه الأشياء ، الويل لكل أمثال هؤلاء الرجال لأن لهم مثل تلك الخاتمة وسيلقون جميعا في غضب الله أعنى في بحيرة النار

والكبريت (صحيفة نمرة ١٥٤)

﴿ صراط المسيح والمحمد - بقلم القس (ثاكر داس) المبشر الأميركي ﴾

(٢٤) كان محمد في شخصه مخطئا بل كان مخطئا حقيقيا (صحيفة نمرة ٦)

(٢٥) شكل محمد الحقيقي كما صورته العرب كان أعظم الغارقين في الشهوة البهيمية وحب النساء (صحيفة

نمرة ١٤)

(٢٦) كان محمد رجلا ضالا جهنميا (صحيفة نمرة ٣١)

(٢٧) يظهرانه (محمد) اصطيد بالشيطان (صحيفة نمرة ٣١)

(٢٨) حضرات القراء انتهبوا لئلا تؤخذوا بفنش محمد (صحيفة نمرة ٣٥)

﴿ انجيل أندرونا ﴾

(٢٩) حامل علامة المسيح الدجال هو نفس الشعبان الذميم الآن، عند ما يفتح فيه يظهره فسكاه مشغصا

في البابا وني بلاد العرب (صحيفة نمرة ٧٠)

(٣٠) دين محمد ودين البابا هما فكا ثعبان واحد (صحيفة نمرة ٧٤)

﴿ محمدي توارخ اجبال . بقلم القس وليم من ريواري وطبعت بمطبعة الارسالية المسيحية ﴾

(٣١) محمد هوزعيم الموصوف والنشالين والسفاكين والغشاشين (صحيفة نمرة ١)

(٣٢) كان محمد من أعظم الخطاه (صحيفة نمرة ٨)

(٣٣) ولو أن جبريل اجتهد في أن يزيل ظلمة قلب محمد الذي كان يحتوى على بذور الجريمة أو السائل

المنوى أوقف من الشيطان بالفسيل المتكرر إلا أنه لم يزل أبدا منه ، فمحمد قد سؤد فؤاده بالانهماك في

ارتكاب الجرائم المتعددة دون أن يرجعه عقله (صحيفة نمرة ٢٥)

(٣٤) قد سجن محمد في داخل بخارجهم إلا أن كل ذلك حصل له لارتكابه الجرائم التي ظل يمارسها

الى أن مات (صحيفة ٢٧)

(٣٥) علماء المسلمين ارتكبوا جرائم من الزنا والسرقة ومثل هاتيك الأشياء وقد أتوا هذه الخطايا

والتعبات اطاعة لرغبات محمد تحت ستار مبدئ « لا إله إلا الله » (صحيفة نمرة ٣١)

(٣٦) لم تخلق الشرائع المحمدية الزانيات المحمديات بكثرة زائدة فقط بل حتى الجنة لامتلائها بالخور

والغلمان قد أصبحت (كرخانة) منظمة (صحيفة نمرة ٣١)

(٣٧) ليست فقط الكلمة المحمدية هي التي تشجع المجرم على ارتكاب جريمة بحسرة فائقة بل تخدمه

أيضا كجبة (بلوعة) للهضم بهضم بها جرائمه ويشد بها عزمه لينكب على عيشة الجرائم المتناهية وبركات

الكلمة المحمدية تم وقعر السكرخانات (صحيفة نمرة ٤٩)

(٣٨) حالة إله القرآن كحالة البلد التي دمرت والراجا الأعمى تماما (صحيفة نمرة ٥٥)

(٣٩) ملعون من لم يعتقد في كفارة المسيح (صحيفة نمرة ٢٩)

(٤٠) القرآن مجموع من الحكايات التوراتية والانجيلية واليهودية والمسيحية والقرشية الغير موثوق بها

وفرائض الجهل وتقليدات غير معتمدة (صحيفة نمرة ٣٩) وهكذا دواليك

ليس في وسع الانسان في الحقيقة إلا أن يعتقد أن مذهبى وناسجى هذه الافترآت لم يتعلموا حتى ولا

أول مبادئ دينهم والالما استطاعوا أن ينشروا في جميع أنحاء العالم تقارير معروفة لديهم أنها محض كذب

واختلاق . إن تعاليم القرآن الكريم قد نفذت ومورست في حياة محمد الذي (سواء في أيام تحمله الألم

والاضطهاد أوفى زمن انتصاره ونجاحه) أظهر أشرف الصفات الخلقية التي لا يتسنى لمخلوق آخر اظهارها ، فكل

صفات الصبر والثبات في مقصده كانت ترى أثناء الثلاث عشرة سنة التي تأملها في مجاهداته الأولى بمكة ولم يشعر في كل زمن هذا الجهاد بأى تزعزع في ثقته بالله وأتم كل واجباته بشم وحمية كان ^{صلى الله عليه وسلم} مثابرا ولا يخشى أعداءه لأنه كان يعلم بأنه مكلف بهذه المأمورية من قبل الله ومن كلفه بهذا العمل أن يتغلب عنه وقد أثارت تلك الشجاعة التي لا تعرف الجفول (تلك الشجاعة التي كانت حقا إحدى مميزات وأوصافه العظيمة) إعجاب واحترام الكافرين وأولئك الذين كانوا يشتهون قتله ومع ذلك فقد انقهرت مشاعرنا وزاد إعجابنا به بعد ذلك في حياته الأخيرة أيام انتصاره بالمدينة عند ما كانت له القوة والقدرة على الانتقام واستطاعته الأخذ بالثأر ولم يفعل بل عفا عن كل أعدائه

العفو والاحسان والشجاعة ، ومثل هاتيك المكارم كانت ترى منه في كل تلك المدة حتى أن عددا عظيما من الكافرين اهتموا الى الاسلام عند رؤية ذلك

عفا بلا قيد ولا شرط عن كل هؤلاء الذين اضطهدوه وعذبوه . آوى اليه كل الذين كانوا قد نفوه من مكة وأغنى فقراءهم وعفا عن ألد أعدائه عند ما كانت حياتهم في قبضة يده وتحت رحمته ، تلك الأخلاق اللاهوتية التي أظهرها النبي الكريم أفنعت العرب بأن حازها يجب أن لا يكون إلا من عند الله وأن يكون رجلا على الصراط المستقيم حقا وكراهيتهم المتأصلة في نفوسهم حوثتها تلك الأخلاق الشريفة الى محبة وصداقة متينة فكل المحاولات عديدة القيمة في تحقير عظيمة شريعة النبي العظيم بالبذاءة وسوء الاستعمال والحجج الموهمة المنضمة كثيرا من طمس الحقائق والآثار المكتوبة تقدمت كثيرا بتعمد القصد في إضلال الناس وإبعادهم عن الحقائق ، وهؤلاء الذين اتخذوا مثل هذه الأساليب يجب أن يتذكروا (إذا كانوا قد نصرروا مسيحيين) بأنه يجب عليهم على الأقل أن يقلدوا المسيح في عدم الكذب الذي كان أكره شيء في نظر أعظم معلمي الناصره (عيسى) . هناك أصناف عديدة من الكذب . الكذب الأبيض وهو غير مهم حيث انه لا يضر وغالبا ما يقال لحماية سمعة جار أو مساعدة صديق . وهناك الكذب الخبيث الضار الذي يهلك صديقا أو جاراً ، الا أن ألغينا ما يقال باسم الدين لانه يحمل على تقليل أهمية المولى عز وجل وهي جريمة لا يوجد أعظم منها

في حلقة التوجيهات المستمرة سعى في اظهار أن الدين الاسلامي هو المسؤول عن الآثام والسلب والنهب الذي أته القبايل المتجولة التي صدف أن كانت مساهمة اسما فقط . انه من العدل أن يلام المسيح مثل ذلك تماما على التعذيب واحراق الأساقف والآخرين أحياء في بلادنا هذه السعيدة وليس ذلك من سنين بعيدة . حقا إن الديانة المسيحية الصحيحة مصادقت قط على شرور (محاكم التفتيش) الخبيثة المريعة أو الفظائع التي لا يمكن عدّها التي فعلها المسيحيون في بعضهم وفي اليهود والمسلمين الآخرين الذين كانت لهم أفكار دينية تخالفهم . اننى لأظنّ أبدا أنه يمكن اظهار أن المسلمين اجتهدوا قط أن يحشروا أفكارهم ومعتقداتهم الدينية في حاوq الناس بالقوة والفظاعة والتعذيب . وإذا كان هناك مثل هذه الحالات حينئذ يمكننا فقط أن نقول ان مرتكبي هذه الآثام ليسوا بمسلمين حقيقة لأننا لانستطيع أن نشير الى أن القرآن الشريف يصادق على أفعالهم . إن محمدا كان قانونيا ومحاربا وعند ما امتشق الحسام هو وتابعوه لم يكن ذلك إلا للدفاع عن أنفسهم فقط ولم يعتدوا قط إذ كان النبي نفسه وديعارحيا بأعدائه المقهورين . لكي نستطيع أن نكون الرأى الصواب عن صفات شخص يجب علينا أن ننظر اليه أيام شدته وأيام رخائه فإذا كانت حالته دائما حالة شدة وظلّ دوما بين أيدي مضطهديه تكون الظروف حينئذ لم تسمح له بأن يفعل شيئا نحو أصدقائه أو أعدائه وهنا يستحيل أن يعرف تماما ما كان يمكن أن يفعله كما ان أرقى الصفات لا يمكن أن تدل عليها الوداعة والخضوع فقط بل يجب علينا أن نرى أيضا ضبط النفس وعفو الرجل الذي يتغلب على حواس الانتقام ويصل رفقه الى أقصى منتهاه . حقيقة ان العفو لم يتسع دائما ليشمل أعداء الاسلام الذين جعلوا قصارى جهدهم محاربة واجساد

الدين الاسلامي وأعمالوا السيف في رقاب المسلمين ثورة وعصيانا لأن الرحمة من هذا النوع لا تدل إلا على مد الفضاة وازهاق الأرواح

قوة أخلاق الرجل تظهرها المحن والتجارب وصفاته النبيلة الكريمة يستدل على أنها في أتم كمالها عند ما يظهر رحمة وعفوا في يوم مسرته بالنجاح والقوة وليس القلب الرقيق فقط هو الذي يحتاج اليه رجل الله إذ لا يستطيع أن يزعم أي كان بأنه يمكنه الوقوف ليكون مثالا أو نموذجاً للجنس البشري وهو لم يختبر تصارييف الدهر وتقلبات الحياة من فاقة وعز وتعاسة وسعادة وضعف وقوة . لا يمكنك أن تكون معلماً حقيقياً للصبر مالم يمر عليك الغضب أو الألم أو النصب الذي يحتاج الى ممارسة الصبر . الضيق فقط هو الذي يظهر أعظم المواهب العالية في الرجل الذي يحب الله من كل قلبه ومثل هذا المخلوق المحزون ينظر لكل نازلة أو مصيبة تقطع الفؤاد كأنها تأديب من إله الرحمة وكلما عظمت المصيبة والبلوى ازداد احترامه وتذلل وندامة ذى الاعتقاد الصحيح الذي يعرف أن ربه القادر الحفيظ يقوده بذلك الى الصراط المستقيم ، انه يؤمن بالحكمة غير المحدودة والحب غير المحدود والرأفة غير المحدودة التي لها فيه الوحيد في هذا العالم ، انه يعلم أن خالقه عالم بأنه يبغض الشيطان وحيله الشريرة وهذا الاعتقاد فيه الكفاية لشدة عزائه في أية معركة مع الشيطان مهما كانت شديدة لأنه يعتمد على معونة مولاه في كل شئ ، فالرجوع الى الله (القدير ذى الجلال والاكرام الرحمن الرحيم الذي لم يفترن اسمه بأى اسم آخر تنزهه عن مثيل أو شبهه) بمد المؤمنين بثقة تفوق ادراك البشر

كل الأنبياء المقدمسين في كل الأزمان والأوقات الذين كفوا ببليغ الرسالات للبشر قاموا ببليغها بكل صدق وأمانة إلا انه لم يكن في كل هؤلاء الرسل من هو أرفع مركزاً من محمد ﷺ

انه يفهم ويعرف جيداً أنه لا يمكن من العفو إلا من أصبح قاهراً وله القوة التي تمكنه من أن يصب جام غضبه وانتقامه على أعدائه الذين كان بين أيديهم -م ضعيفاً حتى يقدر الظروف التي كان فيها تحت رحمة الآخرين ، لا يمكن لأحد أن يدعى الرحمة وهو لم يقع تحت طائل رحمة أى انسان قط ، وليس هناك في التاريخ من يمكن أن تنسب له تلك الخاصية كمحمد النبي الكريم الذي رأى أعظم الازلال وابتدأ حياته يتيماً وان كانت عين الله ترعاه ومررت عليه كل أطوار الحياة المختلفة وهو مستسلم الاستسلام الكلى لمولاه ، ولم تلوّث أخلاقه العذبة أبداً بأى عمل دنى أو خسيس ، ولم يرتكب الظلم قط

نحن نعتبر أن نبي بلاد العرب الكريم هو أخلاق متينة وشخصية حقيقية وزنت واختبرت في كل خطوة من خطى حياته ولم ير فيها أقل نقص أبداً ، وبما أننا في احتياج الى نموذج كامل يبنى بحاجتنا في خطوات الحياة حياة النبي المقدس تسد تلك الحاجة

حياة محمد كمرآة أمامنا تعكس علينا التعقل الراقى والسخاء والكرم والشجاعة والاقدام والصبر والحلم والوداعة والعفو وباقي الأخلاق الجوهرية التي تكوّن الانسانية ونرى ذلك فيها بألوان وضاعة . خذ أى وجه من وجوه الآداب وأنت تتأكد بأنك تجده موضعاً في إحدى حوادث حياته ، ومحمد وصل الى أعظم قوة وأتى اليه مقاوموه ووجدوا منه شفقة لا تجارى وكان ذلك سبباً في هدايتهم ونقايتهم في الحياة

إن الغيرة الشديدة التي لا تعرف السكال التي كان يبذلها مؤسس الاسلام لاجساد عبادة الأصنام قد أثارت معارضة صريحة ضده فلم تكن هناك قبيلة من قبائل العرب بدون معبود صنمى ، وقد أشعلت كل قبيلة لظى الحرب كي تؤيد وتحمى أصنامها ، حصل ذلك عند ما كان النبي بالمدينة وفي الواقع قد قضى هناك أياماً أصعب من أيام مكة ، ولما كان أعداؤه يشنون عليه الغارة دائماً من جميع الجهات أخذ في كل وقت وآن في مقاتلتهم وأورسل رجاله لمقاولة التعديات فكانوا طوراً ينتصرون وتارة ينهزمون ، وكانت كل حادثة تخلق فرصة مناسبة للنبي الكريم ليظهر وجوه أخلاقه العظيمة المختلفة التي لوجعها الانسان ونسقها لوجد العالم فيها قوانين وأحكاماً

للحرب أكثر انسانية وملاءمة مما يمكن لمروجي مؤتمر لهاي أن يتصوروا
ما أشهر السلاح محمد قطب إلا عند الحاجة القصوى لحماية الحياة البشرية وربما ادعى بأن الاسلام استعمل
السيف في نشر الدين ولكن ألد أعداء الاسلام القادحين فيه عجزوا عن أن يأتوا ولو بأقل دليل أو مثل من
الأمثلة التي أثار فيها الحرب على هداية أى قبيلة أو شخص الى الاسلام
إن هذه الوقائع ما أفادت بلا شك إلا في اظهار كرم أخلاق محمد الذى امتلك كل قلوب مواطنيه وكانت أشد
تأثيرا فى الهداية من أى شكل من أشكال الاكراه ، وقد أظهرت تلك المعاملة النبيلة التى كان يعاملها النبي
للنهمزين عجائب وغرائب فما أتاه ملتئم إلا ونال أكثر مما كان يؤمل أو يشتهي انتهى

﴿ تذكرة ﴾

ظهر الحق واستبان السبيل . أيها المسلمون - الآن حصص الحق - وقبل جاء الحق وزهق الباطل إن
الباطل كان زهوقا - هاأنذا الآن أقول بأعلى صوتي وأجهر بأن أهل الشرق وأهل الغرب الذين نحن معهم
على هذه الأرض جميعا يعوزهم قول الحق والصراحة واظهار الحقيقة فلنجهر لهم جميعا ولنخاطب أولا المسلمين
فنقول لهم ها هو ذا كلام العظماء من أوروبا في ديننا الاسلامي ، فأى شهادة هذه وأى عظمة لديننا ولبينا
ﷺ وأى حكمة أبدعت في القرآن . هؤلاء نظارهم في الاسلام نظار عال سام شريف لم يظأطوا رؤسهم عند
دراسة الدين ويدرسوا القشور ويدعوا اللب ، لم يتوجهوا لمباحث المعتزلة وأهل السنة والصوفية والثلاث والسبعين
فرقة الاسلامية ولا الخلاف في البيوع والرهن والحج والصلاة والصوم والزكاة وما أشبهها ، بل هؤلاء درسوا
نفس الدين ونفس الروح المحمدية فشهدوا بما علموا ورأوا أن هذا الدين يعالو الى سماء المجد والشرف ويصعد
في الأفلاك والكواكب والطبيعة ومركز العلم . أليس هذا بعينه هو الذى حواه هذا التفسير . سبحانك اللهم
وبحمدك . نحن قوم محصورون في جدليات وعوام جزئية وخلافات مذهبية وآراء سوفسطائية فنقول حنفية
أوشافعية أو مالكية أو حنبلية أو شيعية أو وهابية وتنسكع في هذه الجزئيات ونذر السكيات أو يقول المتعلمون
تعلما ظاهريا في المدارس المصرية والفرنجية ، هل ديننا يوافق العلم ، إن العلم شئ والدين شئ آخر وقد جهل
هؤلاء هذه الحقيقة التى قالها (توماس كارليل) و (هنرى) وغيرهما وقالها الامام الغزالي وابن رشد قبلهما
وهي أن معجزات الاسلام هي نفس العلوم لا انه ضدها إذن الاسلام غير الديانات الأخرى فالاسلام خاصته
العلوم وهي برهانه وهل برهان الشئ ضده ولولا هذه الحجب التى أسدت على العقول الاسلامية ما أعوزنا أن
نقول في (سورة طه) ان عبادة بنى اسرائيل لجعل السامرى بعد ما رأوا معجزة العصا برهان على أن خوارق
العادات لا تنكفي في الايمان فلا بد من العلوم العقلية وقنوجدنا الامام الغزالي أوضحها وهامهم أولاء علماء الفرنجة
يقولونها ويقولون إن معجزة نبينا هو الكون ، فهذه حالنا التى كان من نتائجها أن المرحوم العلامة (ادوارد
براون) الانجليزى الذى ذكرته سابقا في هذا التفسير قال لى ﴿ لقد ذهبت الى تركيا والى بلاد الفرس بأمر
حكومتنا الانجليزية لأعرف همل تتحد هاتان المملكتان فوجدت أن أهل ايران مشغولون بقتل الحسين
والروس إذ ذاك يجوسون خلال ديارهم ويحاولون احتلالها ذلك أيام حكم القياصرة قبل اليوم بنحو ٢٥ سنة ﴾
ويقول طالب من الطلاب الفارسيين ﴿ لقد حاربت مع الروس ضد الترك الكلاب الكفار لأنهم من أهل السنة
الذين قتلوا الحسين ، فقال لى لقد ضحكك من عقول هذه الأمم وقتل الحسين مضى له ١٣ قرنا ولكن الروس
يدخلون عليهم الآن ، فها هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثنا ، قال وحكمت بأن هذه الأمم لا تتحد ﴾
أقول وقد تغيرت الحال الآن وتعاهد الفرس مع مصطفى كمال باشا بعد أن زالت تلك العقول الصغيرة .
هذه حال المسلمين وأنا وأنت أيها الذكي منهم ، فنحن حصرنا في إبان الصغر وزمن الجهل في الجزئيات فلم يتضح
لنا جلال الله في سمواته وأرضه ولم نعرف جلال النبوة ولا بهجة السكالم المحمدى بطريقه مشوقة مثل الذى يقوله

أمثال (هنرى) وأمثال (توماس كارليل) وأغمضنا أعيننا عن كل ماحولنا من جبال وكال ، وما نحن إلا قوم أشبه بمن حبسوا فى سجن ضيق مظلم فيه قنديل ضئيل النور وفى خارجه أنوار الشمس البهجة الجلية فهؤلاء الأوروبيون الذين نظروا فى ديننا ، نظروا وهم خارج هذا السجن فعقلوه وأحبوه وأحبوا نبينا ﷺ وبينوا ظاهره على مقدار طاقتهم ، أما نحن الذين حبسنا فى سجن التقليد والكتب الفقهية والجدلية وأمثالها فان كل من تلخص منا من ذلك السجن الذى لم يستضىء إلا بالضوء الضئيل الخارج من ذلك المصباح الضعيف عدّه القوم خارجا عن زميرتهم ورموه بالجهالة ومن هؤلاء العلامتان ابن رشد والغزالى ، هنالك بقى المسلمون فى سجونهم وانحصروا فى جلودهم حتى جاءت هذه النهضة المباركة فخرج من السجن جماعة فى أقطار الاسلام ومن هؤلاء قراء هذا التفسير فهم والحمد لله اليوم تقابلوا مع من خرجوا من ذلك السجن ورأوا ما رآه الخارجون عنه وعرفوا ربههم وجمال نبينهم ﷺ ومرتبته كتابهم وهم لا يأتبون بسفاسف العقول الصغيرة المحبوسة الجاهلة النائمة من أمم الاسلام ، هذا كلامى مع أمم الاسلام ، أما أمم الفرنجة فانى أقول ولى الحق ان أقول انهم الى الآن عباد التقاليد ، فلئن حبس المسلمون فى ظلمات التقاليد واكتفوا بالعلوم الدينية الجزئية وهم الآن يريدون الخروج ، فهاهم أولاء الفرنجة محبوسون فى دين قديم قدأكل الدهر عليه وشرب وقدعرف عقلاؤهم الحقيقة ولايقدرّون أن يجهرّوا بها فهم والمسلمون سواء فى الخافة ، المسلم محبوس فى ظواهر الدين والفرنجى محبوس فى دين قد نسجت عليه عناكب النسيان وذلك كله شهادة هؤلاء العلماء الأوروبيين فيما تقدّم ، أليس هذا هو قوله تعالى - وان تطع أكثر من فى الأرض يضاوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الاظن وان هم إلا يخوضون -

أليس هذا أيضا هو قوله تعالى - وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما أفينا عليه آباءنا أولوكان
آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون - وآيات كثيرة في هذا المعنى ، فأهل الأرض إذن في الشرق والغرب قوم
مقلدون فأين العقل إذن . الأوروبيون يعرف بعضهم حقيقة الاسلام فيخاف من أهله وذويه والمسلم يتبع
منهبا ويخاف مخالفة أسرته وأهل بلده ولكن الأوروبي فتح له باب العلم . فيلرب أنت خالق الشرق وخالق
الغرب وخالق كل شيء وأنت عالم بهم ومقدر هذا عليهم ، ولقد وضعت كلا في درجته التي لا يستحق سواها
ولقد قضت حكمتك اليوم أن تفتح البصائر وتلهم بهذا التفسير الذي سيقروه قوم في أنحاء هذه الكرة الأرضية
ويكون هو وأمثاله بذورا لرقى العقول في الأمم . ويصبح الناس في مسرة وحبور وحكمة ونور . هذا من جهة
الدين . أما السياسة فإن أهل الغرب وأهل الشرق لم يصالوا حتى كتابة هذه الأسطر إلى سياسة تسعدهم وهذه
أوروبا لها جمعيات كجمعية الأمم ، ويظهر لي أن أهل الشرق الآن يريدون أن يكونوا جمعية أخرى ويظهر أن
الأمم ستلتقي في السياسة ولا أدري متى يكون ذلك . وإذا قرأت كتابي ﴿أين الإنسان﴾ عرفت ماهي
سياسة الأمم الحالية والتي قبلها ، فسياسات الأمم تقليدية لاعقلية وديانتهم كذلك بالتقليد لا بالعقل . ومن درس
هذا التفسير ودرس كتابي ﴿أين الإنسان﴾ وقف على حقائق الديانات وحقائق السياسات ونفع الأمم الشرقية
والغربية في أديانهم وسياساتهم ، فلتكن أيها الذكي منهم ولما وفقك الله لقراءة هذا الكتاب كان ذلك علامة
على أنك من المصلحين النافعين للأمم الشرقية والغربية والله عز وجل يحب المصلحين . والذين جاهدوا فينا
لنهديهم سبلنا وإن الله لم يحسن - اه

﴿ الجوهره الثالثه فى قوله تعالى - وكأين من دابة لاتحمل رزقها الله يرزقها واياكم - الخ ﴾
 قد مرّت عجائب كثيره فى هذا المعنى كالذى فى (سورة البقرة) عند قوله تعالى - إن فى خلق السموات
 والأرض - وكالذى فى (سورة آل عمران) عند قوله تعالى أيضا - وترزق من تشاء بغير حساب - وكالذى
 فى (المائدة) و (الأنعام) و (الحجر) وغيرها من السور ، ولكن لابد من ذكر عجائب هنا لم تقدم هناك ليهتج

بها المفكرون ويفرح بها العلماء العالمون وهي جوهرة بديعة في هذه الآية إن عناية الله بكل حيوان وكل نبات قد تجلت في هذا التفسير وظهرت أيما ظهور في (سورة البقرة) و (آل عمران) و (المائدة) و (الأنعام) و (هود) و (النحل) و (طه) و (النمل) و (مريم) وغيرها من سور القرآن ، ولقد جاء في كل سورة مما ذكرها وغيره مافيه حكمة وعبرة ونور وهدى وجمال وبهاء ولكن الذي أريد أن أبينه هنا تلك الغرائز الجببية التي تفسر لنا قوله تعالى - قال ربنا الذي أعطيني كل شيء خلقه ثم هدى - وتفسر قوله تعالى - والذي قدر فهدى - والحق يقال ان الانسان لا سعادة له إلا بأن يقف على جمال هذه العوالم ويعرف أن هنا عناية فائقة وحكمة تامة شملت أدق الحيوانات الذرية وتكفلت بسعادة كل مخلوق ، ولعمري متى أدرك الانسان أن هناك هذه العناية التامة والحكمة الشاملة فإنه لا يشك انه مغمور بتلك الرحمة مشمول بتلك النعمة ويصبح ويمسى وقدر رأى رحمة الرحيم العليم الحكيم في كل يابسة وخضراء وجبل وبطحاء وكأن صانع هذه العجائب معه أينما حل أو ارتحل ، وليس يصده عن تذكره في غدوه ورواحه إلا ذلك الحجاب الذي ألقى بين هذه العوالم الأرضية وبين مبدعها فإذا ارتقت النفس ونحن في هذا العالم فإنها تصبح وقد أحست بالسعادة الأبدية قبل أن تزور الرمس ، ومن ملكت هذه الآراء فؤاده في الدنيا سعاد السعادة التامة وليس يزخره عنها إلا قواطع الفواجع ثم يرد إليها وهو في حبور ، فن ذا الذي لا يدهش إذ يسمع ماجاء في مجلة مصرية (١) أن الفأر الذي يسكن بيننا إذا أحس أن البيت الذي يسكن فيه يريد أن ينقض يفر منه حالا قبل سقوطه بساعات ، وإذا أحس بذلك في المركب هرب قبل وقوع الكارثة فيها * روت سيدة انجليزية كانت تعيش في زمن الحرب في منزل قديم في (نورفالك) في إنجلترا أن الجرذان كانت تقلق راحتها كل ليلة بصريها ففي إحدى الليالي شعرت بضجة خارقة من الجرذان وكان صوت الضجيج يتجه الى خارج المنزل فاستنتجت السيدة منه أن (الجرذان) تهرج المنزل ثم انقطعت الحركة وساد السكون وبعد ساعة واحدة سقطت قبلة من منطاد ألماني وأصاب جناحا من المنزل فدمرته ، أما الجرذان فكانت قد نجت كلها

وقد شوهدت الجرذان تهرج إحدى القرى في زمن الصيف وتقيم على ضفاف النهر المجاورة لها وتحفر هناك أوكرها ، ولكن قبل سقوط الأمطار بمدة قريبة تعود الى أوكرها السابقة في القرية فعند ما يراها الأهالي راجعة يتوقعون هطول الأمطار وفيضان النهر فهي لهم بمثابة ميزان للطقس يصدق كل الصدق في الدلالة عليه * ويروى عن إحدى المطاحن أن الجرذان برحتها فجأة واتجهت راجعة الى الغابة المجاورة وبعد وقت قريب طغى النهر على المطحنة واضطر صاحبها الى الفرار بنفسه من دون أن يستطيع أن ينقذ شيئاً منها (انظر شكل ٢٢)



(شكل ٢٢ - فار المنزل يشعر بما يهدد المنزل الذي يسكنه من الخطر فيفر منه قبل وقوع الكارثة)

- (٢) إن الجبل في الصحراء يبرز رأسه في الأرض ويشعر شخيرا متواصلا قبل هبوب عواصف الرمال بوقت قصير فيكون شخيره منذرا باقتراب العاصفة من دون أن يظهر في الجو دليل ما على ذلك
- (٣) ويعرف الذين ألفوا صيد السمك (بالصنارة) أن هناك نوعا من السمك يختفي من النهر في أحد الأيام فجأة فلا يعثر له أحد على أثر وبعد اختفائه بقليل يطغى ويحدث فيضان كبير، فاختفاؤه خير نذير للصيادين بأن النهر على وشك الفيضان . ثم إن هذا السمك يمتنع عن الأكل إلى أن تصل إليه مياه الفيضان فكأنه يتوقع أن تحمل إليه هذه المياه أغذية جديدة تستحق أن يصوم سلفا ويستعد لانتهامها
- (٤) ويعزى السبب في مهاجرة كثير من أنواع الطيور إلى التنبؤ عن الطقس فبعضها يتبع الربيع أيناسار والبعض الآخر يتبع الشتاء . ومن المشهور عن الطنود الجر في أمريكا أنهم يتنبئون عن الطقس بدقة عظيمة ، ولكن ثبت بعد التحقيق أنهم يستندون في تنبئهم إلى تقلبات الطيور والحيوانات . ومن المشهور عن الحيوانات التي تسكن الجبال أن لها خبرة عظيمة في تقلبات الطقس ، فالوعول والأرانب البرية وبعض أنواع السجاج البري تنزل من أعالي الجبال إلى منحدراتها قبل حلول عواصف الأمطار ويكون الجو عندئذ صافيا والسماء مشرقة ولكن لا يكاد ينقضي يوم أو بعض يوم حتى تتلبد السماء والجو بالغيوم وتسقط الأمطار . ومن المعروف عن الأرانب البرية التي تسكن الجبال أنها تهجرها في بعض الأحيان وتغيب عنها بضع سنوات فلا تجد فيها أثرا لأرنب ، ويحدث في خلال ذلك أن الأمطار تبقى غزيرة ويكون فصل الشتاء قاسيا ولكن تلك الأرانب لا تلبث أن تعود فتكون عودتها دليلا على توقع طقس حسن وشتاء محتمل . ولا شك أن أنواع الطيور والحيوان التي لها غريزة التنبؤ عن المستقبل كثيرة جدا فلا نرى بنا حاجة إلى الكلام عن كل نوع منها بمفرده . انتهى ملخصا من تلك المجلة المصرية (انظر شكل ٢٣) و(شكل ٢٤)



(شكل ٢٣ - صورة نوع من الأوز البري يرحل عن المنطقة التي يسكنها متوقعا اشتداد الشتاء وسوء الطقس فيه مع أنه لا يوجد أى دليل ظاهر على ذلك عند رحيله)



(شكل ٢٤ - صورة انحدار الوعول من الجبال الى السهول)

هذا هو الذى أردت تلخيصه ورسم صورته فى تفسير قوله تعالى - وكأين من دابة لاتحمل رزقها الله يرزقها واياكم - أكتبه فى تفسيرها وأنا أعلم أن كثيرا من الناس يطلعون على هذا وهم لا يفكرون ولكن بيانه وتفصيله فى تفسير الآية هنا يجعل له رونقا وحكمة يعقلها أولوا الألباب

(خطاب المؤلف لصانع هذا العالم)

- (١) اللهم إني أجدك جدا كثيرا ، أجدك على العلم وعلى الفهم
- (٢) يارب هاأنا ذا أتيت الى الأرض وسكنت فيها وعشت فى أتم ودول وممالك وهم يتقاتلون وأكثرهم لا يذكرون
- (٣) بحثت عن الحقيقة أمد الحياة فعرفت انك خبأتها فى صور المخلوقات ودفتها فلم يطلع عليها إلا الطالبون
- (٤) علمت من صنعك أن الغذاء والدواء والأوصاب والقتال والحروب والقضايا وأعمال الأمم ، كل ذلك دخان قد غشيت به عقول الأمم والأفراد فأكثرهم لا يعقلون
- (٥) يتطاحنون ويتقاضون ويتقاطعون على زاد قليل وهم غافلون
- (٦) وفى أثناء ذلك تظهر لطائفة من تلك الأمم جبالك الباهر وعامك البديع وحسن صنعك الجليل فيهرهم جبالك ويسحرهم بهجة صنعك ، فهؤلاء لأجلهم خلقت الدنيا ولاسعادهم أنزلت الدين ، هؤلاء هم الذين يقومون باسعاد أمهم علما وعملا ابتغاء وجهك وبصرفون حياتهم فى فهم سمواتك وأرضك ولا يرون بك بدلا
- (٧) يسخرون من الزخرف والجاه والمال والناس حولهم بها طبعون وهؤلاء لا يطلبون جزاء على عملهم إلا ما يحسون به فى نفوسهم من الجلال والبهجة والنور ، قد استوى الماضى والحال والاستقبال عندهم وهم بذلك راضون ساكنون

- (٨) يرون لطفك وعطفك ورحمتك ورأفتك بالجردان إذ أنت أعلمتها أن قنبلة ستسقط عليها من مدافع الألمان ليلا فهاجت وماجت وخربت ثم ساد السكون وبعد ذلك سقطت قنبلة الألمان ، فهذه الطائفة اذا سمعت هذا فرحت وانشرحت وعلمت أن لطفك يحيط بالعظيم والحقير والجليل والصغير والانسان والفيران ويرون لطفك بها وقد أعلمتها بأن النار ستشرب فى مخازن الجبارك التى عاشت فيها فهاجرت وترك المكان
- (٩) وأى عجب أكثر من أن الوعول والأرانب البرية تنزل من أعلى الجبال قبيل هطول الأمطار ولا علامة فى الجو وإنما هى حكمة الحكيم الرحيم أعلمتها بما سيكون

(١٠) الجهلاء من الناس لا يعبئون بهذه الرجات إلا على سبيل الروايات ، أما الفضلاء من الناس فانهم يرون هذه العوالم فصلت تفصيلا وقد شملها كلها من سموات وأرضين تدير محكم منظم لا يشغله العظيم عن الحقير ولا الكبير عن الصغير فهو مع الفأر في بحره ومع الطير في جوه ومع الكوكب في مداره فسكران هذه الدنيا جسم واحد له رأس وقلب وحواس وأحشاء وأعضاء والروح لا تغفل عن الصغير ولا عن الكبير

(١١) فهؤلاء الحكماء الذين ظهرت لهم هذه المعاني وحضرت في أكثر أوقاتهم هم المصطفون الأخيار ، هؤلاء يدركون في هذه الحياة انهم في جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتفكرين الذين يعقلون . وأى سعادة أكبر من الوقوف على الحقائق ، هذه هي السعادة التي تصغر في جانبها جميع السعادات ، هذه هي سعادة كلية من نالها فهو الآن في جنة العرفان ، يرى أن الرحمة والعلم والنعمة تحيط بالعالم الذي هو فيه وهو يحس بها وسواء من الناس بها لا يعلمون . إن في الأرض حجابا يحجب أكثر الناس عن هذا الجلال كما قال تعالى - وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال - فالجباب مضروب على قلوب أهل هذه الكرة الأرضية ، ظهرت لهم الرحمة نعمة والسعادة شقاء ، وذلك لأنهم في عالم من العوالم المتأخرة هذا قوله تعالى - ولكن أكثر الناس لا يعلمون - بعد أن كتبت هذا حضر عندي قاضي محكمة (دكرنس) من أعمال (الدقهلية) بالوجه البحري من القطر

المصري ولما اطلع على عجائب هذه الحيوانات وعامها بما سيحصل لها قال وأنا أحدثك حديثا شاهدته بعيني رأسي ، ذلك اني كنت قاضيا في (مديرية سوهاج) من مديريات الوجه القبلي ومن عاداتهم هناك أن المدير وأعيان المديرية يحضرون اجتماعا عاما لافتح التربة المسماة (التربة الصوهاجية) وهذه التربة لا تفتح إلا أيام تمام النيل ، قال وقد حضر المغمنون والمطبلون والزاملون وما حضرت أنا معهم ليلا فرأى المدير على منزلي صباحا فلم يجدني فتوجه لي بالمحكمة وقال تعال معي لنفتح التربة اليوم ، قال فذهبت معه فوجدت أنواع الحشرات والحيات والعقارب وما أشبهها تجري جريا حيثما مسرعة لتدخل البلدة فسألت عن ذلك فقيل لي إن هذه الحشرات والزواحف كل سنة قبيل فتح التربة بساعات نراها أخذت تهاجر من مساكنها التي استقرت فيها بهذه التربة اليابسة ، فهذه الحال نراها كل سنة انتهى

هذه هي الحادثة التي حدثني بها القاضي وهو أدرك مغزاها ولكن العامة لم يدركوا مغزاها ولم يعقلوها ولم يشكروا فيها ، فهم رأوها كما يرون شروق الشمس وغروبها وبيرون الولادة والموت . إما العبرة والجمال وإما الحكمة فلا ، لهذا نرى المسلم اليوم انما ينقل هذه العجائب عن الأمم الفرنجية لأن كثيرا من الناس هناك يعقلون ما يرون ، هذا ما اتفق لي عند كتابة هذا الموضوع ، وهنا يسأل سائل فيقول « كيف ألهمت هذه الحيوانات أمرا غائبا كهذا فأما الانسان فلا » ونحن نجيب عليه فنقول

(١) إن الله قدر قهدي وأعطى النعم والحكم بقدر ، أعطى الانسان دولا وممالك وحكماء وعلماء فليس من المصلحة أن يشغله بأمور قامت بها دولته التي وزعت الأعمال عليها

(٢) إن علم المستقبل لهذه الحيوانات مقدر بقدر وهو الأمر العام لعمومهم ومستقبلهم بدليل اننا نقل الحيات ونصطاد الطيور ولا علم لها بما سنفعله معها . فهذا العلم بالمستقبل مقدر بقدر وهو النظام العام لها لا لأفراد خاصة

(٣) إن الانسان يتنبأ عند التنويم المغناطيسي كما تراه فيما تقدم في (سورة البقرة) عند آية السجدة هناك إذ ترى رجلا منوما (بفتح الواو) قد أخبر بسير مرضه ووصف الدواء لدائه ثم فاجأه عارض فاستنجد العلماء أن نفوس الناس في حال ازالة الموانع الجسمية تعرف كل أحوالها المستقبلية ولكنها لا تعرف ما يصادفها من العقبات الخالوية

(٤) إن العلم بالمستقبل بصرف الانسان عن العمل له ويقعده في الكسل وذلك لا يرقى الناس

إلا بأن يجهلوا مستقبل الأمور ويألموا إلهامات جزئية كإلهام أم موسى ثم هم بعد ذلك يبنون على هذا الإلهام علما وعملا . فأما إذا كان كل شيء ممهدا فلاسيلا إلى رقيهم إذن الرقي بالعمل ولا عمل إلا لمن حجت عنه الأمور المستقبلية فسارع لاسعاد نفسه المجهول عنده - وما كان الله ليطلعكم على الغيب - لتجدوا في عملكم حتى تلقوني . انتهى صباح يوم الاثنين (٨) يوليو سنة ١٩٣٩ عند طبع هذه السورة

﴿ لطيفة في قوله تعالى - وإن الدار الآخرة هي الخيوان لو كانوا يعلمون - ﴾

هل لك أيها الذكي أن أحدثك عما خبرته بنفسى وعرفته من أحوال الناس في زماننا من حيث طول الأمل بسبب الوسواس الخناس فأحدثك حديث وزير عظيم ومدرس كبير ورجلين في بلاد الفلاحين بالشرقية

﴿ الوزير ﴾

كنت أعرف وزيرا من عظماء الأمة المصرية وكانت لى معه مجالس علمية فحدثني يوما قائلا « هل أنت موقن يا شيخ طنطاوى بأن كلام الديانات حق وأن هناك جنة ونارا وسعادة وشقاء بعد الموت ، فقلت نعم ، فتعجب غاية العجب وقال وكيف ذلك فأخذت أذكر الحجج المعروفة فقال هو إن العلم الآن ينفي ذلك وما هذه الدنيا إلا دار مغالبة ومكابرة ومصاهرة وجهاد ، فالغالب فيها هو الذى ازداد بها استمعا كما هو مذهب النشوء والارتقاء كما جاء فى كتاب (بخترا الألمانى) شرحا على مذهب (داروين) وملخص المذهب أن العوالم التى تراها آخذة فى الارتقاء وأقواها يغلب أضعفها وهناك يحصل الانتخاب الطبيعى ، فالطبيعة لا تبق إلا ما هو أكمل وتفتى ما هو أقل كالأوجال . خذ لك مثلا . نحن الآن نركب العربات فى الطرقات ولا نركب (الترام) كالعامة وإذا ركبنا فى قطار السكة الحديدية ترعبنا فى المرحلة الأولى بخلاف الناس جميعا وهانحن أولاء نسكن فى مساكن جميلة ونتمتع بنعم عظيمة ويضرب العسكرنا سلاما بالسلاح . هذا هو الانتخاب الطبيعى وهذا هو مذهب (داروين) وأنا به أدين . فهذا الوزير لم يوصله العلم إلى أكثر من أنه يعيش فى نعيم فى الدنيا وليس هناك عالم آخر وهو يكذب جميع الأنبياء . وأنت تعلم أيها الذكي من هذا التفسير أن نفس النعيم الدنيوى عذاب على صاحبه فمن لم يروض نفسه ويتعلم القناعة فى المال كل والمشارب الخ أحاطت به الأمراض وذل فى حياته ، ولكن هذا وأمثاله لا يفقهون أكثر مما أسمعتك فى هذا المقام »

﴿ المدرس العظيم الممتاز ﴾

لقد كان بمدرسة دارالعلوم مدرس كبير تخرج على يديه مئات من المدرسين فحدثني أحدهم مفيدة قال ناقلًا عن أستاذه ذاك المدرس العظيم ، قال لقد كنت فى أول حياتى مجاورا بالجامع الأزهر ولم يكن لى مال وإذا جاء زمن البطالة توجهت إلى قريتنا بالصعيد فكنت إذا أردت أن أذكر الدروس أجلس تحت شجرات بالقرب من منزلنا ، فلما أن صرت موظفا ومن الله على بالثروة والغنى اشتريت نفس تلك الأرض التى فيها الشجرات التى كنت أجلس تحتها للذاكرة أيام الفقر ، فلما أن اشتريت هذه الأرض استأجرها مؤجرون من الفلاحين فزرعوها قطنًا فتوجهت يوما لتلك الأرض وأخذت أجوب جنباتها وأجول فى عرصاتها وقد أعجبنى القطن فتذكرت أيام الفاقة إذ كنت أجلس تحت الشجرات ولا أملكها فأخذت من شدة الفرح أغنى هذه النعمة التى نلتها . فهذا المدرس رأى أن غاية نعم الحياة أنه يملك هذه الأرض ولما أحسن بالنعمة أخذ يفتى ونسى أنه من الجامع الأزهر وأنه كبرت سنه وإن الله يقول - وإن الدار الآخرة هي الخيوان لو كانوا يعلمون - ونسى قوله تعالى - إن الله لا يحب الفرحين - وكان خيرا له حينما رأى هذه النعمة وتذكرها أن يكتر من الاستغفار كما قال تعالى أنبيه ^{عليه السلام} - إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا -

فأما الرجلان ببلاد الفلاحين بالشرقية فإن أحدهما وكان له مقام واحترام بينهم قال . ما المقصد من

الحياة ، القصد منها انى اذا كنت ألبس قفطانا لا أنزل الى ملابس الفقراء ، وأما الثانى فأنى سمعته يقول ما القصد من الحياة عندنا الجاموسة والبقرة وفيهما اللبن وعندنا الذرة فنحن والحمد لله أغنياء
وإنما ذكرت هذا لك أيها الذكى لأذكرك بما تعرف من الناس حولك لجميع أهل الأرض لا يخرجون عن أمثال ما ذكرته الآن ولكن العلم والحكمة والدين تخرج الانسان من فكرة العامة الى مقام العلماء وآداب الحكماء واذك ذلك يعرف الانسان قوله تعالى - وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون -
فيا ليت شعرى ماهى الوزارة قصيرة الأجل وماهى الثروة والمال لاسيما لمن كبرت سنه فهى إن دامت له فرضا فان حياته وصحته لا يدومان . انتهى والحمد لله رب العالمين

﴿ خاتمة السورة ﴾

(خطاب العنكبوت للمفكرين فى الاسلام فى زماننا والذين سيقرون أمثال هذا الكتاب ومن بعدهم)
تقول العنكبوت . أيها العلماء إننى آية لكم لا للجهال . ألم تروا انكم تبنون بيوتكم بطين تحرقونه فيصير أجرا وبه تبنون القصور والدور وتلبسون ملابسكم مما تستنبتونه فى الأرض من الكتان والقطن وما تستخرجونه من الحرير الذى ينسجه الود وتستنصتون بالحديد والخشب على اكمال البناء وتشيد القصور وصنع السفن فى البحار والطيران فى الهواء . فأنتم تبنون وتلبسون وتركبون بالآلات مختلفات . أما أنا فى مصنع واحد فى جسمى منه أبى بيتى وأصنع طيارتى وأصطاد فريستى وأبنى قنطرقى قام مقام الخشب والحديد والطين واحرقه والقطن وغزله ونسجه وما ينبع ذلك من آلات تنسج وتغزل وأخرى لسقى الأرض ولتنقية الحشيش الخ فدنياكم كلها قد حيزت لى بأكلها وهذا المصنع الذى فى جسمى انما هو من غذائى الذى تستقذرونه . أنا انى أكلت الحشرات الفاتكات بزرعكم اللطافات لجوكم بتعاطى المواد العفنة فأنا ألقاها وأفترسها بعد أن أدت وظيفتها لكم ولم يبق إلا ضررها . فهذه تنقلب فى جسمى فى محل مخصوص ما يشبه الحرير أو القطن أو الكتان . هذا هو المصنع الذى أعطانيه ربى قام مقام أجركم وخشبكم وحديدكم وقطنكم وتيلكم ولم أحتج الى نجار لبناء سفينتى ولا بناء لبيتى ولا مهندس لحجراته ولا آلة بخارية لسقى قطنى . بل مخزنى الذى اختصنى به الله هو الذى كفانى كل ما أحتاج اليه وهذا أيها العقلاء فى كتابكم . يقول الله - وان من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - فهذه إحدى خزائنه خصنى بها وحرم سواى وهو ناظر الى راحى بها . أفلمستم ترون أيها المفكرون فى هذا العالم انى أكفيكم فى معرفة منظم هذا الكون الذى أحسن كل شئ خلقه . أفلاترون أن هذا هو الحسن والجمال فقد أحسن الله خلقى ولكن لا يعرفنى إلا العلماء المفكرون . فان أردتم دليلا على ربى فأنا أكبر دليل بل نظامى وحده كنظام السموات والأرض وان نظرتم الى أمر المدينة والرقى فأنا مع ضعفى وان بيتى أضعف البيوت . بنيت على الشجر فى أرضكم بيوتى واتخذت سفنا فى بحاركم وأنتم تجهلون وظيفتى بينكم ولا تعلمون انى حارسة لخلقكم وطرت فى الجوّ بطيارتى . أفلاتجهلون أيها المسلمون أن أظير بالآلى المنسوجة من غزل جسمى وقد قلدتنى الفرنجة وأنتم لا تقلدون وفى آيات ربكم لانفكرون
هذا هو بعض معنى قوله تعالى - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - انتهى تفسير هذه السورة ليلة الخميس الخامس من شهر مارس سنة ١٩٢٥ م والحمد لله رب العالمين

(تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء الرابع عشر من كتاب « الجواهر » فى تفسير القرآن الكريم
ويليه الجزء الخامس عشر وأوله تفسير سورة الروم)

(الخطأ والصواب)

غلبنا التصحيح ففاننا سقط وأشياء أخرى يدركها القارئ بالتنبية . وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك وهاهوذا

صواب	خطأ	سطر	صحيفة	صواب	خطأ	سطر	صحيفة
وأقضت	وامضت	١٤	٨٠	كيفية فهم	فهم كيفية	١١	٣
الاستغفار وسنزيده	الاستغفار	٢٣	٨١	مع جواز	مع	١٤	٥
بياناً قريياً في الجوهرية				لازمه	لازمة	١١	٧
الثانية				نبياً وملكا	طيباً ومهندسا	٨	٩
ميناً كما تقدم	ميناً	٣٥	٨٤	وحكماً	وإلهياً		
ثلاثاً	ثلاث	١٤	١٠٠	لتنذر	لينذر	٣	١٤
قارات	غارات	١٧	١١٦	مذنبين	مذنبين	٢١	٢٠
ماهو تحته	ماهو ماتحته	٢٥	١٢٣	ان موسى لما هم	ان موسى	٢	٢٢
الضيعة	الضيقة	٦	١٢٥		لما هم	٤	٢٢
٢٢٦ ر ٤	١٢٦ ر ٤	٤	١٢٦	المكعبة	المربعة	٣٢	٢٨
يرج	يرج	١٣	١٣٠	عربية	غربية	٢٩	٢٩
الطبيعية	الطبيعة	٣	١٣١		بغير هذه الباحث	١٣	٣٢
كرنين	كرتين	٧	١٣٩	ها	هـ	٣٣	٣٢
	عنكبوتا	٢٢	١٣٩	من	عن	٦	٣٤
الكتاب	التفسير	١٨	١٤١	حاسة النوق	حاسة النوق هي	١٩	٣٩
النحل	النمل	٢٠	١٤١	ليتشاوروا	ليتشاوروا معه	١٩	٣٩
النحل	النمل	٧	١٤٤	بصناعة اليد	بصناعة يدها	١٠	٤٠
النحل	النمل	٧	١٤٤	الأذين	البطين	٢٢	٤٦
فهذه الكرة	فهذه القوة المرسومة	١١	١٤٩	الأعلين	الأعلين	٩	٤٧
المرسومة المتقدمة	أمامنا			هذا	هذه	١١	٥١
خصي	محي	٤	١٦٤	تغذوها	تغذوها	١٨	٥١
الى الصواب	الصواب	٢٦	١٦٨	بنوء	بقوله	١٥	٦٦
مختلفتان	مختلفان	٢٩	١٦٨	في المرائين	في المرائين	٦	٦٨
ومن غير المتعصبين	ومن الغير متعصبين	٣٠	١٦٨	لجهل	ولجهل	٢	٦٩
	ولو	١٤	١٦٩	ويحضونهم	ويحضوهم	٢٨	٧٢
الغرب	العرب	٣٣	١٧٤	في قوله تعالى	وهو ذلك	٢٧	٧٣
باصول	ياصول	١٣	١٧٥	ولا تتجزأ الى	ولا تتجزأ	٣٥	٧٤
المحوط	المحاط	٧	١٧٧	عناصر أخرى			
بالأطفال	الأطفال	٣٤	١٧٧	فدمننا	فدمننا	١١	٧٥

صواب	خطأ	سطر	صحيفة	صواب	خطأ	سطر	صحيفة
وعظماهم	وعظماهم	٩	١٨٨	وهي التوراة والانجيل	وهي الزبور والتوراة	١٣	١٨٠
للكون	الكون	١٤	١٨٨	والقرآن ، والقرآن	والقرآن الخ (هذا)		
بعد واحد	بعد	٣٤	١٨٨	بالنسبة للانجيل	منقول من أصل		
تذهب	تذهب	٦	١٩٠	كالانجيل بالنسبة	(الترجمة)		
يهطل	يهضب	٨	١٩١	للتوراة			
قبض	قيض	١١	١٩١		عليه	٩	١٨١
شاعريه	شاعريه	١٥	١٩١	سوق	سواق	٢١	١٨٣
المتوحشة	المتوحشة	١٨	١٩١	مسيحيين حقا	قد نصروا مسيحيين	١٦	١٨٤
اتهم	اتهم	٣٠	١٩١	حق صراح	خقا صراحا	٥	١٨٥
أحد تلاميذه	أحدهم مفيده	٢٣	٢٠٧				

(تم)

فهرست

الجواهر السبع عشرة

(من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم)

صحيفة

- ٢ ذكر ثلاث مقدمات لتفسير سورة القصص ﴿المقدمة الأولى﴾ نموذج في كيفية فهم قصص القرآن التريية والآداب في قصص القرآن وبيان أن الأمم الإسلامية أهملت القصص وفهمه مع ان عليه مدار ارتقاء الأمم سواء أكانت حكاية خيالية أم حقيقية . وبيان مزاياء قصص القرآن على خيالات المؤلفين وبيان مثال حال المسلمين مع قصص القرآن كمثال فلاح يورى عنده الماس في حوائط منزله فظنه حصي ففطن له رجل انجليزى فاشترى منه ذلك المنزل بمال وفير . وهل أخفى الله عنه أهل الكهف إلا ليعين لنا أن المدار ليس على حقائق التاريخ بل على الموعظة منه ﴿المقدمة الثانية﴾ في محاورات بيني وبين فتى في الجيزة في عشرة مواضع مثل علاقة العلم بالدين وكيف سمع سليمان النملة وهي تتكلم ومعنى - علمنا منطق الطير - وهكذا من مسألة العفريت والمحاريب والقصاع الكبيرة ودابة الأرض وتسخير الريح ومحاورات بلقيس والاجابة على ذلك بأن الاسلام عود متبعيه أن يعلمهم كل شئ وأن الكلام على ألئسة الحيوانات مستحسن عند كل الأمم (انظر كتاب كفاية ودمنة) وان من الحيوانات حكيمة كالنحل والنمل وعاملة كالجاموس والبقر والله جعل الحكيمة معلمة للانسان ، وبعده هذه المقدمة نقول إن الهدهد والنمل وأمثالها يسمعون الجاهل فيظن المعرفة ، والعالم يعرف المقصود بالجاز والاستعارات والكنائيات ، وأقرب شئ لهذه القصص الكنائيات وهي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز ارادة المعنى الأصلي كما في قول الخنساء في دريد بن الصمه * معاذ الله يرضعني حبركي * الخ فالجاهل يظن الرضاع مزهودا فيه والعالم يقول إن المقصد يرجع لزواجها بأبي الصبي لا ارضاعه
- ٦ بيان ما ترشد اليه قصة سليمان وهي عشرة مثل سرعة نقل الأخبار واستخدام المعادن والهندسة والاعتماد على النفس والعلم والافتداء بالله الخ
- ٧ ثم بيان ما أخذ ذلك كله وأن سليمان لم يذكر الحيوانات العاملة بل الحكيمة كالهدهد والنمل ، ثم بيان أن الأمم المعاصرة تعلم هذه الحيوانات
- ٨ بيان أن مشاورة بلقيس تعلمنا المجالس النيابية وأن الاخبار بالغيب لا يعول عليه الخ
- ٩ المقدمة الثالثة أحوال الدول في قصص فرعون وموسى ، وبيان أن تاريخ المصريين يقول لنا إن ادريس المثلث أول من خط بالقلم وقد ورث المصريون عنه علوما تكشف الآن وكانوا موحدين ثم أشركوا بتمادى الزمان ودخل الفرس بلادهم فالليونانيون فالرومان فالعرب
- ١١ بيان سقوط الدول بما أن للغلبة وقتا معيننا ثم تحل محلها الأمم الضعيفة ، ناهيك بما وقع للرومان من غلبة الأمم الوحشية عليها ، فأما في الأمم فله عشرون سببا استنتجتها من هذه الآيات عشرة منها بكسب الانسان وعشرة من الله ومتى قام الناس بما عليهم منحهم الله ما عنده ، فالعشرة الأولى حسن السياسة مع الأمم الفاتحة والقوة العلمية والأنفة وسياسة اللين عند الحاجة والثبات على المبدأ واشغار النفوس بالشهامة وتربية الناشئة على مبادئ جديدة مناسبة للزمان والقرار بالأهل عند الحاجة اليه وازدواج اللين والشدة . فهذه العشرة

- مستنتجة من آيات هذه السورة تراها مفصلة
- ١٣ فأما العشرة التي هي من الله فهي الإلهام ، إجابة الدعاء ، شد الأزر ، النصر والنجاة من الضر ، الهداية حسن السمعة ، القربى من الله ، التمسك من الخلافة في الأرض ، انقلاب الأعداء أصدقاء محبين ، فهذه من الله في مقابلة العشرة الأولى
- ١٤ تقسيم السورة وهي (أربعة أقسام * القسم الأول) من أولها الى قوله - لعلمهم يتذكرون -
- ١٦ التفسير اللفظي لهذا القسم
- ١٧ (الفصل الأول) في قوله تعالى - إن فرعون علا في الأرض - الخ وملخص هذا الفصل عاؤه في الأرض . استضعافه خزبا من أحزاب مصر . قتل الأبناء . استبقاء النساء . انه مفسد . فهذه خمسة قابلها بنظيرها وهي (انه يمتن على المستضعفين . ويجعلهم أئمة ، ويجعلهم الوارثين ، ويمكن لهم في الأرض ويرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون)
- ١٧ رأى (سقراط) في السياسة وهي عنده (خمس درجات) درجة الفلاسفة فقواد الجيوش فالأغنياء فالحكم الديمقراطي أي حكم المجموع فالحكم الاستبدادي
- ١٨ البولشفية في مصر قبل (٤٠٠) سنة مصداقا لهذه الآية - وزيد أنت نمن على الذين استضعفوا في الأرض - وبيان أن فرنسا لم تقيم ثورتها إلا بعد أن تهيأت لها الأذهان في القرن الثامن عشر وهكذا دولة الروس لم يقتلوا القيصر في زماننا إلا بعد شيوع الآراء البولشفية فيها هكذا حكم الأمة المصرية قديما فالأسرة التاسعة كان فيها مفكرون فوعزوا العقائد فلما جاءت الأسرة العاشرة هزم فرعون مصر أمام جيوش الخارجيين عليه وأصبحت البلاد فوضى . وبيان ما قاله الكاتب (ابفور) للكل وهو غائب ه ان الفقراء أخذوا مال الأغنياء وأصبح من كان يلبس الملابس الفاخرة لا يلبس إلا الأهدام البالية ه فالأغنياء قديما في حزن والفقراء في فرح . وأبان أن المحاكم بعثت ورقها وخربت وأن الأمراء والأميرات جاعوا الخ هذه هي الحادثة الأولى . أما (الحادثة الثانية) التي جاءت مصداقا لهذه الآية فهي أن الأمة الانجليزية اليوم قد انتصر فيها العمال بالاضرب والوزير اليوم عامل منهم كان فقيرا يسمى (ماكدونالد) ومعه من الوزراء عاملة كانت فقيرة تسمى (مس بوند فيلد) . الكلام على اللطائف الإلهية لا تقاذ بنى اسرائيل
- ٢٠ وهذه اللطائف (١٣) بتامها أنقذ بنو اسرائيل من الوحى الى أم موسى والنقاط آل فرعون له وخوف أم موسى وانه أوقى علما وحكمة وقتله القبطى وفروده ماء مدين وسقيه لابنتى شعيب وتزوج به باحداهما وارسال موسى عليه السلام وظهور المعجزات وكفر فرعون وجنوده وهلاكهم وأن موسى أوقى الكتاب فهذه (١٣) لطيفة
- ٢٦ بيان أن هذه الحوادث ابتدئت بفكرة خطرت لأم موسى فاتبعنها ولم تياس من رجة الله . وبيان أن هذا الخطا يخطر كثيرا لأمم الاسلام الحاضرة الآن ليخرجوا من النذل ولكن يعرضون عنها ولكن الله معونه عامة ولا ينالها إلا من تعرضوا لها
- ٢٧ (نظرة المسلمين في هذا الزمان) سينظر مسامو هذا الزمان في القصص فيقولون ه اذا نجى بنو اسرائيل بإلهام خطر لأم موسى ولم تتركه فرفع منار أمتها ؟ فكيف نترك نحن خواطرا الشريفة للخروج من النذل ؟ أليس هذا يأسا من رجة الله الذى ملأ العقول بالآفكار الجيلة ولا مشيط للمسلمين إلا بعض الشيوخ الجاهلين فهم كسحب حجب نور شمس الرجة وبعض أولئك الذين يضيعون أوقاتهم في تحقيق أصل هذه القصص

٢٨ هنا لطائف مثل ان الناس يتعجبون من أم موسى والوقائع التي بها نجا بنو اسرائيل . وما هذه الحجائب بجانب السحر الخلال في غرائب المخلوقات وبدائعها إلا كواحد بالنسبة لآلاف . ومثل ان لله في كل زمان أناسا لهم نزعات بها يرفع الضعفاء ويذل الأقوياء مثل ما فعل (ماركس الألماني) الذي قال للناس « إن نظام الحكومات فاسد » فهذه الفكرة سرت في بلاد الروس وقتلت القيصر وباتقلاب هذا النظام استقلت أمة الفرس التي كانت نهبا مقسما بين انكارترا وروسيا القديمة القيصريّة . فهذه فكرة ألمانية امتدت آثارها الى بلاد الفرس وغيرها فهي كامتداد إلهام أم موسى من نجاة ابنها الى نجاة أمتها

٢٩ ذكر البلاغة التي رآها الأصمعي في كلام الفتاة عند الكعبة وقولها له « أتعد هذا بلاغة بعد قول الله تعالى - وأوحينا الى أم موسى - الخ » ولكن ما نكتبه في هذا التفسير هو المقصود لا البلاغة اللفظية التي عكف عليها الكثيرون

٣٠ بيان أن البلاغة المشهورة للبديين ووراءها خزائن العلم ومنهما ما جاء في هذا التفسير فلاقتصر على الإيجاز والاطناب والجناس نقص وكيف تستوى البلاغة اللفظية والمعاني الكامنة في مسألة العصا وعجل السامري وأن ذلك جاء لتعليمنا أن المدار على الحقائق لا على الظواهر . إن الاسلام رحمة للشرق والغرب فانظر الألفاظ العربية في لغات أوروبا مثل العود وأمير البحر والحبل والمخزن ، وهكذا أخذت أوروبا الأرقام الهندية والجبر والهندسة وهكذا

٣١ جوهرة في قوله تعالى - إن فرعون علا في الأرض - أنت يا الله رفعت آباءنا العرب فبنوهم بنوهم العلم في الأمم ثم دالت دولتهم وهاهي ذه تريد الرقي وهذا كتابك أفسره وقد جاء في زمان اطلمت فيه على سياسات الأمم قديما وحديثا ففهمنا يارب معنى قولك - فلك بيوتهم خاوية بما ظلموا - ومعنى - إن الملوك اذا دخلوا قرية - الخ - وذلك موافق لقولك هنا - إن فرعون علا في الأرض - . أول هذه السورة علو وفساد وآخرها بنى قارون على قومه وفرحه وفساده في الأرض فأولها كآخرها ، إن إفساد بعض المسلمين في الأرض جاء في قوله تعالى - فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا - الخ - وقد جهل كثير من الأمم الاسلامية أمر الغنائم التي أحلت لرقى الانسان فلما اتخذوها للذات أزال الله ملكهم ، ويشير لذلك خوفه ﷺ علينا من فتوح البلدان وقال انه أخوف ما يخاف علينا وقد تم ذلك فعلا وقد فهم أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلى أمثال قصة قارون هنا وفهموا قوله تعالى - لولا كتاب من الله سبق لمسكتم فيما أخذتم عذاب عظيم - فلذلك تورعوا عن الأخذ من الغنائم ولم يتورع كثير من الملوك ومن قرأ (السكوك الهندى) و (لغز قابس) أدرك أن العلم والدين متحدان في هذه الآداب

٣٣ وهكذا ستقرأ أيها النكي رسالتى (مرآة الفلسفة) عند قوله تعالى - فاعلم أنه لا إله إلا الله - اجمال الفلسفة وأن (أفلاطون) و (سقراط) اتجها لترك زينة الدنيا وهكذا (كنت) الألماني وهذا عجيب

٣٤ (القسم الثانى) من قوله - ولولا أن تصيبهم مصيبة - الى - فعسى أن يكون من المفليحين - ثم تفسيره اللفظي

٣٨ جوهرة في قوله تعالى - ولقد وصلناهم القول - وبيان أنواع التوصيل فان الحرارة والبرودة تصلان بحاسة اللمس والمذوقات بحاسة الذوق والمشومات توصل بحاسة الشم والألوان والأصواء والأشكال بحاسة البصر والأصوات والموسيقى بحاسة السمع ولكن التوصيل بالوحى أبعد مدى من توصيل الألوان بالبصر لأن نور الكواكب آت من مدى بعيد جدا يدل لنا بطرق البصر ولكن الوحى أبعد مدى لأنه آتى الى الروح من الله تعالى لامن السكوك فهذه هي الحكمة في ذكر التوصيل ، ولهذا المقال (نتيجتان) *

أولاهما ﴿ ان العلوم يجب أن تنوع طرقها كما نوع الله لنا التوصل بطرق مختلفة ﴾ ثانيهما ﴿ ان جسمنا يستفيد من كل ما يحيط به وهذا هداية لنا أن نستفيد من كل حادث يحدث لنا
٤١ ﴿ القسم الثالث ﴾ من قوله - وربك يخلق ما يشاء ويختار - الى قوله تعالى - وفضل عنهم ما كانوا يفترون - ثم تفسيره اللفظي

٤٣ عجائب القرآن في هذه الآيات - وله الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون - وبيان أن حمد كل امرئ على مقتضى إحساسه بالنعمة كالقصور والمريض والدليل إذا أحسّ بالغنى والشفاء والعزّ وهذه صفة عبيد السوء ألا يعرفوا النعمة إلا بضدها ، أما المصطفون الأخيار فليس يتوقف حمدهم على أيدائهم فهم يدرسون الكواكب والعوالم كلها ويفهمون الحمد في الفاتحة ، ومتى حمد المسلم في الدنيا حمد يوم القيامة وأغلب حمد الناس اليوم لفظي وبيان معنى الحمد في الفاتحة فهو على رجة موجهة للأجسام وأخرى للقول ، وفي هذه الآيات تقدّيس وتوحيد وحمد

٤٤ النعم والنعم مذكرات موجبات للشكر وهذه الآية ذكر فيها أعظمها . نطأ آخر في تفسير هذه الآية ، بيان أن الشكر أعم من الحمد وأن الشكر يكون باللسان والقلب والعمل وأسس هذه الثلاثة العلم ومجماع النعم وأضدادها جمعت هنا ، النعمة موهبة والنقمة تسوق اليها ، وهذا كله جمع في الليل والنهار ، النهار نعمة والليل عذوبها ، وهذا كله بالحركة ، فالحركة كان منها الليل والنهار وفيهما الخير والشر ، ونتج من ذلك كله الأضداد جبل واد بحر برّ خصب جذب وهكذا ، وفي الناس (أعمى . بصير . أصم . سميع) وهكذا وهذا قوله - ومن كل شيء خلقنا زوجين - الخ ثم بيان أن الله يغضب على كل أمة نامت عن علوم الإنسان والحيوان والسماء الخ

٤٦ هنا ﴿ أربع جواهر * الجوهرة الأولى ﴾ في قوله تعالى - وربك يخلق ما يشاء ويختار - ومما اختاره الله انه وضع القلب مقسماً أربع تجويفات والدم متى قابل الهواء الجوى دخل في الجهة اليسرى من أعلى ثم نزل الى أسفل ثم ينتشر في البدن ثم يرجع بالكربون فيدخل في أعلى الناحية اليمنى ثم في أسفلها ثم يتجه الى الرئتين وهكذا ، ولكن هذه الدورة تكون في الجنين على غير هذا الأسلوب لأن الدم الذي يدخل اليه يكون شريانيا لا مادة خميّة فيه لأن رتة أمه تقوم مقام رتته ، انظر وتجب كيف تكون الدورة مختصرة فيه وعند الوضع يغير نظام الدورة حالا وتصبح ثامة فان الحائض الذي بين الأذنين الأيمن والأذنين الأيسر لا يكون له وجود في الجنين ولكن عند الولادة يقفل هذا الحائض حالا لتتم الدورة ولولا هذا الاقفال لاتصل الدم الوريدي بالدم الشرياني وعاش الناس مرضى أمد الحياة ضعاف الأبدان

٤٨ ومما اختاره الله انه خلق الفيل (المصوّر في صفحة ٤٨) وخلق أبا قردان ينقي الدود الذي يؤذيه فهنا اتحد ساكن الأرض وساكن الهواء على نظام الحياة ، فأما نوع الإنسان الذي اتحد في المسكن والخلق فقد عجز عن هذا الاتحاد ، ويؤخذ من هذا ﴿ درسان * الدرس الأول ﴾ دراسة أسماء الله الحسنى على هذه الصورة مثل (القدس السلام العزيز الخ) فهو مقدّس عن أن يخلق داء إلا خلق له دواء وهو السلام الذي أعطى الأمان للفيل ولأبى قردان وهو الجبار حكيم على الفيل بما يؤذيه وأخضعه الخ

﴿ الدرس الثاني ﴾ خطباني لأهل الشرق والغرب وتذكير الأمم كلها بأن أخلاقهم كأخلاق النمل فهو بأسر ويستخدم أعداءه ولم يقدروا أن يصنعوا ما صنعه أبو قردان والفيل في الاتحاد على المنافع
٥٠ ﴿ الجوهرة الثانية ﴾ - وهو الله لا إله إلا هو - الى قوله - وإليه ترجعون - ومناسبة هذه الآية لمحاورة (طيماس الحكيم) مع (سقراط) واستعانته بالله في شروعه في معرفة مبدأ العالم ثم أثبت أن العالم حادث

وأن المادة كانت مضطربة فثبتها الله بالعقول والنفوس والعالم كله صورة حيوان واحد فهو عقل جعل في نفس جعلت في مادة وهذا الحيوان من العناصر الأربعة في نظره ، قال وقبل هذا التكوين لم يكن ليل ولا نهار ، فهما ماحصلا إلا بعد تكوين الأفلاك ، والليل والنهار كانا بسبب الشمس وبهما كانت الشهور والسنون ، ثم إن الشمس والقمر والكواكب كلها فيها أرواح تديرها وهم الملائكة ، ثم أسكن الله تلك الكواكب أرواحا جزئية وخطبها قائلا « أتم من عنصر الملائكة وسأنزلكم إلى المادة واركب فيكم الشهوة فن اتبعها نزل إلى الخفيض بحسب الشهوة التي غلبت عليه ومن استقام أرجعته إلى كوكبه وقال للملائكة أتمم دائمون فربوا هذه الأرواح الجزئية » وهنا بيان ما هو موافق للإسلام وما لا يوافق ، ثم أبان طيماوس فائدة البصر وأنه نار في العين يلاق ناراً من الشمس يفيدنا معرفة السماء والعالم ، وبهذا نعرف الشهور والأعوام ويحدث فينا عشق الفلسفة ، وهنا دهش مؤلف هذا التفسير من هذا البيان العجيب في صنع الله تعالى الذي لا يفد فيه كثير من المسلمين

٥٢ ﴿ الجوهرة الثانية ﴾ في قوله تعالى - قل أرايتم - الخ ههنا حديث الحارث بن همام الذي رأى أنه مات وارتفعت روحه وجاءت في نور بهيج وكان الحق يخاطبه وأنه قال له « يا عبدى أنا أحبك » وبرهن له على ذلك بأنه شغل مدة حياته في البحث عنه والتفكير في أعماله وأنه لن يحب أحد الله إلا إذا كان الله أحبه من قبل ، وأفاده أيضا أنه خلق العالم كله لأجله فذهل من هذه الجلة وضرب له المثل بالأب والأم وباقي الأسرة فإن كل واحد منهم يقول جميع الأسرة مخلوقون لي بدليل أن كل واحد من الأسرة جعل نافعا للجميع . فهكذا الأمم والدول والأرض وما عليها والشمس والقمر والكواكب كلها تخدم الإنسان الواحد وليس يعقل هذا إلا من درس أمثال هذا التفسير بل كل الإنسان في الأرض أشبه باليتيم لاحتياجه إلى كل العوالم فأواه الله بها . ومن أحسن من الناس بهذا الحب حقيقة فإن روحه قد ارتقت وغيرها لا تزال ناقصة وبيان أن هذا الحب يظهر عند مناظر الإبداع في الطير والنبات وغيرها وبيان أن الناس بالنسبة للجمال على ﴿ قسمين ﴾ قسم يهيم به وقسم يلبد لا يهيم . ثم أبان أن الأرواح الأرضية لها صلة بأرواح عالية وهذه الأرواح الأرضية لا قدرة لها على استيعاب هذا الجمال فسلط عليها المرض والحسد والنل الخ لئلا تهلك بسبب هذا الجمال

٥٥ ﴿ الجوهرة الرابعة ﴾ - ومن رحمة جعل لكم الليل والنهار - الخ وبيان أن قواطع الإنسان عن الكمال إيذاء الأعداء من الخارج ومطامع النفس من الداخل فلا بد من صبر على الأول وعن الثاني . ثم إن أمر الله بالتسبيح والتحميد لا تقوم به حقا إلا بالعلم . فالحمد على نعمة غير معروفة جد لفظي والعلم لا يتم إلا بعد زوال هذه القواطع . يقول المؤلف ليقف الإنسان قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ويتأمل هذا الجمال البديع والنفس لما كانت من عوالم عالية لم ترض من العلم إلا باستيعابه فهي أبدا محجة فيه ومتى عرفت اطمأنت . وقراءة هذا التفسير كافية وبقراءته هو وأمثاله يعرف سر كون رضوان خازن الجنة ففيه معنى الرضا . وهذا الذي اتصف بهما ذكر يعرف أن الموت نقمة مقدمة لنعمة . إذن هو وكل شئ مقتمات للنعم . هذه هي الرحمة العالمة . أما الرحمة العملية فإن الإنسان يرى كل طير وكل حشرة متمتع بنعم ربها في الهواء والشمس والإنسان هو الذي حكم عليه بالحجاب عنهما في منزله وضل بالتكاثر بالمال والولد والزينة والزخرف والذات البدنية والاكتراث من الملابس وغيرها ولذلك الإشارة بقصة آدم في سور كثيرة . ولقد عمهم الله بنور الشمس فخرموا منه بما تقدم وحظي به كل حيوان ولقد علم الناس ذلك اليوم في ألمانيا وفرنسا فأخذوا يعلمون التلاميذ في الخلاء

٥٨ الكلام على التعليم في الهواء الطلق بحيث يتعلم التلميذ في الخلاء فإذا جاء المطر تورى التلاميذ في الخيام . وهنا صورة التلاميذ في المدرسة التي أنشئت أخيراً في فرنسا (شكل ٢) و (شكل ٣) للتلاميذ على الموائد و (شكل ٤) للتلاميذ في خيامهم في الخلاء . وهنا (٥) خمس فصول * الفصل الأول * في منافع الشمس وانها بها يكون البخار والفحم والرياح والكهرباء وفي المستقبل سيجمع ضوءها بزجاج بلورى ثم يوزع فلانحتاج الى تلك الوسائط (انظر شكل ٥ في صحيفة ٦١) ففيه صورة استخدام الأشعة في المستقبل والفحم والرياح والأنهار والشلالات والمحركات الكهربائية

٦٢ (الفصل الثانى) في بيان علاقة الشمس والهواء ونحوهما بارتقاء الأمم وفيه (مقصدان * المقصد الأول) مايقوله (ابن خلدون) « إن ارفاف الأطفال في التعليم مضر يورث الذل كاليهود ، وهذا له علاقة بضوء الشمس والهواء لأن التلميذ المحبوس عنهما ضعيف ذليل »

٦٣ (الفصل الثالث) في أن تباعد الناس عن الفطرة يضرب بصحتهم ويقصر أعمارهم ، وبيان أن نمو جسم الانسان يحتاج الى (٢٥) سنة والمدة المقدرة لكل حيوان بقدر مدة نموه ثمان مرات ، فلانسان إذن (٢٠٠) سنة ولكنه يموت قبل ذلك لشهواته في المأكل والمشرب والملبس واللذات

(الفصل الرابع) في الكلام على الرحمة وبيان أن منافع الشمس لاحصرها (الفصل الخامس) آرائى في التعليم عند المسلمين ، وبيان أن الكتاتيب التي ورثناها عن آبائنا قدرة غير مستضيئة بالشمس لايدخلها الهواء ، وقد كان النبي ﷺ يوحى اليه وهو على ناقته ، ومن عجب أن الحج وأعماله كالسعى ورمى الجرات وبسطة الملابس هناك . كل هذه تحض على الرياضة البدنية لتم الصحة والقوة فضلاً عن الثواب ، ولقد أخذ الناس يتعرضون للشمس ويزاولون الرياضة ، وكل هذا مشابه بعض المشابهة لأعمال ديننا

٦٤ (القسم الرابع) - إن قارون كان من قوم موسى - الى آخر السورة

٦٥ تلخيص معانى الآيات في أربعة مقاصد

٦٦ تفسير ألفاظ هذا القسم

٦٧ بيان أن خروجه على قومه في زينته كان مشوباً بالكبرياء والغرور والعظمة وهذا من الكبر وان كان ظاهر هذا الخروج من المباحات

٦٨ ونظير ما فعله قارون من اظهار الزينة كل مايفعله بعض المسلمين من الولايم والماتم تفاخرا وتباهيا اذا أرادوا التعظيم والفخر والتكبر على الاخوان ، والكلام على الصبر وكيف يضبط المصلى فكره حتى لايفكر إلا في الصلاة

٦٩ بيان طغيان قارون على موسى (١) عصى أمره في تعليق الخيوط التي تذكر السماء (٢) تدمره من جعل الجبورة هارون (٣) عصيانه أمر الله بالزكاة (٤) تسليطه البغي على الاقتراء على موسى ، لذلك خسف الله به وبداره الأرض

٧٠ ضرب مثل حال المسرفين في ما لهم بالمسرفين في ما كملهم إذ يتعاطى الانسان الأغذية القوية كاللحم والبيض وأمثالها فتمتلئ الأوعية فيموت من هو ضعيف القوة عن تحمل ذلك فجأة وتظهر البثور والقروح والأمراض في جسم من هو قادر على تحمل ذلك فلايموت ، فالقوى ظاهراً هو الضعيف والضعيف ظاهراً هو القوى . هذا مثل من عنده مال ومن ليس عنده

٧٢ تفسير بقية الألفاظ من قوله - قل ربى أعلم من جاء بالهدى - الى آخر السورة

٧٣ وهنا لطائف في قوله - نخرج على قومه في زينته - وفي قوله - تلك الدار الآخرة نجعلها - الخ وفي الموازنة بين فهم الصحابة وبين فهمنا ، وذكر حكاية الربيع بن زياد ورفأ مولى عمر وتركه عمر الماء كل الفاخرة اتباعا للقرآن

٧٤ الكشف الحديث في قوله تعالى - كل شيء هالك إلا وجهه - الخ وبيان النظرية القديمة وهي « إن السموات قديمة لا تتحل ولا تنفى » ثم بطلت هذه النظرية وقيل لا فوزيه « المادة لا تنعدم ولا تتجدد » الرأي الحديث للعلامة (جوستاف لوبون) إذ قال « إن الراديوم يخرج ضوءه فتتحلل به العناصر الأخرى وينقص وزنها » ومعنى هذا أن المادة تنعدم . إذن كل شيء هالك حتى المادة تنعدم . ظهور الوحدة في النبات والحيوان

٧٧ هل المادة موجودة وجودا حقيقيا ؟ وهل العوالم صائرة الى الزوال ؟ يقول قدماء الفلاسفة « إن المادة وجودها ضعيف » مستبدلين بأننا لم نعرف إلا الأوصاف كالثقل والخفة الخ ويقول علماء العصر الحاضر « إن كل ما نراه من مخلوقات الأرضية والسمائية ماهو إلا حركات في الأثير ، وتنوع هذه الحركات يظهرها لنا شمسا وقمرًا وقمرًا وقطنا وذهبا وفضة

٧٨ بيان أن الأوضاع متلوية ، ترى الشمس جارية حول الأرض والحقيقة هو العكس ونرى المادة موجودة والحقيقة أن لا مادة ، آراء أفلاطون يقول « إن هذه المادة لا نبات لها ولا تصح مناظرا للعلم » وأرجع العلم للمثل الأفلاطونية

٧٩ يسبح المؤلف ربه ويحمده إذ عرفه أن أهل الهند يقولون « إن أصل المادة عقل » وأن علماء اليونان يقولون « إن الكيفيات المحسوسة البالغة (٣٦) مفرقة على حواسنا فأين المادة ؟ » وهكذا أقوال علماء العصر الحاضر ونظرية (اينشتين) الألمانية . كل هؤلاء يقرّون - كل شيء هالك إلا وجهه - هل العوالم صائرة للزوال ؟ أم عند العلماء . فهي زائلة الآن فلا شيء إلا الحركات . وأما عند حواسنا جميعا فان هذه المظاهر التي تتأثر بها تلك الحواس ستذهب في مستقبل الزمان . إذن كل شيء هالك الآن باعتبار وفي المستقبل باعتبار آخر

٨٠ الرأي الحديث « لاشئ يزيد على المادة ولكن كل شيء صائر الى الزوال » ضرب مثل لفهم ما تقدم برجل أصيب بمرض عصبي فظهرت له الأشباح والناس لا يرونها فإذا شفي من مرضه أصبح كالناس لا يراها فنحن بهذه الحواس كذلك العصبي فإذا تركناها ظهرت لنا الحقائق . فالمادة بالتحقيق العلمي هالكة الآن وفي الظواهر ستهلك

٨١ ذكر سؤالي وردا على المؤلف إذ جعل النوع الانساني أشبه بالمرض وجوابه على ذلك أن روحه من عالم النور وسقوطه في الأرض كالمرض ولهذا رمز بقصة آدم وبهذا يفسر - ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك - فلا ذنب هنا إلا السجن في المادة الطينية . أما السؤال الثاني فهو « كيف كان الكون صائرا للزوال » والجواب عليه بإيضاح كلام (جوستاف لوبون) وبيان أن سرعة النور عند انحلال الراديوم (٢٠٠.٠٠٠) كيلومتر في الثانية ولوانهم قدروا أن يحولوا جراما من الحديد الى نور حين يعدم لكان عندنا قوة (٦٠٠.٠) مليون و (٨٠٠) مليون حصان يجر قطارا حديديا حول الأرض أربع مرات

٨٣ خطاب المؤلف للأمة الاسلامية . يقول لها « هل أمكننا تفسير هذه الآية لإبقرأة علوم الأمم حولنا » وهذا سرّ قوله تعالى - قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب - وهكذا ﴿ جوهرة الأولى ﴾ في سرّ - طسم - طاء طس إشارة للطائفة والسين إشارة لهذا

واستعبادها والسين في يستضعف ويستحيى والمفسدين وهذه الطوائف الضعيفة لابد من نصرها ولذلك ترى الميم في قوله - ونريد أن نموت - وفي - ونجسهم أئمة - وفي - ونمكّن - إذن - طسم - ملخص السورة لأن ملخصها ﴿ غرضان ﴾ الغرض الأول ﴿ ان الطوائف الضعيفة لابد من فوزها فالطاء لاطافة والسين لذهابها والميم لنصرها ﴾ الغرض الثاني ﴿ أن تحترس الأمم الإسلامية وغير الإسلامية من الغرور واستضعاف الأمم فإذا قويت أمة إسلامية فلتعلم أن الله لها بالمرصاد إذا طلبت ، وإذا أصبحت في ذل فالتة يقتص من الظالم المظلوم . كل ذلك في (طسم)

﴿ الجوهرية الثانية ﴾ في الكلام على الصلة بين آخر القصص وأول العنكبوت ، لقد ختمت الأولى بأن قارون ابتلعه الأرض هو وأمواله وأن العوالم هالكة ، لذلك ابتدئت (سورة العنكبوت) بالتحريض على الجهاد لنخلص من المادّة الطينية لتلقى الله

٨٤ نحن الآن ننتقل من سجن إلى سجن فإذا خرجنا من سجن الجوع والشبق دخلنا في سجن آخر كحوز المال والترف والندرية التي نسي لها ، فنحن خلقنا في كبد . وقد ضرب له المثل بقصة آدم وقصة قارون . وما جمع الذنوب التي في الشرائع إلا آثار لما كن في هذه النفوس من الشهوة والغضب الخ

٨٥ بيان ما يشير إلى هذا المعنى عند الأمم السابقة وأن دين المسيحيين ما هو إلا صدى صوت ديانات تقدمت كما نقله علماء الألمان من لوحة بالعراق سنة ١٩٠٣ وهكذا

﴿ تذييل ﴾ حكمة ألقاها الله على قلوب بعض الصوفية وأن الشيخ الشعراني سأل أستاذه الخواص عن الذي يقول اننى استغنى بالله عن الدنيا فقال هو جاهل لأن الاستغناء عن الوجود نعت خاص بالله

٨٧ ﴿ سورة العنكبوت ﴾ وهى ﴿ قسمان ﴾ القسم الأول ﴿ من أول السورة الى قوله تعالى - ولكن كنوا أنفسهم يظلمون -

٨٩ التفسير اللفظي وأن الجهاد يكون للشهوات ويكون للوالدين برهما وللأصحاب اذا كفروا فلا يطيعهم . وبيان أن أسباب النزول في هذه الآية مرتبة

٩٠ تفسير - ولقد فتنا الذين من قبلهم - الخ

﴿ جوهرية ﴾ في قوله تعالى - ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه - وأن الجهاد ﴿ نوعان ﴾ جهاد داخلي وجهاد خارجي . ومن الخارجى الذى يذكرنا بسعادة نوع الانسان وفيه صحة البدن واجتماع الأمم وترك الخيط من الثياب وشرح حال هذا الجهاد بما جاء في « الرحلة الحجازية » من أن لباس الاحرام والتعرض للشمس راجع لأحوال الانسان الأولى كشمال (كوفرين) من قدماء المصريين وكذلك التماثيل الرومانية . فالأمة القديمة كلها كانت ملابسها كالاحرام الآن وهذا هو الذى يشده علماء أوروبا الآن إذ يعتمد القوم كل سنة الى الجبال والى شواطئ البحار فلا يسترون إلا عورتهم ويتلقون برودة الجو وحرارة الشمس لتذهب الأمراض جميعا . إذن الحج أنزل ليرجع الناس كلهم الى حال واحدة فيصيحوا أمة واحدة يتحدون في الالباس والمدارس والتعاليم والأخلاق والاسلام دين الفطرة

٩٥ ﴿ خطابى للمسلمين ﴾ بيان أن الجهاد في هذه الآية يشمل العبادات والأعمال المدنية والصناعات وبيان أن الله لم يدع الخلوقة بلا إلهام إذ ألهمهم أن ينقشوا ما يراولون على الأشجار ليرأه الخلف . فالحشرات ملهومات والسيارات أوحى الله بها وديننا فيه كنوز تظهر الآن وهذا التفسير نعمة وفي الصلاة كنوز العلم . وبيان أن المؤلف قد عوتب في النوم على أنه لم يحضر قلبه في الصلاة فاعتظ بهذا واستفاد فوائده في نفس هذا التفسير

٩٦ بيان أن الجاهل لاحظ له في العبادة الإحظا ضئيلا وأن حظ العابد كحظ شارب الماء وحظ العالم من العبادة كحظ عالم الكيمياء في تحليل الماء ومعرفة أسرارهِ وهذا سرّ - إن الصلاة تنهى عن الفحشاء - الخ ومن الجهاد أيضا الصوم ومعلوم أنه قربي والسكن أما آن للساميين أن يدرسوا فوائده الصحية كأوروبا أولم يروا كيف استفاد زعيم الهندوس الأكبر (مهاتما غاندي) من المعيشة الفطرية والصوم أي الجوع ونبت البدن صحة وعافية ، وقد صام (٤٠) يوما ، وقال الملايس ، وعرض أكثر جسمه للشمس فنال صحة يحسد عليها الناس أجمعون وهذا بعض أسرار الصيام والحج

٩٧ أولم يروا إلى أن المصابين بكثرة الزلال في الدم وبتصاب الشرايين يشقون بترك أكل اللحم والبيض الخ وهكذا ينصح الأطباء من جاوز الأربعين بترك اللحم والاكتفاء بالنبات وأنه يجب عليه أن يصوم يوما كل أسبوع ، وبعضهم ينصح بترك الأكل (٤٠) يوما ويشرب الماء في تلك المدة مع قطرات من ماء الليمون وهذا يجعل الإنسان يتحمل الصوم (٤٠) إلى (٦٠) يوما ، وقد صام المستر (ارفينج الانجليزى) (٥٠) يوما فتخلص من ضعف المعدة والأعصاب ، وقد شرب أول يوم ستة أكواب من عصير البرتقال وأخذ يقلل شيئا فشيئا حتى اقتصر على الماء ، وبعد تمام الصيام شرب اللبن قليلا قليلا ، وفقد في صيامه (٤٦) رطلا فاستعادها وزاد عليها

٩٩ ضرب مثل لحال العابدين بالفسكر في العبادة بحال قراء القرآن بلان عقل ، وبيان أن الجهاد إما بالغيرية وإما بالعقل وإما بالوحى والأخير أفضلها . إن الإنسان لا يفرح إلا بمنوع عنه كالياقوت والزبرجد وأسرار الوجود ، فالجاهل يجاهد لملك الأججار الثمينة وهو يجهل جمال الوجود ، والحكيم يجاهد ليعرف سرّ الوجود كلاهما جاهد لمنوع عنه

١٠٠ ﴿ الفصل الأول الجهاد بالغيرية ﴾ وأن من قرأ أكثر هذا الكتاب عرف أكثر غراز الحيوان وأن للنمل دولة أكبر من أكبر دولة في الأرض تعدادها (٥٠٠) مليون نملة

﴿ الفصل الثانى الجهاد بالعقل ﴾ ومثاله ما جاء في كتاب « كايلا ودمنة » ترجمه (برزويه) الطيب الفارسي الذي ضرب مثلا لآخوان الصفاء بالجامعة المطوقة مع اخواتها الحمامات ومثلا آخر بالجرذ مع الغراب والسلحفاة والظبي . فالأول تعاون الجماعات المتجانسة . والثاني تعاون الجماعات المختلفة من الإنسان كما تعاون النمل وتعاون الفيل مع أبي قردان

١٠٢ ﴿ الفصل الثالث الجهاد بالوحى ﴾ كجهاد رسول الله ﷺ . كان إذا ألت به حاجة دعائه واستغاث به كقوله ﷺ « إنك تسمع كلامي . وترى مكاني . وتعلم سرّي وعلايتي » إلى أن قال « اللهم استقنا الفيت الخ » وكقوله أيضا « اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن الخ » وهذه يقولها من أصابه غم أو دين الخ

١٠٣ وكقوله يعط أصحابه في خطبة « أيها الناس قدّموا لأنفسكم الخ » فقد أبان فيها أن العبد يسأله ربه ليس بينهما ترجان عن ماله وعن أعماله « وكقوله « أحبوا الله من كل قلوبكم » وكنتيه أن كسوف الشمس وخسوف القمر لأجل موت أحد وحياته . فهاهو ذا ﷺ جاهد بالوحى فدعا الله وأرشد الناس

١٠٤ وحذر من الدنيا في خطبة ابتدأها بقوله « أما بعد فإن الدنيا خضرة حارة الخ » وأخذ يشرح مسألة الغضب والرضا من أخلاق الناس ويذم الغدر ولم يقتصر على جهاد من هم عنده بل جاهد من هم في مكان سحيق . وأنه كان يريد أن يجعل الناس أمة واحدة فكتب إلى (هوزة) صاحب اليمامة وقال له « إن ديني سيظهر على ملكك » وأمره بالاسلام وأرسل الخطاب مع سليط فأكرم وفادته . وكتب

الى ملك عمان فدعاه ودعا أخاه الى الاسلام وأرسل الكتاب مع عمرو بن العاص . وفي هذا المقام محاورة بينهما وبين عمرو بن العاص وانتهى الأمر باسلامهما

١٠٦ وبعث العلاء بن الحضرمي الى المنذر بن ساوى أمير البحرين فأسلم وأسلم أكثر أهل بلاده . وإلى ملك الحبشة النجاشي فأسلم

١٠٧ وإلى عظيم الفرس كسرى فدعاه الى الاسلام فزق الكتاب فزق الله ملكه في زمن عمر اجابة لدعائه ﷺ عليه وإلى المقوقس ملك مصر مع حاطب بن أبي بلتعة . وهنأت حجب أيها الذي من هؤلاء الصحابة الكرام وكيف يحاورون هؤلاء الملوك والأمراء ويقنعونهم في الخطاب ويحاجونهم وأكثرهم أميون

١٠٨ وإلى ملك الروم وقد أمره ﷺ بالاسلام فأطّل على قومه فأشار عليهم بالاسلام ففضبوا ثم أرضاهم بأنه كان يختبرهم . وهنا يتحجب العقلاء في الاسلام من قول حاطب بن أبي بلتعة للمقوقس « لسنا نهابك عن دين المسيح ولكننا نأمر بك به »

بيان عام في أمر الجهاد وذكر أن المصلي يكرر الرجة والترية في الصلاة وأن هذه الرجة بها تألفت الطيور والحمامات وتعلم الفلاسفة بها ضرب الأمثال للتألف العام وهكذا نبينا ﷺ إذ خاطب الملوك للاتحاد العام

١٠٩ زيادة ايضاح وبيان أن المهديين الى الصراط المستقيم المذكورين في الفاتحة يجب أن يكون لهم السلطان على المغضوب عليهم والضالين ولهذا قال - قل يا أهل الكتاب - الخ ثم إن هؤلاء الصحابة كانت لهم

لذة روحية بها تحموا هذه المشاق وبها حرّم سيدنا عمر أموال الفنائم عليه وعلى ابنته خلف من بعدهم خلف افتنوا بالذات بعد الغزوات وجهلوا آية - فلا تقتحم العقبة * وما أدراك ما العقبة * فك رقبة - الخ

١١٠ وقد شرع العتق ليكون الغالب والمغلوب أمة واحدة فلما ظلم المسلمون خربت بيوتهم وانكسحوا لأنهم أذهبوا طبيعتهم في الحياة الدنيا . فانظر ما يقوله (سديو) الفرنسي في سبب انكساط أسلافنا العرب في اسبانيا فانهم لما طردوا الموحدون تفرقوا هم شيعة وذائق بعضهم بأس بعض فأخذهم الفرنج مملكة مملكة . وقاتل (فرينند) مع محمد الحار أهل أشبيلية المسلمين خضعت لفرينند

١١١ ذكر بعض عمالك شرق الأندلس إذ حاصرها جيش الأردمليش وقصر بن هود في حاميها وسد الماء الداخل لها فسلم القوم أنفسهم للفرنجية ومات كثير منهم بالعاش وكثير بالسيف

١١٢ ذكر بهجة ابنة أحد الموسرين إذ أسرها علاج من العلوج في منزل أبيها وعلى فراشه نفسه وهكذا فتاة أخرى كانت تغني له لأنها كانت مغنية لأبيها وهكذا يفعل المسيحيون في المسلمين ما فعله المسلمون بالمسيحيين - كل يوم هو في شأن -

١١٣ كيف أتمر الجهاد لتحرير أوروبا بعد خلود أمة الاسلام . وبيان أن أمثال (روسو) و(فلتير) انما أيقظوا أوروبا بما قرؤه في كتب المسلمين المنهوبة من مصر والأندلس كما تقدم وأن القسيسين والرهبان كانوا ظالمين وحركة الاسلام هي التي أوقفتهم عند حدهم

١١٤ بيان أن أهل فرنسا يوم ٤ أغسطس سنة ١٧٨٦ م نالوا حقوق الانسان التي نادى بها (جان جاك روسو) ومحيت امتيازات الأشراف

١١٥ قصة نوح عليه السلام وتفسيرها . وبيان أن الطوفان في القرآن جزئي لاسكى وأن قارّة (ليموريا) كانت تتصل بآسيا وقارّة (اتلنيس) كانت وراء جبل طارق وكانت قدرا فريقيا وآسيا معا ثم غطاها الاوقيانوس ففرقت . وهناك قارّة كانت في الاوقيانوس الباسفيكي قرب سواحل أمريكا الجنوبية وأغرقها

الماء . وهناك قصة للطوفان في ﴿ سجلات جلجميس ﴾ في بابل . وهناك قصة في الصين
﴿ جغرافية العالم القديم ﴾ وبيان أن حيوانات مداغشقر مغيرة لحيوانات افريقيا مع قربها منها وحل
هذه المشكلة أن هناك قارة اختفت وهي (ليوريا) وانتقل حيوانها أيام وجودها الى مداغشقر
١١٦ وأما قارة اتلنتس وقارة الاوقيانوس الباسفيكي فان الأولى ذكرها أفلاطون والثانية عرفت بنقوش
وجدت على صخور (جزيرة يستر) وبيان قصة التوراة وأولها « رأى الرب أن شرّ الانسان قد
كثر في الأرض الخ »

١١٧ القصة البابلية والصينية والهندية ، فالبابلية فيها أن (جلجميس الجبار) زار أحد أسلافه ليسأله كيف نجى
من الموت فقصّ عليه قصص الطوفان وبناء الفلك وهي القصة السومرية بعينها ، والقصة الهندية
والصينية تشيران الى طوفان محلى نشأ عن فيضان الأنهر كالبابلية عن فيضان دجلة والفرات وهناك
في شمالي العراق بعثة انجليزية تبحث في بلاد (اور) عن قصة الطوفان

١١٨ الأدوار والأكوار في اخوان الصفاء إذ يقولون إن البحر يصير برا وبالعكس في مدة (٣٦) ألف سنة
وهذه المدة التي حددها لادليل عليها بل هي أطول جدا . قصة ابراهيم عليه السلام وتفسيرها

١١٩ قصة لوط عليه السلام وقصة شعيب وعاد وثمود وموسى وتفسيرها اللفظي

١٢٠ الكلام على معنى - أول يروا كيف يبدي الله الخلق ثم يعيده - الى قوله - قل سيروا في الأرض
فانظروا - الخ وبيان أن السير ﴿ قسمان ﴾ جسمي وعقلي والثاني مرتب بعد الأول

١٢١ بيان اني كنت أشك في هذا الوجود وأما شاب وأراه مبثرا لانظام له وانى قلت اني اذا وقفت على
الحقائق سعدت ، ولقد عرفت الحقائق بقدر طاقتي وألفت هذه الكتب كما عاهدت الله على ذلك .
وبيان السلسلة المنظمة من الكواكب ثم المواليذ فالعناصر وأن الانسان مختص بمعرفة ذلك وأن الصلاة
في أدعتها هذه المعاني الخ

١٢٢ نظام السموات ووضع الكواكب فيها منظمة بأبعاد على مقتضى المتوالية الهندسية ونظام المواليذ ونحوها
هكذا (تراب . جص . ذهب . خضراء الدم . كشوثي) وهكذا ثم (القرود وأدنى الانسان وأعلاه
فاللائكة والله فوق الجميع)

١٢٣ النظر في المعادن مثل الاسفيداج والاسرب والاسفندري والفيروزج ومثل ان الألماس اذا دق بالمطرقة
على الحديد لم ينكسر والياقوت لا يعمل فيه إلا الماس والسنباذج ولكن الأسرب وهو جنس من
الرصاص غير ناضج مسلط على الألماس . إذن الياقوت سيد المعادن ويعلو عليه الألماس ويحكم الألماس
الاسرب . وبيان أن المعدن كلما كنا أكثر احتياجا اليه كان أكثر والعكس بالعكس كالتحجاس
والذهب ، بيان العناصر عند علماء العصر الحاضر وانهم وجدوا أن الله قدرتها بحسب وزنها الذري
بحيث يزيد العنصر عما قبله ذرتين اثنتين تقريبا في الصف الأفقي ويزيد ١٦ عما تحته في الصف
الرأسي وقد اشتركت الصفوف الأفقية كلها في الخواص السكمانية والصفوف الرأسية تشترك في الخواص
الطبيعية كاللون والطعم والرائحة وهذا عجب أن ترتب ترتيباً أفقياً بحسب الفترات ويكون الاشتراك في
الصفوف الأفقية غير الاشتراك في الصفوف الرأسية . وهنا موازنة بين هذه الصفوف وبين صفوف
الأوقاف المعروفة المنظمة عدا وأن هذه الصفوف المعدنية أدق وأعجب وبهذا نعرف بدائع الحكم الإلهية
(انظر جدول وفق نجس في صفحة ١٢٥)

- ١٢٧ بيان أن (مندليف) الروسي الذي اخترع هذا الجدول سنة ١٨٦٩ أخبر بمعادن وعين محالها في الجدول قبل كشفها وقد تم ذلك كما أخبر ، و بيان أن ترتيب العناصر كترتيب الأفلاك
- ١٢٨ الكلام على الروديوم وعلى الذهب ونظام النفوس الانسانية والملائكة وأنه اذا كانت المعادن منظمة هذا النظام فن باب أولى يكون نظام الأرواح ، وأن الناس يوما ما سيبحثون عن نظام أنفسهم وعن عرفوه رتبوا لها جداول فارتقى الانسان ارتقاء لا يعلم به الناس اليوم إذ يوضع كل امرئ في مركزه في العالم كما وضع كل معدن في مرتبه في الصف
- ١٢٩ ذكر البارود والعناصر التي ركب منها عند الأمم وأن ذلك من كيفية بدء الخلق وكيف كان عند الفرنسيين والألمان والانجليز تالوين السواريج بالبياض وبالزرقه وبالخضرة وبالصفرة ، و بيان الجبال في العالم والجبال في الوجوه والجبال في الموسيقى وأن ذلك كله بالنسب الهندسية وكما راجع للآية - قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق - فأنه بدأ الخلق بهذا الحساب والنظام العجيب
- ١٣٠ تعرف ابن المتفعل للتربية وتعرف أفلاطون لها وملتون وجيمس وسبنسر وبعض علماء (بروسيا) كل هذه التعريفات ترجع للحركة الجسمية والعقلية في التربية وهما يرجعان لقوله تعالى - قل سيروا في الأرض فانظروا - أي بالحركة الجسمية والحركة العقلية فالآية شملت هذه التعريفات كلها
- ١٣١ ﴿اللطيفة السادسة﴾ مقاصد الصلاة في الاسلام ، وتلخيص معاني أقوال المصلي في الركوع والسجود والجلوس بين السجدين والاعتدال مثل ان المحامد عند الرفع لدراسة العالم العاوي وهي عند الركوع والسجود للبحث على علم الطبيعة و بيان أن هذا تقدم في (سورة آل عمران)
- ١٣٢ بيان أن قول المصلي في آخر الصلاة « إنك جيد مجيد » لا يتم إلا بمعرفة هذه العلوم ، و بيان أن نظام الدراسة في الأمم الآن جار على مقتضى ترتيب أدعية الصلاة ، فالابتدائي والثانوي نظير الثناء في الرفع والاعتدال الخ والمدارس العالية للتخصص كما ان الثناء في الركوع والسجود فيه تخصيص فهو كالمدراس العالية
- ﴿اللطيفة السابعة﴾ بيان أن المصريين كانت لهم أوقاف للسكواكب السبعة يكتبون عليها أسماء الملائكة ويدعون لقضاء حاجاتهم
- ١٣٤ مثال ذلك الجدول المسبح المرقوم في هذه الصفحة ، ولعمري لم يكتب قدماءهم تلك الأوقاف إلا ليشوقهم لجمال الله فانحطت أخلاقهم فجعلوها لطلب الرزق كما انحطت عقول بعض المسلمين فجعلوا القرآن لأجل قضاء الحوائج وهذا هو الانتكاس
- ١٣٥ ﴿القسم الثاني﴾ من قوله تعالى - مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء - الى آخر السورة
- ١٣٦ التفسير اللفظي لهذا القسم
- ١٣٨ ﴿اللطيفة الأولى﴾ في قوله تعالى - وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت -
- ١٣٩ العنكبوت البناء وعنكبوت البساتين ، وكيف كانت أعمالها منظمة مهندسة ، وكيف أمسكت الشبكة الذباب ، وكيف أمكن النسيج أن يقاوم الرياح الهابة ، وكيف كان أبرع المهندسين يخطئ والعنكبوت لا يخطئ ، و بيان دقة خيط العنكبوت وأن غلظ خيطها يساوي واحدا من ١٦ مليون مليون من شعرة الذقن ﴿وبعبارة أخرى﴾ ان شعرة من شعرات ذقن الانسان غلظها يساوي غلظ ١٦ مليون مليون خيط من خيوط العنكبوت
- ١٤٠ و بيان أن هذا تشير له آية - لو كانوا يعلمون - و بيان أن خيط العنكبوت عند خروجه لا يفهم منه

- العاقل شيئاً ولكن باجتماع الخيوط تظهر الحكمة هكذا عاوم هذه الدنيا كلها أو لها حيرة وآخرها يقين و بيان الحكمة في تسمية السور بأسماء النمل والنحل والعنكبوت وهكذا
- ١٤٢ العنكبوت تعيش على الذباب ، تصطاده على الأرض وفي الجو وذلك بنسجها طيار به كالطيارات المعروفة عند الناس وقد تسج بالنسج فوق الماء ، و بيان أن جسم العنكبوت قسمان وجسم الحشرات ثلاثة أقسام وأن للعنكبوت (٦) أزواج من العيون ولكن الذبابة لها نحو أربعة آلاف عين كل منها مستقلة و بيان أن كثرة الآلات لا تمنع الهلاك كما اتفق للذباب كثير العيون مع العنكبوت قليلها ، ومثل ذلك قيصر الروس الذي قتله جنوده بعد أن ذبحوا أبناءه ، ثم إن الذباب وإن كان ينظف جونا هو نفسه يحدث الأمراض بحمله العدوى فجعل الله العنكبوت لعبيده
- ذكر تعداد الحشرات وانها مائتا ألف وستزيد الى ألف ألف
- ١٤٤ هل يجوز رسم الحيوان في التفسير ؟ وذكر الأحاديث الدالة على المنع والدالة على الجواز وأن ما رسمه هنا خارج عنهما لأنه رسم صور شمسية رسمها الله بشمسه وأن ذلك أوضح فيما تقدم في سورة يونس
- ١٤٥ صورة العنكبوت واضحة (شكل ٦)
- صورة أصول الأرجل والفكين ومخرج النسج (شكل ٧)
- ١٤٦ صورة جهاز الغزل (شكل ٨)
- صورة نسج العنكبوت مع بيان حسن لها وأن ما يبلغ رطلا منه يطوق الأرض مائة مرة (شكل ٩)
- صورة ذكر النمل الحقيقي وصورته مكبرة (شكل ١٠)
- ١٤٧ صورة أنثى النمل الحقيقية وصورتها مكبرة (شكل ١١)
- صورة بقرا النمل المسمى أفيز (شكل ١٢)
- صورة مخالب العنكبوت (شكل ١٣)
- صورة اجتماع الخيط (شكل ١٤)
- ١٤٨ صورة عنكبوت الحديقة وبيتها (شكل ١٥)
- ١٤٩ صورة أكبر بيت للعنكبوت (شكل ١٦)
- ١٤٩ صورة عنكبوت صائدة (شكل ١٧)
- صورة عنكبوت المنازل (شكل ١٨)
- صورة العنكبوت المائي (شكل ١٩)
- ١٥٠ (لطيفة) في سؤال ورد على المؤلف « كيف كانت هذه الهندسة العجيبة في بيت هو أو هن البيوت ، وجوابه كما يقول الشاعر * له هم لامتتهى لكبارها الخ * فإذا كان أدنى المخلوقات بديع جدا فمن باب أولى أعظمها ، ألا ترى أن جزءاً من تسعة من ماء يملأ ملعقة الشاي فيه كهرباء قوتها (١٣٣) ألف حصان ، فإذا كان هذا كله في جزء من تسعة من الماء في تلك الملعقة فليكن هكذا بيت العنكبوت فيه أعظم الحكم مع ضعفه
- ١٥١ رسم باب من حديد مصنوع بهيئة نسج العنكبوت (شكل ٢٠)
- ١٥٢ صورة عقرب تأكل العث والسوس (شكل ٢١) ورسمت هنا لأنها ذات ثمانية أرجل كالعنكبوت وذكر سؤال ورد على المؤلف وأنه مغرم بهذه العلوم فلذلك أكثر منها كما أكثر الرازي من الفلسفة وأبو حيان غلب عليه النحوي ، وكذا الواحدى والزجاج ، وكذا الثعلبي غلبت عليه الأخبار ، والفقيه

يكاد يجعل القرآن كله فقهًا كالطربي ، وجواب المؤلف بأن هؤلاء أساتذتنا ، ولكن هذا زمان ظهور حقائق القرآن

١٥٣ ضرب مثل بالعنكبوت عرفنا ﴿ أمرين ﴾ صنع الله بخلق العالم وصنع الخلق وهي الأصنام وبيان أن كل من وقفت عقولهم مقهورون ، بيان تسجيل المؤلف على المسلمين جهلهم بمصنوعات الله تعالى

١٥٤ بيان أن الأمم التي تقل فائدتها أشبه بالذباب والتي تنفع تكون كالعنكبوت ، وبيان ما جاء في الانقار أن مجزة نبينا ﷺ بالقرآن لأن فيها معاني تظهر في كل زمان

١٥٥ الكلام في آية - إن الصلاة تهى عن الفحشاء والمنكر - وبيان أن أدعية الصلاة وأذكارها قسمان قسم يعطى فكرة التسليم لله وذلك كزمان الليل مثل ذكر الرفع والركوع والسجود وقسم يعطى مثال الحركة والعمل وذلك كالنهار مثل طلب الهداية في الفاتحة والغفران في الجاوس بين السجدين ، إذن بين الصلاة وبين الزمان موازنة وموافقة ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ انها أشبه بالعالم الذي نعيش فيه

١٥٦ بيان ما قاله طيهاوس الحكيم « إن أمراض البدن يتبعها مرض النفس وهذا ثلاثة أقسام ، ويقول إن الشر تابع لسوء المزاج » وبيان ما قاله بنتم ﴿ إن النظافة والعمل تقلان الجرائم والعكس بالعكس وهذه النظافة من خواص الاسلام ﴾ ويقول علماء الهند ﴿ إن الانسان يجب عليه أن يكون في خياله صور جميلة لا تثير شهوة ﴾ ومثل ذلك ما في كتاب الاشارات (لابن سينا) إذ يقول « عشق الشرائع لا الصوري يرقى النفوس وكذا العبادة مع الفسك ثم إن الصلاة مبدأ الأمرين رياضة البدن ورياضة النفس » وبالصلاة تقل الشرور لعدم القذارة والبطالة وتوجيه وجه المصلي للذي فطر السموات والأرض يجعله مفكراً في تلك العوالم الجميلة كما يقوله أهل الهند وابن سينا . إذن الصلاة مبدأ لصحة البدن وقوة الروح . الكلام على سبب اسلام عبد الله كويلم الانجليزى وانه كان في الجزائر ورأى الوضوء والصلاة فدهش من أن ذلك نصف استحمام ودرس الاسلام ثم أسلم

١٥٨ ﴿ الصلاة اليوم في بلاد الاسلام ﴾ محادثة بيني وبين الطلبة بالمدرسة الخديوية وأنا مدرس لهم إذ قلت « اننا اليوم قد خلعنا ربة الروابط القديمة وأصبحنا نقتل أوروبا في كل شيء وتركنا الصلاة ولكننا أذلاء لكل الأمم ، أما أجدادنا المصافون الصائمون الذين يعتبرهم صغار العقول في زماننا غير جديرين بأعظم كمال فقد احترمهم جميع الأمم » وجواب تلخيص بأن التلاميذ هنا لم يتعودوا الصلاة من الصغر فهم تاركوها الآن كما يتركها النساء ، وبيان ما كتبه كاتب انجليزى في إبان النهضة الوطنية إذ يقول ﴿ إن المتعلمين بمصر في هذا الزمان ليس عندهم مكارم أخلاق كالتى عند الفلاحين الذين ورثوا حب الله والفضائل والأهل والأقارب عن آبائهم ودينهم ، أما هؤلاء فقد تركوا ذلك ﴾

١٦٠ ذكر ما قاله والد معلم ولّى عهد الخديوى السابق (عباس باشا حلمى الثانى) وبيان ما قاله ناظر المدرسة الفرنسى له من تهكمه بالديانات وما أظهره له الفيلسوف البوذى يوم الأحد بالسكنيسة وقوله ﴿ هاهوذا يصلى فما قاله يقصد به هو وغيره أن نترك دياناتنا ليأخذوا بلادنا ﴾ ثم ذكر ما قاله أستاذنا الشيخ حسن الطويل ﴿ انه لما كان جندياً عاقبه على انه كان يدعو الله لأن المتدينين ليسوا يدفعون في الجنديّة وذلك بغش أوروبا لهم وقد رفته وفرح

١٦١ بيان ما قاله محمد بك عراقى المشهور والده أن أهل سيلان يحافظون على الجماعة ومن أبى قتالوه ، وبيان ما قاله (هنرى) الفرنسى انه لما رأى المسلمين يصلون هاله الأمر وأدهشته الصلاة ، ومن يحافظون على الجماعة والصلاة الوهابية بنجد والحجاز وطالب الأزهر يقرأ ذلك ولكن عمل الناس على خلافه

١٦٢ ذكر ما جاء في (كتاب الإحياء) من فضائل المكتوبة من الأحاديث والآثار مثل إن الصلوات الخمس كنهر يباب أحدهم الخ ومثل من ترك الصلاة متمعدا فقد برئ من ذمة محمد الخ

١٦٣ الكلام على فضيلة اتمام الأركان وعلى فضيلة الجماعة وانها أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة وههنا أقوال عثمان بن عفان وسعيد بن المسيب وأبي عبيدة بن الجراح والحسن وحاتم الأصم وابن عباس وميمون بن مهران والكلام على فضيلة السجود وأن العبد يكون أقرب الى الله وهو ساجد

١٦٤ الفاتحة وعلوم الحكمة وبيان أن علوم الحكمة كلها قد جمعت في عشر كلمات وهي المقولات المعروفة مثل الجوهر والكم والكيف الخ وهذه الألفاظ شملت العلوم كلها فهكذا هذه الفاتحة شملت العلوم كلها كما تقدم في تفسيرها مثل (رب) ومثل (العالمين) التي شملت العالم العلوي والسفلي كما ان الجوهر في المقولات يشمل جميع الأفلاك والمواليد وهكذا ، والفاتحة لها منزلة وهي أن الجاهل يتعبد بها آمال للمقولات فلا تصلح للعبادة وتكرارها لا يفيد معنى

١٦٥ (لطيفة) في قوله تعالى - ولا تجادلوا أهل الكتاب - الخ وبيان أن الواعظ يسيطر على عقل الجاهل والحكيم يسيطر على عقل الخواص والأمراء على أجسام الناس والأنبياء على الجميع

١٦٦ جوهرة في قوله تعالى - وكذلك أنزلنا إليك الكتاب - وفيها ﴿ ثلاثة فصول ﴾ الفصل الأول ﴿ فيما قاله اللورد هيدلى صديقنا ، يقول « إن أهل انكلترا يحبون العدل ولكن كان يجب عليهم أن يفهموا ماهو الاسلام » وبيان انه في صغره درس القرآن واستنتج منه ما وافقه عليه الخواجه (كمال الدين) وذم المتعصين من المسيحيين

١٦٨ بيان ميل الناس الى الاتحاد لما يرون من أن عقائد الدين المسيحي غير صالحة للتفكير ، وههنا أبان تناقض العقائد المسيحية . قال اللورد هيدلى « المسيح لم يكن مشترعا ولا واضع قوانين فكيف أتبعناه في أوروبا ، إن شريعته توجب ألا تأخذ بالثأر ولكن نحن ملزمون أن نعاقب الجاني زجرا للآخرين وهذا هو قانون الدين الاسلامي ، نحن في أوروبا عجزنا عن حفظ المرأة وحفظ النسل ونحن أعظم أئمة في البحار وقوانيننا جميلة ولكنها لا تنفذ ونحن لا نزيد التعذيب للمجرمين فلو اعترفنا الاسلام لسهل حكم مملكة نصف رعاياها من المسلمين ، لو عرفت أمتي الانجليزية أن الدين الاسلامي دين يرقى العقل لسعت الى اتباعه ، الاوروبيون ينظرون الى دين الاسلام كأنه وحشية وذلك بسبب البشريين ، الاسلام أرفع من أن يكون له قوم مسيطرون غير الله بخلاف الدين المسيحي »

١٧٠ ثم قال أيضا ﴿ رؤساء الدين المسيحي يطلبون السلطة ولاعبادة لهم ولأتباعهم الانظام أيام الآحاد المحترمة عندهم لأنها تظهر فيها الملابس الجميلة وهؤلاء الرؤساء أجرة من الجالسين في المعبد على مقتضى الدرجات كدور التمثيل سواء بسواء ، إن ديانات أوروبا كلها خرافات القرون الوسطى فلا هي كدين المسيح ولا موسى الحقيقيين وإنما البارونات واللوردات في انكلترا كانوا يستعملون الشجعان للارهاب الجسمي والكتبه والاكليروس للارهاب الروحي ليحفظوا ما يملكون باحداث الهلع والفرع في القلوب . إن شريعة محمد أعظم من شريعة عيسى وموسى وان عظمتا . مصداق آية - اتخذوا أحبارهم ورهبانهم - حاصل في أوروبا حقا وصدقا

١٧١ وقال ﴿ ديانة المسيح غيرها (سانت بولس) ثم ترجعت تلك التعاليم بتراجم مختلفة مغيرة ولكن الاسلام يكفى رغبات العالم ، فيه ان الله واحد قنوس ، أليس من المنجمل أن نرى العقول البشرية الراقية تخضع لإفك الكهنوتية وتحجب عن نظر السماء ومعرفة رب الجميع القهار الذي لا يفرق في رحسته بين

الأولياء والقوم العاديين الجهلاء ، إن مفتاح السماء في كل مكان وأقل المخلوقات يدير هذا المفتاح ، ولعمري ما دعا رؤساء المسيحية الى التوسط بين الناس وربهم إلا حب الفائدة كالرواتب ومعاشات القسيسين ، الدين مسؤول عن فظائع كثيرة في العالم ، وهل في العالم دين يمكن العالم الانساني من أن يجمع أمره غير الاسلام ؟ لو أن الأمة الانجليزية كانت مسالمة لكانت ادارة الاحكام أسهل ولحلت الجمعيات الكثيرة الكنيسية ولم يبق هناك شقاق حزبي ولا كانت هناك ضرائب ثقيلة لتوصل الناس الى ربهم ، دين المسيح وموسى كان أسهل الأديان ولكن الخلط عقده وجعله سببا في الحروب الصليبية التي مات فيها عشرات الألوف ، لم هذا ؟ لأجل ضريح ظن الناس أن المسيح وضع فيه مدة وجيزة ، إن المتعصبين وهم القسيسون يحكمون على من لم يتبعهم باهلاك الأبدى * ويقول (غوردون) ﴿ انه لم يجد بين المسيحيين إحسانا كالذي رآه عند المسلمين ، ليس في الدنيا ساوى كاتى يجدها من يؤمن بالحقائق لا بمجرد الأقوال ﴾

١٧٢ وقال (الدين المسيحي شرقي وقد بقي في أوروبا ألفي سنة ولا جرم أن الدين الاسلامي أرقى منه أفلايسوغ أن يحل الثاني محل الأول مع انه شرقي أيضا ، واذا أنارت المسيحية العالم ألفي سنة فلم لا يحل الأسهل منها وهو الاسلام محلها إذ ليس هناك مانع ؟ دين الاسلام يؤيد التوراة والانجيل ويوسع تعاليمهما ، أليس من الجور والظلم أن يحكم قومي على الاسلام وهم لم يدرسوه بل هم لم يفهموا معنى كلمة (اسلام) وكأنهم يرون أن إنارة عقولهم ازعاج لهم ، منذ سنين كنت أقول إن الاسلام يحرم الوثنية والقرآن كلام الله وهكذا الانجيل فلم نترك أحدهما مع اننا قبلنا الآخر ؟ أنا مدة حياتي شاكر لله ولكن في السنين الأخيرة زدت انشراحا وأصبحت في طمأنينة عظيمة لاحد لها وأنا سعيد جدا سعيد ، ولكم كنت أقول إن تعاليم الكهنوتية لا فائدة منها ولكن أثق بأن الله هو الفاعل المختار ولكن لما قرأت القرآن اطمأنت جدا ، القرآن يعطى الساوى للمتعين في الحياة وللجنة والخطيئين أصحاب الأعمال الشيطانية فهؤلاء أيضا لهم أمل في الله رب الجميع ، القرآن يعطى رجاء لسكل تائب من هؤلاء ، تعصب الكنائس الأعمى وتنافسها دمرها ولكن الاسلام لم يفعل ذلك ، منذ سنين طلب بعض الحكام العظام في الشرق أن يبحث عن دين حق فبحثوا ثم قالوا لا نترك ديننا ولوانا شكلنا لجنة لتبحث عن أرقى الأديان لم تجد غير الاسلام ، إن من أعظم الذم أن نعتق ديننا خاليا من الكهنوتية موافقا للعقل وهو الاسلام ، في الشرق وفي الغرب رجال يعرفون أن الاسلام هو الحق ولا أدري في أي وقت سينشر الله هذه الفكرة للناس أجمعين ، ولعله يكون قريبا ، الكنائس المسيحية يناقض بعضها بعضا مناقضة عظيمة ومعلمو اللاهوت وضعوا التعاليم معقدة وجعلوها تدهش العقول ، الكنائس الثلاثة الرومية والكاثوليكية والبروتستانية كلها طردتني منذ صغرى ولا أدري ما الذي وضع في نفسي عدم الثقة بها في تلك الأيام ، كنت ولا أزال أحتقر ذلك الذي يقف على منصة الخطابة ويحكم على الملايين بالاعدام لأنهم لا يوافقونه طلبت من الله أن ير بعين سنة ليعرفني الحقيقة فعلمت بعد ذلك أن هذا الدين من عمل الناس لا من عمل الله ، وأن زيارتي للشرق ملأتني احتراما واعظاما للدين المحمدي الحنيف ﴿ اه

١٧٤ ﴿ الفصل الثاني ﴾ فيما كتبه (الكونت هنري دي كاستري) قال ﴿ كنت أجوب في جوف الصحارى في ولاية حوران ووراني ثلاثون فارسا وأمامهم واحد يغني ويمدح في كاتب هذه السطور وكنت أضفي الى مديحهم الذي يدل على الانحطاط النفسي بالأراجيز المحبوبة وسني ٢٥ سنة وكان اليوم جيلا وبيننا أنا في تلك الحال الجميلة إذ سمعت المنشد يقول (سيدى الآن وقت العصر) فرأيتهم حالا نزلوا عن

الخيول واصطفوا لصلاة العصر وقالوا بلسان واحد ﴿الله أكبر﴾ فرأيت ماحولنا كأنه يقول الله أكبر وداخلى إحساس وشعور جيل جدا وخشية ورأيتى محتقرا عند هؤلاء الذين يرون أن الله خاص بهم أما أنا فسكأتى هناك فكرت فى الاسلام إذ رأيت جباله الفتان ﴿

١٧٥ ﴿أدهشتنى ظواهر الاسلام ولوانى كتبت إذ ذاك لعدتى الناس غير محقق ولكنى أكتب الآن بتعقيق إن الكاتبين عن الاسلام ﴿فريقان﴾ المستشرقون ومستعربوا الجزائر وكلهم من الافرنج والمستشرقون أغزر علما ، وأنا وان كنت من القسم الثانى أسأل المستشرقين عفوًا ، فأنا لست ممن كتبوا من غير إمعان فكر مثل الميسو (لوازون) . أنا لست بهذا الكتاب متعصبا للاسلام ولكن الاسلام صار مسألة من المسائل الكبرى شغلت أذهان الباحثين حتى أسست لها مجلة علمية فى باريس نجح بها المسلمون وساعدتهم المسيحيون بالمال على إقامة مسجد يعبدون الله فيه ، فأنا أريد بهذا الكتاب أن أبين كثيرا من الخطأ فى الاعتقاد بالنبي العربى ودينه وهذا الخطأ أملاه التعصب الأعمى من بعض المسيحيين الذين يقولون عن المسلمين انهم يعضون المسيحيين مع انهم هم يعضون المسلمين ﴿

﴿صدق سيدنا محمد ﷺ ، محمد والأغاني المعروفة بأغاني الاشارات ، محمد والتاريخ ، أصل الاعتقاد ، الوحي بالقرآن ، ليس محمد مبتدعا ، هل كان على الدوام صديقا ، وفاته ﴿

كان لى صديق فى تلمسان وكلما بحثنا فى الدين قال الله يلد عند المسيحيين ومحمد نبي المسلمين ساحر فلا دين إذن ، هل يعلم المسلمون أفاصيل الأغاني ضد الاسلام فى القرون الوسطى وقد كانت سببا فى الحروب الصليبية ؟ هل يعلم المسلمون أن تلك الأناشيد فيها دين الاسلام هو عبادة الأصنام وأن لهم ثلاثة آلهة وبعضهم زاد له إلهين والآلهة هم (ماهوم) و (ابلين) و (ترفاجان) و (بافوميد) و (ماهوميد) وهو محمد ، وهل يعلم المسلمون أن تلك الأناشيد تقول ان محمدا جعل نفسه إلهًا ، أفلا يدهشون أن محمدا عبث الأصنام يطلب منهم عبادة نفسه فى صورة وثن ، هل يعلمون أن هؤلاء المتعصبين يقولون ﴿إن الإله (ابلين) كان فى مغارة ولما انكسر جيش الاسلام سبوه وداسوه بأقدامهم وهشموه . وأما (ماهوم) فقد رموه فى حفرة وتركوا الكلاب والخنازير تنهشه وتهينه . ثم تاب المسلمون واستغفروا واصطلحوا مع آلهتهم ولذلك كسرت تلك الأصنام الأمباطور (كارلوس) فى سرقسطه ﴿ . كل ذلك فى تلك الأشعار . وقال (ريشار) فى أناشيده قوموا ونكسوا صنم ماهوميد الخ وذكرا أن صورة ماهوم صنعت من أنفاس الأحجار والمعادن وهناك وصف بديع جدا لتلك الأصنام يظن من سمعها أن الواصف شاهدها عيانا وماهوم هذا كان جوفه خاليا فيرى الضوء من خلاله مرصعا بنفائس الأحجار . ولما كانت الآلهة تنزل الوحي وقت الشدة وقد انهزم المسلمون بعث قائدهم فطلب الإله من مكة وحوله الطبل والزمر والغناء والرقص . وقد وضعوا فى جوفه عفرينا فكلم الخليفة . وهذا الصنم جعلوه علامة الدين الاسلامى كما ان الصليب علامة الدين المسيحى

١٧٧ وفى تلك الأناشيد أن المسلمين لما انكسروا أخذوا ينادون تلك الأصنام وهم فى هرج ومرج . إن هؤلاء المنشدين لا يعتقدون صحة تلك الأناشيد وانما هؤلاء هم شعراء القرون الوسطى . فأما المؤرخون بعدهم فقد حشوا كتبهم بالأفاصيل الخرافية وان سموا أنفسهم معتدلين . ومن عجب أن البروتستانت أيضا متعصبون على الاسلام يذمونه . انظر الى كتاب (ريلان) و (دون ماتينو) صاحب سراج الكنيسة إذ يقول إن كتاب محمد هزؤ والمسلمين حير وجر وحشية وكسالى وهكذا . ويقول (بروشار) المسلمون فاسقون مفرطون فى نسايتهم الخ

١٧٨ إن المسلمين لاهمة لهم إلا اللذائذ البهيمية والمعيشة الممجة ولم يتغير أساليب المسيحيين إلا سنة ١٧٣٣ م إذ ألف (بريدو) المسيحي سيرة حياة محمد ذى البدع وقال إن غرض الكتاب خدمة الدين المسيحي وكان سلاحه الوحيد الشتم والذم ، وجعل (داماسين) الاسلام بدعة مسيحية ، إن مسألة صدق النبي متفق عليها بين المستشرقين تقريباً ، وهذا ذكر اسماعيل وديانته وانها تلاشت وحل محلها عبادة الأصنام ثم دخلت اليهودية والنصرانية ، وبيان أن النبي ﷺ لم يكتب ولم يقرأ ، وهنا يجوز الباحث عن معرفة المصادر التي عرفت ما جاء في القرآن من الديانات المختلفة ، على أنه لو قرأ تلك الكتب لأقر بالتثليث مع أنه موحد

١٧٩ لما وجد ﷺ الأمم العربية عابدة للأصنام وهناك قوم يعتقدون التثليث وهكذا لزم الخلوة مفسكراً في الكون ولما بلغ الأربعين جاده صوت من الحق ﴿الله أحد﴾ أما الوحي بالقرآن فهو مشكلة لم يحلها أحد من الباحثين ، إن العقل يحار كيف تصدر آيات عن رجل أمي أصغى إليها عقبة بن ربيعة وأقنعت عمر بن الخطاب وأبكت النجاشي . إن فصاحة القرآن لا يعرفها الفرنجى بالترجمة

١٨٠ إن العقل ليدهن كيف تؤثر الفصاحة هذا التأثير وكيف كان يتحدثهم بسورة وبعشر سور مفتريات . القرآن مقيم للكتب قبله فلذلك يذكر بعض ما فيها فهذه وظيفته . القرآن للإنجيل كالانجيل بالنسبة للتوراة . وهنا ذكر الآيات الدالة على أن دين الله واحد . إن النبي ﷺ في أول حياته معتقد بصحة نبوته ولا جرم أن نصره في آخر حياته ثبت هذه العقيدة . لما قهر العرب لم يظهر العظمة ولا اتخذوا زيراً اننا مهما اجتهدنا فنحن به جاهلون . وقول (ريشار) انه كان في آخر حياته شاكاً خطأ محض . وكيف لا يكون كذلك وهو باجتماع المؤرخين الصادقين قد بقي بحاله الى الموت فاضل المنشدين من النصارى الذين قالوا إن محمداً قدماء تهشبه الخنازير وهو نشوان وليس عنده نصير ولا معين وأن المسلمين حرموا لحم الخنزير لأجل ذلك

١٨٢ وكيف يقولون ذلك وهو ﷺ لما مرض خطب خطبة قرأ فيها آية - اليوم أكملت لكم دينكم - ثم رجع الى بيت عائشة وأمرها بتفريق ما عنده من المال للعوزين ثم قال للناس من له على حق فليأخذه وقال - لخزى الدنيا أهون من خزى الآخرة - ومات بمعاودة سم المشاة المسمومة عند اليهودية زينب في خير وصار يقول (يارب أعني على سكرات الموت)

١٨٣ الاسلام في زمن الفتح لم يكن له من الأنصار سنة ٦٣٤ هـ في واقعة بدر إلا ثلثمائة وأربعة عشر فامضى قرن حتى اجتاز الالب وتوسط البلاد الفرنسية وأسامت الشام والحجم ومصر وبلاد الغرب من مراکش والجزائر وتونس وطرابلس بعد اضطراب شديد وانتشار الدين كانتشار السوائل . وأكبر المعاندين للدين كانوا هم العرب لشدة تمسكهم بعوائدهم . والأب (بروغلي) يقول إن أبا بكر وعمر كانا أعقل من القياصرة والحكام فاربوهم وانتصروا عليهم ولما ذهبت دولة العرب بعد قليل بقي الدين معهم

١٨٤ (الفصل الثالث) فيما ذكره العلامة (توماس كارليل) يقول « إن من أكبر العار والسبة على المتتمدين أن يقولوا إن محمداً خداع مزور كذاب . وأنا أعجب كيف يروج الكذب بين الناس الى هذا الحد ومن عرف علوم الكائنات دهش من هذه الأكاذيب على نبي العرب . وهل يستطيع الرجل الذي يجهل فن البناء أن يبني بيتاً ؟ كلا . فضلاً عن أنه يدوم (١٢) قرناً ومحمد بيته مضى له (١٢) قرناً يعيش فيه مائة مليون من الأنفس فلو لم يكن هو بناء لانهارت أركانه ! ما أكذب الذين يكذبونه وما أجهلهم وما كذبهم إلا من قليل الأوراق المالية المزورة . هل يكون الرجل العظيم كاذباً ؟ كلا . إن الصدق أساسه أن المخلص

لا يتوقف إخلاصه على إرادته هو مبعوث من الأبدية لا يعتبر الاصطلاحات وإنما يسير إلى الحقيقة رأسا
 ١٨٥ الرجل العظيم في نظري مخلوق من فؤاد الدنيا ، بلاد العرب وعرة فيها بعض الرياض فهكذا العربي
 صامت كثيرا وإذا تكلم كان كلامه قليلا وهو مأوء حكمة ، العربي متدين كاليهودي ولكن العربي
 ذو محامدة

١٨٦ مات أبو النبي ﷺ عقب مولده وتوفيت أمه بعد (٦) أعوام وكفله جده ثم عمه فصحبه في التجارة
 تارة وفي الحرب أخرى ولم يقابل (بحيرا) إلا وهو صغير فكيف يتعلم منه . صناعة الخط لم تكن في بلاد
 العرب إذ ذاك إلا قليلا ، إن محمدا ﷺ غنى عن المعلم وعن الخط . هو أمين صادق صامت بشوش الوجه
 ١٨٧ وقد كذب من قال أن محمدا ﷺ يريد الشهرة والمفخرة له وهو الإخلاص كله . يحقر جدليات اليونان
 وأصنام العرب وروايات اليهود المهمة وأوثان العرب والعادات والاصطلاحات . ويحقر تيجان كسرى
 وقيصر وجميع المظاهر

١٨٨ كان يخلو بنفسه في (غار حراء) لينظر في هذا الكون فلما ظهرت له الحقيقة أخبر بها السيدة خديجة وأن
 الله واحد فتوكل عليه ونسلم الأمر إليه فلم يصادف إلا سخرية من القوم فلم يؤمن به في ثلاثة أعوام
 إلا (١٣) رجلا ولم ينصره من أسرته حين خطب فيهم إلا على وجع القوم يضحكون ويسخرون من
 رجلين يقومان لإصلاح العالم كله . وفي سنة (١٣) من رسالته تألبوا عليه جميعا إذ اتفق أربعون رجلا
 من جميع القبائل على قتله فرحل إلى المدينة

١٨٩ وهناك لم يجد مناصا من حربه . ومن زعم أن محمدا نشر دينه بالسيف فقد أخطأ وهل أوجد السيف
 إلا ذلك الرأي الجديد ؟ ولقد فعل (شرلمان) بقبائل السكسون مثل ذلك . إن النصرانية أيام ظهور
 الاسلام تصدع الرأس لأحياة فيها إلا قليلا

١٩٠ هذا الدين حق . جاء محمد وشيع النصارى في جدال وتخطب بالحجج العقيمة فأثار الوجود وأزال الظلام .
 القرآن معجز أعظم اعجاز ولكن الأوروبي لا يقدر أن يدرك ذلك الاعجاز لأن الترجمة ذهبت بروني القرآن
 القرآن كتاب تشريع في كل زمان ومكان دام (١٢) قرنا . لقد كذب (براديه) وأمثاله إذ يقولون
 إن القرآن أخاديع وتراويق . كانت حياته ﷺ كلها خطوبا في مدة (٢٣) سنة التي بلغ فيها الرسالة
 ومحاربات ومحاورات ومخاصمات داخلا وخارجا

١٩١ كان ﷺ يكتفي من المعجزات بالسكون فيذكر لهم السحاب المسخر يخرج بصيبه النبات والشجر .
 ويذكر لهم السفن التي تجري في البحر والجبال الشاخات ويقول انها ستفنى . والله ان العلوم التي يقرؤها
 الناس في العصر الحاضر تسذهب بروني السكون انها ميتة وهل يذوق لذة جلال هذه الدنيا إلا العابد
 ذلك هو الذي انفتحت بصيرته فعمق الوجود أما العلوم العصرية فهي وحدها ميتة في النفوس . لم يكن
 محمد ﷺ أفا شهوات وكيف يكون أفا شهوات من كان عفيفا قانعا متقشفا في كل أطواره . خشن
 اللباس والطعام ساهر الليل عابده يحقر الملك والمال والصو جان مما يتطلع له أصاغر الرجال . عاشر
 القوم تغلب ألباهم بلطفه . بكى على زيد مولاه برقة وعطف . انه كان شقيقا رحما . اني أحب محمدا لأنه
 رجس لا يتصنع . كان ماضى العزم لم يكن عابثا . أما الرجل السكاذب فهو ذلك الذي قد تضاعل شعاع
 الله المنبعث في روحه فأصبح ظاهرا لئنه ولطفه كامنا لؤمه وخبثه . إن نفس المؤمن ترجع بجميع
 دول الأرض

١٩٣ صوت محمد ﷺ صوت الانسانية كلها ولست اللجنة كلها مادية بل ذكر أن فيها السلام والامن والامن

لا وجود له في الدنيا وهكذا الصفاء وعدم الغل وما أجله وفي القرآن عظمة العمل الانساني وأن له أثرا كبيرا بعد الموت وهو حق . كان قلبه ملتهبا يتوقد واخلاصه لا نظير له . ما أشرف هذا الدين وأعظمه وقد مضى له (١٢٠٠) سنة وخمس العالم الانساني يتبعه ولم تعتصم أمم بدنيها كاعتصام المسلمين بالاسلام محمد ﷺ أخرج أمة من العدم أحياءا بعد موتها ، فهل أحياءا بالكذب ؟ كلا . انه حوّل الخول الى نشاط والتفرق الى اجتماع ولم يمض على رسالته قرن حتى أصبح للعرب رجل في الهند ورجل في الأندلس ، كل ذلك منبعه الايمان ، أفلاترى ذلك شرارة من السماء تأججت واشتعلت بين غرناطة ودلهي انتهى . الكلام على (توماس كارليل) مؤلف هذا الكتاب وانه من (اسكوتلانده) ولد سنة ١٧٩٥ وهنا ﴿ جوهرتان * الأولى ﴾ في ابضاح مناسبة هذه الآراء الفرنجية للآيات ﴿ الثانية ﴾ في بناء المؤلف على الله وتبيان قول (توماس) أن محمدا ﷺ لا يكتب ولا يقرأ وقوله انه لم يتعلم وقوله « إن محمدا ﷺ كان يقول هذا الكون هو المعجزة » وأن هذه الأقوال هي عين آيات القرآن . وبيان أن هؤلاء الغربيين لم تنقيد عقولهم بقشور الاسلام فأمكنهم الوصول الى الحقائق الأصلية بخلاف صغار العلماء من المسلمين الذين غشت على عقولهم العلوم الجزئية وجهلوا الكليات ثم الكلام على شكوى اللورد هيدلي من أكاذيب القسيسين على نبينا ﷺ وأن هذا هو قوله تعالى - اتخذوا أجباهم - الخ وهنا محمد مؤلف التفسير ربه أن هذا الزمن قد ظهرت فيه معاني القرآن واضحة عملا في أوروبا وانه قد نال ما كان يتامسه صغيرا من معرفة نظام العالم ومعرفة وجود خالقه ومعرفة ماتقوله أوروبا في ذلك ومعرفة مابه يرتقى المسلمون

١٩٦ ويقول مؤلف هذا التفسير أيضا انه دهش جدا من أن أوروبا التي بهرت العالم بصنائعها وعلومها تمشي وراء هؤلاء القسيسين بالاعقل ، وكيف يحترف الكلام عن مواضع أولئك القسيسون . وكيف يحجزوا عن البراهين واكتفوا بدم سيدنا محمد ﷺ والمسلمين مثل قولهم « الحمد لله خير ونبههم يحب النساء والمسلمون مربوطون بحبال الشيطان ونبههم مرتكب الخطايا يحتاج الى من يخلصه لأنه كان دنيويا الخ ودين الاسلام يشجع على الزنا والجمعة أصبحت كرخانة » وذلك بأقلام كتاب هؤلاء القسيسين في أمريكا وأوروبا

١٩٩ ثم هنا ذكر (اللورد هيدلي) أن هؤلاء لم يتعلموا مبادئ الدين المسيحي الذي يحقر الكذب فقد كان ﷺ يحتمل الاضطهاد بصبر وثبات وهو في مكة (١٣) سنة لا يخشى أعداءه وهو عفو محسن شجاع كريم . ومن الحب انه عفا عن الذين أرادوا قتله . لقد عاب هؤلاء الكاذبون المسيحيون الاسلام لأجل السلب والنهب اللذين أنت بهما القبائل المتوحشة . إذن فلتعجب المسيحية على محاكم التفتيش التي يرفضها الدين المسيحي . إن قوة أخلاق الرجل تظهر في المحن ومن لم تصادفه المحن فن أين تظهر أخلاقه ؟ هل يمكنك أن تعلم الصبر إلا اذا أوديت فصبرت . لا فضائل إلا أثناء المحن . إن محمدا كرامة أماننا تعكس علينا العقل الراقى . كان ﷺ شديد الغيرة على دين الله فكسر الأصنام وقام عبادتها مع شدة صلابه العرب وتمسكهم بعبادة آلهتهم

٢٠١ ما أشهر محمد السلاح إلا عند الحاجة القصوى - لا اكراه في الدين -

﴿ تذكرة ﴾ يقول المؤلف لابد من الصراحة وقول الحق وخاطب المسلمين والفرنجة . أما المسلمون فانه يقول لهم « هاهم أولاء كتاب أوروبا نظروا الى الاسلام من حيث جوهره ولم تقنعهم المسائل الجزئية ولا المذاهب المختلفة كالشيعة وأهل السنة ولذلك قالوا ان جوهره هي علوم الطبيعة والفلك وجميع الموجودات

إن هنرى وكارليل يقولان ما يقوله الفزالى وابن رشد بخلاف أكثر المساميين الذين تعادوا لأجل أمور جزئية كقتل الحسين رضى الله عنه الذى كان سببا فى كره جهلة الشيعة لأهل السنة والعكس وكان لذلك أثر فى السياسة العامة . إن المسلم أشبه بالمحبوس فى مكان فيه نور ضئيل بعد القرون الأولى وفلاسفة أوروبا نظروه فى ضوء الشمس وقد قابلهم قراء هذا التفسير . ولقد حبس الاوروبيون فى دين عتيق أكل الدهر عليه وشرب ودحضه عظمائهم . إذن أهل الشرق وأهل الغرب قتلهم التقاليد . هذا من جهة الدين . أما السياسة فهامهم الى الآن لم يقوموا بما يجب فيها وكتابى (أين الانسان) شاهد بذلك ﴿الجوهرة الثالثة﴾ فى قوله تعالى - وكأين من دابة لاتحمل رزقها - الخ

٢٠٣ بيان أن عجائب الحيوان ذكرت فى أمثال (آل عمران) وغيرها ولينين هنا أن سعادة الانسان موقوفة على العلم . أوليس من المدهش أن يرى الانسان الجرذان قبل هطول الامطار بمدة قريبة تعود من أوكارها على ضفاف النهر الى أوكارها فى القرية فهى أشبه بميزان للطقس . وهكذا الفأرى البيت قبل أن ينقض عليه بزمن يسير يفرّ حالا (انظر شكل ٢٢) والجل فى الصحراء يبرغ رأسه قبيل هبوب العواصف حيث لا علامة تدل عليه وبعض السمك قبل أن يطغى النهر لا يأكل لعله أن غداه سيحضر مع الفيضان القريب والطيور تعرف حال الطقس قبل تغيره كالوعول والأرانب إذ تكون السماء صافية فتتحد من الجبال وبعد يوم واحد يظهر السحاب والمطر . وفى (شكل ٢٣) صورة نوع الأوز الذى يرحل من المنطقة قبل اشتداد الشتاء

٢٠٥ (شكل ٢٤) صورة انحدار الوعول من أعلى الجبال . خطاب المؤلف لله يقول انه سكن الأرض وأهلها يتقاتلون ويبحث عن الحقيقة فوجد أن أكثر الناس فى شهواتهم مشغولون وهم متقاطعون وفى أثناء ذلك يظهر أناس يعرفون آثار جهالك ويسخرون من الزخرف ويحجبون من لطفك بالجرذان وعطفك على الأرانب البرية والوعول وهذه المزايا لا يعرفها الجهلاء . أما المفكرون فى أمثال هذا فلا سعادة إلا لهم بل هم فى جنة العلم والعرفان فى هذه الحياة . ولقد رأى قاضى (صوهاج) الحيات والعقارب تفرّ مسرعة قبل فتح الترعة الصوهاجية بساعات وأخبره أهل البلدة أن هذه دأبها كل سنة . ولا جرم أن هذه الحشرات والزواحف لاتعلم بالمستقبل إلا ما كان لعمومها أما ما يخص أحدها فلا بدليل قتلنا للحيات وصيدنا للطيور . وقد يعلم الانسان مستقبل نفسه فى التنويم المغناطيسى وانما حرم من هذا العلم عادة لأنه يغرى بالكسل لجهل المستقبل يحشا على العلم والعمل

٢٠٧ (لطيفة) فى قوله تعالى - وان الدار الآخرة لهى الحيوان - الخ وحكاية وزير مصرى قال للمؤلف : إن مذهب النشوء والارتقاء به تمتعنا بالقصور والعظمة والمال أما الآخرة والجنة ونحوها فلا . وحكاية مدرس عظيم اشترى أرضا كان فى فقره يجلس تحت شجرها فلما اشتراها فى كبره فرح بها وغنى وهو مخطئ فى فرحه وهكذا رجلا ن فلاحان كل منهما فرح بما عنده ملابس أو أنعام او حبوب

٢٠٨ ﴿خاتمة السورة﴾ خطاب العنكبوت للمفكرين فى الاسلام تقول : إنكم تحرقون الطوب لتبنوا وترزعوها لتأكلوا وتلبسوا أما أنا فساكنى رما كلنى بسبب هذه الخيوط فنها مراكبى فى البحر ومناطيدى فى الجوّ وشبكة صيدى فى الأشجار . فهذا مخزن من مخازن الله تعالى وقد طرت فى الجوّ فقلدى أهل أوروبا أما أنتم فأنكم فى آيات ربكم لاتفكرون .

صحیح مسلم

جمع

إمام الأئمة الحفاظ . وعلم المحدثين الأفاضل

أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري
الكتاب أشهر من أن يوصف . محتوي على نيف وسبعة آلاف حديث
صحيحة في غاية الثقة والاتقان

وهو الصحيح الوحيد الذي تلقته الحفظة المحدثون بالقبول وأذعنت له
العلماء الفحول وعليه مدار الصحاح في المعقول والمنقول
لذلك تهافت العلماء على شرحه ودرسه لما فيه من الفوائد الجمة . كيف
لا وهو كلام سيد الأمة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم
وقد طبع عدة طبعات مختلفة . وبالنظر لتهافت المسامين على اقتنائه
أصبحت نسخته أثرا بعد عين

وقد طبع أخيرا طبعة مصححة بمعرفة لجنة من علماء الأزهر الشريف
على ورق جيد وحرف جميل بأشهر المطابع المصرية مذكورا بها الأبواب
في صلب الكتاب (لأول مرة) وعليه شرح وجيز حلّ المشكل من ألفاظه
انتخب من شرح الامام النووي والأبني والسنوسي وغيرهم من الشراح
المشهورة بمعرفة لجنة من العلماء برآسة العلامة المرحوم الشيخ محمد ذهني
رحمه الله . وهو في مجلدين